شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٧ — تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

صفحة ٤ — **شؤون فلسطينية** ، الدكتور انيس صايغ .

٥ — **على هامش البداية** ، محمود درويش .

٩ — **ماذا بعد ؟** الدكتور كلوفيس مقصود .

١٣ — **حرب « يوم الغفران » ــ بداية انحسار صهيوني** ، صبري جريس .

٢٢ — **الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة : جولة جديدة على طريق التحرير والعودة** . (١) المعركة دوليا . (٢) المعركة عربيا . (٣) المعركة عسكريا . (٤) الثورة الفلسطينية في المعركة .

٥٠ — **حجم القوات المشتركة في القتال يوم اندلاعه** ، هشام عبدالله .

٦٤ — **دراسة تحليلية للقوات المشتركة في القتال يوم اندلاعه** ، المقدم الهيثم الايوبي .

٨٤ — **مواقف عالمية من الحرب** : (١) الموقف السوفياتي من الحرب من خلال الصحافة السوفياتية . (٢) المانيا الديمقراطية والحرب . (٣) الصحافة الالمانية الغربية والحرب . (٤) فرنسا والحرب . (٥) بريطانيا والحرب . (٦) افريقيا : نحو عزل مستمر لاسرائيل . (٧) الموقف الاميركي تجاه : « الحدود الآمنة لاسرائيل » و « المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني » .

١١٩ **الحرب النفسية والخطوط الاعلامية لاذاعة اسرائيل باللغة العربية .**

١٤٣ **تقارير عسكرية** : (١) اضواء على « خط بارليف » . (٢) حقائق امكانات المشاركة العسكرية العربية . (٣) الدبابات العربية ــ الاسرائيلية تتجابه في الميدان . (٤) القوات العربية الخاصة ودورها في الحرب .

١٥٦ **النفط العربي في خدمة المعركة** ، الدكتور طارق يوسف اسماعيل .

١٦٢ **الحرب في صحف الضفة الغربية** ، عيسى الشعيبي .

١٦٧ **الدعاية الصهيونية ــ الاسرائيلية والقول بأن « العرب يريدون القاء اليهود في البحر »** ، عبد العال الباقوري .

١٩٧ **النشاط الفدائي حسب اعترافات الناطق الاسرائيلي .**

٢٠١ **جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية** من ٩/١٤ ــ ١٠/٥/ ١٩٧٣ . **وآخر بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية في الاسبوعين الاولين من الحرب .**

شؤون فلسطينية

تبدو الكلمة صغيرة امام الرصاص . ويبدو الكلام ترفا ، واحيانا اسرافا ، امام القتال . ويبدو التحليل والتعليل والنقاش هزيلا امام الاحداث التي تفرض نفسها على التاريخ . ومع هذا يحاول القلم ان يسهم ، وهو يعرف حدود المجال الضيق الذي يستطيع ان يتحرك فيه ، بمعركة خاضها المقاتل العربي بشرف وعزة ، وسقاها دما زكيا وعطاء كريما . لانه يبقى على القلم واجبات ومهام معينة : فهو مدعو ان يسجل الاحداث ، وما حفلت به من بطولات وانجازات ، كما هو مدعو ان يشارك في فهم دروس الماضي لرسم خطوط المستقبل . ولعل هذه المهمة المزدوجة لا تبلغ عادة الصعوبة التي نقاسي منها حاليا ، أي ونحن في وسط المعركة ، وعلى ابواب تحولات أساسية في النفسية ، وفي السياسة والعلاقات والمفاهيم ، العربية .

من هنا كانت حيرة رئاسة تحرير شؤون فلسطينية وهي تخطط لعدد الحرب هذا . أنخصصه لتمجيد النصر (النصر الذي انجزناه منذ اللحظات الاولى ، أي منذ ان تغلبت ارادة القتال وعبّرت عن نفسها بتحرير جزء من الارض المحتلة) وكأن أمتنا عاجزة فاجأها النصر فلم تعد تدري كيف تقبله وتحتفظ به وتعلنه ؟ أم نخصصه لتفسير التطورات وشرح الاحداث ، وكأن الكاتب يرى ، بالضرورة ، أكثر وأبعد مما يرى القارىء ؟ أم نخصصه للاطلالة على المستقبل ، وكأن الامور انتهت وأصبح من الممكن الجزم بما سيحصل او لا يحصل ؟ ان أيا من هذه المهام لن يكون ، لوحده ، هو المتوقع من كتّاب المجلة في هذا العدد بالذات ، لان مواد البحث لا تزال ناقصة وفي طور التكوّن .

بدل هذا او ذاك ، تحاول شؤون فلسطينية ان تقدم ، في هذا العدد الخاص ، تقارير متواضعة عن بعض ما حصل ، كتبت تحت وطأة الاحداث ، وجمعت موادها ومصادرها ووثائقها بقدر ما تسمح به الظروف . لذلك من المهم ان نلفت نظر القارىء الى ان الاغلبية الساحقة من مواد العدد انما وضعت في فترة اسبوعي القتال الاولين (الاسبوعان الثاني والثالث من اكتوبر) وان طباعة العدد كله جرت في مدى اسبوع واحد فقط ، هو الاسبوع الرابع من الشهر نفسه . ولا شك ان التسجيل الامين للاحداث ، والنظر الصحيح في معانيها ، والتصور الناضج لمستقبلها ، انما هو ما يأمله القارىء في الاعداد القادمة من مجلتنا ، وهو ما نأمل ان نحققه .

انيس صايغ

على هامش البداية

محمود درويش

لعل بعض الكتاب العرب قد بلغ حد المبالغة في توجيه الاهانة الى أمته عندما كان يمجدها . فان حصر مفهوم انبعاث الامة او عودة الروح ــ كما هو شائع القول الآن ــ في معنى واحد هو الجرأة على مجرد اطلاق النار على العدو هو اعلان عن مدى فقر الامة التاريخي من جهة ، ووضع الرصاصة مقياسا وحيدا لاصالة الامة العربية وحضارتها .

ليس هذا مجال البحث عن معنى مفهوم انبعاث الامة ودور حروب التحدي فيه . ولكن يجب الاسراع في القول ان هذا المقياس الوحيد الضيق حتى الخنق كان نجاحا صهيونيا في نقل عدوى دائها التاريخي الى نفوس البعض منا . وان أحد محتويات المعركة التي نخوضها الآن ضد العدو هو القضاء على بطلان هذا المقياس الوحيد الذي نجح في اقامة الكيان الاسرائيلي من ناحية ، وعبأ هذا النجاح بمقومات فشله التاريخي من ناحية أخرى .

ومهما تكن نهاية المعارك العسكرية التي تحمل من الجانب العربي ما هو أعمق بكثير من المعنى العسكري ، فان معادلة النجاح ــ الفشل الذي تنطوي عليه التجربة الاسرائيلية ستتعرض لمناقشات فكرية ، داخل كيان العدو ، كان يعتبر مجرد طرحها تطاولا على قدس أقداس الصهيونية ايديولوجية وممارسة .

قد تكون هذه الحرب انبعاثا للامة العربية وتجديد روحها اذا كانت بداية عربية ، ونهاية اسرائيلية في آن واحد .

اننا نسرع ، على ما يبدو ، الى نفض أيدينا من كارثة حزيران . وأكثر من ذلك اننا نحاول اسقاطه من التاريخ . وليست هذه الظاهرة غير تعبير عن الروح التبريرية المتأصلة في فكر الكثيرين منا . سيسعى البعض الى البرهنة على أن حزيران لم يكن أكثر من شهر طارىء على الاعوام العربية . وسيسعى البعض الى البرهنة على ان حزيران لم يكن نتاج خلل أو خطأ في بنية حياتنا السياسية والاجتماعية والفكرية . وبذلك نستوحي من مجرد الجرأة على اطلاق النار على العدو دليلا على شرعية أخطائنا التي كانت من أسباب هزائمنا . وهذا يشكل ، بحد ذاته ، اتجاها منافيا لاتجاه انبعاث الامة .

البداية الجديدة التي تطمح الامة العربية الى أن تنضج اثناء الحرب ، وتتجسد في اعادة النظر بأنماط حياتنا على كافة المستويات وفي كل الميادين ، والتي تنطوي على التنازل عن أفكار قديمة وقناعات خاطئة ــ هذه البداية الجديدة هي التي تغني روح الامة وتثريه بتعامل جديد مع العصر ، ولا تعيد الروح الى الامة ، لان الامة في ذروة مآسيها وكوارثها لم تفقد الروح .

هذه هي البداية الجديدة التي تتشكل أثناء تجربة الجماهير العربية في خوض معارك

التحدي الكبرى . وهي لا تعنـــي الانطلاق من الصفر . فلم يكـــن ماضينا ، في ادنى مستوياته ، صفرا . ولكن البداية قد تعني التنازل عن الفكر والاسلوب اللذين جعلا نهوض الامة بطيئا الى هذا الحد ، وتعني هضم واستيعاب طرائـــق تفكير وممارسة جديدين ينسجمان مع متطلبات العصر الجديد .

وقد لا نبالغ اذا سجلنا ان تحدي ربع القرن الذي مارسه العدو الصهيوني ضدنا ، بكل ما يمثله ، قد جعل بعض العرب يسعى الى محاولة النسخ عن العدو ، بحجة ان السلاح الذي انتصر به العدو ، هو السلاح الوحيد الذي نهزم به العدو . أعني بالسلاح هنا التجربة . مثلا : ان كون اسرائيل مجتمعا عسكريا قد أتاح لبعضنا الحق في ترسيخ الروح العسكرية في حياتنا المدنية . وان كون اسرائيل قامت على دعوة دينية لاستقطاب يهود العالم . أو كونها دينت السياسة ، وسيست الدين ، قد أوحى للبعض فرض الدين — بمعناه الحرفي — على كل شيء فينا حتى أصبح في بعض الاحيان نقيضا للعلم . وان كون اسرائيل تستمد مقومات بقائها وقوتها من الدولة الاستعمارية الاقـــوى : مرة بريطانيا ، ومرة فرنسا ، ومرة الولايات المتحدة الامريكية ، قد دفع البعض الى محاولة خوض المنافسة مع اسرائيل على كسب ود اميركا ، على اعتبار ان العالم العربي أكثر ضمانا للمصالح الامريكية من اسرائيل الصغيرة . باختصار ، استطاع العدو أن ينقل الى البعض منا عدوى أمراضه المزمنة التي منحته خديعة الانتصار ، وستعطيه واقع الهزيمة في الحساب التاريخي البعيد .

ان التحدي العربي لاسرائيل وما تعنيه يحمل مضامين أعمق من معركة عسكرية . انه يحمل نواة ثورة حقيقية تعيد الى التاريخ العربي المعاصر شبابه ومكانته التي لا حد لها اذا تحررت امكانياته وموارده ومفاهيمه في العالم الحديث .

هذه هي البداية العربية التي تتكون في الحرب ضـــد الغزو الاسرائيلي وينبوعـــه الاميركي . وحين تتجسد هذه البداية العربية ، تتشكل في الوقت ذاتـــه بداية النهاية الاسرائيلية .

ليس بوسع أحد ، الآن ، أن يستشرف النهاية العملية العسكرية والسياسية لهذا الصراع المسلح . ولكن يمكن للرؤية التاريخية ان تلمح وصول التجربة الاسرائيلية الى حافة الفشل . وقد يبدو ، للوهلة الاولى ، أن العرب يدافعون الآن عن خسارة — اذا أعادوها — فانهم يعودون ست سنوات الى الوراء وهو تاريخ الخسارة . وليس هذا الانطباع سليما ، لان عودة ست سنوات الى الوراء في المفهوم الجغرافي تعني قفزة تاريخية كبرى في المفهوم السياسي وفي الصراع الفكري مع العدو .

لنسأل اولا : عم يدافع العدو منذ السادس من اكتوبر الماضي ؟ لماذا يدفع كل هذا الدم من أجل أرض محتلة . لقد امتلأت القناعة الاسرائيلية بأن « فلسطين لها » ، ولكنها لم تبلغ هذا الحد من القناعة بأن الجولان وسيناء أرضها . من هنا قـــد يطرح سؤال محايد : لماذا لا تخضع اسرائيل للضغط العربي والعالمي وتنسحب من الاراضي العربية مكتفية بالاراضي الفلسطينية وترتاح ؟ وقد يطرح سؤال محايد آخر : الم تشكل الضربة العربية الاولى في السادس من اكتوبر برهانا كافيا لاسرائيل علـــى أن حدود الامـــن الجغرافية قابلة للتحطيم ؟ فلماذا لا تبحث عن أمن آخر ؟

وبغض النظر عن حجم المطامح الاسرائيلية ، الاقتصادية والعسكرية ، التي تدفعها الى الاحتفاظ بهذه الارض العربية التي تسفك عليها كل هذا الدم والمال ، فان احتفاظ اسرائيل بهذه الارض يحتشد بمعان كثيرة ، بحيث صار التخلي عن الارض يعني لهـــا تخليا عن فلسفة وجود ومبرر كيان وقاعدة عقيدة . ان اسرائيل تعتبر ان خط الدفاع الاول عن تل أبيب هو قناة السويس . ولقد كان من نتائج النصر الاسرائيلي الرخيص في

معارك حزيران ترسيخ عدوانية الصهيونية وشرعيتها ، في نظر الاسرائيليين ، وفي الوقت ذاته ايصالها الى الباب المسدود ، وعجزها عن حل معضلات سياسية وامنية طرحها واقع الاحتلال ، وكان الفكر الاسرائيلي يتحايل على حلها مستمدا من خداع الصمت العربي برهانا على سلامة التطبيق والاطمئنان الى « الحق » الذي يكرسه سلاح القوة. ولعل الفترة التي سبقت حرب السادس من اكتوبر تميزت ، في الواقع الاسرائيلي ، بمطارحات فكرية هامة مست جوهر الايديولوجية الصهيونية والنموذج الاسرائيلي الذي يجسدها . كانت الصهيونية تقول ان هدفها الاساسي هو اقامة دولة يهودية في فلسطين. ولقد طبقت هذا الهدف . ولكن امتلاء المعدة الاسرائيلية ، وبالذات بعد ٦٧ ، بأراض ظنت انها قادرة على هضمها ، وبعدد كبير من السكان العرب الذين عجزت عن هضمهم بسبب خوفها من فقدان الطابع اليهودي للدولة طرح على القيادة السياسية الاسرائيلية معادلة شاقة : كيف يمكن المحافظة على التفرد اليهودي مع وجود حوالي مليون عربي ؟ لقد حاولت اسرائيل حل المعادلة بطرد سكان الارض الاصليين من أرضهم ، غير أنها عجزت عن تحقيق ذلك ، فوجدت نفسها مضطرة الى خلع الحياء المصطنع عن حقيقتها ، والكشف عن جوهرها الاستيطاني الكولونيالي . وهل تستطيع الصهيونية تقديم حل آخر ؟ لقد صار التنازل عن الارض المحتلة وعما تعنيه بالنسبة للاسرائيليين من فرصة للاستيطان ، وخلق قاعدة أمتن للتحكم الاقتصادي والسياسي بالمنطقة ، وتحويل اسرائيل الى دولة كل اليهود ، صار التخلي عن ذلك تخليا عن مبدأ وعقيدة وايديولوجية .

ان اسرائيل تحارب دفاعا عن « صحة » عقيدتها وهي أن التطبيق الصهيوني في المنطقة هو الحل الوحيد للمشكلة اليهودية . وتخشى من أنه اذا وقع شرخ في هذه العقيدة قد يتسع هذا الشرخ الى هوة تفقد معها اسرائيل مبرر وجودها ، اذ أن كونها قابلة للكسر والهزيمة — حتى لو كانت جزئية — يعني ان قانون قابلية الشعوب للهزيمة والنصر قانون يسري على الاسرائيليين أيضا . وهو ما تحرص اسرائيل على تلافيه .

واسرائيل لا تحارب دفاعا عن « دولة » عادية في المنطقة . انها تحارب دفاعا عن « دولة » خاصة مؤهلة للتسلط السياسي والاقتصادي ، لان كونها عادية قد يجعلها قابلة للذوبان فيما حولها من ناحية وقد يضعف من حرص الامبريالية العالمية على تغطيتها وتدليلها .

واسرائيل لا تحارب دفاعا عن « حق الاجداد » في فلسطين . ولكنها تحارب دفاعا عن « حق » الجسد الغريب في الحياة بقوة وعن قدرته على ذلك . انها تريد ان تثبت أن خطأ تجربة الصليبيين مثلا لم يكن كامنا في التجربة ذاتها ، ولكن كان بسبب ضعف في التطبيق. وتريد أن تبرهن على أنها قادرة على الافلات من مصير الاخطاء التاريخية التي قتلت سوابق مشابهة .

واسرائيل لا تحارب دفاعا عن فرصة مواتية أو عن بديل آخر قد يجعلها مقبولة في منطقة معادية . انها تدافع عن باب مسدود .

ان المناقشات التي كانت تدور في اسرائيل بين « الحمام » و « الصقور » تتلخص في خلاف بين اتجاهين : اتجاه يسعى لتأمين أحسن السبل لضمان مستقبل اسرائيل . وتنحصر هذه السبل في أن تكون اسرائيل دولة يهودية ذات تفرد يهودي مكتفية بعدوانها القديم على فلسطين دون مد يد العدوان الى المزيد من الارض العربية . اي انهم يرون ان تكون اسرائيل دولة عادية . أما الاتجاه الثاني فيرى ان تتحول اسرائيل الى دولة غير عادية ، قوية ، ذات جبروت وسطوة ، واسعة ، منتفخة ، وحليفة دائمة لاعداء شعوب المنطقة . وقد انتصر هذا الاتجاه . ومن هنا ، فان اسرائيل ، الى جانب دفاعها عن عدوانها القديم ، فانها تدافع عن حجم الاقوى ودور السيد في المنطقة . ومن هنا ، تركز

الجهد الاسرائيلي والصهيوني العالمي والاميركي في اعطاء مسألة الامن الاسرائيلي الاولوية والقدسية ، لانه الضمان الوحيد لحماية وتعزيز الدور والحجم اللذين تريد اسرائيل أن تلعبهما في المنطقة ، بحيث تحولت هذه المسألة الى المقياس الوحيد لصحة التجربة الاسرائيلية او فشلها والى القناعة الاسرائيلية التي لا تناقش . فاذا ما برهن العرب للاسرائيليين على أن سياج الامن الاسطوري قابل للانتهاك ، فان شظايا الانفجار تصيب العقيدة والدور والحجم في الصميم .

كان البروفيسور الاسرائيلي المتدين يشعياهو ليبوبتش قد حذر من أن السعي الى تأسيس امبراطورية اسرائيلية، اعتمادا على الايمان الاسرائيلي بأن قوته لا تقهر سيؤدي الى سقوط اسرائيل « كيف سنعيش في الفترة الطويلة التي حكم علينا فيها ان نعيش في حالة خطر حرب دائمة ؟ وما سيكون عليه شكل الدولة اليهودية التي ستضطر الى الدفاع عنها بضحايا كثيرة . ان العرب سيتقنون مهنة القتال كما اتقنها الجزائريون والفيتناميون » . بالاضافة الى خوف هذا المفكر الاسرائيلي من اتقان العرب لمهنة القتال ووضع اسرائيل في حالة خطر حقيقي ، فانه يخشى فقدان الطابع اليهودي لاسرائيل ، وهو المبرر الكلاسيكي لانشائها : « ان وضع مليون ونصف مليون عربي ضمن السلطة اليهودية معناه ضعضعة الماهية البشرية اليهودية للدولة وتدمير المبنى الاجتماعي الذي بنيناه ، وعزل الدولة عن الشعب اليهودي في العالم وعن التراث اليهودي . ولن تستمر السلطة اليهودية في البقاء فيها الا اذا تحول نظامها الى نظام مشابه لنظام البيض في روديسيا » .

ان كثيرين من المفكرين ، يهود وغير يهود ، قد رأوا منذ مدة طويلة أن التجربة الاسرائيلية شذوذ عن مجرى التاريخ ، وستثبت الايام بطلانها . ولكن اسرائيل كانت ترد على هذه الآراء باللجوء الى الواقع الذي تعتبره ناجحا ، وهو أن اسرائيل لا يمكن أن تتعرض الى خطر مميت ، لانها قلعة لا يمكن اختراقها . وبمعنى آخر ، فان اسرائيل ببرهنتها على « شرعية » وجودها التاريخية كانت تحتكم الى مقياس واحد هو القوة العسكرية . وكانت بذلك تسهل المناقشة التي أغناها يوم السادس من اكتوبر الحالي ببرهان عملي بمثابة سابقة هو أن قوتها العسكرية قابلة للكسر . وهذا يعني ان تجربتها قابلة للفشل لانها لا تقوم على حق وانما تقوم على شيء قابل للكسر .

من هنا يكون العرب ، بضربهم قوة الردع الاسرائيلية ، قد أثبتوا — مهما تكن نتائج المعارك — ان الحماية الاسرائيلية الوحيدة قابلة للاختراق في معارك أخرى ، وان الاسرائيليين لا يدافعون عن أفق ، بل يدافعون عن باب مسدود ، وانهم يكررون تجربة مسادة .

هكذا ، تكون البداية العربية — في المنظور التاريخي — بداية النهاية الاسرائيلية . ولكن من الواضح ان بداية النهاية لن تكون قصيرة .

ماذا بعد ؟

الدكتور كلوفيس مقصود

نسجل هذه الخواطر فور صدور قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار بين القوى المتحاربة في الجبهتين المصرية والسورية . من هنا اصرارنا على تسميتها خواطر بدلا من أن نطمح الى ما هو اكثر مثل التحليل أو الرأي رغم ان الخواطر تشمل على البعض من التحليل والشيء من الرأي .

نضع هذه الحدود على ما سوف نسجله لان سرعة تعاقب الاحداث منذ السادس من تشرين الاول (اوكتوبر) ومن ثم الموافقة الدولية — خاصة بين العملاقين الكبيرين — على اعطاء صفة الاستعجال على وقف اطلاق النار تحول دون بلورة توجيه نهائي او حتى المبادرة برسم خطوط عريضة لما يجب ان نفعل . ولعل هذا التردد في اعلان الرأي هو بحد ذاته سمة من سمات المرحلة النضالية الراهنة وبالتالي فان ما نحن مقبلون عليه هو بدء مخاض عسير ومعاناة حقيقية تجيء دوما في اعقاب انجازات وآمال مبتورة .

هذا بدوره يعني ان القضية الفلسطينية مقبلة على مواجهات معقدة بعد ان تضاءلت مراحل المجابهات الصعبة . بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ بدت اسرائيل وكأنها قادرة على كل شيء وتبين للكثيرين من العرب ان السلوك المطلوب اتباعه يجب ان يكون محصورا في التقليل من مدى الخسائر وان نقنع بالممكن الحصول عليه . كان هذا المطلب السياسي انعكاسا لواقع ما بعد الهزيمة . فالهزائم العسكرية تولد عند غير الملتزمين نوعا من الواقعية الانهزامية ، لكن وسط هذا التدهور في الواقع القوي برزت الثورة الفلسطينية لا مجرد صمام أمان للحيلولة دون انهيار كامل للواقع القوي واستسلامه للذهنية الانهزامية فحسب بل كخميرة التمرد في الكيان العربي العام ووسيلة انضاج لارادة القتال في الساحة العربية بكاملها .

ظلت الثورة الفلسطينية تقوم بهذا الدور التصحيحي رغم كل محاولات الاحتواء والتطويق والتدمير التي تعرض لها افرادها واجهزتها ومؤسساتها ومخططاتها . هذا بالاضافة الى الحرب النفسية المتعددة الاوجه التي ووجهت بها من حيث جعلها تعيش وسط مناخ وكأن طموحاتها الفكرية والسياسية مستحيلة التحقيق وكأن ارادتها القتالية شواذ على القاعدة . الا ان الثورة ثابرت على ابقاء جذوة المجابهة المسلحة كالطريق الافعل والامضى لجعل اسرائيل ترضخ للمقررات الدولية وللارادة القومية . الا ان الالتباس بقي قائما فيما يتعلق بدرجة التطابق بين المقررات الدولية والارادة القومية . ولقد كانت التباينات والفروقات تبدو بين الذين جعلوا من المقررات الدولية نهاية المطاف للارادة القومية وبين الذين أرادوا وأصروا على كون الارادة القومية تكمن في التحرير الشامل . الا ان دعاة التطابق القومي — الدولي لم يسلموا بحتمية او نهائية هذا التطابق بل كونه مرحليا ومعبرا عن حقيقة ميزان القوى في المنطقة وبالتالي غير قابل للمزايدة عليه . من جهة اخرى اصر دعاة التحرير ان التطابق القومي — الدولي اذا ترجم الى وقائع جديدة في المنطقة فانه سوف يؤدي الى

اخراج الارادة القومية عن المشروعية الدولية المستجدة في المنطقة لان أية موافقة عربية تضفي بالضرورة الشرعية على أية تسوية محتملة .

ظل هذا الحوار داخل الاطار القومي قائما الى أن جاءت مصر وسوريا تعطي مصداقية كاملة لالتزامها المعركة وسيلة لاسترجاع الحقوق القومية . ولم يكن هناك شك مطلقا في اذهان الناس على ان اهداف المعركة التي خاضتها مصر وسوريا كانت محدودة بحيث انها أرادت ايجاد تعديل في المعادلات العسكرية التي من شأنها تعجيل استجابة اسرائيل لبندي الانسحاب والحقوق الفلسطينية كما وردت في قرار مجلس الامن ٢٤٢ . ان هذه الحدود المعلنة لاهداف المعركة من جانب مصر وسوريا جعلتهما وكأن المعركة التي تخوضانها انما هي من أجل فرض مشروعية دولية ارادت اسرائيل نقضها وتجاوزها وتحديها . الا ان اتفاق الدولتين الكبيرتين جاء دليلا على ان الولايات المتحدة رضخت نتيجة ظروفها الداخلية — خاصة بعد تفاقم الازمة الدستورية وفضائح واترغيت — واحتمالات ضغوط النفط العربية والتهديد الحقيقي لصيغة الانفراج السوفياتي — الاميركي وكون اسرائيل خارجة عن المفهوم الدولي للمشروعية الى المنطق السوفياتي الذي هو بدوره محدود الهدف في المرحلة الراهنة ، يبقى ان الاسابيع القليلة القادمة ستكون حافلة بكيفية تبيان معالم صحة التقييم السوفياتي — العربي النظامي . ان ابقاء الهدف القومي داخل اطار المشروعية — او بالاحرى المقبولية — الدولية وارد بالنسبة لاسرائيل الصهيونية ام ان العرب سيدخلون في متاهة المسالمة دون انجاز ما توقعوه من « سلام عادل » .

ان الاتحاد السوفياتي الذي اثبت صدق التزاماته للدول العربية في المعركة من خلال المساعدات المادية والعسكرية التي قدمها بدون توقف لعرب المعركة يراهن اليوم على استعداد الولايات المتحدة للتجاوب مع الاهداف الدولية التي تتجسد في تنفيذ البنود — خاصة فيما يتعلق بالانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة — الواردة في قرار مجلس الامن . وهذه المراهنة السوفياتية على احتمال تجاوب اميركي هو بنظر الاتحاد السوفياتي محصلة النزيف الداخلي الذي يعانيه نيكسون وعملية الاستنزاف الناجحة التي قامت بها مصر وسوريا ضد القوة العسكرية الاسرائيلية .

من أجل هذا فان قرار وقف اطلاق النار الذي جاء بمبادرة العملاقين لا يمكن ان يشكل مفاجأة بالنسبة للملتزمين العرب وللمقاومين الفلسطينيين وان جاء القرار صدمة لطموحاتهم القتالية وكون مناخ المعركة البطولية التي عيشتنا اياها الجيوش العربية — خاصة المصرية والسورية — الى جانب قوات الثورة الفلسطينية أتاح للملتزمين والثوار فرص تنشيط تنظيماتهم ومؤسساتهم والاعداد لتوسيع رقعة عملياتهم العسكرية والسياسية خاصة في فلسطين المحتلة . الا انه من الضروري الاقرار ان الصدمة لا تكون عميقة الاثر عندما لا تجيء مفاجئة . لعل الوجه الايجابي والمشرق في الاسبوعين الاخيرين ان الذين خاضوا وقادوا المعارك العربية لم يعطوا الجماهير أية آمال مغلوطة بل كانوا منذ اللحظة الاولى مصرين على كون الهدف القومي المرحلي هو التطابق مع المشروعية الدولية والعمل على اجبار المحور الاميركي — الاسرائيلي على الرضوخ لهذا الهدف .

صحيح ان تذوق العرب طعم المعركة دفع بهم الى تناسي الهدف الذي من اجله خاض عرب المعركة المعركة . وبدا العرب أثناء القتال وكأن خيار وقف اطلاق النار قد اسقط من حساباتهم وأصبحوا مشدودين للمعركة ولمواصلتها . لقد رأوا بأم أعينهم كيف ان أشد المحافظين ينجرون الى اطار المعركة بدافع الحس القومي العفوي وكيف ان اوضح المترددين تمسهم المعركة فيحسمون لصالحها وكأن ارتباطاتهم السابقة ودوافع ترددهم

حرقتها نيران المعركة فانصهروا فيها وصاروا منها او كادوا . كذلك وجد الملتزمون العرب والثوار الفلسطينيون ان المعركة تفتح امامهم مجالات نضالية جديدة وانها تؤكد سلامة تصوراتهم وامكانية اختصار المراحل الكثيرة في معركة التحرر الوطني . صحيح ان وهج المعركة دفعنا من خلال الانضباط بحركيتها ان نعتبر هدفها المعلن ليس بالضرورة هدفها الحقيقي . من هنا تنشأ الصدمة التي ما كان يجب ان تحصل ولا يجب ان تحصل . ان انضباط الملتزمين والثوار باطار المعركة وقبولهم بتوجهاتها كان طبيعيا ومطلوبا . فمن يطالب بالمعركة اثناء مرحلة اللاسلم واللاحرب يدخل في صلبها عند حصولها . فمجرد قيامها يفرض على الملتزمين والثوار الانخراط فيها ولكن هذا لا يعفيهم من المثابرة على التزام هدفهم السياسي العام . لكن الذي حصل ويحصل ان اعـــلان الهدف السياسي القومي اذا جاء وكأنه محاولة من اجل تحريف المعركة عن هدفها المحدود اثناء قيامها فان هذا من شأنه ايجاد الثغرة السياسية التي تضعضع مستوى التلاحم القومي العام المطلوب . لذلك فان المرحلة القادمة التي سوف نمر بها تتطلب منا الكثير من التقشف . لانه حتى اثناء وقف اطلاق النار لا بد ان تبقى الجبهة الشاملة للمعركة معبأة بدرجة قصوى كي يستطيع عرب المعركة تحقيق القدر الاكبر من المطاليب القومية التي خاضوا المعركة من اجلها . هذا الاستنفار للملتزمين وللثوار الى جانب الحوارات الدولية التي يقوم بها عرب المعركة هو استمرار لحالة الانضباط التي فرضناها على انفسنا اثناء الحوار القتالي الرائع الذي خاضه عرب المعركة .

السؤال الذي يطرح نفسه اذا هو هل ان مواصلتنا الانضباط في مرحلة وقف النار يعني تفريطا بالتزاماتنا الثورية والتحريرية الكاملة ؟ الجواب على ذلك يكمن فيما اشرنا اليه ان القضية الفلسطينية ستكون أمام مواجهات معقدة لكنها ليست بالصعوبة التي كانت فيها بعد الهزيمة الحزيرانية . ومجابهة التعقيد تكون أشد ايلاما من المجابهات الصعبة لكنها تستحضر الناحية الابداعية والجدلية الكامنة في كل فكر ثوري اصيل .

لا بد أن يبدأ تقييمنا لما حصل ان الامة العربية ـــ بواسطة القوات المسلحة المصرية والسورية وقوات الثورة الفلسطينية ـــ مكنت العرب اجمالا ان يهزموا الهزيمة . هذا بدوره يعني ارتفاعا كيفيا في درجة الاستنهاض القومي . يستتبع هذا بالضرورة حالة نفسية ـــ سياسية مستجدة تنقل الكثيرين من العرب من وضع الاتكال علـــى الغير لتحقيق مطاليبهم المرحلية الى وضع الاتكال على الذات لتحقيق كافة مطاليبهم . كذلك فان معركة تشرين الاول ١٩٧٣ اثبتت للعرب صحة نظرية الثورة الفلسطينية بأن لا سبيل لمحاورة الكيان الصهيوني الا الحوار القتالي وانه مثلما جاءت معركة الكرامة تؤكد رفض العرب الانهزامية هكذا جاءت معارك السويس وسيناء والجولان تؤكد رفض العرب واقع الهزيمة .

صحيح ان المطلوب هو أكثر من هزيمة الهزيمة . فالاكتفاء بهذا القدر يعني اننا لم نتهيأ للانتصار . ونحن كما أثبتنا لا يهمنا الانتصار من أجل الانتصار بل من اجل ايجاد المدخل الذي تتصحح فيه جذريا أوضاع المنطقة بأسرها ـــ خاصة الاوضاع القائمة في فلسطين .لكن هزيمة الهزيمة اذا صارت هي المبتغى فسوف يعني هذا انه أريد بالمعركة ان تنقذ ماء وجه التسوية . هذا ما يفسر التمزق الذي يعيشه الملتزمون والثوار الا ان تحويل التساؤل عن ما بعد معركة تشرين الى تسليم بحتمية التسوية يعني تخليا عن المنهج الجدلي المطلوب تطبيقه بدقة في هذه المرحلة . لانه حتى ولو سلمنا جدلا بأن ما بعد المعركة هو التسوية فان التسوية لا تتضمن المعاني نفسها التي كانت قد تضمنتها التسوية لو حصلت بدون معركة . قد يقال بحق لكن التسوية بعد معركة وان كان فيها ايجابيات واضحة من حيث واقع الاستنهاض الشعبي ومن عودة الثقة بالنفس ومن

استرجاع لاراض او للاراضي المحتلة ومن تمرس حقيقي على القتال الا ان هذه الايجابيات نفسها قد تعطي صفة الديمومة التي من شأنها استباق نضوج الحالة الثورية المطلوبة من اجل التحرير . لكن رغم ورود هذا الاحتمال فيجب ان لا يغيب عن حساباتها الاثر البالغ الذي يحدثه هزم العرب للهزيمة على اسرائيل من حيث هي تجسيد للعقيدة الصهيونية . ان مستوى الحوار القتالي الناجح الذي أحرزته مصر وسوريا والثورة الفلسطينية مع الكيان الصهيوني سوف يفرز داخل الكيان تساؤلات صميمية حول مصير اسرائيل ومستقبلها . ان التساؤل المنتظر حدوثه داخل الكيان الصهيوني سوف يكون من نتائجه زحزحة المعطيات الاسرائيلية الراهنة التي تجعلها قادرة على استقطاب عدد كبير من اليهود الى اطارها . ان مزيدا من التقطع في الهجرة اليهودية — حتى لا نقول انقطاع — سوف يعني أيضا بدء تآكل حقيقي في العقيدة والقناعات الصهيونية من حيث أن مصداقية اسرائيل في النطق باسم كل اليهود سوف تزول لان اسرائيل المنتصرة دائما هي التي شدت اكثرية اليهود اليها او يهود فلسطين المهددين « بالفناء » شد يهود العالم اليهم . عندما اسقطت الثورة الفلسطينية اي احتمال « بفناء » اليهود — رغم ان أحدا مطلقا لم يقل بهذا الخيار — ونادت بضرورة قيام مجتمع ديمقراطي علماني في فلسطين لم يبق أمام اسرائيل سوى تحقيق الانتصارات لشد اليهود اليها . الان ولم تنتصر اسرائيل في معركة تشرين فان هذا يعني انها بدأت تتقلص وبدأت تاريخيا في أن تهزم . لان ليس المهم في هذه المرحلة الانتقالية ان ينتصر العرب نهائيا بقدر ما هو المطلوب ان يضعوا اسرائيل في واقع مراجعة جذرية لمصيرها .

اذا حصل هذا في المرحلة القادمة تكون القضية الفلسطينية انتقلت الى مرحلة متقدمة وقد مهد لها عرب المعركة فرصا كثيرة للانقضاض على صميم القناعات الصهيونية المترسخة ، لذلك فمع انضباطية الثورة في اطار المعركة الراهنة لا بد للملتزمين والثوار استئناف التعبئة الفكرية والسياسية والدولية لمقتضيات التحرير ولتجديد المقومات الرئيسية للمجتمع العلماني الديمقراطي في فلسطين . هذا يعني اننا اصبحنا في واقع متقدم عن ما كنا عليه . اذا صارت التسوية فسوف تكون بعد مماطلات اسرائيلية متعددة ومحاولات تعجيز كثيرة . هذا بدوره سوف يؤدي الى اقتناع عرب المعركة بان معركة العرب لن تتحقق الا بالتثوير الشامل ، واذا لم تتم التسوية من داخل المشروعية الدولية الراهنة فسوف — يكون العرب بمجابهة تصلبا اسرائيليا فاشستيا اكثر يمينية وسوف يكون الاستقطاب اكثر وضوحا للجميع ، عندئذ سوف يكون دخول العرب — كل العرب — الحرب بكل معطياتها ولن يكتفوا بالمشاركات شبه الرمزية في المعركة. في كلا الحالتين القضية الفلسطينية بوضع افضل وان لم تكن بالوضع الامثل الذي كادت تتيحه لها المعركة .

حرب «يوم الغفران» بداية انحسار صهيوني ؟

صبري جريس

قليلة هي الهزائم التي منيت بها الصهيونية خلال العقدين الاخيرين ، والشبيهة بتلك التي وقعت « يوم الغفران » ، ٦ تشرين الاول ١٩٧٣ . وكثيرة هي النتائج بعيدة المدى التي ستنجم عن هذه الهزيمة في الجانب الاسرائيلي ، والتي يتوقع ان يجني العرب والفلسطينيون ثمارها في المستقبل ، القريب والبعيد معا .

ليس من السهل الان ، وحرب « يوم الغفران » ، الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة ، لا تزال مستعرة ، الخوض في تقويم نتائج هذه الحرب او ابعادها ، ولا معرفة الطريقة التي يمكن أن تنتهي بها . غير أن ما تم انجازه حتى الان ، على الجانب العربي، كاف لأن يدفع المرء الى القيام بمحاولة اعادة النظر في عدد من الافتراضات التي كانت قائمة حتى نشوب الحرب ، في الجانب الاسرائيلي ، واستطلاع مدى التغييرات التي تنتج عن ذلك لديه ، خصوصا وان مجرد نشوب الحرب واستمرارها بالشكل الذي تسير فيه ، كاف لان ينسف عددا من « البديهيات » التي كانت سائدة في الجانب الاسرائيلي ، وبشكل سيكون له ، دون شك ، تأثيره في نواحي عديدة من العقلية الاسرائيلية ، حاضرا ومستقبلا .

ان أول ما يلفت النظر في هذه الحرب هو بدايتها ، من حيث التوقيت ــ « بالرجل اليمنى » ، اذا ما استعملنا تعبيرا اسرائيليا ــ قبل اي شيء آخر . اذ يشك فيما اذا كان هناك وقت آخر ، على مدار السنة ، اكثر ملاءمة لبدء حرب مع اسرائيل في الساعة الثانية من بعد ظهر « يوم الغفران » ، أكبر الاعياد اليهودية على الاطلاق ، بعد ان يكون الاسرائيليون قد قضوا ساعات عديدة متواصلة من الصوم والصلاة ، بدأت عند غياب شمس اليوم السابق . بينما ، من ناحية ثانية ، تكون جميع المصالح العامة والخاصة ، عدا الحيوية جدا منها ، معطلة في ذلك اليوم (خصوصا وان «يوم الغفران» صادف ، هذه السنة ، يوم سبت) مما يجعل عمل دوائر التجنيد الاسرائيلية صعبا ويعرقل نشاط أجهزة حربها، بينما يكون الكثير من الجنود والضباط في اجازات . ويبدو، من تصرف السلطات الاسرائيلية خلال الاربع والعشرين ساعة الاولى لنشوب القتال ، انها اخذت على حين غرة وساد الاضطراب تصرفاتها . فبينما كان الساعون يتجهون الى دعوة الوزراء ، من صلواتهم في الكنس المختلفة ، الى حضور اجتماع طارىء للحكومة ، توقفت الاذاعة الاسرائيلية ، بعد فترة قصيرة من بث النداءات بالشيفرة لدعوة الاحتياطي ، كعادتها في السابق ــ وكما يبدو نتيجة الفوضى التي سادت ، وانتقلت الى الحديث صراحة عن صدور اوامر بتجنيد جزئي ، ثم كامل ، للاحتياطي . ولا شك في أن الذين قرروا البدء بالحرب في الساعة التي تم فيها ذلك ، عرفوا كيف يقررون ، وربحوا نتيجة ذلك وقتا ثمينا لاحتلال مواقع أو احراز تقدم او انجازات لا تعوض .

أما الناحية الثانية ، التي تلفت النظر في هذه الحرب ، فهي التنسيق التام على الجبهتين ، المصرية والسورية ، ثم اجراءات التضامن العربي مع الدولتين المقاتلتين .

وقد يبدو هذا الوضع طبيعيا بالنسبة الى القارىء العربي ، الا انه ليس كذلك بالنسبة الى الاسرائيليين — وهو موقف له ما يدعمه لدى الجانب الاسرائيلي ، اذا ما قيس بالمواقف المتبادلة للعرب والصهيونية ، بعضهم من بعض ، خلال الاربعين عاما الاخيرة، على الاقل . فأحد اسس النظرية الصهيونية يدعو ، صراحة ، الى أن يكف العرب عن « التدخل » في القضية الفلسطينية ، ويتركوا هذه الناحية لتعامل مباشر للصهيونية مع عرب فلسطين ، على أمل أن يتم لها ابتلاع البلد اولا ثم الاتجاه الى التعامل مع الشعوب العربية الاخرى من خلال قاعدتها هناك ، بل أن أكثر من مؤرخ صهيوني سجل « احتجاجه » ضد بريطانيا التي دعت مندوبي الدول العربية الى حضور المؤتمر الذي عقد في لندن سنة ١٩٣٩ ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، باشتراك ممثلين عن عرب فلسطين والحركة الصهيونية لايجاد حل للقضية الفلسطينية ، لانها بعملها ذاك أقرت رسميا مبدأ « تدخل » الدول العربية في هذه القضية .

واذا كانت تلك هي النظرية فان الممارسة ، خلال الخمسة والعشرين عاما الاخيرة على الاقل ، جاءت لتدعمها على أحسن وجه . فالخلافات التي كانت قائمة بين الدول العربية خلال ١٩٤٨/١٩٤٩ ساعدت الاسرائيليين ، كما هو معروف ، على شن حربهم ضد القوات العربية بالطرق التي اختاروها هم لانفسهم وضرب الجيوش العربية واحدا بعد الآخر ، ثم اغتصاب ذلك الجزء من فلسطين الذي استطاعوا اغتصابه يومها . ولم تتغير هذه الحالة حتى بعد ذلك ، وعلى الرغم من التجربة التي مر العرب بها . فخلال فترة العمليات الاسرائيلية الانتقامية الاولى ضد الدول العربية (١٩٥٣ — ١٩٥٦) هاجمت اسرائيل ، في حالات عديدة ، أكثر من مكان في اكثر من دولة ، دون ان تهب أية دولة لمساعدة الاخرى مساعدة فعلية ، حتى خلال الفترات التي كانت فيها قيادات عربية مشتركة . وفي اواخر سنة ١٩٥٦ ، خاضت مصر لوحدها حرب سيناء ضد اسرائيل ، التي لم توجه اليها اية ضغوط من اية دولة عربية اخرى . اما في حرب ١٩٦٧ ، فقد تجلت التفرقة العربية على « ابهى » صورها ، عندما كانت اسرائيل تنفرد بكل جبهة على حدة لتجهز عليها ، ثم تقوم بنقل جنودها واسلحتها ، في وضح النهار وعلى مرأى ومسمع من العرب والعالم ، الى جبهة اخرى لتحطيمها . وبقيت الحال على ما هي عليه حتى بعد حرب حزيران (يونيو) . ولا تزال الطريقة ، التي كانت تتبعها اسرائيل في شن اعتداءاتها على هذه الدولة او تلك في المكان والزمان اللذين تختارهما ، دون اي حساب لمواقف الدول الباقية ، ماثلة للعيان . ولا عجب ، اذن ، والحالة هذه ان نرى العديد من القادة والمفكرين الاسرائيليين يطور نظريات امنية لاسرائيل تنص ، بين ما تنص عليه ، على عدم الاخذ بعين الاعتبار اي عمل عربي جماعي جاد في حالة صدام اسرائيلي مع هذه الدولة العربية او تلك ، بحيث تستطيع اسرائيل اختيار فريستها كما ترغب ، ولا شك في ان التضامن العربي الرائع ، بين مختلف الدول العربية ، الذي تجلى خلال هذه الحرب ، قد قلب تلك النظريات رأسا على عقب ، واوقع الخبراء او مدعي الخبرة بالشؤون العربية لدى الاسرائيليين في حيرة مذهلة — اذ ليس العرب وحدهم غير قادرين ، احيانا ، على فهم الواقع العربي . ولكن مهما يكن من دوافع هذا التضامن ، فمن المؤكد انه سيكون ذا تأثير بعيد المدى في موقف من العرب في المستقبل ، فاصطلاح « العالم العربي » قد يكون مبهما في هذا المجال او ذلك ، غير أنه بالنسبة الى اسرائيل ، وفي حالات معينة على الاقل ، واضح جدا . وقد لا نستغرب بعد هذا ان نرى في المستقبل ، ربما القريب جدا ، بروز نظريات امن جديدة تدعو ، هذه المرة ، الى عكس ما كانت تدعو اليه في السابق ، مع — ربما — المبالغة في تقويم مدى التضامن العربي ، وبالتالي التريث قبل البدء بمغامرات جديدة ضد العرب. ويبدو ان هذه النظريات بدأت تتبلور فعلا ، منبثقة من عبارة « ان منطق العرب ليس

منطقنا » التي تطلق الان لتبرير اخفاق تقديرات اسرائيل لامكانات عمل جماعي عربي ضدها .

غير ان أهم انجازات هذه الحرب هي ، طبعا ، تلك الانتصارات العسكرية التي احرزها العرب حتى الان ، والموقف الحرج الذي تجد اسرائيل نفسها فيه . لقد اوقع العرب ، بمبادرتهم ، اسرائيل في وضع صعب ، من ناحية الضغط على قواها البشرية والاقتصادية والعسكرية ، كانت تتحسب منه دائما ، فاحدى نظريات الامن العسكري الصهيونية ، التي كان البريطاني وينغييت قد لقنها لزعماء عصابات الهاغاناه التي كانت تتعاون مع القوات البريطانية لسحق الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، في اواخر الثلاثينات ، تدعو الى الاحتفاظ بالمبادرة في يد القوات الصهيونية وشن هجماتها على الاهداف العربية التي ترتئيها وفي الزمان الذي تختاره . ويلاحظ ان زعماء تلك العصابات ، الذي تحولوا الى جنرالات في الجيش الاسرائيلي ، لم ينسوا هذا الدرس ، اذ ان المبادرة من الجانب الاسرائيلي كانت الطابع الغالب على حروب اسرائيل ضد العرب حتى الان . وعليه ، فان هذه الحرب هي الحرب الاولى التي تضطر اسرائيل الى خوضها ، من موقع الدفاع ، منذ قيامها وبشكل يلزمها بتجنيد كل احتياطها من الرجال والسلاح والمواد الاقتصادية . ولا ينبغي ابدا التقليل من حجم هذه الحقيقة او الاستخفاف بنتائجها ، القريبة والبعيدة في آن واحد . ان اسرائيل تجد نفسها ، الان ، مضطرة الى تجنيد كل احتياطيها من القوى البشرية من الرجال ، مع قلة من النساء ، بالاضافة الى استعمال كل مواردها للصمود في الحرب التي تخوضها (وفرض ضرائب جديدة على شعبها ، كانت الدفعة الاولى منها بليون ليرة اسرائيلية) مما يعني شللا شبه تام في مرافق الحياة العامة والخاصة وقلقا دائما يسود كل عائلة على مصير ابنائها في الجبهة ، يتحولان بصورة تلقائية الى ضغط جماهيري على الزعامة السياسية والعسكرية لحملها على الاسراع في وضع حد لهذه الحرب . ولهذا فان تقويم نتائج حرب عربية مع اسرائيل لا يمكن ان يقاس فقط بعدد الكيلو مترات التي استطاع هذا الجيش او ذاك تحريرها ، وان كان هذا بحد ذاته عاملا مهما ، او باحتلال الجيوش العربية لهذا الموقع او تخليها عن ذاك ، او بالتراجع هنا والتقدم هناك بقدر ما يقاس بقدرة القوى العربية المسلحة على توجيه الضربات الى الجيش الاسرائيلي ، وفي الوقت نفسه تحمل ضرباته ، وبالتالي اجبار اسرائيل على الاحتفاظ بكل قواها في حالة توتر دائم وشل الحياة العادية في العمق الاسرائيلي ، ولفترة لا يستطيع العدو معرفة نهايتها . وانه لمن الضروري والمفيد ، خصوصا بعد ان استطاعت الجيوش العربية حتى الان تحطيم اسس الحرب الخاطفة التي كانت اسرائيل تميل الى اتباعها ، الاستمرار في ضرب الجيش الاسرائيلي ما دامت هناك قوى عربية قادرة على ذلك . ولن يصعب على المرء ان يقدر كم من الوقت تستطيع دولة كاسرائيل الصمود في مثل هذه الاوضاع والاستمرار في الاحتفاظ بأكثرية رجالها على الجبهة في وضع دائم من التوتر له تأثيره البالغ في الحياة داخلها من كل جوانبها .

ليس من السهل ، طبعا ، اسداء النصح لدولة عربية ما بشأن ما ينبغي عمله في قتالها مع اسرائيل ، التي لا تتردد في مثل هذه الحالة في استعمال اية وسيلة ، مهما بلغت دناءتها ، لتخفيف الضغوط عنها ان كان ذلك بضرب المدنيين والمنشآت المدنية من جهة او محاولة القيام بعمليات « بهلوانية » ، يتوخى ان تحدث تأثيرا نفسيا لدى العرب من جهة اخرى . غير انه لا بد من الاشارة الى ان النجاح الذي احرزه العرب ، حتى هذه المرحلة ، كان ملموسا للغاية ، اذا ما قيس بردود الفعل في الجانب الاسرائيلي . فعبور الجيش المصري قناة السويس وتمركزه على ضفتها الشرقية من جهة ، وكسر احدى ذراعي السلاح الجوي الاسرائيلي ، على الاقل ، في اجواء الجولان

ودمشق من جهة ثانية ، كانا كافيين لاحداث ردود فعل عنيفة لدى قادة اسرائيل ، يكفينا للدلالة عليها تلك « الرجة » التي طرأت مؤخرا على صوت غولدا مئير عند مخاطبتها الاسرائيليين والطريقة « اللطيفة » « الهادئة » التي يتحدث بها موشيه ديان ، اذا ما قيست بتصريحاته المتغطرسة السابقة ، ثم دعوة معظم جنرالات الاحتياط في الجيش الى الخدمة الفعلية ، واخيرا ذاك التخبط الذي يسود تفكير الزعماء والقادة وكبار المعلقين في اسرائيل ، اذا ما قيس بالتصريحات المتناقضة التي تصدر عنهم . ان المرء لا يسعه ، ازاء هذه الحالة التي تسود اسرائيل وازاء الصمود العربي على جبهات القتال، الا ان يأمل ان يستمر ذلك الصمود والا يقع العرب في خطأ وقف اطلاق النار ، كما فعلوا في أكثر من مرة في السابق ، بحيث لا يكفوا عن الضغط عسكريا على اسرائيل ولو يوما واحدا ، حتى الحصول على نتائج ملموسة جدا من هذا القتال .

ان هذا الامر يتطلب طبعا تضحيات جمة ، ولكن لا ينبغي ان ننسى ابدا ذلك التهديد الدائم الذي يوجهه العسكريون الاسرائيليون الى الدول العربية المجاورة لاسرائيل . لقد وصل غرور الجنرالات الاسرائيليين حدا لا يجوز السكوت عنه ، وما زلنا نتذكر تصريحات بعضهم حول قدرة اسرائيل على احتلال دمشق وبغداد والخرطوم والقاهرة، وحتى المغرب ، خلال ايام ، او تصريحات رئيس الاركان الاسرائيلي حول الساعات القليلة التي يحتاج اليها جيشه لتدمير اية قوة عربية تهاجم اسرائيل ، او الانذارات المغرورة التي اطلقتها رئيسة وزراء اسرائيل حول المصائب التي ستحل بمصر والدمار الذي سيكون من نصيبها اذا ما « تجرأت » وبدأت باطلاق النار . انه لمن الضروري بمكان ، ازاء هذا الوضع وازاء مواقف اسرائيل المتصلبة التي شهدها العرب خلال الاعوام الاخيرة ، تلقين العدو الاسرائيلي درسا لا ينساه ، ولا بد من الاثبات له ،بصورة قاطعة ، ان تهديد القاهرة ودمشق بالغزو ليست نوعا من عمليات عصابات الهاغاناه والبلماح ، التي كانت عادة سليمة العواقب ، وان اراضي الوطن العربي ليست مجرد مناطق مخصصة لاقامة المستوطنات الصهيونية عليها ، وانما قد تصبح في نهاية الامر مقبرة للغزاة الاسرائيليين . وليس هذا ضروريا لسلامة القاهرة ودمشق فحسب ، وانما هو ضروري — ودون مبالغة — لضمان مسيرة التقدم العربي عامة وضمان الامن والسلام والاستقرار لكل فرد عربي .

لقد ادى السكوت العربي على سياسة القوة الاسرائيلية الى ازدياد صلافة حكام اسرائيل واتساع مدى استخفافهم بالعرب ، وبالتالي توسيع نطاق جرائمهم . ونكتفي بهذا الصدد باجراء مقارنة بسيطة ، في ناحية واحدة ، بين مواقف اخر ثلاثة رؤساء وزراء لاسرائيل ، فبن — غوريون ، وعلى الرغم من مواقفه العدائية المعروفة من العرب ، أصر ، مثلا ، على عدم استعمال الطيران في نزاعات الحدود مع الدول العربية ، على الرغم من كثرتها في عهده ، من خلال « شعور بالمسؤولية » وحتى لا يتسبب في تصعيد مواقف اي من الطرفين ، بينما لم يتردد اشكول عندما وجد نفسه في اوضاع مماثلة ، في استعمال الطيران بشكل مركز ، في أول خلاف ينشب بين اسرائيل وسوريا ، بعد توليه رئاسة الوزارة ، حول تحويل مياه الاردن قبل نحو ١٠ أعوام . اما غولدا مئير ، التي يقال انها تؤمن بأن اسرائيل لا يمكن ان تكون على خطأ وان مجرد توجيه انتقاد اليها هو نوع من اللاسامية ، فلم تتردد — كما هو معروف — في استعمال الطائرات لقصف القرى ومعسكرات اللاجئين والمصانع والمنشآت المدنية ، وحتى قصف القاهرة ودمشق ، ثم الحديث بعد ذلك ، بصفاقة اسرائيلية معهودة ، عن حب السلام الذي ينبغي فرضه على العرب . ومن الواضح ، والحالة هذه ، انه لا بد من ارجاع مئير وجنرالاتها الى صوابهم ، وليس من طريق ، استنادا الى التجارب السابقة ، الا طريق القوة — ومن المفضل ، طبعا ، القوة العسكرية بالذات . ومن هذه الناحية ،

ناحية استعمال القوة العسكرية العربية ، لا ينبغي ان نقلل ابدا من اهمية ما حدث خلال اول اسبوعين من الحرب وما يحدث الآن . فبعد تحطيم اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر ونسف آمال الانتصارات الاسرائيلية الساحقة ، وبشكل يبدو معه وكأن لا نهاية لهذه الحرب ، جاء الان دور مرحلة القلق داخل اسرائيل ، ومن الضروري والمفيد جدا العمل لاستمرار هذه الحالة ولاطول وقت ممكن . من الضروري جدا ان يبقى معظم رجال اسرائيل مجندين في الجيش ، كما هي الحال الان ، وان يبقى سكان اسرائيل قلقين على مصير ابنائهم وازواجهم وبناتهم ، وان تستمر الاذاعة الاسرائيلية في بث تحيات الاقارب القلقين الى ذويهم في جبهات القتال ، وان يبقى معظم المصانع الاسرائيلية والمرافق العامة وكثير من المصالح الخاصة معطلا ، وان يستمر تدهور الاقتصاد الاسرائيلي وارتفاع الاسعار — وهو ما يحدث الان داخل اسرائيل . ان مثل هذه الضغوط كفيلة باحداث شرخ عميق في النفسية الاسرائيلية وبالتالي تحطيم الغرور الاسرائيلي ، وهو ما ينبغي عمله قبل اي شيء اخر ، لاعادة الاسرائيليين الى عالم الواقع ، واقع الامكانات العربية الضخمة في الرجال والمال والسلاح ، ليسهل « التحدث » اليهم . ولا حاجة ، في سبيل هذا ، الى تحرير مساحات من الاراضي المحتلة بالذات او التوغل عميقا في تلك الاراضي ، اذ تكفي حالة من الكر والفر والتعامل بالنار مع العدو لتصعيد حالة القلق ، التي تسود جبهته الداخلية ، الى وضع لن يستطيع الصمود فيه كثيرا ، فيجد نفسه مرغما على التفتيش عن ظروف تساعده على الخروج من ورطته .

والسؤال الذي يطرح نفسه الان هو هل تتعلم العسكرية الاسرائيلية شيئا من هذه الدروس ؟ تثبت التجربة ان اسرائيل لا تنسى عادة الدروس التي تلقن لها ، اذا ما احسن التلقين ، وفي الحالات القليلة التي تم فيها ذلك ، لوحظت النتائج الايجابية بسرعة . ومرة اخرى نكتفي بسرد بعض الامثلة : فالعمليات الاسرائيلية الانتقامية التي كانت تشن على الدول العربية توقفت ، سنة ١٩٥٦ ، بعد ثلاثة اعوام من ممارستها ، وبعد ان راح الجيش الاردني ، الذي استوعب « التقاليد » الاسرائيلية عند تنفيذ تلك العمليات — وكما يقول ديان صراحة — يوقع في القوات الاسرائيلية المهاجمة خسائر فادحة في الارواح . كذلك فقد ادت حرب الاستنزاف ، التي شنتها مصر على اسرائيل في جبهة قناة السويس ، خلال ١٩٦٨ — ١٩٧٠ ، الى حدوث تصدع في جدار القيادة الاسرائيلية ونشوب خلافات حادة بينهم حول السبل للوصول الى سلام مع العرب ، ولم تهدأ هذه الخلافات — وان كانت لم تختف — ولم يتصلب الموقف الاسرائيلي ويمعن في تصلبه الساخر من العرب الا بعد ايقاف حرب الاستنزاف . اما النشاط الفدائي المكثف ، خلال ١٩٦٧ — ١٩٧٠ ، والاضرار التي اوقعها باسرائيل فقد ادت ، لاول مرة منذ مطلع القرن الحالي وربما لاول مرة منذ نشوء الصهيونية ، الى « اقناع » عدد من الزعماء السياسيين وكثير من المفكرين الاسرائيليين « بوجود » شعب عربي فلسطيني ، ثم الدعوة الى الاعتراف بحقوقه او الوصول الى حل ما معه ، ولم تهدأ هذه الصيحات الا بعد النكسات التي مني بها النشاط الفدائي خلال ١٩٧٠ وما بعدها .

هناك ايضا احدى مضاعفات هذه الحرب التي ينبغي التوقف عندها ، الا وهي قضية الاسرى . ويستفاد من الاخبار المتوفرة ، حتى الآن ، ان هناك لدى الطرفين عددا من الاسرى . لقد اعتدنا حتى الان اتمام معاملات مبادلة الاسرى ، بفضل جهود الصليب الاحمر الدولي ، بسرية وبسرعة نسبيتين ، بحيث لا يسمع المرء بها الا بعد انهائها . وجرت العادة ان تكون اسرائيل هي السباقة الى الاتصال بالصليب الاحمر وتزويده بقوائم اسماء الاسرى الموجودين لديها وابداء استعدادها للفوري لمبادلتهم ، مهما قل عدد اسراها لدى العرب ، وتصرفت اسرائيل على هذا النحو ايضا خلال هذه الحرب ،

فقامت بتزويد الصليب الاحمر باسماء الاسرى العرب لديها حال وقوعهم في الاسر ولا تزال تقوم بذلك حال وقوع مجموعة جديدة من الاسرى العرب لديها ، مرفقة نشاطها هذا بطلب بسيط « وانساني » ، وهو معرفة عدد واسماء اسراها لدى العرب ، ليتبعها فيما بعد طلب مبادلتهم . ان وراء هذا التصرف الاسرائيلي اسبابا وجيهة يحسن بالجانب العربي الا ينساها ، اذ قد تشكل هذه الاسباب ورقة رابحة للضغط على اسرائيل . ان هناك تقاليد يهودية دينية قديمة تدفع اليهود الى الاسراع في مبادلة اسراهم وحتى الى تقديم تضحيات عديدة في سبيل ذلك ، يضاف اليها تقاليد اسرائيلية حديثة تدفع في الاتجاه نفسه ، حيث ان وجود اسرى اسرائيليين لدى الطرف الاخر ليس الا اثباتا قاطعا لخسارة ما ، كبيرة كانت ام صغيرة ، منيت بها اسرائيل ، ولذا فهو بالتالي عامل ضار بالمعنويات ومن الواجب العمل بسرعة لتصفيته ، خصوصا اذا كان بين اولئك الاسرى بعض ابناء العائلات العريقة او المقربين من قادة اسرائيل او كبار الضباط . ولهذا فان كثرة عدد الاسرى الاسرائيليين لدى العرب قد تشكل عاملا مهما للحصول من العدو على تنازلات في مجالات مختلفة ، بما في ذلك اضفاء « ليونة » على الموقف الاسرائيلي عند الحديث عن الانسحاب ، مثلا . ومن ناحية اخرى ، يأمل المرء الا تتم مبادلة الاسرى هذه المرة دون ذكر للاسرى الفلسطينيين من الفدائيين الموجودين لدى اسرائيل ، والذين حكم عليهم بالسجن فترات طويلة ، خصوصا منهم اولئك الذين هم من ابناء القسم المحتل من فلسطين سنة ١٩٤٨ . ان السجون الاسرائيلية تضم نحو ٥٠٠ سجين عربي من ابناء الارض المحتلة سابقا ، معظمهم محكوم عليه بالسجن فترات غير قصيرة بسبب نشاط فدائي ، والاخرون مسجونون بسبب مخالفات امنية ، معظمها عبارة عن تعاون بين اولئك المسجونين واجهزة المخابرات المصرية والسورية خاصة وتزويدها بمختلف انواع المعلومات عن اسرائيل . كذلك فان هناك نحو ٤٠٠ فدائي ، بين معتقل وسجين ، من ابناء المناطق التي احتلت سنة ١٩٦٧ ، او من الفدائيين الذين دخلوا الى اسرائيل من خارج المناطق المحتلة . وبينما يحصل بعض هؤلاء الفدائيين ، من حين لاخر ، على تخفيض الاحكام الصادرة بحقهم واطلاق سراح العديد منهم للتعبير عن « حسن نية » السلطات الاسرائيلية تجاه سكان المناطق المحتلة في محاولة لاستمالتهم اليها ، فان وضع المساجين ، من ابناء المنطقة التي احتلت سنة ١٩٤٨ صعب للغاية ، اذ بصفتهم « مواطنين » اسرائيليين لا يحظون عادة بأي تخفيض في الاحكام الجائرة الصادرة بحقهم ، بحيث يمضون الاعوام الطوال في السجون الاسرائيلية . انه من الملائم ، في مثل هذه الحالة ، ان يصر الجانب العربي ، بين ما يصر عليه ، على اطلاق سراح اولئك الاسرى والذين يعاملون معاملة المجرمين في السجون الاسرائيلية ، والاصرار في الوقت نفسه على السماح لهم ، بعد اطلاق سراحهم ، بالبقاء في بيوتهم وعدم تشريدهم بطردهم الى ما وراء الحدود . ولا بد من الاشارة الى ان هناك اسبقيات في هذا المجال ، فبعد حرب ١٩٦٧ ، مثلا ، طالبت اسرائيل ، عند اطلاقها سراح الاسرى المصريين ، باطلاق سراح اليهود المسجونين في مصر منذ ١٩٥٤ بسبب « قضية لافون » ، وقد تم لها ذلك . كذلك فقد قامت اسرائيل مؤخرا ، من جهتها ، باطلاق سراح الزعيم الدرزي في هضبة الجولان ، كمال كنج ، والسماح له بالبقاء في بلدته ، بعد ان كانت قد حكمت عليه بالسجن ١٨ عاما بتهمة « التجسس » لمصلحة بلده ، سوريا ، وذلك مقابل اطلاق سوريا سراح طيارين اسرائيليين كانا قد وقعا في اسر القوات السورية بعد اسقاط طائرتهما . وان مثل هذا العمل يشكل دعما ، لا مثيل له ، لمعنويات العرب داخل الارض المحتلة .

ان الحديث عن اوضاع الحرب الآنية ومضاعفاتها لا يعفينا من محاولة التكهن بنتائجها على المدى البعيد في الجانب الاسرائيلي ، ان كان ذلك من ناحية الستراتيجية

الصهيونية او من ناحية الاوضاع السياسية الداخلية في اسرائيل . ومما لا شك فيه ان اسرائيل تجد نفسها ، الان ، في اسوأ وضع يمكن ان تمر فيه منذ حرب ١٩٦٧ . لقد علقت اسرائيل آمالا عريضة على نتائج حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ليس من ناحية فرض السلم على العرب غير الفلسطينيين وبالتالي اغلاق ملف القضية الفلسطينية فحسب وانما من ناحية فرض شروط صلح مريحة لها على العرب ، املت بموجبها ان تستطيع تعميق جذورها الاقتصادية ، وربما الاجتماعية والحضارية ايضا ، في العالم العربي . يضاف الى ذلك كله ان اسرائيل ارادت ، طبعا ، ضم مناطق عربية مختارة لها خصوصا تلك التي تحتوي على الموارد الطبيعية او الصالحة للاستيطان منها او ذات الاهمية الستراتيجية لاستعمالها قواعد لتهديد الدول العربية ومن ثم توسيع القاعدة الصهيونية في المنطقة . ولهذا فان حرمان اسرائيل هذه المكتسبات ، ان لم يكن بالنسبة الى كل المناطق التي احتلتها فعلى الاقل بالنسبة الى بعضها ، انجاز عربي مهم للغاية معناه احتواء اسرائيل ضمن حجمها الحقيقي والقضاء على احلام التوسع والعظمة ، وبالتالي بداية انحسار صهيوني في المنطقة . وفي الوقت نفسه تعود اسرائيل ، من ناحية ثانية ، الى مواجهة القضية الفلسطينية بكل عمقها ، اقليميا وبشريا ، وبشكل تبدو معه وكأن المشكلات المتعلقة بتلك القضية وضغوطها على اسرائيل ، بعثت من جديد .

كذلك لا بد من الاشارة الى ان هذه الحرب قد سددت ضربة ناجحة الى العلاقة الوثيقة القائمة بين اسرائيل وقوى النفوذ الاجنبي في المنطقة . ان القول ان الصهيونية واسرائيل عميلتين للاستعمار والقوى الاجنبية لم يكن تهمة باطلة اطلقها العرب جزافا. فالحركة الصهيونية ، منذ نشأتها حتى اليوم ، ابتداء بهيرتسل ومرورا بسوكولوف ووايزمان وجابوتينسكي وبن — غوريون وانتهاء باشكول ومئير وبيغين ، لم تكف يوما عن محاولاتها لايجاد قوة استعمارية من خارج المنطقة لتلعب دور الكلب الحارس في حماية مصالحها وتستفيد من المساعدات التي يمكن ان تحصل عليها من جراء ذلك . وقد اختلفت الادوار التي هيأتها الصهيونية لنفسها وحاولت لعبها في خدمة المصالح الاستعمارية الاجنبية في المنطقة وانتقلت مع الزمن من دولة الى اخرى ، فبدأت بعرض خدماتها على تركيا ثم المانيا ، وبعد ذلك انتقلت الى بريطانيا ، ثم فرنسا خلال العقد الاول لقيام اسرائيل ، واخيرا اميركا . ويبدو من محاولة تتبع نسيج العلاقات الاسرائيلية — الاميركية ، خلال الاونة الاخيرة ، خصوصا خلال عهد نيكسون ، ان التورط الاميركي في مساندة اسرائيل لم يكن مبادرة اميركية ذاتية بقدر ما كان اقناعا من اسرائيل لاميركا بمساعدتها كي تعمل على حماية مصالح الاخيرة في المنطقة . ولهذا فان نتائج هذه الحرب ، التي جاءت لتثبت ان اسرائيل عاجزة احيانا ليس عن حماية مصالح الغير فقط وانما عن حماية نفسها ايضا ، تعتبر ضربة موفقة لتلك الناحية من التفكير الصهيوني من جهة واضعافا لمركز اسرائيل دوليا وارتباطها بالاستعمار من جهة ثانية — خصوصا في هذه المرحلة التي تتصف بابتعاد دول العالم ، الواحدة بعد الاخرى ، عن اسرائيل التي تعود اليوم الى اطلاق احد شعاراتها القديمة : « ان العالم كله ضدنا » .

يبقى لدينا السؤال الاخير الذي تنبغي الاجابة عنه : ما هي النتائج السياسية المتوقعة لحرب « يوم الغفران » في داخل اسرائيل ، ان كان ذلك على المدى القريب او البعيد ؟ وما هي التغييرات التي يمكن ان تحدثها في العقلية الاسرائيلية ، وبالتالي في مواقف اسرائيل من العرب عامة ؟ يبدو ، اول وهلة ، ان التغييرات على الصعيد السياسي وفي المدى القريب لن تكون كبيرة للغاية ، وهو ما يعود اساسا الى طبيعة نظام الحكم في اسرائيل وطريقة تكوينه . فالخلافات نادرا ما تبرز بسرعة في مثل هذه الحالات ، اذا ما قيست بحالات اخرى شبيهة لها — الى حد ما — وقعت في الماضي ،

بين المساهمين في الموسسة المبائية التي تحكم اسرائيل ، المسجلة حاليا تحت اسم حزب العمل الاسرائيلي . والزعامة الاسرائيلية تخفي عادة خلافاتها ، في مثل هذه الحالات ، لتعود وتظهر بشكل حاد فيما بعد ، خصوصا وان المعارضة الاساسية للحكومة ، الممثلة في غلاة التوسعيين الاسرائيليين من كتلة غاحال ومن يدور في فلكهما من ابناء المنظمتين الصهيونيتين الارهابيتين ، اتسل وليحي ، واحفادهما لا تختلف كثيرا في موقفها ، في مثل هذه الاوضاع ، عن مواقف الحكومة الرسمية . بل ان المعارضة قد تكون مسؤولة ، الى حد كبير ، عن المأزق الحالي الذي وقعت فيه اسرائيل بسبب تجريحها الدائم بالحكومة ، في محاولة لمنعها من تقديم اية تنازلات للعرب ، مهما كان نوعها ، واصرارها على الاحتفاظ بالمناطق المحتلة كافة والمطالبة بضمها رسميا الى اسرائيل .

غير انه من الخطأ الاعتقاد ، طبعا ، ان هذه الحرب مهما كانت نهايتها ستمر دون ان تفعل فعلها في اسرائيل ، وان كنا لا نتوقع ان نلمس نتائجها اليوم ، فانها ستظهر — دون شك — غدا او بعد غد ، وفي نواحي عديدة . لقد مست هذه الحرب العديد من « المقدسات » الصهيونية — الاسرائيلية ، فمجرد شنها ، مثلا ، بمبادرة من العرب ثم استمرارهم في القتال كافيان لازالة الغشاء عن اعين الكثير من الاسرائيليين ليصحوا من تأثير الكذبة التي لقنهم اياها زعماؤهم ثم راحوا يكرروها بانفسهم من ان العرب عامة غير قادرين على القتال ، بل انهم لا يعرفون اساليبه واحيانا ليس باستطاعتهم حتى تعلمها . وقد كانت هذه هي الدوافع وراء المغامرات العسكرية والسياسية التي خاضتها الحكومة الاسرائيلية خلال الاعوام الاخيرة ، وسكوت عامة الاسرائيليين عليها، ما دامت نتائجها مضمونة ، استنادا الى الايمان بعدم قدرة العرب على القتال . ومن هنا فقد جاءت هذه الحرب لتعيد الاسرائيليين ، الى حد ما على الاقل ، الى صوابهم وتحملهم ، كما كانت الحال في السابق ، على اخذ الموقف العربي في المستقبل بعين الاعتبار ، مما سيؤدي الى ضعف روح المغامرة لديهم والى ازدياد الضغط الجماهيري على السلطة لمنعها من اتخاذ المواقف المتطرفة . ثم ان سقوط المئات ، وربما الآلاف ، من القتلى الاسرائيليين في اثناء المعارك ، ليس بالامر السهل الذي يمكن المرور عليه مرور الكرام في اسرائيل ، خصوصا اذا ما قيس بالحساسية البالغة التي يبديها الاسرائيليون تجاه خسارتهم في الارواح . ولعل هذه الناحية بالذات ، والخوف منها ، هي اكبر رادع للاسرائيليين ، قد يمنعهم في المستقبل من محاولة القيام بمغامرات عسكرية اخرى مع العرب ، خصوصا اذا اتضح انه لم تنتج عن تلك الخسارة في الارواح اية انجازات تذكر لاسرائيل . لقد بقي الاسرائيليون يتذكرون الخسائر في الارواح ، التي منوا بها في حرب ١٩٤٨ ، فترة طويلة ويتحسبون من الدخول في صدامات مع العرب على نطاق واسع خوفا من ان يتكبدوا خسائر مماثلة لها ، ولم تزدد جراتهم الا عندما توصلوا ، لسبب ما ، الى استنتاج انهم لن يتكبدوا خسائر كبيرة في الارواح في اية حرب جديدة قد يخوضونها ، وهو ما ثبت خطؤه الان . ولهذا يتوقع ان يؤدي حجم الخسائر ، التي كانت من نصيب القوات الاسرائيلية خلال هذه الحرب ، الى الوصول الى المواقف نفسها التي سادت بعد حرب ١٩٤٨ ورجوع عادة التحسب من شن هجومات ضد العرب ثم محاولة الامتناع من تصعيد المواقف الاسرائيلية في النزاعات مع العرب ، والاتجاه نحو سياسة اكثر واقعية .

كذلك يتوقع المرء ، من ناحية اخرى ، ازدياد حدة الخلافات بين من يسمون الحمائم داخل النظام الاسرائيلي وبين مناوئيهم من الصقور ، خصوصا وان هذه الحرب جاءت لتدعم موقف الحمائم وتثبت صحة تقديراتهم لمواقف العرب ، ولعلهم مما يسمونه الخطر السكاني الكامن في الزيادة الطبيعية للسكان العرب في المناطق المحتلة . ولكن لا

يتوقع ، ازاء هذا ، حدوث « انفجار » داخل الجهاز الاسرائيلي الحاكم ، اذ ان التجربة اثبتت ان هذا الجهاز واسلافه يتصرفون بمرونة عالية ، نسبيا ، ولا يجمعون ، عند الضرورة وازاء مواجهتهم للواقع المجرد ، عن اعادة النظر كليا في مواقفهم السابقة وقلبها رأسها على عقب . ففي سنة ١٩٢٢ ، وعلى سبيل المثال ، لم تتردد الزعامة الصهيونية في الموافقة على « انتزاع » شرق الاردن ، وهو القسم الشرقي مما يسمى « ارض — اسرائيل » من المنطقة الخاضعة للانتداب البريطاني على فلسطين ، عندما اتضح لها ان تلك الموافقة ضرورية لاصدار صك الانتداب والالتزام باقامة «وطن قومي» لليهود في البلد ، وفي سنة ١٩٣٩ عادت ووافقت ، بعد تردد ، على مشروع تقسيم فلسطين ، عندما اتضح لها ان ذلك المشروع يحمل في طياته بوادر تأسيس دولة يهودية ، وفي سنة ١٩٤٧ وافقت ، دون تحفظ تقريبا ، على قرار تقسيم فلسطين الذي اصدرته الامم المتحدة و « ضحت » بالقسم الباقي من فلسطين للعرب في سبيل اقامة الدولة اليهودية على جزء من البلد . اما في سنة ١٩٥٦ ، فلم تتردد اسرائيل كثيرا في الانسحاب من سيناء وقطاع غزة بعد ان « اقنعتها » الولايات المتحدة بوجوب القيام بذلك . وقد لا نستغرب ، استنادا الى هذا السجل ، ان نرى العسكريين الاسرائيليين ، يطورون — وبسرعة — نظريات جديدة تقول ان الحدود الآمنة ليست هي الحدود الطويلة التي يصعب الدفاع عنها ، كما اتضح الان ، وانما الحدود السابقة القصيرة نسبيا ، وان الدفاع عن هذه الحدود ينبغي ان يكون بالتحصن داخلها بالذات وليس بمحاولة الاندفاع خارجها نحو الدول العربية المجاورة .

THE ARAB - ISRAELI CONFLICT :
THE PEACEFUL PROPOSALS 1948 - 1972

By

Leila S. Kadi

Published recently by the
Palestine Research Center
P. O. Box 1691 - Beirut

Price: 2 Lebanese Pounds for a copy
Plus Postal Charges: 0.50 L.L. Arab World, 1.00 L.L. Europe,
2.50 L.L. Other Countries.

الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة
جولة على طريق التحرير والعودة

أعد هذه الدراسة عن الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة اربعة من كتـــاب « شؤون فلسطينية » الذين اعتادوا تقديم شهريات المجلة وهم الاخوة المقدم الهيثم الايوبي ، عصام سخنيني ، ناجي علوش ، والدكتور صادق العظم . ولقد قدم كل واحد منهم تصوره لهذه الحرب من زاوية اختصاصه حتى يوم ١٩٧٣/١٠/٢٣ ثم قام المقدم الايوبي بتحريرها .

مقدمة

يـــدر ان يتعلم المنتصر الكثير مـــن انتصاره ، أما المهزوم فهو اكبـــر المتعلمين من الهزيمة . هذه هي اولى الافكار التي اكدتها وأثبتت صحتها انطلاقة الجيشين المصري والسوري في يوم ٦/١٠ المجيد لتدمير الاسطورة العسكرية الاسرائيلية وتبديد مئـــات الاوهام والافكار المغلوطة التي عششت في اعمـــاق الانسان العربي بعد هزيمة عـــام ١٩٦٧ .

لقد دخل العرب حرب ١٩٦٧ قبل ان يحققوا الاستعداد العسكري اللازم ويرسموا الاستراتيجية الحربية الملائمة مع الهدف والوسائط ودون ان يؤمنوا شروط التضامـــن العربي الفعلي السريع وقبل ان يعدوا انفسهم نفسيا واقتصاديا ودعائيا لتلبية متطلبات حرب تحريرية طويلة الامـــد . وساعدت تصريحـــاتهم وسياستهم العدو عـــلى كسب المناورتين السياسيتين الداخلية والخارجية قبل اندلاع القتال . وحصدوا من جـــراء كل ذلك هزيمة سبقها سخط العالم كله على العرب وأعقبها شماتة كاملة بهم .

وتدل تطورات الاحداث في الحرب الدائرة حاليا على مسارح العمليـــات السياسية والدبلوماسية والاقتصاديـــة والعسكرية على أن العـــرب تعلموا الكثـــير من دروس الهزيمة ، وأعدوا العدة لمجابهة العدو على جميع الاصعدة ، والصمود في صراع طويل الامد حتى يتحقق النصر والتحرير . وتمتزج دماء العرب من مختلـــف اقطارهم علـــى أرضنا المقدسة خلال هذا الصراع مؤكدة بالواقع الملموس حقيقة تماسك الامة العربية ووحدة ارادتها ومصيرها وقدرها التاريخي .

١ ـ المعركة دوليا

لم تنطلق المدافع العربية في ٦/١٠ الا بعد ان حققت الدبلوماسية العربية انتصـــارا شاملا على صعيد المناورة السياسية الخارجية . فلقد استطاعت التحركات السياسية النشطة والمبادرات المبنية على افكار ثلاث : ١ ـ عدم السماح للمعتدي بالحفاظ علـــى

المكاسب التي حققها من عدوانه ، وهي فكرة تقبلها الراي العام العالمي وأيدتها قرارات مجلس الامن ، ٢ — ان اسرائيل غير معرضة لخطر الابادة كما كانت تدعي ، ولكنها على العكس دولة ذات أطماع توسعية عدوانية لا تهدد سلامة الاقطار العربية المجاورة فحسب بل تهدد الامن العالمي كله ، ٣ — ان رفض المجموعة الحاكمة الفاشية في اسرائيل لكل مبادرات السلام العالمية والعربية ، وتحديها للارادة العالمية وعدم انصياعها لكل القرارات الخاصة بانسحابها من الاراضي المحتلة يسيء الى الاقتصاد الاوروبي ويحمله اعباء متزايدة يكبر خطرها مع كبر ازمة الطاقة في العالم .

ومن المؤكد أن اسرائيل كانت قبل اندلاع القتال تعاني المزيد من العزلة على الصعيد الدولي بشكل عام . وكانت أهم مظاهر تدهور مكانة اسرائيل عالميا في هذا الشهر : أولا ، الادانة الشديدة التي تلقتها من مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقد في الجزائر في الاسبوع الاول من شهر أيلول المنصرم (راجع « شؤون فلسطينية » عدد ٢٦ ، تشرين الاول ١٩٧٣ ، ص ١٢ — ٢٠) . ثانيا ، استمرار الضغط السعودي على الرئيس نيكسون لتبديل سياسته نوعا ما باتجاه تحريك الجمود المخيم على النزاع في الشرق الاوسط بهدف تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ويعتمد الضغط السعودي على التلويح بعدم رفع انتاج البترول بما يتناسب مع الحاجات الاستهلاكية للولايات المتحدة . وكان السفير الامريكي الجديد في السعودية ، جيمس اكنس (الذي كان يشغل منصب كبير الخبراء في شؤون المحروقات والطاقة في وزارة الخارجية الامريكية) ، قد نبه في مقابلة صحفية في اواخر شهر ايلول الى ان العربية السعودية جادة في رفضها زيادة انتاج بترولها ما لم يتحسن الموقف الامريكي لجهة التخفيف من دعم اسرائيل في اصرارها على الاحتفاظ بالاراضي العربية المحتلة (راجع « شؤون فلسطينية » ، عدد ٢٦ ، تشرين الاول ١٩٧٣ ، ص ١٧٩ — ١٨٢) . ثالثا ، رفض المحكمة العليا في النرويج الافراج عن الاسرائيليين المعتقلين بتهمة الاشتراك في اغتيال المناضل احمد بو شيكي في شهر تموز الماضي . وكانت وزارة الخارجية النرويجية قد اعلنت ان وجود أية صلة بين الحكومة الاسرائيلية ومرتكبي الجريمة يشكل « مسألة في غاية الخطورة » بالنسبة للحكومة النرويجية ، كما ابلغ وزير الخارجية النرويجي السفير الاسرائيلي عن قناعة حكومته بارتباط المجرمين بالسلطات الاسرائيلية . رابعا ، وصل الضيق الاوروبي بسلوك الحكومة الاسرائيلية ومواقفها ذروته في قيام السلطات النمساوية بالغاء كل التسهيلات المقدمة الى تل ابيب من أجل نقل المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل ، وجاء الاجراء على أثر قيام الفدائيين الفلسطينيين باحتجاز رهينتين من هؤلاء المهاجرين . واهم ما في هذا الحدث هو : (أ) تأكيد رئيس الحكومة النمساوية (كرايسكي) بأن اقتراح انهاء التسهيلات المقدمة لاسرائيل جاء من طرفه هو لتسوية قضية الرهائن ولم يتقدم بطلبه الفدائيون ، وان حكومته كانت تفكر في اتخاذ مثل هذه الخطوة واغلاق معسكر شوناو لتجميع المهاجرين منذ فترة . ولم يترك كرايسكي مجالا للشك في أنه كان ينتظر الفرصة المناسبة للاقدام على ذلك وقد زوده الفدائيون بها . (ب) مقاومة كرايسكي الشجاعة والعنيدة لكل الضغوط الامريكية والاسرائيلية كي يتراجع عن قراره ، مما يبين مستوى الضيق الذي وصلت اليه السلطات بسبب التصرفات الاسرائيلية . ومما يلفت الانتباه ان بلدا مؤيدا لاسرائيل ومتعاطفا معها كل التعاطف مثل هولندة قد رفض بسرعة محاولات اسرائيل لجره للحلول محل النمسا في تقديم التسهيلات المطلوبة للمهاجرين اليهود . عندما اشاعت اجهزة الاعلام الاسرائيلية انباء بهذا المعنى كذبها ناطق رسمي هولندي بلغة ديبلوماسية عندما صرح « ان الانباء الصحافية الاسرائيلية التي تحدثت عن عرض من هولندة للحلول محل النمسا هي انباء سابقة لاوانها ، وان حكومته لا تزال تنتظر المزيد من المعلومات حول قضية الهجرة قبل

ان تتخذ قرارا بهذا الشأن » . وحتى بعد الانتصارات السريعة والباهرة التي حققتها القوات العربية في الايام الاولى من الحرب الدائرة لم يهرع الراي العام العالمي لنجدة اسرائيل ونصرتها كما كان يحدث كلما ادعت أن العرب يهددون وجودها ويعملون على ابادتها الخ . . .

تشير جميع الدلائل الى أن الضربة العربية حققت المفاجأة على المستوى الدولي . ولكن واشنطن كانت مطمئنة الى قدرة اسرائيل على صد الضربة وتبديل الموقف لصالحها بسرعة . ولما تأكدت نتائج نجاح الضربة العربية الاولى جاء أول رد فعل امريكي على شكل تحريك لقطعات الاسطول السادس في البحر الابيض المتوسط كما اعلن عن ذلك مسؤول في وزارة الدفاع الامريكية بقوله : « أن وحدات من الاسطول الامريكي السادس في المتوسط غادرت الموانىء المرابطة فيها وابحرت في حالة تأهب » . كذلك قامت وزارة الدفاع الامريكية بتسريب انباء تطمينية للجانب الاسرائيلي — الامبريالي ، وتهويلية على الجانب العربي فحواها أنه ما أن تتم اسرائيل دعوة قواتها الاحتياطية وتشن هجومها المضاد حتى تسحق القوات العربية في ظرف بضعة ايام على أبعد تقدير . وفي الوقت نفسه وجه هنري كيسنجر باسم الرئيس نيكسون نداء الى مصر واسرائيل لوقف اطلاق النار بأسرع وقت ممكن كما بعث برسالتين الى الملك فيصل والملك حسين يطلب منهما استخدام مساعيهما الحميدة لوضع حد للقتال ، كل ذلك استجابة لتعليمات نيكسون ببذل كل جهد ممكن لايقاف الحرب . وبعد اتضاح ارتباك العسكرية الاسرائيلية وانفضاح مزاعمها حول نجاحها في تدمير رؤوس الجسور التي اقامتها القوات المصرية على الضفة الشرقية من قناة السويس وما شابه ذلك من ادعاءات ، تبدل تكتيك الدبلوماسية الامريكية قليلا اذ قام هنري كيسنجر بمحاولة لتهديد الاتحاد السوفياتي وابتزازه عندما قال في اليوم الرابع من الحرب ان الوفاق الامريكي السوفياتي لا يمكن ان يستمر اذا صدرت تصرفات غير مسؤولة عن الاتحاد السوفياتي بالنسبة للحرب الدائرة في الشرق الاوسط . وخلق كلامه انطباعا عاما بأنه اتهم الدولة الكبرى الصديقة للعرب بالتصرف بشكل غير مسؤول مما جعل وزارة الخارجية تسارع لتصحيح هذا الانطباع عن طريق التصريح بأن كيسنجر لم يقصد القول بأن الاتحاد السوفياتي قد تصرف بالفعل بشكل غير مسؤول ازاء الازمة الحالية في الشرق الاوسط . وتحدد أول موقف أمريكي رسمي من الحرب في مجلس الشيوخ الامريكي الذي اتخذ قرارا بالاجماع استنكر فيه أندلاع القتال في المنطقة وحث الاطراف المعنية على العودة الى خطوط وقف اطلاق النار لعام ١٩٦٧ . وتبنت الحكومة الامريكية هذا المطلب لبضعة ايام وحاولت الترويج له في الاجتماع الاول لمجلس الامن (الذي اجتمع بدعوة الحكومة الامريكية) الا ان محاولتها لم تصب اي نجاح كما كان متوقعا . وعندما تأكد تماما ان النصر الاسرائيلي السريع الذي كانت تتوقعه الدوائر الامريكية والاسرائيلية قد تحول الى سراب ، وظهر ان اسرائيل تكبدت خسائر بليغة وغير متوقعة بالمعدات (وخاصة بالطائرات مجال تفوقها التقليدي) اخذت واشنطن تمهد لعمليات مد اسرائيل بالمساعدات العسكرية اللازمة بشكل علني وكثيف عن طريق التشديد ، في اليوم السادس من الحرب ، على وجود جسر جوي سوفياتي ينقل المساعدات الى كل من مصر وسورية ، وتوجيه نداء رسمي الى الاتحاد السوفياتي على لسان ناطق باسم وزارة الخارجية تطلب فيه ان يحث اصدقاءه على « الاعتدال » وتحذره من « نتائج عدم التعاون في السعي لايجاد حل للنزاع » . كذلك تم الاعلان في وزارة الدفاع عن مغادرة حاملة الطائرات الامريكية فرانكلين د. روزفلت ميناء برشلونة مبحرة باتجاه شرقي البحر الابيض المتوسط . الا انه عندما اتضح ان سياسة التهديد والوعيد لم تنفع مع الاتحاد السوفياتي أو مع الدول العربية المقاتلة ، كما انها لم تمكن اسرائيل من تحقيق اية

انتصارات اضطر هنري كيسنجر الى تخفيف لهجة الدبلوماسية الامريكية عند مخاطبة الاتحاد السوفياتي . وكان ذلك جليا في المؤتمر الصحفي الذي عقده في اليوم السابع للحرب حيث قال أن الاتحاد السوفياتي اظهر اعتدالا في سياسته ازاء الحرب في الشرق الاوسط الامر الذي من شأنه عدم تعريض سياسة الوفاق والانفراج مع الولايات المتحدة الى الخطر ، واضاف قائلا انه على الرغم من صدور « بعض المبادرات المؤسفة » عن موسكو (المقصود دعوة القيادة السوفياتية القادة العرب الى التضامن الفعال مع مصر وسوريا وعدم تركهما وحيدتين في ساحة المعركة) فأن السياسة السوفياتية لم تتبن حتى الآن أية مواقف غير مسؤولة ، ثم اكد انه في حالة جنوح الاتحاد السوفياتي باتجاه سياسات من هذا النوع فان الولايات المتحدة لن تتردد في « اتخاذ موقف حازم من الازمة » . وفي الوقت نفسه أرسل الرئيس نيكسون برقية الى الرئيس بومدين ، قال فيها أنه يأمل في ان « تتمكن حكومتي من الاعتماد على حكومتكم وغيرها من الحكومات للعثور على وسيلة لانهاء الحرب في الشرق الاوسط » . ان الحرب الجديدة كما اكد الرئيس الامريكي تظهر مرة اخرى ضرورة العثور على حل عادل ودائم للمشاكل الاساسية في هذه المنطقة ، وأن الولايات المتحدة تعمل جاهدة للعثور على وسيلة يمكن ان تؤدي الى انهاء القتال ، وستضاعف جهودها للعثور على أساس كل هذا النزاع الطويل » .

واذا كان كيسنجر قد لطف من لهجة الدبلوماسية الامريكية في مخاطبة الاتحاد السوفياتي فقد فعل نيكسون العكس بالنسبة للدول العربية اذ صعد لهجة التهديد عندما لمح بصورة شبه مباشرة ، في خطاب القاه في ١٦ تشرين الاول ، الى امكانية تدخل امريكي عسكري الى جانب اسرائيل وذلك في معرض تحديده « للسياسة الامريكية ازاء النزاع الراهن في الشرق الاوسط » حيث قال بأنها لا تختلف عن « السياسة التي اتبعناها عام ١٩٥٨ في لبنان ، وعام ١٩٧٠ في الاردن » . وجدير بالذكر ان نيكسون كان نائبا لرئيس الجمهورية عندما نزلت القوات الامريكية في لبنان ، وان حكومته كانت تنوي التدخل العسكري بالاشتراك مع اسرائيل في الاردن في ايلول ١٩٧٠ لو بدا يومها ان موازين القوى ستميل لصالح الثورة الفلسطينية . وفي الوقت نفسه أعلن الناطق باسم وزارة الخارجية ان الولايات المتحدة بدأت بتزويد اسرائيل بالاسلحة من اجل اعادة التوازن العسكري في المنطقة الى ما كان عليه سابقا (دبابات ، طائرات فانتوم وسكاي هوك ، صواريخ وقنابل متطورة للغاية، وغيرها من المعدات). وذكرت مصادر دبلوماسية امريكية ان الولايات المتحدة تريد من هذه الخطوة ان تشكل ، بالاضافة الى تعويض اسرائيل عن خسائرها الكبيرة ، ضغطا سياسيا على الاتحاد السوفياتي والدول العربية للجلوس الى طاولة المفاوضات لتسوية النزاع بعد اعلان وقف اطلاق النار . وعلى الرغم من هذه التهديدات فقد تركت النجاحات العسكرية العربية أثرها الواضح على موقف الحكومة الامريكية الذي تمثل : اولا ، بتنازلها عن مطلب تحقيق وقف اطلاق النار على أساس العودة الى خطوط ١٩٦٧ والقبول به على أساس بقاء القوات المتحاربة في المكان الذي تجد نفسها فيه عند اعلانه . وثانيا ، باعلان هنري كيسنجر ان حكومته لا تنوي ارسال أية قوات الى الشرق الاوسط ما لم يتدخل الاتحاد السوفياتي تدخلا مباشرا في النزاع . وجاء هذا التصريح التطميني نتيجة انزعاج اوساط كثيرة في الدوائر الحاكمة الامريكية من تلميح نيكسون الى امكانية حدوث تدخل امريكي عسكري مباشر في منطقتنا ، وواضح ان مصدر القلق هو ذكريات حرب فيتنام . وعلى سبيل المثال فقد أعلن السناتور الديمقراطي مايك مانسفيلد ، المعروف بتأييده القوي لاسرائيل، عن معارضته لاشتراك جنود البحرية الامريكية في حرب الشرق الاوسط لان « فيتنام واحدة تكفي » .

وكان من ابرز الموضوعات التي أقلقت الاوساط السياسية الامريكية منذ اندلاع القتال مسألة استخدام البترول من قبل الدول العربية المعنية كأداة ضغط عالمية مسخرة في خدمة المجهود الحربي العربي . وقد ألمح الرئيس نيكسون الى ذلك في اليوم السادس من الحرب بقوله : « ان انفجار الوضع في الشرق الاوسط يذكرنا مرة اخرى بمدى اعتماد الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان على شحنات النفط من الشرق الاوسط » . وبعد حوالي اسبوع من صدور هذا القول كان مؤتمر وزراء النفط والمال المنعقد في الكويت (١٧ تشرين الثاني) يعلن انه قرر خفض انتاج البترول فورا بنسبة لا تقل في كل دولة عربية مصدرة عن ٥ في المئة ابتداء من انتاج شهر ايلول الماضي مع الاستمرار في تطبيق هذه النسبة في الخفض بصورة شهرية « وذلك حتى يوم جلاء القوات الاسرائيلية جلاء كاملا عن كل الاراضي العربية المحتلة منذ حرب ١٩٦٧ » . وشمل قرار الخفض كل دول العالم باستثناء المؤيد منها للعرب والتي تمارس ضغوطا على امريكا واسرائيل ، كما تقرر الاستمرار بتزويد الدول الصديقة بالكميات نفسها التي كانت تحصل عليها قبل العمل بقرار الخفض وستعامل بالمعاملة الاستثنائية ذاتها كل دولة تتخذ اجراء مهما ضد اسرائيل لحملها على انهاء احتلالها للاراضي العربية المحتلة . وفي الوقت الذي تم فيه الاتفاق على اول اجراء بترولي — سياسي عربي في تاريخ المنطقة ، كان وزراء خارجية اربع دول عربية (العربية السعودية ، الكويت ، المغرب ، الجزائر) يقابلون الرئيس نيكسون وهنري كيسنجر في محاولة ديبلوماسية — نفطية لدعم المجهود العربي العسكري في سيناء والجولان . وجدير بالذكر ان ثلاثا من هذه الدول مرتبطة بعلاقات وثيقة جدا مع الولايات المتحدة . ولم ترد أية تفاصيل حول هذه المقابلة باستثناء دوامها لمدة ساعة وقيام الوزراء العرب باطلاع الرئيس الامريكي على ردود الفعل العربية الرسمية والشعبية المتوقعة تجاه الولايات المتحدة نتيجة لموقفها من الحرب في المنطقة بالاضافة الى تصريح عمر السقاف بأن الوزراء العرب أبلغوا الرئيس نيكسون ان الدول العربية لن تقبل بأقل من الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ واحترام حقوق الشعب الفلسطيني في أية تسوية للنزاع في المنطقة . وعلى اثر المقابلة صرح الرئيس نيكسون ان الولايات المتحدة تشارك الدول العربية رغبتها في ايجاد تسوية عادلة للنزاع « على الرغم من الاختلاف حول وسائل تحقيقها » ، والاشارة هنا هي الى ان العرب يفضلون الوسائل العنفية بينما تفضل الولايات المتحدة الوسائل السلمية والدبلوماسية [!] واضاف نيكسون قائلا انه شرح للمبعوثين العرب ان بلاده تعتبر ان الهدف الكبير والملح الذي ينبغي تحقيقه الان هو « ايجاد تسوية عادلة وسلمية ومشرفة للنزاع في الشرق الاوسط » انسجاما مع ما حققته حكومته من مبادرات خدمت السلام العالمي مثل الانفتاح على الصين وتطوير العلاقات مع الاتحاد السوفياتي باتجاه الوفاق العام وانهاء الحرب في فيتنام . ويمكننا ان نقول بصورة عامة ان الانجازات التي حققتها القوات العربية المسلحة في ميدان القتال والبرهان الذي قدمته على قدرتها وكفاءتها وصمودها قد أثرت بجلاء على لهجة نيكسون في تصريحاته المذكورة ، اذ اتصف كلامه ، كما هو واضح ، بالاعتدال الشديد وغاب عنه كل تصلب او تلميح بالتهديد او الوعيد او الاستخفاف على عكس ما عودنا عليه في السابق في معاملاته مع الجانب العربي بشكل عام .

لكن على الرغم من ذلك هرع نيكسون الى نجدة اسرائيل بتقديم مشروع قرار الى مجلس النواب الامريكي يطالب فيه بما يزيد عن مليارين من الدولارات تخصص لدعم اسرائيل عسكريا واقتصاديا . وأدت هذه الخطوة الى ردود فعل عربية نفطية قوية كان أبرزها اعلان العربية السعودية عن تخفيض فوري في انتاجها من البترول مقداره ١٠ ٪ ، بدلا من التقيد بالحد الادنى الذي أقره مؤتمر الكويت (أي ٥ ٪) ، بالاضافة

الى تجميد كل صادراتها البترولية الى الولايات المتحدة . وحذت الكويت حذو السعودية في هذا الشأن ، بالاضافة الى مضاعفتها للاسعار المعلنة لنفطها . كذلك قررت حكومة أبو ظبي وقف شحن النفط الى امريكا ولوحت باتخاذ اجراءات اخرى لم يعلن عنها اذا لم يتحسن الموقف الامريكي بالنسبة لدعم اسرائيل كما اشارت الى ان خطوات مماثلة ستتخذ بحق أية دولة اخرى تقف موقفا معاديا من القضية العربية . اما ليبيا فقد رفعت الاسعار المعلنة لنفطها وخفضت انتاجها بنسبة ٥ ٪ وجمدت كل تصدير الى الولايات المتحدة . كذلك خفضت كل من الجزائر وقطر انتاجها البترولي بمقدار ١٠ ٪ ، وقام العراق برفع اسعار نفطه المعلنة وبتأميم الحصص التابعة للشركات الامريكية والهولندية في بتروله . يضاف الى ذلك قيام حكومة البحرين بالغاء الاتفاق المعقود بينها وبين الحكومة الامريكية الذي يمنح الثانية تسهيلات في القاعدة البحرية التي كانت بريطانيا قد أخلتها في وقت سابق وسلمتها الى البحرين .

اما بالنسبة للاتحاد السوفياتي فقد كان موقفه منسجما كل الانسجام مع بنود معاهدة الصداقة المصرية — السوفياتية التي نصت في احد بنودها على انه « في حال نشوء اوضاع تشكل حسب رأي الطرفين تهديدا للسلام او خرقا للسلام ، فانهما سيتصلان بعضهما ببعض على الفور لتنسيق موقفيهما من اجل ازالة التهديد الناشىء او اعادة السلام » . كما كانت تصرفاته لا تتعدى مجرد التنفيذ الامين لكافة الاتفاقات المعقودة علنا بينه وبين سوريا ومصر ولكل التعهدات التي سبق له والتزم بها تجاه العرب وخاصة بالنسبة لموضوع تحرير الاراضي العربية المحتلة « بوسائل اخرى » عندما ثبت نهائيا تفشيل اسرائيل للوسائل السلمية والدبلوماسية . وعلى هذا الاساس كانت الاتصالات مستمرة بين الاتحاد السوفياتي والقيادات العربية خاصة في مصر وسوريا ، منذ نشوب القتال كما ان المساعدة السياسية والمعنوية والمادية للدولة الكبرى لم تنقطع عن البلدان العربية والمقاتلة منها على وجه الخصوص ، منذ بداية الحرب . ففي ٧ تشرين الاول اصدرت حكومة الاتحاد السوفياتي بيانا رسميا حملت فيه اسرائيل المسؤولية الكاملة عن انفجار الحرب في الشرق الاوسط ، وأكدت ان المعارك اندلعت نتيجة اعمال اسرائيل العدوانية ورفضها الدائم التوصل الى تسوية سياسية للنزاع في الشرق الاوسط . وادان البيان كل من سياسة اسرائيل التوسعية والحماية التي تتلقاها من الاوساط الامبريالية بالاضافة الى تجاهلها لمطالب الرأي العام العالمي واستهتارها بميثاق هيئة الامم وقراراتها ، واحكام القانون الدولي . كما أعلن ان الاتحاد السوفياتي يقف بثبات الى جانب الدول العربية تمشيا مع مقتضيات الصداقة وسياسته المبدئية في دعم الشعوب الساعية الى الحرية والاستقلال ، كما انه يساند بحزم المطالب الشرعية للدول العربية بالنسبة لتحرير كل الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل في عام ١٩٦٧ اذ ليس بالامكان تحقيق أي سلام مضمون لدول المنطقة وشعوبها بدون تحرير الاراضي المذكورة وضمان الحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني .

وعلى اثر الغارات الجوية التي شنتها اسرائيل على الاهداف المدنية واصابة عدد من مباني البعثات الدبلوماسية بما فيها مبنى البعثة السوفياتية في دمشق واغراقها سفينة سوفياتية في ميناء طرطوس اصدر الاتحاد السوفياتي تحذيرا موجها لاسرائيل جاء فيه ان الدولة الكبرى لا يمكن ان تقف موقف اللامبالاة امام الاعمال الاجرامية للعسكرية الاسرائيلية التي أوقعت ضحايا بين المواطنين السوفيات في مصر وسوريا . كما طالب بالوقف الفوري لقصف المواقع والاهداف المدنية في كل من سوريا ومصر ، وتقيد اسرائيل بأحكام القانون الدولي وخاصة في ما يتعلق بالملاحة البحرية . ثم اكد على « ان استمرار اسرائيل في اعمالها الاجرامية سيكون له نتائج خطيرة على اسرائيل نفسها » .

وعلى صعيد آخر بعث ليونيد بريجنيف برسالة خطية الى الرئيس بومدين شدد فيها على ضرورة تعزيز التضامن العربي في مواجهة العدوان الاسرائيلي ومن أجل تدعيم المجهود العسكري الموجه لتحرير الاراضي العربية المحتلة بحيث لا تبقى مصر وسورية وحدهما في مواجهة العدو الاسرائيلي . وشددت الرسالة على ضرورة تقديم المساعدة والدعم للبلدين المقاتلين على اوسع نطاق ممكن . كما قام سفراء الاتحاد السوفياتي بابلاغ رسائل شفهية تحمل المعنى ذاته الى ملوك الدول العربية ورؤسائها. وترددت انباء مفادها اولا ان بريجنيف بعث ايضا برسائل عاجلة الى الرئيسين السادات والاسد اكد فيها « تأييد بلاده الكامل والملموس لمساعي مصر وسورية في تحرير اراضيهما المحتلة » ، ثانيا ان الاتحاد السوفياتي اوقف منذ بدء القتال الهجرة اليهودية الى اسرائيل وانه ينوي ربط موضوع السماح بها بالانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة، ثالثا ، ان السفير السوفياتي في بيروت قابل ياسر عرفات حيث سلمه رسالة مهمة لم يعرف شيء عن محتوياتها كما أكد له ان حكومته ستقوم بدعم حركة المقاومة مباشرة ضمن اطار المعركة الدائرة حاليا على اساس التنسيق بين المقاومة والجيوش العربية المعنية .

وفي ١٦ الجاري قام الرئيس بومدين بزيارة سريعة لموسكو حيث قابل القيادة السوفياتية واجرى محادثات بشأن حرب التحرير الدائرة في المنطقة . وعلى اثر انتهاء الزيارة صدر بيان مشترك شدد على عزم البلدين على « المساعدة بكل السبل في تحرير كافة الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل » . وأعلن بومدين « ان الاتحاد السوفياتي عازم على مساعدة العرب بكل الوسائل لتحرير اراضيهم » . وجدير بالاشارة هنا ان الصين الشعبية ادانت « الهجوم الاسرائيلي » وأعلنت عن « مساندتها الحازمة للشعبين المصري والسوري في مقاومتهما للمعتدي الاسرائيلي » . كذلك حمل الحزب الشيوعي في فيتنام الديمقراطية اسرائيل والولايات المتحدة مسؤولية تجدد المعارك في الشرق الاوسط حيث أعلن عبر صحيفته الرسمية « ان الاعتداء الاسرائيلي الحالي على مصر وسورية هو جزء من الاعمال الاجرامية التي ترتكبها اسرائيل والامبريالية الامريكية ضد الشعوب العربية » .

وفي اوروبا الغربية أخذ موقف الدول الرئيسية فيها طابع الحياد والرغبة في عدم التورط السياسي المفتوح الى جانب أي من الطرفين المتحاربين مما ازعج اسرائيل أزعاجا شديدا لكونها اعتادت على التأييد الأوروبي الغربي المطلق في اعتداءاتها السابقة على العرب . لذلك قدمت الاحتجاجات الى كل من الحكومة الفرنسية والبريطانية وشنت الحملات الاعلامية ضدهما . ولا شك ان الموقف الاوروبي الغربي هذا ، الذي يشكل مكسبا عربيا بالمقارنة مع ما كانت عليه الاوضاع في السابق ، جاء نتيجة عوامل كثيرة منها ارتباط المصالح الاوروبية بالبترول العربي وغيره من الثروات في المنطقة ، بالاضافة الى كون الدول العربية تقاتل على اراضيها ومن أجل تحريرها من سيطرة الاحتلال الاجنبي . وكان اول رد فعل بريطاني على نشوب القتال فرض الحظر على تصدير الاسلحة الى الطرفين المتحاربين وشمل الحظر قطع الغيار التي تحتاج اليها اسرائيل بسبب استخدامها الدبابات البريطانية . ونادت بريطانيا بضرورة وقف اطلاق النار والعودة الى تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وركزت جهودها الدبلوماسية العامة وفي هيئة الامم على تحقيق هذا الهدف. أما فرنسا فقد لخص وزير خارجيتها السيد ميشال جوبير موقف حكومته بتساؤله في الايام الاولى لاندلاع الحرب « ما اذا كانت محاولة عودة الانسان الى وطنه تشكل بالضرورة عدوانا غير متوقع ؟ » ، وكان الوزير الفرنسي يرد ، عن طريق هذا التساؤل الخطابي ، على مزاعم اسرائيل بأن محاولة الجيوش العربية استعادة اراضي شعوبها تشكل عدوانا صارخا على اسرائيل نفسها ! وعرض

وزير الخارجية الفرنسي مساعي بلاده الحميدة على الدول المتحاربة للوصول الى تسوية سلمية ، كما دعا الى اشتراك دول اوروبية غربية اخرى في تقديم اقتراحات تهدف للتوصل الى حل سلمي . وصدر بيان عن مجلس الوزراء الفرنسي جاء فيه ان حكومة البلاد تعمل من أجل تحقيق تسوية نهائية للنزاع تشتمل على كل الضمانات الضرورية لسلامة جميع دول المنطقة . كما أكد ناطق رسمي فرنسي بأن بلاده تعمل في مجلس الامن وخارجه على ايجاد حل للازمة ولوقف اطلاق النار على اساس اجراء مفاوضات تؤدي الى تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وبدون خلق أية خطوط وقف اطلاق نار جديدة . وفي الوقت نفسه اصدرت الدول الاوروبية التسع الاعضاء في السوق المشتركة بيانا دعت فيه الى وقف اطلاق النار والبدء بمفاوضات حقيقية تؤدي الى تسوية النزاع على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ويفهم من لهجة البيان ان هذه الدول لم تشترط أي انسحاب الى ما وراء خطوط وقف اطلاق النار لعام ١٩٦٧ .

ومن ناحية اخرى أعلن وزير خارجية اليونان ان المجالات الجوية والارضية والبحرية اليونانية لم تستخدم لاية نشاطات تتعلق بالحرب الدائرة في الشرق الاوسط ، وشدد على ان علاقات بلاده الودية بالدول العربية تمنع اشتراك اليونان بأية صورة من الصور في أية أعمال موجهة ضد العرب سواء كان ذلك بشكل مباشر او غير مباشر . كذلك أعلن ناطق رسمي تركي أن القواعد الامريكية في تركيا لن تتورط في النزاع العربي — الاسرائيلي ، كما علقت الحكومة البلجيكية كل شحنات السلاح الموجهة الى البلدان المشتركة في الحرب .

في هيئة الامم استمعت الجمعية العمومية الى عدد من الخطباء العرب الذين عرضوا وجهة نظر بلادهم بالنسبة لموضوع تحرير الاراضي العربية المحتلة . ولم تجر أية مناقشات ذات أهمية كما ان الخطباء الآخرين كرروا عرض مواقف بلادهم كما أشرنا اليها في هذا التقرير . ومن الظواهر التي لفتت النظر عدم اقدام أي من الدول العربية بدعوة مجلس الامن للنظر في موضوع الحرب الدائرة في المنطقة مما جعل الولايات المتحدة تبادر الى دعوته لهذا الغرض . ولم تجر أية مداولات ذات أهمية خاصة في اجتماعات المجلس باستثناء اتاحة المزيد من الفرص للمندوبين العرب لتوضيح الهدف التحرري للحرب ضد قوات الاحتلال ، وللتنديد بقصف اسرائيل للاهداف المدنية . وعندما حاول المندوب الاسرائيلي ، في أحد اجتماعات المجلس ، تقديم تعازيه بمناسبة مقتل بعض المواطنين السوفيات من جراء الغارات الجوية الاسرائيلية على دمشق خرج المندوب السوفياتي غاضبا من الاجتماع معلنا ان بلاده « غير مستعدة لسماع اعذار ممثلي العصابات الدولية والمجرمين » . ومن الملفت للنظر أن عاصفة من التصفيق دوت في القاعة تأييدا لموقف المندوب السوفياتي .

وتبلورت المواقف على النحو التالي في مجلس الامن : طالبت الولايات المتحدة بوقف اطلاق النار على أساس العودة الى خطوط عام ١٩٦٧ ومن ثم العمل من أجل تسوية على أساس القرار رقم ٢٤٢ . وطالبت بريطانيا المجلس باصدار نداء عاجل بوقف اطلاق النار (بدون رجوع القوات الى أماكنها السابقة) واستغلال الاحداث التي وقعت للتوصل الى تسوية سلمية حقيقية . وطالب الاتحاد السوفياتي المجلس بألا يتخذ أي قرار جديد في الظروف الحالية ما لم تتعهد اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة وتبدأ بتنفيذ تعهدها . وطالبت الصين بأن يتبنى المجلس قرارا يندد باسرائيل ويدعوها للانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . وتأجلت جميع جلسات المجلس بدون التوصل الى أية نتائج أو قرارات بانتظار ما يتم تحقيقه في ميدان القتال .

تلقت اسرائيل صفعات دبلوماسية اضافية في افريقيا . فقد أعلنت حكومات كل من

فولتا العليا ورواندا وداهومي والكاميرون وتانزانيا وملاغاش وافريقيا الوسطى والحبشة ، قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل . كما تبنى مؤتمر للسفراء الممثلين لـ ٢٥ دولة افريقية من الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية قرارا يدين « العدوان الوحشي الاسرائيلي » ضد الدول العربية بشكل عام وضد مصر بشكل خاص ويؤيد « حق العرب في استعادة اراضيهم » .

وفي ٢٠ الشهر الجاري طرأ تطور مهم جدا على الجبهة الدبلوماسية اذ قام الزعيم السوفياتي الكسي كوسيغين بزيارة مفاجئة الى القاهرة حيث اجتمع مطولا الى الرئيس السادات . واتضح فيما بعد أن هدف الزيارة يتعلق بالمشاورات الجارية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة للتوصل الى اتفاقية جديدة لوقف اطلاق النار تضمن تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وعلى ما يبدو عرض كوسيغين على الرئيس السادات مسودة للصيغة التي يتم التشاور حولها مع الولايات المتحدة بالنسبة لاعلان وقف اطلاق النار وتنفيذ قرار مجلس الامن . وترددت أنباء صحفية بأن المسودة نصت على قيام الدول الكبرى بالاشراف على وقف اطلاق النار وانسحاب اسرائيل الى خطوط ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ مع بعض التعديلات الطفيفة على الحدود . وأعطت وكالة الانباء اليوغسلافية في نبأ لها من القاهرة التفصيلات التالية عن مسودة مشروع السلام : أولا ، يجري ترتيب وقف اطلاق النار بمساعدة امريكية ـــ سوفياتية على أن تنسحب اسرائيل الى خطوطها السابقة مع ادخال بعض التعديلات الطفيفة على الحدود . ثانيا ، تضمن قوات دولية حدود الاطراف المتنازعة ويكون الدور الاهم في تقديم هذه الضمانات للدولتين الكبريين وللدول الاعضاء في مجلس الامن بشكل عام . وذكرت مصادر دبلوماسية أمريكية انه جرى ابلاغ الرئيس نيكسون مسبقا بزيارة كوسيغين للقاهرة . وعلى أثر عودة الزعيم السوفياتي الى بلاده صدر بلاغ رسمي في واشنطن أعلن ان الرئيس نيكسون طلب من وزير خارجيته (هنري كيسنجر) أن يتوجه حالا الى موسكو لاجراء محادثات حول وسائل انهاء القتال في الشرق الاوسط . وأكد البيان الامريكي أن سفر كيسنجر جاء نتيجة طلب الزعامة السوفياتية حضوره على جناح السرعة . وسافر برفقة وزير الخارجية مساعده لشؤون الشرق الاوسط (جوزيف سيسكو) وسفير الاتحاد السوفياتي في واشنطن . وعلى أثر سفر كيسنجر أعلن ناطق باسم البيت الابيض أن الرئيس نيكسون بعث برسالة خاصة الى الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف بخصوص الوضع في الشرق الاوسط وذلك عن طريق السفارة السوفياتية في واشنطن .

وظهرت نتيجة المحادثات الامريكية السوفياتية في موسكو صباح ٢٢ الشهر الجاري حيث وافق مجلس الامن الدولي على مشروع قرار تقدمت به الدولتان الكبريان يدعو الاطراف المتحاربة في الشرق الاوسط الى وقف اطلاق النار ضمن حدود مدة أقصاها ١٢ ساعة من تاريخ صدور القرار ، والى البدء فورا بعد وقف اطلاق النار بتنفيذ كل بنود قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . كما نص القرار على بدء المفاوضات بين الاطراف المعنية باشراف مناسب ، وذلك فورا ومع وضع وقف اطلاق النار موضع التنفيذ ، من أجل اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

وجدير بالذكر أن سوريا لم تحضر اجتماع مجلس الامن كما لم تشارك الصين في المداولات وامتنعت عن التصويت . وأعلنت اسرائيل ، على اثر اجتماع طارىء لمجلس وزرائها ، موافقتها على قرار مجلس الامن شرط أن يلتزم به الجانب العربي . وأعلنت مصر في وقت لاحق أن الرئيس السادات أصدر أوامره للقوات المسلحة المصرية بالتقيد بقرار مجلس الامن وايقاف اطلاق النار في الساعة المحددة لذلك . وقد رفضت كل من ليبيا والعراق قرار مجلس الامن . ولم توافق سوريا ، وهي طرف أساسي في الصراع ،

على القرار الا في ١٩٧٣/١٠/٢٣ بعد ان درسته كل من القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية والقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، وبعد أن تم الاتصال مع الملوك والرؤساء العرب للتداول معهم حول هذا القرار .

ويرى مؤيدو الموافقة على القرار أنه حقق للدول العربية نصرا سياسيا لانه يحقق عند تنفيذه الهدف السياسي الذي اندلعت الحرب من أجله ، وهو تحرير الاراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ وضمان حقوق الشعب الفلسطيني العادلة . اما معارضو القرار فهم في الاساس معارضو القرار ٢٤٢ وأنصار فكرة عدم الاكتفاء بتحرير الارض التي احتلها العدو في حرب ١٩٦٧ وضرورة متابعة النضال حتى التحرير الكامـــل وازالة القاعدة الامبريالية الصهيونية وبناء الدولة الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني . ويبدي الكثيرون شكوكهم حول النوايا الامريكية الكامنة وراء الموافقة على هذا القرار ، وحول احتمالات وجود خديعة أمريكية تستهدف ايقاف القتال ريثما تلتقط اسرائيل انفاسها وتعيد تسليحها وتشن عدوانا جديدا على العرب . ويزيد من حدة هذه الشكوك الايمان السائد بأن الولايات المتحدة تنهج سياسة ممالئة لاسرائيل على حساب الحق العربي ، وأساليب العدو الامبريالي ـــ الصهيوني في الخداع والمناورة ، وما أعلنته اسرائيل عن التفسير الاسرائيلي لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ان الضمانة الوحيدة لانسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ هو الضمانة الامريكية ـــ السوفياتية لهذا الانسحاب ولكن أخطر ما في الامر هو ان يؤدي قرار وقف اطلاق النار الى تفكك داخل المعسكر العربي الذي أثبت خلال الحرب الرابعة أنه قادر على أخذ موقف موحد تجاه العدو القومي الشرس .

٢ ـ المعركة عربيا

عندما اندلعت الحرب كانت دلائل كثيرة تشير الى أن الوضع العربي أبعد ما يكون عن الحرب . ومع أن المأزق ازاء الاحتلال كان يزداد تفاقما ، فان الامور لم تكن تسير على ما يرام . ويكفي هنا أن نعطي بعض الوقائع :

١ ـــ على الصعيد العربي : كانت العلاقات داخل دولة الاتحاد تسير نحو التدهور ما بين ليبيا من جهة ومصر وسورية من جهة أخرى . ولقد أخذت العلاقات تسوء أيضا ما بين سورية والعراق . وفي هذا الوقت حدث انفراج في العلاقات السورية ـــ الاردنية والمصرية ـــ الاردنية ، بعد سلسلة من الزيارات قام بها ممثلون رسميون ، وبعد اجتماع القمة الثلاثي في القاهرة . الا أن انفراج العلاقات مع الاردن كان يوحي ، لا بالاتجاه في طريق الحرب ، بل بالاتجاه في الطريق الآخر .

واذا كانت العلاقات العربية لا توحي بالتوجه نحو الحرب ، فان سياسة كل دولة على حدة ، وخاصة سياسة مصر وسورية ، لم تكن توحي بأن هنالك حربا مقبلة . واذا ما درسنا السياسة المصرية في الاشهر الاخيرة ، وخطب المسؤولين المصريـــن خاصة ، وجدنا أنها أبعد من أي وقت مضى عن حديث الحرب والحسم .

٢ ـــ على صعيد العلاقات العربية ـــ الفلسطينية : شهدت فترة ما قبل المعركة أزمة في العلاقات بين سورية وحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، بعد أن أخذت السلطات في الجمهورية العربية السورية قرارها باغلاق اذاعة درعا . وقد تكهرب جو العلاقات وتأزم ، وكاد أن ينفجر .

٣ ـــ على صعيد علاقات مصر وسورية مع الاتحاد السوفياتي : ظل الفتور الظاهر

هو المخيم على العلاقات ، ولم يكن يبدو أن هناك تطورات في العلاقات ، أو أن هناك شحنات غير عادية من الاسلحة . وجاءت عملية « قطار المهاجرين » ، وما بدا من علاقتها بطلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) ، لتشير الى أن العلاقات قد اخذت تتدهور بين سورية والاتحاد السوفياتي .

٤ ــ وعلى صعيد الاقطار العربية عامة ، ومصر وسورية خاصة ، لم يكن هنالك ما يوحي بوجود تعبئة للحرب . وكانت التحركات العسكرية التي جرت في سورية ومصر ، توحي بالاستعداد لمواجهة هجوم اسرائيلي متوقع .

وهكذا حين اندلعت الحرب فجأة ظهيرة يوم السادس من تشرين الاول كان النبأ مفاجأة للجميع . ذلك ان كل الدلائل لم تكن تشير الى قرب اندلاع الحرب ، ولم يكن التوتر على الجبهات كافيا الى الدرجة التي توفر القناعة بقرب اندلاع القتال .

وكان هنالك عاملان آخران يزيدان من القناعة بعدم توافر التهيؤ للقتال :

أولهما : كون التنظيرات « العلمية » قد اتجهت خلال السنين الماضية ، التالية لحرب ١٩٦٧ ، الى أن الانظمة العربية غير قادرة على الحرب ، والى أن الجيوش العربية غير قادرة على القتال . وان الدول العربية تبحث عن امكانية « للسلام » تستفيد منها . وقد كان الاتجاه العام للتنظيرات السياسية يؤكد على هذه الحقيقة . الحرب لن تقوم لان انظمة البرجوازية الصغيرة سقطت في حرب ١٩٦٧ ، ولانها غير مستعدة لبناء قوات قادرة ومؤهلة ، وغير راغبة في تعبئة الجماهير واعدادها للقتال ، وغير قادرة على ذلك ان ارادت . ولهذا كان يعتبر كل حديث عن الحرب هراء .

وكانت هذه التنظيرات الآتية بعد هزيمة ١٩٦٧ ، المستندة الى التحليلات العلمية ، تزيد من قناعة المثقفين والمسيسين عموما ، بأن المجال الوحيد هو مجال « السلام » ، وبأن لا مجال للحرب ، وبأنه لا مجال « للسلام » عبر الحرب .

ولم تكن هذه « التنظيرات » خالية من الصحة تماما ، وان كانت بعيدة عن الصواب . ذلك انها أخذت جانبا من الصورة ، وتحدثت عن « الجانب الاستسلامي » في السياسة العربية . وهي اذ لحظت هذا الجانب ، الجانب السلبي : عدم تعبئة الجماهير ، عدم اعداد القوات المقاتلة سياسيا للحرب ، البحث عن سبل « السلام » ، ركزت عليه واعتبرته الجانب الوحيد في الصورة . ثم ما لبثت أن تجاهلت كل الجوانب الاخرى ، محاولة أن تسخر العلم لدعاواها السياسية ، وأن تخضع التناقضات لاوهامها ولتصوراتها الذاتية . ولما كانت تستهدف اعدام البرجوازية الصغيرة وافكارها وجيوشها وساستها لم تستطع ان ترى لدى هذه البرجوازية غير التذبذب واللامبالاة والعجز .

ولم تستطع هذه التنظيرات أن تلحظ ان البرجوازية الصغيرة الحاكمة تعيش ازمة حقيقية ، وانها لم تستطع أن توفر لنفسها « سلاما » مقبولا يبقيها في السلطة ، كما أنها لم تتحول الى أداة بيد الامبريالية ، حتى وهي تتراجع باتجاه المحافظة ، وانها بالتالي ظلت أمام نفسها وأمام جماهيرها مطالبة بأن تبرر وجودها . ذلك ان المعركة مع العدو الاجنبي المحتل تبقي لها دورا وطنيا لا يمكن تجاهله مهما حقد عليها البروليتاريون ، وان كان هذا الدور متذبذبا دائما ، رجراجا دائما .

وهكذا ساهمت هذه « التنظيرات » لا في اعطاء صورة غير حقيقية للوضع فحسب ، بل ساهمت في تضخيم مؤامرات الاستسلام وشحن قطاعات من الجماهير بروح السلبية والشك .

ثانيهما : ان الانظمة العربية ، وخاصة جمهورية مصر العربية ، لجأت خلال السنوات الماضية الى كل المحاولات لاحقاق تسوية سلمية . وكانت أحاديث المسؤولين المصريين

تتضح بالرغبة في « السلام » . وكانت هنالك ظواهر في سياسة مصر توحي بالتراجع والتوجه على طريق الحل « السلمي » .

ولهذا عندما بادرت قيادة جمهورية مصر العربية الى ابلاغ قيادة حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) قبل أيام من المعركة بأن المعركة وشيكة الوقوع ، كانت المعلومات تبدو مناقضة للواقع وللتحليل .

وجاءت المعركة . . .

وفجأة اشتبكت قوات مصر وسورية مع قوات العدو . وكانت المفاجأة مذهلة للدول العربية ولجماهيرها ، كما جاءت مذهلة للعدو . ومنذ اللحظة الاولى انشدت قلوب الجماهير العربية الى المعركة . كان هنالك من يظن بأن الحرب « لعبة » ، وبأن هناك « طبخة » « طبخت » ، ومؤامرة يتم اخراجها بواسطة القتال ، وحاول الاعلام المعادي تثبيت هذه الفكرة ، الا أن تجاوب الجماهير كان أكبر من الشك ، وأعظم من الدهشة .

وبدأ التجاوب الرسمي العربي يتوالى : فأعلن الرئيس معمر القذافي التزامه بالمعركة وان كان لا يوافق على مخططها ، وأعلن الرئيس هواري بومدين وضع كل امكانيات الجزائر بخدمة المعركة . اما العراق فقد دخل غمار المعركة بكل قواته الجوية والبرية.

وبينما ظل الاردن صامتا طوال الايام العشرة الاولى ، أعلن مؤخرا أنه أرسل قوات الى الجبهة السورية ، وهكذا فعلت المملكة العربية السعودية . أما الكويت فقد أعلنت وضع قواتها تحت تصرف قيادة المعركة ، مع ان لها لواء في جبهة السويس .

وعلى صعيد التبرعات أعلن ان ليبيا قدمت مساعدات مالية لمصر وسورية ، كما أعلن ان المملكة العربية السعودية قدمت ألف مليون دولار لسورية والكويت مائة مليون دينار لمصر وسورية . كما أعلنت الجزائر وقف تنفيذ خطة التنمية ورصد كل امكانياتها للمعركة .

واتخذت الدول المنتجة للنفط قرارا بتخفيض شحن النفط بنسبة خمسة بالمائة كل شهر الى الولايات المتحدة والدول التي تؤيد دولة الاحتلال . ثم عادت ابو ظبي فأعلنت ايقاف ضخ النفط الى الولايات المتحدة . وأعلنت المملكة العربية السعودية أنها قررت تخفيض ضخ النفط الى الولايات المتحدة الاميركية بنسبة عشرة بالمائة. ثم ما لبثت الدول العربية المنتجة للنفط ان أعلنت تباعا وقف شحن النفط الى الولايات المتحدة الاميركية ، علما بأن العراق اتخذ موقفا أكثر تقدما عندما أمم حصة الولايات المتحدة في شركات النفط العراقية ، ثم حصة هولندا .

وعلى الصعيد الشعبي العربي أعلنت كل فئات الشعب ومنظماته وصحفه وهيئاته تأييدها للمعركة ضد الاحتلال الصهيوني . ولم يبد الوطن العربي موحدا ، كما هو الآن. ولقد أعادت سورية ومصر علاقاتها مع الاردن قبل القتال ، وليبيا وتونس والجزائر بعد بدء القتال بأيام ، وبعد أن أعلن الاردن اشتراكه في المعركة .

الا أنه من الواضح حتى الآن أن الدول التي شاركت في القتال مشاركة فعالة هي حسب التسلسل : مصر وسورية والعراق والجزائر . أما بقية الدول العربية فكانت مشاركتها رمزية . ولقد استطاع العراق ان يلقي بقوة عسكرية كبيرة في المعركة بعد ان خفف حدة التوتر مع ايران وأعاد العلاقات الدبلوماسية معها .

وفي ١٠/٢٢ أصدر مجلس الامن قراره بوقف اطلاق النار ، بعد ستة عشر يوما من القتال ، فاستجابت دولة الاحتلال الصهيوني اولا ، ثم استجابت مصر . وعندما تستجيب مصر ، فهذا معناه ان الدول العربية الاخرى مضطرة لان تستجيب . ذلك ان القتال

بدون مصر يعطي دولة الاحتلال فرصتها لضرب الجبهة الشمالية ضربات موجعة .

ولقد توقف القتال ، قبل أن تتسع المشاركة العربيـــة وتتعمق . ذلـــك ان توسيع المشاركة وتعميقها كان يتطلب :

١ ـــ المشاركة الفعلية في القتال ، وهذا كان يستلـــزم ارسال وحدات فعالة الى الجبهة ، تتناسب مع قدرة كل قطر ماديا وبشريا ومع حجم قواته .

٢ ـــ تقديم الدعم المادي للجبهة . وهذا يعني تقديم المواد اللازمة لدعم الجبهة وتوفير الاموال اللازمة لدعم الدول التي تتحمل مسؤولية القتال ، والتي يتضرر اقتصادها من جرائها .

٣ ـــ تعبئة الجماهير العربية للوقوف بكل امكاناتها الماديـــة والمعنوية الى جانب المقاتلين في الجبهة .

٤ ـــ القيام بالنشاط السياسي والديبلوماسي الذي يوفر المساندة الاقليمية والدولية لحق أمتنا في تحرير أراضيها .

ان مثل هذه المشاركة كان يمكن أن تغير في مجرى القتال ، لمصلحة الجيوش العربية ، ولكنها لم تتم ، وحين تمت تمت بصورة رمزية أو بطيئة . ولقد كان قصر أمد القتال من العوامل التي لم تيسر الظروف لاتمام الحشد العسكري والسياسي .

ولا بد من الاشارة هنا الى أن فتح الجبهة الاردنية ضد العدو الصهيوني كان هاما وضروريا ، لاشغال قوات العدو على جبهات واسعة ، ولاستنزافها على حدود طويلة ، وامام قوات كبيرة . ولكن فتح الجبهة الاردنية كان يستلزم حشد قوات عربيـــة كبيرة عليها ، تستقدم أساسا من العراق والمملكة العربية السعودية . ان الجبهة الاردنية لم تفتح ، وبذلك وفر العدو على قواته حماية جبهة طولها ستماية كيلومتر .

ثم ان الاستفادة من النفط لم تكن بالفعالية المطلوبة . ان العراق وحده قـــد أمم حصص الولايات المتحدة الاميركية من شركات النفط ، اما الدول الاخرى فقد اكتفت بوقف الشحن الى الولايات المتحدة الاميركية . ووقف الشحن لا يعني شيئا كثيرا ما دامت الحرب قد توقفت بهذه السرعة .

ان المطلوب الآن :

١ ـــ ان تصادر أنصبة الولايات المتحدة الاميركية في شركات النفط .

٢ ـــ أن تخصص نسبة عالية من دخل النفط لبناء جيش عـــربي قوي مرابط على الجبهات ، ولتنمية الدول العربية على خط المواجهة (وأساسا مصر وسورية والاردن اذا قبل أن يكون جزءا من هذه الجبهة) .

فما هي الاحتمالات بعد أن توقف القتال ، واستجابت دولة الاحتلال الصهيوني ومصر لقرار مجلس الامن ؟

هنالك ثلاثة احتمالات :

الاول : ان يكون وقف اطلاق النار مجرد هدنة جديدة ، ذلك أن القوات العسكرية العربية لم تستطع أن تغير الخارطة العسكرية في المنطقة ، وان كانت قـــد أسقطت أسطورة تفوق جيش الدفاع الاسرائيلي وحررت العرب مـــن عقدة التخلف والخيانة والضعف . وما دامت القوات العسكرية لم تغير الخارطة العسكرية للمنطقة ، فمن الصعب تصور تغير الخارطة السياسية . ويدعم هذه الحجـــة تكوين دولة الاحتـــلال الايديولوجي ، وموقفها السياسي والعسكري . لقد كانت استراتيجية دولة الاحتلال تقوم

على مجموعة من الفرضيات : اولها : ان تظل منتصرة دائما ، وان يظل العرب مهزومين دائما وان تحتفظ دائما بالوضع الاستراتيجي الملائم . ثانيها : ان تسيطر دائما على مزيد من الارض . الارض في الاستراتيجية الصهيونية تعني الاساس . وثالثها : ان تكون قوات الاحتلال قادرة دائما ، متفوقة دائما . ان هذا كله يجعل اتجاه دولة الاحتلال الى سياسة التعايش يبدو أقرب الى المستحيل .

الثاني : ان تستغل دولة الاحتلال وقف اطلاق النار للاستعداد مرة ثانية ، ولتوجيه ضربات الى الجيوش العربية ، تستهدف تدمير الجيوش من جهة واحتلال مزيد من الاراضي من جهة ثانية . وهذا الاحتمال وارد ، وهو منسجم مع طبيعة دولة الاحتلال وطبيعة تكوينها وتكوين قيادتها .

الثالث : ان تبدأ دولة الاحتلال بوقف اطلاق النار مناوراتها من اجل : أ ـ ابتزاز تنازلات كبيرة من العرب مثل الاعتراف بالاحتلال ، الاعتراف بحدود آمنة ، ب ـ تجريد سيناء والجولان والضفة الغربية من السلاح، جـ ـ فتح الحدود العربية للخبرات والسلع الاسرائيلية ، د ـ تصفية قضية الشعب الفلسطيني ، الخ .. وستراوغ دولة الاحتلال ما تستطيع المراوغة . ان موافقتها على قرار مجلس الامن توحي سلفا بمثل هذا الاستعداد . فهي تريد وقفا لاطلاق النار يشمل كل الدول العربية المعنية ، بما في ذلك اليمن الديمقراطية . وهي تشترط ان يشمل الاتفاق المقاومة . كما أنها تريد حدودا آمنة . وهي تقبل بقرار مجلس الامن حسب التفسير الاسرائيلي له الخ ...

وأمام كل هذه الاحتمالات لا بد للعرب من ضمان ما يلي :

أولا : أن يحافظوا على جبهتهم متماسكة . ان الحرب لم تنته بعد . لقد بدأت . وهذا يقتضي الاستعداد والمزيد من الاستعداد .

ثانيا : ان يحشدوا المزيد من الجيوش في أرض المعركة تحسبا لكل طارىء ، ابتداء من هجوم غادر وانتهاء بعدم تنفيذ قرارات مجلس الامن .

ثالثا : تعبئة الجماهير واعدادها للمعارك المقبلة .

رابعا : مقاطعة الولايات المتحدة سياسيا واقتصاديا والاستيلاء على ممتلكاتها وشركاتها في بلادنا .

ولما كانت بعض حكوماتنا غير مستعدة لهذا كله ، فان على جماهيرنا ان تناضل نضالا بطوليا للحيلولة دون التمكين للمناورة الاميركية ـ الاسرائيلية .

ويجب ان تحرص جماهيرنا العربية على ألا تمس القضية الفلسطينية . ان المساس بجوهر القضية الفلسطينية : أي حق الشعب الفلسطيني في ارضه كاملة ، هو خيانة كبرى وجريمة ليس لها مثيل .

ويجب ان تحرص الجماهير العربية على المقاومة الفلسطينية ، لان اي توجه عربي نحو « السلام » سيكون على حساب استمرار المقاومة مرحليا .

واذا كانت تعقيدات القضية الفلسطينية تبدو أعسر من ان تحل ، فان محاولات برجنيف ـ نكسون لاخراج حل يجب الا يستهتر بها ، لا سيما وهي تحظى برعاية كبيرة من أوساط متعددة ، منها أوساط فلسطينية وعربية .

وها ان أولى ثمار المناورة الاميركية ـ الاسرائيلية تبدو واضحة للعيان . لقد بدأ الصف العربي يتصدع بعد اعلان مصر الموافقة على قرار وقف اطلاق النار . ذلك ان العراق اعلن في الجهة المقابلة عدم موافقته على وقف اطلاق النار . ثم اخذت المنظمات الشعبية تعلن موافقتها . واذا كان اتحاد العمال العرب قد أعلن تأييده للحرب ، فانه

اعلن ايضا عدم موافقته على وقف اطلاق النار . وقال بيان اتحـــاد العمال العرب : « ان هدف الشعب العربي لم يقف عند حد تحرير المناطق المحتلة في حرب عام ١٩٦٧ ، وانما هدفه هو احترام حقوق الشعب الفلسطيني وعودته الى أرضه وتقرير مصيره بنفسه » . وقامت في ليبيا مظاهرات جماهيرية منددة بوقف اطلاق النار .

ان العرب يجتمعون على القتال ، ولا يجتمعون على غيره . وهم بحاجة الى قتال ضد دولة الاحتلال يوحدهم . ولكن الانظمة التي أرادت من الحرب تنفيذ قرار مجلس الامن أوقفت اطلاق النار عند أول بادرة « سلام » ، حتى دون ان تتأكد من ان دولة الاحتلال ستعود الى حدود الخامس من حزيران .

٣ – المعركة عسكريا

تبنى العرب منذ عام ١٩٤٩ عقيدة عسكرية دفاعية بحتة . ووقفت الجيوش العربية على خطوط الهدنة تنتظر بسلبية كاملة هجمات العدو الاسرائيلي الذي تبنى العقيـــدة الهجومية التعرضية . وطبعت هاتان العقيدتان الجيوش المتقابلة بطابعها ، فعلى حين جمع الاسرائيليون جيشهم داخل الارض المحتلة وزودوه بكافة وسائط القتال والنقـــل اللازمة لحرب الحركة ودربوه على العمليات الهجومية الخاطفة وحافظوا على روحـــه التعرضية بالهجمات الردعية المستمرة فقد نشر العرب جيوشهم داخل مخافر دفاعية موزعة على طول الحدود، وبنوا لقواتهم المنتشرة التحصينات الميدانية المعززة بالاسلاك الشائكة والالغام ولم يزودوها بوسائط القتال والنقل اللازمة لحرب الحركة ، فاكتسبت هذه القوات الروح الدفاعية ، وخسرت روحها الصدامية ، وانخفض مستوى تدريبها بصورة عامة ومستوى تدريبها الهجومي بصورة خاصة . وبقي الامر كذلك حتى اندلاع حرب ١٩٦٧ .

واذا كان اختيار الاسرائيليين للعقيدة العسكـــرية الهجومية نابعـــا من سياستهـــم التوسعية المدعومة من الامبريالية العالمية . ومن مهمتهم «كدركي» مكلف بضرب الجيران وتدمير قواهم واخضاعهم وحرمانهم من كل امكانات النمو والتطـــور فقد كان اختيـــار العرب للعقيدة العسكرية الدفاعية ناجما عن قناعتهم السياسية بأن الـــدعم الـــدولي لاسرائيل والحماية التي ستقدمها الامبريالية العالمية « للدولة ـــ القاعدة » عند تعرضها لاي خطر ، وعدم القدرة على مناطحة الامبريالية وقواها العسكرية العاملة في المنطقـــة عبارة عن عوامل تردعهم عن مهاجمة اسرائيل ، وتجعل مجرد التفكير بمثل هذا العمل جنونا وانتحـــارا . ولقد زاد من ترسيـــخ هذا الاعتقاد الضمـــان الثلاثي الامريكي ـــ البريطاني ـــ الفرنسي لحدود اسرائيل وسلامة أراضيها .

وبعد حرب ١٩٦٧ احتلت اسرائيل الارض الفلسطينية كلها وأراض عربية أخرى . وانتفت فكرة اسرائيل الصغيرة المعرضة للخطر ، وادان العالم العدوان ، وأقر مجلس الامن ضرورة الانسحاب من الاراضي المحتلة ، وبذلت معظم الدول جهودا دبلوماسية وسياسيـــة للضغط على اسرائيل واقناعهـــا بالانسحاب . ولكـــن اسرائيـــل رفضت الانسحاب ، ولم يكن بوسعها ان تنسحب قبل تحقيق الاغـــراض السياسية لحـــرب ١٩٦٧ . وكانت هذه الاغراض تتمثل بالنسبة للامبريالية الامريكية في سحق الحركـــة الوطنية التي يهدد نموها مصادر الثروة التي تنهبها الشركات الامبريالية وربط المنطقـــة العربية نهائيا بعجلة السياسة الامريكية ، كما كانت تتمثل بالنسبة لاسرائيل في تحقيق التوسع اللازم لتوطين مهاجرين جدد وتكريس الوضع الراهن في ظل « الامن والسلام الاسرائيليين » .

وهنا ظهر وضع عسكري جديد . فلقد استمر العرب على تبني العقيدة العسكرية الدفاعية ليعيدوا بناء جيوشهم وراء دفاعاتهم وليحرموا اسرائيل من امكانات تسديد ضربات جديدة . وتبنى الاسرائيليون لاول مرة عقيدة عسكرية دفاعية غايتها الحفاظ على المناطق المحتلة أطول مدة ممكنة بأقل قوة بشرية ممكنة بغية ردع العرب عن التفكير باسترجاع الاراضي بالقوة واجبارهم على قبول الامر الواقع وتقديم التنازلات والخضوع لشروط « السلام الاسرائيلي » الذي يضمن التوسع والامن الاسرائيلي . ونلاحظ هنا ان القادة الاسرائيليين لم يتبنوا العقيدة الدفاعية الجامدة المبنية على دفاعات في الجولان، وخط بارليف على قناة السويس بل تبنوا عقيدة دفاعية ــ هجومية ديناميكية مبنية على التعرض المستمر ، وتسديد الضربات الرادعة بالعمق مستندين الى ضخامة قوتهم الجوية وقواتهم المحمولة جوا واستخباراتهم التي تقدم لهم من المعلومات ما يجعل ضرباتهم ناجحة مؤثرة مع اقل خسارة ممكنة . مع الاعتماد في الدفاع عن البلاد على القوة الضاربة (طيران ومدرعات ومشاة ميكانيكية) القادرة على القيام بهجوم مضاد واسع حاسم يدمر أية قوة مهاجمة تحقق نجاحات محدودة ضد مواقعهم الدفاعية ، وتطوير الهجوم المضاد بعد ذلك الى مطاردة .

وكانت اسرائيل مرتاحة لهذا الوضع . ولم يضايقها بعد حرب ١٩٦٧ سوى حرب الاستنزاف المحدودة على القناة ونشاط الثورة الفلسطينية داخل الارض المحتلة . ثم جاء مشروع روجرز وصمتت المدافع المصرية على القناة ، واعقب ذلك مذبحة ايلول ١٩٧٠ التي انهكت قوات الثورة الفلسطينية وحدت من حرية عملها ووجد الاسرائيليون أنفسهم في أفضل وضع عسكري صادفوه فبدأوا تهويد المناطق المحتلة ، واعلنوا انهم على استعداد للبقاء على خطوط ١٩٦٧ حتى يرضخ العرب لارادتهم .

ولم يكن بوسع مصر وسورية السكوت عن هذا الوضع . وكان عليهما تحرير الارض المغتصبة التي يرفض العدو التخلي عنها بالوسائل السلمية . بيد ان تحرير الارض لا يتم عن طريق الدفاع ، وما الدفاع ــ عسكريا ــ سوى مرحلة من مراحل الهجوم . وهو بالتحديد المرحلة التي يتم فيها اعداد القوى المادية والمعنوية اللازمة للهجوم . ويحتاج الهجوم في عالمنا المعاصر الى عاملين : ١ ــ هدف عادل يمكن طرحه داخليا وخارجيا واكتساب التعاطف الداخلي والعالمي معه ، ٢ ــ قوة مادية ومعنوية قادرة على تحقيق هذا الهدف . وكانت مصر وسورية تملكان الهدف العادل الذي تؤيده الجماهير العربية ويقر بعدالته الرأي العام العالمي الذي عجز عن اجبار اسرائيل المدعومة من قبل الولايات المتحدة على الانسحاب من الاراضي المحتلة . ولم يكن عليهما سوى اعداد القوة اللازمة للتحرير ، والتحول من العقيدة العسكرية الدفاعية الى العقيدة العسكرية الهجومية . ولقد تم الاعداد باناة ودقة وصمت وراء ستار من التغطية السياسية والدبلوماسية الحاذقة . وشهد الجيشان المصري والسوري أكبر تحول شهداه منذ عام ١٩٤٩ في مجالات التسليح والتدريب والعقيدة الحربية . وعندما توفرت الظروف الملائمة وتكاملت قوة « القبضة » انطلق « الذراع » مسددا للعسكرية الاسرائيلية اخطر ضربة مادية ومعنوية شهدتها في تاريخ الصراع العربي ــ الاسرائيلي.

وكانت المفاجأة مذهلة صاعقة بالنسبة للاسرائيليين والامريكيين والعالم أجمع . ومن المؤكد ان الاستخبارات الامريكية والاسرائيلية قد لاحظت تحشدات المصريين والسوريين التي تمت في مطلع شهر تشرين الاول كرد على تحشدات الاسرائيليين على الحدود

الشمالية للقيام بضربة محدودة ضد سورية*، اذ ان من المستحيل في العصر الحاضر اخفاء تحركات القوات الكبيرة وما تملكه من آليات ومعدات خاصة اذا كان الخصم يملك اقمار تجسس وطائرات تجسس مزودة بأحدث اجهزة التصوير .

ولقد اعترف هنري كيسنجر في المؤتمر الصحفي الذي عقده في ١٤/١٠ ان حكومته كانت على علم بالحشود العسكرية المصرية والسورية على خطوط الجبهة . الا ان الاستخبارات الامريكية والاسرائيلية اعتبرتها جزءا من مناورات الخريف التي تقوم بها القوات المعنية عادة . كما ذكر ان جهازي الاستخبارات الامريكي والاسرائيلي قدما ثلاثة تقارير مفصلة خلال الاسبوع الذي سبق اندلاع القتال اجمعت كلها على استبعاد الحرب كليا .

ومن هنا نستنتج ان سبب المفاجأة التي أصابت العدو لم تكن نقص المعلومات بل سوء تحليل هذه المعلومات . ويرجع هذا الامر الى الاسباب التالية : ١ ــ اعتقاد الاسرائيليين بأن النظامين المصري والسوري عاجزان عن اتخاذ قرار الحرب ومهتمان بمجابهة معضلاتهما الداخلية ، ٢ ــ اعتقاد قادة تل أبيب ان الجيشين السوري والمصري لم يستعدا الاستعداد الكافي لشن معركة هجومية ناجحة ضد قواتهم المتمركزة في مواقع محصنة في الجولان وفي خط بارليف المنيع على قناة السويس ، ٣ ــ جهل تل أبيب بالتحول المعنوي الكبير الذي أصاب معنويات القوات المصرية والسورية وتخلص هذه القوات من تأثيرات الردع السلبية التي نجمت عن حرب ١٩٦٧ ، ٤ ــ اعتقاد الاسرائيليين بأن العرب لن يبدأوا القتال في ظل علاقاتهم المتوترة مع الاتحاد السوفياتي وطالما ان الجبهة الشرقية لم تنشأ بعد وطالما ان الجيش العراقي لا يزال في تكناته داخل حدود العراق ، ٥ ــ الثقة المطلقة بقدرة الطيران الاسرائيلي على صد كل هجوم وابطاء تقدمه على الاقل ريثما تدخل القوات البرية الضاربة المعركة وتدمر المهاجمين وتطاردهم وراء حدودهم ، ٦ ــ الخطأ في تفسير النشاط الدبلوماسي العربي ، والاعتقاد بأن العرب يراهنون على هذا النشاط للحصول على حل سلمي مع بعض التنازلات الاقليمية ، ٧ ــ الحالة الذهنية التي تشكلت لدى زعماء اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ وما نجم عنها من غرور وغطرسة واعتقاد بالتفوق المطلق ، ٨ ــ ايمان الاسرائيليين بقدرة استخباراتهم التي لا تخطىء في جمع المعلومات او تحليلها .

ويمكن القول أن انتصار اسرائيل السهل في عام ١٩٦٧ كان اكبر اعدائها واخطر ما تعرضت له في حياتها ، لانه كان مثالا عن النصر الذي ينتهي بصاحبه الى القبر . ويلاحظ من يراجع تصريحات قادة العدو بعد حرب ١٩٦٧ انهم يبنون كل خطتهم العسكرية على محورين : ١ ــ حماية خطوط وقف اطلاق النار بطريقة تمنع العرب من التفكير بتحطيمها بقوة السلاح ، ٢ ــ خلق قوات مسلحة ضاربة قوية (طيران ومدرعات) قادرة على ردع العرب ومنعهم من استخدام القوة ، وتدميرهم في حالة تجرؤهم على خرق اتفاقات وقف القتال . ولقد كان هذا المفهوم العسكري الفخ الاستراتيجي الاكبر الذي نصبه الاسرائيليون لانفسهم ثم وقعوا فيه . وسنرى خلال التحدث عن سير العمليات كيف

---

* كانت الضربة الاسرائيلية المحدودة تستهدف : ١ ــ منع قيام الجبهة الشرقية عن طريق تدمير القوات المسلحة السورية وردع الاردن عن الدخول في تحالفات عسكرية تعرضه لضربات مماثلة ، ٢ ــ قطع الاتصال الجغرافي بين الجبهة الشمالية وأية جبهة شرقية محتملة ، ٣ ــ خلق تناقض بين سورية والاتحاد السوفياتي ، ٤ ــ خلق تناقض بين القاهرة ودمشق اذا ما تمت الضربة قبل ان يتدخل الجيش المصري بشكل فعال ، ٥ ــ قطع الطريق امام اي تقارب سوري ــ عراقي ، ٦ ــ حرمان الثورة الفلسطينية من أي دعم سوري .

وقع جنرالات اسرائيل في افخاخ أخرى نصبوها لانفسهم في مجالي التنظيم والعمليات .

العمليات على الجبهة السورية

يمكن تقسيم العمليات التي دارت على هذه الجبهة منذ بدء القتال حتى وقف اطلاق النار الى ثلاث مراحل : مرحلة الهجوم العربي ، ومرحلة الهجوم المعاكس المعادي ، ومرحلة توازن الجبهة .

بدأت المرحلة الاولى في يوم ٦/١٠ باندفاع القوات السورية والمغربية ووحدات جيش التحرير الفلسطيني من قواعد انطلاقها في شرقي الجولان وغربي حوران . وتقدمت هذه القوات نحو مواقع العدو على طول خط وقف اطلاق النار تحت غطاء من نيران المدفعية والصواريخ . ولقد تركز الهجوم على ثلاثة محاور : ١ ــ المحور الرئيسي : وهو المحور الاوسط حيث حقق السوريون خرقين اساسيين ، يتجه اولهما على محور خان ارنبة ــ الحميدية ــ طريق القنيطرة ــ مسعدة ويطوق القنيطرة من الشمال . والثاني يكمل الطوق حول القنيطرة من الجنوب . وكانت غاية هذا الهجوم محاصرة القوات المعادية الموجودة في القنيطرة وتدميرها ، والتحرك بعد ذلك غربا على محورين . القنيطرة ــ واسط ــ قنبعة ، والقنيطرة ــ كفرنفاخ ــ صنابر . ٢ ــ المحور الشمالي : وهو محور ثانوي يخرق الجبهة في اتجاه مجدل شمس ــ مسعدة ــ بانياس . وكان من المنتظر تحرك جزء من هذا المحور نحو الجنوب على طريق مسعدة ــ واسط العرضاني لمشاركة قوات القطاع الاوسط المنطلقة من واسط باتجاه الشمال لتطويق قوات العدو الموجودة بين الطريق العرضاني ــ مسعدة ــ واسط ، وخط وقف اطلاق النار . ٣ ــ المحور الجنوبي : وهو محور ثانوي يخرق الجبهة عند الرفيد وينقسم الى فرعين . فرع يتجه شمالا على محور الرفيد ــ تل فرس ــ الفرارة ــ القنيطرة لتطويق القوات المحصورة بين الخط الامامي وطريق الرفيد ــ القنيطرة . وفرع يتجه نحو الجنوب الغربي على طريق الرفيد ــ الجوخدار ــ فيق ــ كفرحارب ــ الحمة ، بالاضافة الى ضربة تتجه من تسيل في اتجاه طريق الرفيد ــ فيق لقطع مواصلات قوات العدو في الجوخدار .

ولقد حققت هذه الهجمات نجاحات واضحة في الايام الاربعة الاولى . وخرقت دفاعات العدو واندفعت في العمق محررة اجزاء كبيرة من الجولان . وبدا في نهاية هذه المرحلة ان دفاعات العدو قد سقطت وان مدينة القنيطرة غدت بيد القوات السورية . ولقد كشف الرئيس السوري الفريق حافظ الاسد في خطابه (١٥ ــ ١٠ ــ ٧٣) العمق الذي تغلغلت اليه القوات السورية خلال هذه المرحلة ، ومدى النجاحات التي حققتها القوات العربية على جميع المحاور . وكان اتمام تنفيذ خطة المرحلة الاولى بأكملها يهدف الى تطويق الجزء الاكبر من القوات المعادية المدافعة وابادتها ، ودفع الاسرائيليين الى المنحدر المعاكس الامر الذي يسمح بدحرهم ومطاردتهم .

وفي اليوم الخامس للقتال أنهى العدو جمع احتياطات مدرعة قوية وركز ثقل قواته الجوية على الجبهة السورية ، وانتهت المرحلة الاولى وبدأت المرحلة الثانية . وكانت خطة العدو في هذه المرحلة مرتكزة على النقاط التالية : ١ ــ محاولة استعادة السيطرة الجوية مهما كلف ذلك من خسائر ، وذلك عن طريق قصف المطارات وتدمير قواعد الصواريخ أرض ــ جو ومهاجمة المطارات ، ٢ ــ القيام بعمليات قصف جوي وبحري ضد اهداف استراتيجية ومنشآت حيوية وضرب المناطق السكنية للتأثير بشكل غير مباشر على معنويات المقاتلين ، ٣ ــ القيام بعمليات تشتيتية بحرية على الساحل السوري لاجبار السوريين على سحب جزء من قواتهم الاحتياطية وتجميدها لمجابهة احتمالات الخطر الذي يمكن ان يأتي من البحر ، ٤ ــ شن هجوم معاكس استراتيجي

على طول الجبهة السورية قبل وصول الجزء الاكبر من القوات العراقية البرية والجوية الى مسرح العمليات .

وكانت معارك اليوم السادس ١٠/١١ من اعنف معارك الهجوم المعاكس الاستراتيجي المعادي . ولقد حقق هذا الهجوم عددا من النجاحات على المحاور الثلاثة. وكان جهد العدو الرئيسي مركزا على المحورين الشمالي والاوسط نظرا لانهما ينفتحان على الطرق المؤدية الى دمشق ، وكان الاسرائيليون يستهدفون من التقدم نحو دمشق استغلال هذا التهديد اعلاميا ونفسيا ، والتقدم الى المدى الذي يسمح لهم ، على الاقل، بقصف العاصمة بالمدفعية بعد ان عجز الطيران عن تحقيق هذا القصف بسبب قوة الدفاعات الارضية ضد الطائرات .

وفي نهاية يوم ١١ بدا بوضوح ان العدو قد نجح على القطاع الشمالي اكثر من أي مكان اخر وانه ينوي استغلال هذا النجاح في اليوم التالي . وبالفعل حاولت تحشدات العدو المدرعة المدعومة بالطيران تركيز جهودها في اليومين التاليين على المحور الشمالي لاستغلال الخرق ومتابعة التقدم . وكان التقدم على هذا المحور بسرعة يعني تهديد دمشق من جهة وتطويق القوات السورية المقاتلة على المحور الاوسط من جهة أخرى .

ولقد اعتقد الاسرائيليون ، بعد صد الهجوم السوري في القطاع الشمالي وتجاوز خط وقف اطلاق النار ، انهم سينتقلون بعد الخرق الى حرب الحركة التي تبنوا عقيدتها وطبقوها بنجاح في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . ولكن اعتقادهم كان مبنياً على فهم خاطىء لحقائق الحرب الرابعة وموازين قواها على أرض المعركة . فلقد جابههم دفاع قوي عززه قدوم قطعات عراقية . وكان الدفاع السوري مبنيا على صفحة لا على خط ، وهذا يعني ان خرق الموقع الامامي لا يقدم امكانية الاندفاع في أرض خالية من الدفاعات، كما ان موازين القوى وضخامة الحشد العربي يعني ان التقدم سيصطدم بقوات احتياطية مجهزة لشن الهجمات المعاكسة على جميع المستويات . بالاضافة الى عامل هام هو عدم قدرة الطيران الاسرائيلي على تحقيق السيطرة الجوية التي تعطيه تفوقا بريا ساحقا ، واضطرار القوات المتقدمة الى العمل على أرض وعرة صخرية محدودة المسالك لا تسمح بالمناورة الالية ولا تعطي القوات المدرعة والميكانيكية فرصا جيدة لاستغلال امكاناتها الحركية .

واصطدم الهجوم الاسرائيلي بالفعل بدفاعات قوية ورمايات مدفعية وصواريخ كثيفة . ولم يستطع الطيران تأمين الدعم الجوي اللازم للتقدم كما لم يستطع اسكات بطاريات المدفعية التي نصبت امام العدو سدودا نارية قوية . وطبقت القوات السورية — العراقية اساليب الدفاع الديناميكي وشنت هجمات معاكسة شديدة كسرت حدة الهجمات المعادية واوقفتها على جميع المحاور . وفي ١٠/١٤ انتهت المرحلة الثانية وتوازنت قوى الطرفين واختفت امكانات التقدم نحو دمشق ولم يعد لدى الاسرائيليين أي أمل بتحقيق مفاجأة استراتيجية .

ويظهر خط الجبهة في المرحلة الثالثة متعرجا متشابكا تصطدم فيه المدرعات والمشاة الميكانيكية والمدفعية فوق أرض وعرة مكشوفة تصلح لقتال المشاة والمدفعية اكثر من صلاحيتها لقتال القوات المتحركة الالية (دبابات ومشاة ميكانيكية) . ويرجع سبب تعرج خط الجبهة وتداخل قطعات الطرفين الى ان الهجمات السورية الاولى حققت النجاحات في مختلف القطاعات ، ثم جاءت الهجمات المعاكسة الاسرائيلية لتحقق بعض النجاح على القطاعين الشمالي والاوسط ثم هاجم السوريون والعراقيون في الايام التالية مواقع العدو ورد العدو بهجمات معاكسة . ولا يزال الوضع على هذا الحال منذ يوم ١٠/١٤ . ويحاول كل طرف من الطرفين تحسين وضع مواقعه باحتلال مرتفع او

بطرد قوة من مكان حاكم او خط يصلح للـدفاع او الانتشار . وتجـري طوال النهـار مبارزات بين بطاريات مدفعية الميدان (رمي معاكس البطاريات) ومبارزات بين مدافع الدبابات دون ان تقوم هذه الدبابات بحركات واسعة . وتشترك في هذه المبارزات غالبا بطاريات المدافع والصواريخ الموجهة المضادة للدبابـات . ويعتمـد السوريون عـلى استخدام بطاريات صواريخ ساغر الموجهة السوفياتية الصنع كما يعمد الاسرائيليـون الى استخدام بطاريات س.س ـ ١١ الفرنسية الصنع التي فرضت الحكومة الفرنسية عليها حظرا ومنعت شحنها الى منطقة الصراع. ويمكن اعتبار المرحلة الثالثة التي بقيت حتى وقف اطلاق النار مرحلة استنزاف يستطيع السوريون البقاء فيها امدا طويلا على حين لا يستطيع الاسرائيليون البقاء فيها وتجميد قواتهم واستنزافها وحرمانها من حرية العمل دون ان يحقق هذا الحشد اي حسم ، خاصة وانهم اضطروا الى نقل جزء من قواتهم لتعزيز الجبهة الجنوبية .

ومن ابرز مظاهر هذه المرحلة زوال سيطرة الطيران الاسرائيلي وزيادة نشاط الطيران السوري ـ العراقي الـذي يشارك مشاركة فعلية في دعـم القوات البريـة وضرب تحشدات العدو ومواقع اسلحته الثقيلة . ويرجع الفضـل في هذا الوضـع الى شدة الدفاعات الارضية المضادة للطائرات واضطرار العدو الى نقل معظم طيرانه الى الجبهة المصرية التي اخذت القوات المحتشدة فيها حجما هجوميا .

ويمكن ان نطلق على القتال الدائر في الجبهة السورية اسم « تناطح الاكباش » فهو ضربات متبادلة متعاقبة ذات اغراض محدودة . ويحشد السوريون خلال هذا التناطح قوات احتياطيـة ، وينتظـرون وصول قوات عراقية جديدة ، ويأملـون ان يضطـر الاسرائيليون الى تخفيف عدد قطعاتهم على هذه الجبهة لتدعيم الجبهة المصرية . فـاذا ما تحققت كل هذه الشروط او بعضها بشكل يبدل ميزان القوى لصالحهم عادوا مـن جديد الى الهجوم وحرب الحركة . ولا يراهن الاسرائيليون على وصول قوات جديـدة طازجة . ولكنهم يراهنون على وصول معدات وذخائر تعوض خسائرهم وتجعلهم اكثر قدرة على الصمود في معارك الاستنزاف . ويأملـون في الوقت نفسه ان لا يضطرهـم ميزان القوى على الجبهة المصرية الى سحب جـزء من قواتهم ودفعهـا الى صحراء سيناء .

ومن المؤكد ان العبء الاكبر على الجبهة السورية يقع في هذه المرحلـة على عاتـق السوريين والعراقيين . وتقوم الوحدات المغربية وقوات جيش التحريـر الفلسطيني بدورها القتالي على أكمل وجـه ضمن قطاعات عمل القطعـات الكبرى السورية ـ العراقية العاملة في القطاعين الشمالي والاوسط . اما الوحدات الاردنية والسعوديـة فهي تعمل على المحور الثانوي (الجنوبي) .

العمليات على الجبهة المصرية

مرت المعارك على الجبهة المصرية بخمس مراحـل متميزة : مرحلـة عبور القناة ، ومرحلة الحفاظ على الجسور، ومرحلة توسيع رؤوس الجسور وصد الهجمات المعاكسة، ومرحلة التقدم باتجاه الشرق ، ومرحلة الهجوم المعاكس الاستراتيجي المعادي .

قام المصريون في المرحلة الاولى بعبور القناة واقتحام خط بارليف الحصين عن طريق استخدام قوات الكوماندوز المنقولة بقوارب مطاطية ووحدات من الدبابات البرمـائية والعربات المدرعة البرمائية والمهندسين عبرت القناة تحت ستارة كثيفة من نار المدفعية، ورافقها في الوقت نفسه ابرار قوات محمولة بالهليكوبتر وراء خط بارليف لمهاجمته مـن

الخلف وقطع طرق انسحابه وخطوط مواصلاته وعرقلة تقدم الاحتياطات اذا ما شاءت التقدم لنجدته . ولقد تمت هذه المرحلة بنجاح وسرعة ووتيرة عالية ولم يتمكن الطيران المعادي من التدخل فيها لان وسائط الدفاع ضد الطائرات (مقاتلات معترضة ، وصواريخ أرض — جو ، وبطاريات مدفعية مضادة) طردته من اجواء مسرح العمليات . ولم تستطع القوات الاحتياطية التدخل لان المدفعية المصرية شلت حركتها والحقت بها الكثير من الخسائر . وانتهت المرحلة الاولى ببناء جسور عائمة لمرور الدبابات والمشاة الميكانيكية والمدفعية اللازمة لتدعيم رأس الجسر وتوسيعه .

وبدأت المرحلة الثانية في اليوم التالي عندما حاول العدو استخدام الطيران والمدفعية لقطع الجسور وعزل القوات التي عبرت الى الضفة الشرقية بغية تدميرها . وكانت هذه المرحلة مبارزة عنيفة بين الطيران المعادي ووسائط الدفاع الجوي المصرية . وانتصرت وسائط الدفاع بشكل مذهل . ويذكر مراسل نيوزويك الذي شهد معركة الحفاظ على الجسور في الايام الاولى للحرب ان ٣ طائرات من كل خمس طائرات اسرائيلية حلقت فوق منطقة القناة سقطت بفعل وسائط الدفاع الجوي . وان هذه الطائرات اضطرت الى القاء قنابلها من ارتفاعات عالية الامر الذي خفض نسبة اصابتها الى حد بعيد . ولقد عجزت المدفعية الاسرائيلية بعيدة المدى عن ضرب الجسور لان الدفاعات الجوية لم تسمح بتحليق طائرات الهليكوبتر الخاصة بملاحظة الرمايات وتصحيحها . وكانت قنابل المدفعية تسقط بعيدة عن الجسور بما لا يقل عن ٢٠٠ متر . ومن المعروف ان المدفعية الاسرائيلية لا تملك سوى عدد محدود من المدافع بعيدة المدى ذاتية الحركة من طراز م — ١٠٧ (عيار ١٧٥ مم) والتي يبلغ مداها ٣٢ كيلومترا نظرا لان العدو بنى تكتيكات الدعم الناري اساسا على القوات الجوية التي شلتها الدفاعات الارضية بشكل ملحوظ .

وتمثلت المرحلة الثالثة بتدفق القوات المصرية عبر الجسور لتدعيم رؤوس الجسور وتوسيعها . ولقد بدأت هذه المرحلة بتطهير كافة مواقع العدو على خط بارليف . وكان العدو يحاول مهاجمة رؤوس الجسور بقواته الاحتياطية التي جمعها على عجل وأخذ يدفعها الى مسارح العمليات « بالتقسيط » دون ان يشكل منها قوات كبيرة قادرة على تسديد ضربات ساحقة . ونجم عن ذلك امتصاص رؤوس الجسور لهذه الضربات وصدها ومتابعة التقدم وتعزيز المواقع . وكان لعدم قدرة العدو على استغلال السيطرة الجوية تأثير كبير على سير العمليات البرية لان القوات البرية المعادية كانت تقاتل في ظروف غير مألوفة بالنسبة لها . فقد اعتادت القتال تحت حماية جوية كاملة كما اعتادت تلقي دعم ناري جوي يعوض نقص قوة نيران مدفعيتها . ولما وجدت نفسها تقاتل في ظروف عادية وتحت سماء « غير نظيفة » تعثرت هجماتها ولم تعد قادرة على تنفيذ تكتيكاتها بشكل باهر .

وبدأت المرحلة الرابعة في ١٣/١٠ عندما عززت رؤوس الجسور مواقعها وعبرت الى الضفة الغربية قوات مدرعة ومشاة ميكانيكية ومدفعية بحجم هجومي قادر على التغلغل في عمق سيناء . وتحولت رؤوس الجسور الى جيوب واسعة في المناطق الواقعة شرقي القنطرة وشرقي الاسماعيلية وشرقي الشط . ويعتبر الجيب الاول قاعدة للانطلاق على المحور الشمالي قنطرة شرق — العريش ، ويعتبر الجيب الثاني قاعدة للانطلاق على المحور الاوسط الاسماعيلية — جفجافة — ابو عويقلة (ويدعوها البعض ابو عجيلة) . ويعتبر الجيب الثالث قاعدة للانطلاق على المحور الجنوبي الشط — ممر متلا — صدر الحيطان والذي يتفرع بعد ذلك الى محورين يتجه احدهما نحو القسيمة كما يتجه الاخر الى الكنتلا والى ايلات .

وتتميز هذه المرحلة بتقدم المصريين نحو الشرق بحذر وثقة دون التورط بالابتعاد عن مدى حماية الصواريخ المضادة للطائرات ، ودون اطالة المواصلات بشكل يخلق لهـا معضلات لوجيستيكية (ادارية) حادة . وتتقـدم القوات المصرية مستخدمة أسلـوب « الهجوم الدفاعي » مقابل أسلوب « الدفاع الهجومي » المعادي ويتمثـل الاسلـوب المصري بالتقدم بحجم هجومي وتحصين الارض المستولى عليها بشكل يجتذب هجمات العدو المعاكسة ويدمرها دون ان يسعى الى مطاردتها او يخضـع لاغـراءات التقدم السريع العميق الذي يعرضه للاخطار الجوية في أرض جرداء . وما ان يتم تحصـين المناطق المحتلة حتى تتقدم « المدحلة الساحقة » وثبة اخرى تحتل بها مناطق جديـدة وتدمر قوات جديدة .

ويستخدم العدو مقابل هذا الاسلوب اسلوبـا قتاليا يتمثـل بالهجمات المعاكسـة المستمرة النشطة دون الاهتمام بالخسائر التي تلحق بهم ودون تحقيـق اي تبديـل في موازين القوى . ولقد استخدم الالمان هذا التكتيك على الجبهتين الشرقية والغـربية في اخر مراحل الحرب العالمية الثانية . وابرز مثال عليه معركة الاردين الثانية (كـانون الاول ١٩٤٤) وبددوا من جراء ذلك كثيرا من القوات التي كان بوسعهم استخدامهـا للدفاع عن الاراضي الالمانية وحماية برلين بشكل افضل واطالة مدة دفاعهم سنة كاملة على الاقل .

ولقد جرت معـارك هذه المرحلة في المنطقـة المحصورة بين المرتفعات ورؤوس الجسور . وهي منطقة واسعة منبسطة صالحة لقتال القطعات المدرعة الكبيرة. وحاول المصريون فيها استنزاف القوات الاحتياطية الاسرائيلية قبل اقتحام المرتفعات والممرات. على حين حاول الاسرائيليون فيها منع تقدم المصريين وتقليص رؤوس جسورهم او اجبارهم على الوقوف في المواقع التي وصلوا اليها ريثما تصل الامدادات الاميركيـة المنتظرة. وتمتاز خطة المصريين بأنها تؤمن الحشد والحفاظ على القوى واجبار العدو على القتال على الارض التي يختارونها ويرون انها تقدم لهم افضل الشروط. فهم يقاتلون غربي المرتفعات على أرض قريبة من قواعد امدادهم وتموينهم وتحت حماية صواريخهم المضادة للطائرات على حين يقاتل الاسرائيليون في منطقة بعيدة عن قواعـد امدادهـم وتموينهم . وتضطر قوافل قواتهم الاحتياطية وقوافل امدادهم الى المرور عبر ممـرات اجبارية معرضة للضرب بالطائرات .

ولقد اتسمت معارك هذه المرحلة بالعنف والشراسة وضخامـة القوات المشتركـة فيها وضخامة القوة النارية لدى الطرفيـن . اذ اشرك المصريـون الجزء الاكبر مـن دباباتهم ومشاتهم الميكانيكية في القتال كما نقل العدو الى مسرح العمليات المصري معظم قواته البرية ودفع القسم الاكبر من قواته الجوية لدعم القوات البرية وقصف الاهداف الاقتصادية والمطارات والتجمعات السكانية داخل الاراضي المصريـة . ومن ابـرز التكتيكات التي طبقها المصريون في هذه المرحلة والمرحلة التي سبقتها استخدام القوات المحمولة جوا وانزالها من المظلات على نطاق واسع وراء خطوط العدو لازعاجها وقطع مواصلاتها .

وفي يوم ١٠/١٦ انتهت المرحلة الرابعة وبدات المرحلة الخامسة . اذ بينما كـانت القوات المصرية المحتشدة شرقي القناة تتقدم باتجاه الشرق وتصد الهجمات المعاكسة المتتالية انطلق الهجوم المعاكس الاسرائيلي الكبير نحو الجيب الذي حققه المصريون على القطاع الاوسط . ورافق هذا الهجوم قيام قوة خاصة من المدرعات البرمائية بالتسلل بين الجيبين المصريين الاوسط والجنوبي ، والعبـور من البحيـرات المرة الى الضفة الغربية للقناة ، وخلق رأس جسر على هذه الضفة .

ولقد دعم العدو هذه القوة بمدرعات ومدفعية نقلها على عبارات بالاضافة الى وحدات محمولة جوا نقلها بالهليكوبتر . ثم أمن لها نقاط عبور (جسور) على القناة وبدأ تعزيزها بالمعدات القتالية الثقيلة .

وكانت خطة العدو تتمثل بتدمير جيب القطاع الاوسط بهجوم بري وجوي قوي تشترك فيه قوات احتياطية كبيرة ، في الوقت الذي تقوم به القوة الخاصة بتهديد طريق مواصلات هذا الجيب وجسوره ، وتدمير مرابض مدفعيته ومقرات قيادته وقوافل تموينه وامداده . ومن المؤكد ان المهمة الرئيسية كانت ملقاة على عاتق الهجوم المعاكس البري على الضفة الشرقية أما القوة الخاصة فلم تكن تستهدف سوى ازعاج المؤخرة . ولقد سلط عليها العدو اضواء دعائية اكبر من حجمها لاسباب نفسية وسياسية (داخلية وخارجية) .

ورد المصريون على هذه الخطة بالتدابير التالية : ١ ــ صد الهجوم الاسرائيلي على القطاع الاوسط وتدمير القوات المهاجمة ، ٢ ــ تطويق القوة الخاصة والعمل على تدميرها بواسطة قوات الاحتياط الاستراتيجي الموجودة على الضفة الغربية بالتعاون مع سلاح الطيران ، ٣ ــ قصف ممرات التسلل بالمدفعية والطيران ، ٤ ــ مهاجمة الطرف الشرقي لمنطقة التسلل بقوات مدرعة وميكانيكية تنطلق من الجبهة الشرقية لقطع امداد القوة الخاصة . واستمرت المعركة على الضفتين سبعة ايام (من ١٠/١٦ حتى ١٠/٢٢) تم خلالها حصر القوة الاسرائيلية الخاصة على الضفة الغربية ومنع تقدمها وبدأت القوات المصرية تصفيتها ، ولكن المعركة الاساسية على الضفة الشرقية لم تحسم رغم الخسائر التي تكبدها العدو الاسرائيلي على أرض سيناء .

*

وبتوقف اطلاق النار تنتهي مرحلة ساخنة من مرحلة حوار الارادات بين العرب واسرائيل . انها الحرب الرابعة ، حرب العرب . ولقد ارادها العدو حربا خاطفة يدمر فيها الجيوش العربية خلال ايام ويجرد العرب من درعهم ويفرض عليهم الركوع في ظل « السلم الاسرائيلي » وارادها العرب حربا طويلة تستنزف العدو ماديا ومعنويا حتى تحطم قواه العسكرية وتخضعه لارادتها السياسية وتحرر الارض العربية وتعيد الحق لاصحابه الشرعيين ، بيد ان حساسية المنطقة وضخامة المصالح العالمية فيها ،وخطورة تطور الصراع جعلت الدولتين العملاقتين تتدخلان لايقاف القتال شريطة انسحاب العدو الاسرائيلي من الاراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ . وقبلت اسرائيل قرار الامم المتحدة المبني على اقتراح سوفياتي ــ أمريكي شريطة تطبيق القرار ٢٤٢ وفق تفسيرها. وقبلت مصر وسورية وقف اطلاق النار . فاذا لم يكن في الامر لعبة امريكية ــ اسرائيلية جديدة . فان قبول تل ابيب لهذا القرار يعني من جملة ما يعني خضوع اسرائيل للهدف السياسي الذي قبلته مصر من قبل ، واضطرارها لان تنفذ والمسدس في صدغها ما لم تستطع المساعي السياسية اجبارها على تنفيذه خلال ستة أعوام . وبهذا تتم مرحلة تصفية آثار العدوان التي تعتبرها جماهيرنا المناضلة خطوة على طريق التحرير الشامل لكامل تراب الوطن المغتصب .

٤ ــ الثورة الفلسطينية في المعركة

لقد رسم تناقض معطيات الواقع العربي في الفترة التي سبقت الحرب أمام الثورة الفلسطينية صورة مستعصية التفسير . فمن جانب كانت **تحليلات** الثورة المنصبة على عناصر الوضع العربي ومعها **حسابات** جميع القوى التقدمية في المنطقة تستنتج ان جو

السعي وراء الحل « السلمي » لازمة الشرق الاوسط المسيطر على العالم العربي يجعل احتمال فتح الجبهات العربية النار على العدو امرا في حكم المستحيل . وفي الجانب الآخر كانت ثمة **مؤشرات** تشير بوضوح الى ان الجو المحيط بجانبي خط وقف اطلاق النار كليهما كان جوا صنع قرار القتال . ومن هنا ولتعارض التحليل مع المؤشرات شرعت تظهر في أفق الثورة الفلسطينية تفسيرات شتى لجوانب الصورة وملامحها، كانت في كل مرة تصطدم بجدار من التشاؤم والتخوف مبنيين على جملة من التساؤلات اثيرت بارتياب عن أهداف الحرب ، ان حدثت ، وابعادها الحقيقية ، وعما اذا كانت فعلا منزهة عن غرض لا ينبع من ارضية المنطقة العربية نفسها وعما اذا لم يكن يخالطها بعد تسوية ، آفاقها أوسع واشمل من آفاق المتصارعين المباشرين ويدخل في نطاقها اعادة النظر في ترتيب قضايا العالم بما ينسجم مع سياسة الوفاق الدولية التي سيطرت هواجسها على قطاعات واسعة في اوساط الثورة . وكان يعزز هذه التساؤلات عامل رديف انبثق مع الهزيمة السياسية والايديولوجية التي منيت بها اسرائيل في فينا والتي عانت منها في الاساس قضيتان تبني عليهما اسرائيل مبرر وجودها نفسه : الاولى قضية الهجرة اليهودية اليها والثانية مسألة ولاء اليهودي حيثما كان هذا اليهودي الى « الوطن — ارض اسرائيل » هذا الولاء الذي طعن في الصميم عندما تصرف كرايسكي ، مستشار النمسا ، وهو اليهودي المذهب ، بما ينسجم مع مصلحة وطنه الحقيقي (النمسا) مخالفا متطلبات « الولاء الصهيوني » . نتيجة هذه الهزيمة السياسية — الايديولوجية بدت توقعات تشير الى ان اسرائيل ستقدم على عمل كبير ليس بقصد « الانتقام والردع » هذه المرة وانما بهدف فرض حل نهائي بالقوة ، وقد عززت هذه التوقعات الحشود الضخمة التي قامت بها اسرائيل على الحدود السورية . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان مسألة توازن القوى بين المعسكرين العربي والاسرائيلي كان ينظر اليها دائما بالنظرة نفسها التي صنعتها هزيمة ١٩٦٧ نجد ان التشاؤم الذي ساد اوساط الثورة الفلسطينية في الايام القليلة التي سبقت الحرب كان مبررا وقابلا للتفسير . غير ان ساعات ما قبل الحرب حملت لقيادة الثورة ما ينفي هواجسها عندما تأكد لدى هذه القيادة ان زمام المبادرة سيكون في هذه الجولة في اليد العربية . وقد جاء هذا التأكيد — كما تردد — من خلال اطلاع قيادة الثورة على توقيت المعركة واهدافها ودعوتها الى المشاركة في صنع قراراتها وتحمل جزء من واجباتها القتالية . من هنا لم تفاجىء الحرب الثورة الفلسطينية ، وكان النداء الذي وجهه الاخ ابو عمار الى « الاخوة المقاتلين داخل الاراضي المحتلة وخارجها » في الدقائق الاولى التي أعقبت اندلاع الحرب دليلا على ان قيادة الثورة كانت مدركة ماهية هذه الحرب التي نشبت وآفاقها . فقد اعتبر ابو عمار ان تلك كانت « لحظات حاسمة من تاريخ شعبنا وأمتنا » ، وحدد لقوات المقاومة دورا ينسجم مع متطلبات حرب كبيرة تتطاحن فيها جيوش اكثر منه دورا يتصدى لمجرد « عدوان واشتباكات حدود » . كان الدور كما رسمه ابو عمار كما يلي : « ان المزيد من الضربات لخطوط مواصلات العدو ومراكز تجمعاته ومرافقه الحيوية داخل الارض المحتلة وحدودها امر هام وحاسم » .

ومع قرار الحرب وممارستها على الجبهتين المصرية والسورية تحطمت من أمام الثورة الفلسطينية عقبات كانت تشل توجهها نحو تصعيد نضالها في ارضها وقدرتها على ممارسة هذا النضال بكل الزخم المرصودة له هذه الثورة . فغليان **المواجهة المصيرية** الذي امتد لهبه من جبهة القتال المباشرة الى ارجاء الوطن العربي جميعا أسقط جميع التحفظات من جهة وشل من جهة اخرى جميع الموانع التي أقعدت الثورة عن تصعيد عملها المسلح وتطويره في المرحلة التي سبقت الحرب . وهكذا وجدت الثورة

نفسها من جديد قادرة على تحمل مسؤولياتها كاملة ووضعتها الظروف الجديدة التي خلقتها الحرب امام ثلاثة ميادين ولجتها الثورة فعلا بكفاءة : الميدان الاول كان المشاركة الفاعلة المؤثرة مع الجيوش العربية على مسرح عمليات هذه الجيوش نفسه ، والميدان الثاني فتح مع انهيار الحواجز التي حالت بين قوات الثورة المتمركزة في الجنوب اللبناني واداء واجبها النضالي في شمالي فلسطين ، اما الميدان الثالث فكان مسرحه فلسطين كلها مارست فيه قوات الثورة انماطها القتالية التي سبقت الحرب بشكل متطور متصاعد ومكثف .

الميدان الاول كان جديدا بالنسبة للثورة استحدثه هذا الواقع الجديد المتمثل في خوض الجيوش العربية حربا نظامية على طول الجبهتين المصرية والسورية . لقد كانت هذه تجربة جديدة تماما خاضتها الثورة في عملها بتنسيق تكتيكي مع الجيوش النظامية او تحملها جزءا من واجبها الموكول اليها او نشاطها خلف خطوط العدو . ولا ينفي حداثة هذه التجربة ان الثورة (فتح بالتحديد) أعلنت في عدد من بلاغاتها العسكرية في اثناء حرب حزيران ١٩٦٧ انها عملت خلف خطوط العدو بينما كانت الجيوش العربية تقاتل معاركها النظامية . غير ان تلك كانت تجربة جنينية لم يكتب لها بسبب هزيمة ١٩٦٧ السريعة النضج والاثمار . ولكن على الرغم من حداثة التجربة وعدم وضع الثورة في حسابها — نتيجة الافكار التي سادت قبل الحرب — ان تخوض مثل هذه التجربة ، فقد اثبتت عملياتها ليس كفاءتها فحسب وانما جدواها كذلك . وتقول بلاغات الناطق باسم القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية ان جهد الثورة في هذا الصدد متشعب النشاطات ، فمن الجهة الاولى أخذت بعض المجموعات مهمات قتالية الى جانب الجيوش العربية المشتركة في الحرب ، وتشير اوساط الثورة الى فاعلية هذه المجموعات بشكل خاص على الجبهة السورية ، وذكر الاخ زهير محسن ، رئيس الدائرة العسكرية في منظمة التحرير الفلسطينية ، ان وحدات من جيش التحرير الفلسطيني قاتلت على الجبهتين الى جانب القوات المصرية والسورية بشجاعة فائقة (وفا ١٠/١٣) . وكان من أبرز النجاحات التي حققتها فصائل الثورة الفلسطينية سيطرتها يوم ١٠/٧ على بعض المواقع الاستراتيجية في جبل الشيخ ، فقد جاء في برقية بعث بها الاخ ابو عمار الى الرئيسين حافظ الاسد وانور السادات ما يلي : « سيطرت قوات الثورة الفلسطينية بناء على الواجب المطلوب منها على مرتفعات الرؤوس في سفوح جبل الشيخ الغربية وتمت السيطرة على الرؤوس الثلاثة الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم » . وكتبت « المحرر » (١٠/١٩) انه على الجبهة الشمالية في الجولان ومنذ اللحظات الاولى للقتال تحدد لكتائب قوات حطين من جيش التحرير واجباتها القتالية . فالكتيبة ٤١١ وضعت تحت تصرف رئاسة الاركان مباشرة ونفذت واجباتها بنصر مجيد عندما تمكن افرادها المحمولون في طائرات الهليكوبتر من النزول وراء خطوط العدو ، فاحتلت سرية منها موقع تل الفرس بعد ان هبط الافراد فوق العدو مباشرة ... اما السريتان الاخريان فلا تزالان وراء خطوط العدو حتى الآن تمهدان بعمليات خاصة للقوات السورية النظامية . اما الكتيبة ٤١٢ ، ومن خلال خطة موضوعة ، فقد قامت بنقل سراياها بالهليكوبترات واحتل افرادها المواقع التالية : تل عكاشة ، تل العباس ، تل ابو الذهب . وكذلك نفذت الكتيبة ٤١٣ مهامها فاحتلت خسفين والعال . اما قوات القادسية فتعمل بتنسيق كامل مع احدى فرق الجيش السوري .

من جهة ثانية قامت الثورة الفلسطينية بما يوصف عادة بأنه عمليات خلف خطوط العدو(*) ، وكان هذا عنوانا عريضا اندرج تحته مايلي : (١) نصب كمائن لقوافل

---

* راجع جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٧٣/٩/١٤ — ١٩٧٣/٩/٢٢ .

تموين العدو ، (٢) مهاجمة تحركات العدو العسكرية والاشتباك مع قواته المتجهة نحو المعركة ، (٣) اعاقة تحركات العدو بواسطة زرع الالغام في الطرق التي يستعملها او نسف العبارات والجسور امام تحرك آلياته ، (٤) مهاجمة تجمعات العدو ومعسكراته ومشاغلتها وتكبيدها الخسائر .

الميدان الثاني الذي ولجته الثورة الفلسطينية ، كما اشير ، فقد فتح مع انهيار الحاجز الذي حال بين قواعد الثورة في الجنوب اللبناني واداء دورها في شمال فلسطين . وقد كان هذا الانهيار نتيجة طبيعية لانفتاح أكثر من جبهة مع العدو بحيث سقطت الحجة القديمة القائلة ان صمت الجبهات العربية الاخرى يكفي تبريرا لوقف النشاط الفلسطيني المسلح من الحدود اللبنانية ، كما ان الحماس الشعبي الواسع والانتصارات العسكرية التي حققتها الجيوش العربية كانت رادعا لاية محاولة او نية محاولة لوقف النشاط العسكري الفلسطيني من الحدود اللبنانية .

وفي اليوم الاول للقتال اعلنت الثورة الفلسطينية « ان قواتنا تخوض الان معارك ضاربة على طول امتداد المواجهة في القطاع الشرقي [من الحدود اللبنانية] متصدية لقوات العدو التي تستخدم الطائرات والمدفعية وكافة انواع الاسلحة الاخرى » . كما أعلن البلاغ رقم ٩ الصادر عن القيادة العامة للثورة الفلسطينية (١٠/٧) ما يلي : « قامت وحدات المدفعية والصواريخ التابعة لقواتنا بجنوب لبنان بقصف شديد ومركز على كل من مستعمرتي المنارة وهونين » . وبذلك كان هذا الاعلان اقرارا لواقع لا يمكن تجاوزه او القفز من فوق معطياته تمثل في حق الثورة في ان تعمل من مختلف الجبهات لا تحكمها سوى تكتيكات القتال وقرارات الثورة نفسها العسكرية والسياسية . وكان جهد الثورة الفلسطينية واسعا اتخذ له اكثر من محور : (١) لقد انفتح المجال واسعا امام قوات الثورة لتصفي حساباتها مع المراكز العسكرية التي اقامها العدو على الاراضي اللبنانية في الجنوب ففي ١٠/٧ حدثت اشتباكات شديدة في منطقة العرقوب الشرقي وتم في ١٠/٩ تحرير تل الدانة والسيطرة عليه جنوب شبعا في قطاع العرقوب كما تم تحرير منطقة بركة النقار في العرقوب التي كان قد احتلها العدو في العام ١٩٧٠ . (٢) تسنى لقوات الثورة المنطلقة من الجنوب اللبناني ان تنشط خلف خطوط العدو العسكرية . (٣) تمكنت قوات الثورة من شن غارات مؤثرة على المستوطنات الاسرائيلية في شمالي فلسطين وخاضت معارك مع قوات العدو المتمركزة فيها او بالقرب منها . وقد مارست الثورة في تعاملها مع هذه المستوطنات صنوفا من القتال : كالقصف بالصواريخ والمدفعية او مهاجمة بعض هذه المستعمرات واقتحامها . وشاركت في هذه العمليات قوات اليرموك ووحدات من قوات حطين ومجموعات قتالية من منظمات الثورة .

كانت الجبهة التي فتحتها الثورة الفلسطينية في شمال فلسطين منطلقة من الجنوب اللبناني مؤثرة دفعت العميد (احتياط) حاييم هرتسوغ ، المعلق العسكري الاسرائيلي ، الى التصريح للاذاعة الاسرائيلية (١٠/١٠) بقوله « في هذه الليلة فتحت **جبهة اخرى** ، على الرغم من صغرها ولكن على كل حال تعتبر جبهة ، والمقصود هنا النشاط التخريبي [الفدائي] من وراء الحدود ضد مستوطناتنا » وقد جاء هذا الاعتراف من الجانب الاسرائيلي بعد فترة من التعتيم مارسه الاعلام الاسرائيلي على عمليات الثورة الفلسطينية . واذا كان هرتسوغ في تصريحه ذلك قد حمل السلطات اللبنانية مسؤولية عمليات الثورة فان التطور النوعي في موقف الجماهير اللبنانية الذي انتقل من تخوم تأييد المقاومة والدفاع عنها الى قلب المشاركة في عملياتها العسكرية يعتبر ردا عمليا على تهديدات اسرائيل . فقد نشرت وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » (١٠/٢٢) انها « علمت ان مجموعات من انصار الثورة الفلسطينية في الساحة اللبنانية تشترك مع

المقاتلين الفلسطينيين جنبا الى جنب في مواجهة العدو الصهيوني وتقوم بكل المهام التي تطلب منها في تعزيز ودعم الجهد القتالي العربي » .

الميدان الثالث الذي خاضت غماره الثورة الفلسطينية كان تصعيد انماطها النضالية التي سبقت الحرب وتكثيفها وتطويرها . وكان من الواضح قبل نشوب الحرب ان الخط البياني لعمليات المقاومة كان في تصاعد ، وقد جاءت ظروف الحرب لتسارع من تصاعد هذا الخط . ففي اليوم الاول للقتال أصدرت قيادة الثورة امرا الى كافة مجموعات الثورة داخل الاراضي المحتلة بالتحرك للقيام بواجبها وفق الاهداف المحددة لها ، وناشدت القيادة جماهيرنا الفلسطينية في الارض المحتلة لتقديم كل مساعدة ممكنة لمجموعات الثورة المقاتلة لتتمكن من القيام بواجبها على الوجه الاكمل . وقد غطت عمليات المقاومة رقعة واسعة من الارض الفلسطينية ، اذ شملت قصف عدد من المستعمرات والمدن الاسرائيلية في الداخل ، كما شملت مهاجمة بعض الاهداف الاستراتيجية والحيوية لاسرائيل .

كانت هذه اطلالة على الميادين الثلاثة او الجبهة الثالثة التي فتحتها المقاومة الفلسطينية التي نظرت الى هذه الحرب الرابعة باعتبارها حربا وطنية تشارك فيها المقاومة بهدف تحقيق هدفها الكبير تحرير كامل التراب الفلسطيني ، « فاذا اعتمدنا المنظور الوطني القومي الشامل لهذه الحرب الوطنية [كما ذكرت فلسطين الثورة ١٠/١٠] واذا تحققت فعليا وعمليا مشاركة الشعوب الوطنية العربية في المعركة فان الهدف من وراء هذه الحرب هو تحرير فلسطين والقضاء على قاعدة الامبريالية في بلادنا » . وقد أكد الاخ ابو عمار القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية هذه النظرة الى هذه الحرب في أكثر من مناسبة ففي برقيته التي ارسلها الى الرئيس السادات (وفا ١٠/٩) يقول « ان شعبنا الصامد في الارض المحتلة وفي كافة اماكن تجمعه يرى في تحرير القنطرة بدء عملية تحرير شاملة » ، كما ذكر في برقية بعث بها الى معتمدي ومناضلي الثورة والى الجاليات العربية في المهجر « اؤكد لكم عزمنا وتصميمنا على المضي في النضال حتى التحرير الكامل لتراب وطننا » (وفا ١٠/١٣). وقد كان للانتصارات الكبيرة التي حققتها الجيوش العربية وقوات المقاومة بالاضافة الى التصميم المبدئي لقوى الثورة الفلسطينية على تحقيق هذا الهدف (التحرير الشامل) الاثر الحاسم في تحديد هذه الغاية وجعلها مطلبا للجماهير العربية وان قرار وقف اطلاق النار الذي صدر عن مجلس الامن يوم ١٠/٢٢ والذي بني على اقتراح سوفياتي ــ اميركي لا يسقط هذا المطلب الذي هو هدف الثورة الاستراتيجي . ذلك أن الثورة الفلسطينية كانت قد أعلنت ، وتمسكت بهذا الاعلان ، منذ العام ١٩٦٥ انها تقاتل من أجل تحرير كامل التراب الفلسطيني الذي أقيم عليه الكيان الصهيوني ، وطرحت الدولة الفلسطينية الديموقراطية بديلا عادلا وجذريا للواقع الموجود . وبذلك فان انسحاب اسرائيل الى الخطوط التي كانت قائمة يوم ٤ حزيران ١٩٦٧ ــ ان حدث ــ لا يعني نهاية المطاف لثورة الشعب الفلسطيني ، ويجب الا يعني ذلك ، كذلك فان وقف اطلاق النار بالنسبة للجيوش المتحاربة او أي منها ، لا ينسحب بالضرورة على الثورة الفلسطينية التي كانت قد اخذت زمام المبادرة في الكفاح المسلح قبل الحرب الاخيرة بزمن طويل وتبنت هذا الشكل من النضال اسلوبا استراتيجيا لها .

ان الثورة الفلسطينية التي شاركت في الحرب بشكل فعال مؤثر ، ومهما كانت المعطيات الجديدة التي ستنبثق عن قرار وقف اطلاق النار ، ستكون في وضع أفضل ان أحسنت استثماره ، ولا شيء يمنع الثورة من الافادة منه ، وهو وضع تتمثل أبعاده الاساسية في الهزيمة العسكرية التي لحقت باسرائيل ، وفي عودة الثقة الى الجماهير

العربية بقدراتها وبسمو تضحياتها ، وفي التجربة الممتازة التي تمرس بها مقاتلو الثورة على مختلف الجبهات ، وفي مصداقية ما طرحته الثورة منذ انبثاقها عن ان القتال هو الوسيلة الوحيدة لاسترجاع الحق العربي وعبثية أية وسيلة سواها . وكما قال الاخ أبو عمار « ان الجيوش العربية التي حاربت لمست ما كنا نؤكده دائما ، نتيجة ٩ سنوات من الكفاح المسلح ، وهو ان العدو الاسرائيلي ليس متفوقا علينا ، وليس سوبرمان . حاربت الجيوش العربية وتخطت جدار الخوف . والمقاومة شاركت مشاركة فعلية في هذه الحرب . شاركت بقوات ارسلتها الى سوريا ومصر وبعمليات فدائية ضد المواقع الاسرائيلية . اسرائيل نفسها اعترفت قبل يومين بان الفدائيين قاموا بأكثر من ٢٠٠ عملية ضد الاهداف الاسرائيلية منذ بدء حرب ٦ تشرين الاول . واعترفت ايضا بان الفدائيين ضربوا اكثر من ٤٠ مستعمرة . نحن شاركنا فعليا في هذه الحرب » .

وحين سئل القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية عن قرار وقف اطلاق النار أجاب : « بنادقنا لن تسكت ولن نتوقف عن قتال العدو ، سنواصل حربنا مهما كلفنا ذلك من تضحيات » . (النهار ١٩٧٣/١٠/٢٣) .

هذا وقد أصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانا قالت فيه انها ليست معنية بالقرار الذي اتخذه مجلس الامن ، وأكدت انها ستتابع الكفاح المسلح والجماهيري ضد الكيان الصهيوني « من أجل تحرير الوطن وحق شعبنا في تقرير مصيره بنفسه » .

واضاف البيان ان الثورة الفلسطينية « تواصل الكفاح المسلح مع قوى أمتنا العربية لانجاز تحرير كل الاراضي المحتلة بلا قيد او شرط » .

حجم القوات المشتركة في القتال يوم اندلاعه

هشام عبدالله

هذه الدراسة عبارة عن جزء من كتاب ميزان القوى العربية الاسرائيلية (٧٣ـ١٩٧٤) الذي سيصدر عن مركز الابحاث . والذي ارتأت شؤون فلسطينية ضرورة نشره في ظروف القتال الحاضرة .

(١) جمهورية مصر العربية

آ ـ المعطيات الاستراتيجية

١ ـ عدد السكان : ٣٤،٩٠٠،٠٠٠ نسمة
طلبة الجامعات والمعاهد العليا (٦٨ ـ ١٩٦٩) ١٥٦،٩٠١ طالب .

ـ المساحة : ١،٠٠٢،٠٠٠ كيلومتر مربع .
الطرق : ٢٠٨٠٠ كيلومتر بالاضافة الى الملاحة في النيل وقناة السويس .
الخطوط الحديدية : ٤٢٥٠ كيلومترا خطوط رئيسية و ٢٥٨٠ كيلومترا خطوط فرعية.

ج ـ الدخل القومي (١٩٧١) : ٦،٩١ مليار دولار .
معدل دخل الفرد : ١٩٧ دولارا .
موازنة الدفاع للسنة ٧٢ـ١٩٧٣ : ١،٥١٠ ملايين دولار .
نسبة مصاريف الدفاع الى الدخل القومي : ٢١،٧ ٪ .
مصاريف الدفاع للفرد الواحد (١٩٧١) : ٤٣ دولارا .

د ـ الانتاج : الزراعة هي قطاع الانتاج الرئيسي .
انتاج الطاقة الكهربائية (١٩٦٩) : ٧،١٣٤ مليون كيلوات/ساعة .
انتاج الاسمنت (١٩٧٠) : ٣،٦٩٤،٠٠٠ طن .
الانتاج الحربي : هناك انتاج ، الا ان ارقامه غير متوفرة لدينا .
طاقة تكرير النفط (١٩٧٠) : ٨،٣٢٠،٠٠٠ طن .
انتاج الحديد والصلب (١٩٧٠) : ٢٢٧،٠٠٠ طن متري .
انتاج السيارات (١٩٧٠) : سيارات سياحية ٣٦٠٠ .
سيارات نقل ٢٧٠٠ .

ب ـ التسليح

مجموع القوات المسلحة : ٣٢٥ الف رجل .
القوات شبه النظامية : ١٠٠ الف رجل .
يمكن دعم هذه القوات عند التعبئة العامة بـ ٥٢٠ الف رجل .

الجيش : ٢٨٥،٠٠٠ جندي .

٣ فرق مدرعة .

٣ فرق مشاة ميكانيكية .

٥ فرق مشاة .

٢ لواء مظلات .

١٦ كتيبة مدفعية .

٢٨ كتيبة مغاوير .

أنواع الاسلحة التي يستخدمها الجيش :

الدبابات

ـ دبابات ثقيلة جوزيف ستالين ج س ـ ٣ JS III العدد ٥٠ .

ـ دبابات متوسطة « ت ـ ٥٤ » و « ت ـ ٥٥ » «T-54, T-55» العدد ١٥٠٠ .

ـ دبابات متوسطة « ت ـ ٦٢ » «T-62» العدد غير محدد .

ـ دبابات متوسطة « ت ـ ٣٤ » «T-34» العدد ٤٠٠ .

ـ دبابات برمائية خفيفة « ب ت ٧٦ » «PT 76» العدد ١٠٠ .

المصفحات : سيارات استطلاع وناقلات جنود مدرعة مختلفة . وعددها ٢٠٠٠ من من الانواع التالية :

ـ سيارات استطلاع برمائية مدرعة على عجلات « ب ت ر ـ ٤٠ » «BTR-40»

ـ ناقلات جنود برمائية مدرعة مجنزرة « ب ت ر ـ ٥٠ ب » «BTR 50 P» .

ـ ناقلات جنود برمائية مدرعة على عجلات « ب ت ر ـ ٦٠ ب » «BTR 60 P» .

ـ ناقلات جنود مدرعة على عجلات « ب ت ر ـ ١٥٢ » «BTR-152» .

ـ ناقلات جنود مدرعة على عجلات أوت ـ ٦٤ «OT-64» تشيكوسلوفاكية .

المدفعيـــة :

أ ـ مدافع ذاتية الحركة :

ـ مدافع ذاتية الحركة مضادة للدبابات س يو ـ ١٠٠ «SU-100» .

ـ مدافع ذاتية الحركة جي س يو ـ ١٥٢ «JSU-152» .

ب ـ مدافع متطورة :

ـ من مختلف العيارات العدد ١٥٠٠ ، بالاضافة الى ٤٠ مدفعا ثقيلا عيار ٢٠٣ملم.

ـ مدافع هاوتزر عيار ١٢٢ ملم.

ـ مدافع ميدان عيار ١٣٠ ملم.

ـ مدافع هاوتزر عيار ١٥٢ ملم.

ـ مدافع هاوتزر عيار ٢٠٣ ملم ، العدد ٤٠ .

جـ ــ **مدافع مضادة للدبابات :**

ــ عيار ٥٧ ملم.

ــ عيار ٨٥ ملم.

ــ عيار ١٠٠ ملم.

د ــ **مدافع هاون** من مختلف العيارات ٨٢ ملم، ١٢٠ ملم، ١٦٠ ملم.

هـ ــ **مدفعية صاروخية :**

ــ قذائف صاروخية عيار ١٣٠ ملم.

ــ قذائف صاروخية عيار ٢٤٠ ملم.

متفرقـــات :

ــ صواريخ مضادة للدبابات طراز سنابير «SNAPPER» ، وساجر «SAGGER» .

ــ صواريخ ارض ارض طراز « فروغ ٣ » «FROG 3» العدد ٢٤ .

ــ صواريخ ارض ــ ارض طراز « فروغ ٧ » «FROG 7» .

ــ صواريخ سطح ــ سطح لحراسة السواحل طراز « ساملیت » «SAMLET» العدد ٢٥ .

ــ مدافع مضادة للطائرات ذاتية الحركة « زد س يو ــ ٢٣ ــ ٤ » «ZSU-23-4»

ــ مدافع مضادة للطائرات ذاتية الحركة « زد س يو ــ ٥٧ ــ ٢ » «ZSU-57-2»

سلاح الطيران : ٢٥،٠٠٠ جندي

المقاتلات : ٥٦٨ طائرة مقاتلة موزعة كما يلي :

ــ مقاتلات صف اول من طراز ميغ ٢١ بنماذجها المختلفة سوفياتية ، العدد ٢٢٠ .

أ ــ ميغ ٢١ ف «Mig 21 F» المقاتلة المعترضة .

ب ــ ميغ ٢١ ب ف «Mig 21 PF» المطاردة المعترضة .

جـ ــ ميغ ٢١ م ف «Mig 2 MF» مقاتلة لمختلف الاغراض ، بمقعد واحد .

ــ مقاتلات للهجوم الارضي من طراز سوخوي ٧ «Sukhoi Su-7» سوفياتية ، العدد ١٢٠ .

ــ مقاتلات صف ثاني طراز ميغ ١٧ «Mig 17» المقاتلة المعترضة سوفياتية ، العدد ٢٠٠ .

ــ قاذفات قنابل متوسطة طراز توبوليف تو ــ ١٦ «Tupolev TU-16» سوفياتية ، العدد ١٨ .

ــ قاذفات قنابل خفيفة طراز اليوشن ٢٨ بمقعدين ، سوفياتية ، العدد ١٠ . (يحتمل ان تكون قد سحبت من الخدمة) .

طائرات النقل : اكثر من ٦٠ طائرة نقل موزعة كالتالي :

ــ اليوشن ١٤ طائرة نقل خفيفة بمحركين ، سوفياتية ، العدد ٤٠ .

ــ انتينوف ــ ١٢ «Antinov-12» طائرة نقل بأربع محركات ، سوفياتية ، العدد ٢٠ .

ـ انتينوف ـ ٢٤ «Antinov-24» طائرة نقل بمحركين ، سوفياتية .

طائرات هيلوكبتر : ١٨٠ طائرة هيلوكبتر من مختلف الاحجام .

ـ طائرة هيلوكبتر خفيفة « مي ـ ١ » «Mi-1» يقودها ملاح واحد .

ـ طائرة هيلوكبتر خفيفة طراز « مي ـ ٤ » «Mi-4» يقودها ملاحان .

ـ طائرة هيلوكبتر ثقيلة طراز « مي ـ ٦ » «Mi-6» يقودها ٥ ملاحين .

ـ طائرة هيلوكبتر متوسطة « مي ـ ٨ » «Mi-8» يقودها ملاحان .

طائرات التدريب : طائرات تدريب سوفياتية وتشيكوسلوفاكية ، العدد ٢٠٠ .

ـ طائرات تدريب اساسي من طراز « ياك ١٨ » مروحية .

ـ طائرات تدريب اساسي ومتقدم ل ـ ٢٩ دلفين تشيكوسلوفاكية .

ـ طائرات تدريب متقدم من طراز ميغ ١٥ و١٧ .

الدفاع الجوي : تتكون شبكة الدفاع الجوي من صواريخ ارض ـ جو ، ومدافع مضادة ترتبط ببعضها بشبكة انذار وقيادة واحدة .

الصواريخ : ١٢٠ قاعدة صواريخ تضم الواحدة ٦ صواريخ ارض ـ جو من النماذج التالية :

ـ صواريخ سام ـ ٢ ، سوفياتية .

ـ صواريخ سام ـ ٣ ، سوفياتية .

ـ صواريخ سام ـ ٦ ، سوفياتية .

المدافع المضادة للطائرات :

ـ مدافع عيار ٥٧ ملم ، سوفياتية .

ـ مدافع عيار ٢٣ ملم (ثنائية) ، سوفياتية .

ـ مدافع عيار ١٠٠ ملم ، سوفياتية .

ـ مدافع عيار ٨٥ ملم ، سوفياتية .

البحرية : ١٤،٠٠٠ ضابط وبحار (بما في ذلك حرس الشواطىء) .

مجموع القطع : ١٢٧ قطعة موزعة كما يلي :

غواصات : ١٢ غواصة .

ـ غواصات من الفئة « ر » «R» Class سوفياتية ، العدد ٦ .

الوزن : طافية ١١٠٠ طن ، غائصة : ١٦٠٠ طن .

التسليح : ٦ انابيب طوربيد عيار ٥٣٣ ملم .

الطاقم : ٦٥ ضابطا وبحارا .

ـ غواصات من الفئة « دبل يو » «W» Class سوفياتية ، العدد ٦ .

الوزن : طافية ١٠٣٠ طنا ، غائصة ١١٨٠ طنا .

التسليح : ٦ انابيب طوربيد عيار ٥٣٣ ملم ، ٤ في المقدمة و٢ في المؤخرة + مدافع مضادة للطائرات عيار ٢٥ ملم ، عدد ٤ .

المدى : ١٣،٠٠٠ ميل . الطاقم ٦٠ ضابطا وبحارا .

مدمرات : ٥ مدمرات(١) .

— مدمرات طراز « سكوري » «Skory» Type سوفياتية العدد ٤ .
اسماؤها هي الناصر — الظافر — دمياط — السويس .
الوزن : قياسي ٢٦٠٠ طن ، بحمولة كاملة ٣٥٠٠ طن .
التسليح : ٤ مدافع ١٣٠ ملم + مدافع مضادة للطائرات عيار ٧٦ ملم عدد ٢ ، عيار ٣٧ ملم عدد ٧ — أسلحة مضادة للغواصات : قاذفات قنابل أعماق عدد ٤ .
تحمل ٨٠ لغما + ١٠ انابيب طوربيد عيار ٥٣٣ ملم .
المدى : ٤٠٠٠ ميل . الطاقم : ٢٥٠ ضابطا وبحارا .

— مدمرة طراز « زد » «Z» Type بريطانية ، العدد ١ ، اسمها الفاتح .
الوزن : قياسي ١٧٣٠ طنا ، بحمولة كاملة : ٢٥٧٥ طنا .
التسليح : ٤ مدافع عيار ١١٥ ملم + مدافع مضادة للطائرات عيار ٤٠ ملم عدد ٦ + اسلحة مضادة للغواصات : ٤ قاذفات قنابل أعماق .
المدى : ٢٨٠٠ ميل . الطاقم : ٢٥٠ ضابطا وبحارا .

سفن حراسة : ٤ سفن(٢) .

— سفينة حراسة طراز «بلاك سوان» «Black Swan» Type بريطانية، سميت طارق.
الوزن : قياسي ١٤٩٠ طنا ، بحمولة كاملة ١٩٢٥ طنا .
التسليح : ٦ مدافع عيار ١٠٢ ملم + مدافع مضادة للطائرات عيار ٤٠ ملم عدد ٤ وعيار ٢٠ ملم عدد ٢ + ٤ قاذفات قنابل أعماق .
المدى : ٤٥٠٠ ميل . الطاقم : ١٨٠ ضابطا وبحارا .

— سفينة حراسة طراز « ريفر » «River» Type بريطانية ، سميت رشيد .
الوزن : قياسي ١٤٩٠ طنا ، بحمولة كاملة ٢٢١٦ طنا .
التسليح : مدفع واحد ١٠٢ ملم + مدافع مضادة للطائرات عيار ٤٠ ملم عدد ٢ ، وعيار ٢٠ ملم عدد ٦ ، + ٤ قاذفات قنابل أعماق .
المدى : ٩٥٠٠ ميل . الطاقم : ١٨٠ ضابطا وبحارا .

— سفينة حراسة طراز « هنت » «Hunt» Type بريطانية ، سميت بور سعيد .
الوزن : قياسي ١٠٠٠ طن ، بحمولة كاملة ١٤٩٠ طنا .
التسليح : ٤ مدافع عيار ١٠٣ ملم + مدافع مضادة للطائرات عيار ٤٠ ملم عدد ٢ ، وعيار ٢٠ ملم عدد ٢ + قاذفي قنابل أعماق .
المدى : ٢٠٠٠ ميل . الطاقم : ١٤٦ ضابطا وبحارا .

— سفينة حراسة طراز « فلور » «Flower» Type بريطانية ، سميت السودان .
الوزن : قياسي ١٠٦٠ طنا ، بحمولة كاملة ١٣٤٠ طنا .
التسليح : مدفع واحد عيار ١٠٢ ملم + مدافع مضادة للطائرات عيار ٢٠ ملم عدد ٢ .
المدى : ٧٠٠٠ ميل + الطاقم : ٨٥ ضابطا وبحارا .

---

١ — من المحتمل ان يزود الاتحاد السوفياتي مصر بمدمرات مسلحة بصواريخ بحر — سطح من فئة كروبني «KRUPNY» او كيلدن «KILDIN» .

٢ — ليس لسفن الحراسة البريطانية العاملة في البحرية المصرية اي قيمة عسكرية معتبرة بسبب قدمها .

كاسحات ألغام ملحقة بالاسطول :

ـ كاسحات ألغام من طراز « ت ٤٣ » Type «T 43»سوفياتية عدد ٦ ، أطلق عليها الاسماء : اسيوط ، البحيرة ، الشرقية ، الدقهلية ، الغربية ، سيناء .
الوزن : قياسي ٤١٠ أطنان ، بحمولة كاملة ٥٣٠ طنا .
التسليح : ٤ مدافع عيار ٣٧ ملم .

ـ كاسحات ألغام من طراز « يوركا » Type «Yurka» سوفياتية عدد ٤ ، أطلق عليها الاسماء : الفيوم ، المنوفية(٣).
الوزن : قياسي ٥٠٠ طن ، بحمولة كاملة ٥٥٠ طنا .
التسليح : ٤ مدافع عيار ٣٠ ملم (ثنائية) .

كاسحات ألغام ساحلية :

ـ كاسحات ألغام من طراز « ت ٣٠١ » Type «T 301» سوفياتية عدد ٢ أطلق عليها الاسماء : الفيوم ، المنوفية(٣).
الوزن : قياسي ١٣٠ طنا ، بحمولة كاملة ١٨٠ طنا .
التسليح : مدافع مضادة للطائرات ٢ عيار ٣٧ ملم + ٢ عيار ٢٥ ملم .
الطاقم : ٣٠ ضابطا وبحارا .

زوارق دورية :

ـ زوارق دورية طراز « سوي » Type «Soi» سوفياتية عدد ١٢ .
الوزن : خفيف ٢١٥ طنا ، بحمولة كاملة ٢٢٠ طنا .
التسليح : ٤ مدافع ٢٥ ملم ثنائية + ٤ قاذفات صواريخ خماسية (بخمس فوهات).

زوارق صواريخ :

ـ زوارق صواريخ طراز « اوسا » Type «Osa» سوفياتية عدد ١٢ .
الوزن : قياسي ١٦٠ طنا ، بحمولة كاملة ٢٠٠ طن .
التسليح : ٤ صواريخ موجهة طراز ستيكس «Styx» يزيد مداها عن ٣٠ كيلومترا + مدافع مضادة للطائرات عدد ٤ عيار ٢٥ ملم (مدفع في المقدمة ، ومدفع في المؤخرة ، ومدفع ثنائي) .
الطاقم : ٢٥ ضابطا وبحارا .

ـ زوارق صواريخ طراز « كومار » Type «Komar» سوفياتية عدد ٧ .
الوزن : قياسي ٧٥ طنا ، بحمولة كاملة ١٠٠ طن .
التسليح : ٤ صواريخ طراز ستيكس مداها ٢٠ كيلومترا تقريبا + مدافع مضادة للطائرات عدد ٢ عيار ٢٥ ملم .
الطاقم : ٢٠ ضابطا وبحارا .

زوارق طوربيد :

ـ زوارق طوربيد طراز « شيرشن » Type «Shershen» سوفياتية عدد ٦ .
الوزن : قياسي ١٥٠ طنا ، بحمولة كاملة ١٩٠ طنا .
التسليح : مدافع مضادة للطائرات عدد ٤ عيار ٢٥ ملم (ثنائية) ، انابيب طوربيد عدد ٤ عيار ٥٣٣ ملم .
الطاقم : ١٦ ضابطا وبحارا .

---

٣ ـ يحتمل وجود كاسحة ألغام ساحلية ثالثة .

— زوارق طوربيد طراز « ب » ٦ «P 6» Type سوفياتية عدد ٢٤ .
الوزن : قياسي ٥٠ طنا ، بحمولة كاملة ٧٥ طنا .
التسليح : ٤ مدافع ٢٥ ملم + انابيب طوربيد عدد ٢ عيار ٥٣٣ ملم .
الطاقم : ٢٠ ضابطا وبحارا .

— زوارق يوغوسلافية الطراز عدد ٦ .
الوزن : بحمولة كاملة ٥٦ طنا .
التسليح : مدفع واحد عيار ٤٠ ملم + ٤ انابيب طوربيد .

سفن انزال :

— سفن انزال طراز « فيدرا » «Vidra» Type سوفياتية عدد ١٠ .
الوزن : قياسي ٣٠٠ طن ، بحمولة كاملة ٥٠٠ طن .
الحمولة : تستطيع حمل امدادات ومعدات عسكرية حتى زنة ٢٥٠ طنا .

— سفن انزال طراز « س م ب ١ » «SMB 1» Type سوفياتية عدد ٤ .
الوزن : قياسي ٢٠٠ طن ، بحمولة كاملة ٤٢٠ طنا .
الحمولة : تستطيع حمل امدادات ومعدات عسكرية حتى زنة ١٥٠ طنا .

سفن اخرى

— قاطرات اسطول طراز أوختنسكي «Okhtensky» Type سوفياتية عدد ٤ .

(٢) الجمهورية العربية السورية

آ — المعطيات الاستراتيجية

أ — عدد السكان : ٦،٤٥٠،٠٠٠ نسمة .
طلبة الجامعات والمعاهد العليا (٦٨—١٩٦٩) ٣٨،٤١٣ طالبا .

ب — المساحة ١٨٥،١٨٠ كيلومترا مربعا .
الطرق ٦٠٠٠ كيلومتر طرق معبدة ، ١٣٠٠ كيلومتر طرق ممهدة ، ٦٠٠٠ كيلومتر طرق ترابية .
الخطوط الحديدية ٥٥٥ كيلومترا خطوط عادية ، ٣١٣ كيلومترا خطوط ضيقة .
قيد الانشاء اللاذقية — حلب — الجزيرة .

ج — الدخل القومي (١٩٧١) : ١،٨ مليار دولار .
معدل دخل الفرد : ٢٧٩ دولارا .
موازنة الدفاع للسنة المالية ١٩٧٢ : ٢٠٦،٤٥٢،٠٠٠ دولار .
نسبة موازنة الدفاع الى الدخل القومي : ٩،٨ ٪ .
مصاريف الدفاع للفرد الواحد (١٩٧١) : ٢٧ دولارا .

انتاج الطاقة الكهربائية (١٩٧٠) : ٩٤٧ مليون كيلووات / ساعة .
انتاج الاسمنت (١٩٧٠) ٩٦٤ الف طن .
طاقة تكرير النفط (١٩٧٠) ٢،٩٥٠،٠٠٠ طن .

ب — التسليح

القوات المسلحة النظامية ١٢٠ الف رجل .
يدعمها عند التعبئة ٢٠٠ الف رجل احتياطي .

الجيش ــ ١٠٨،٠٠٠ جندي

٢ فرقة مدرعة
١ فرقة ميكانيكية
٢ فرقة مشاة
١ كتيبة مظلات
٥ كتائب مغاوير
٧ افواج مدفعية
٨ بطاريات سام ــ ٢ وسام ــ ٣ .

الدبابـــات

ــ دبابات ثقيلة « جوزيف ستالين » ــ ٣ «JS-3» سوفياتية العدد ٣٠ .
ــ دبابات متوسطة ت ــ ٦٢ «T-62» سوفياتية ، العدد ١٠٠ .
ــ دبابات متوسطة ت ــ ٥٤ و ت ــ ٥٥ «T-54, T-55» ٩٠٠ .
ــ دبابات متوسطة ت ــ ٣٤ «T-34» سوفياتية العدد ٢٤٠ .
ــ دبابات خفيفة ب ت ــ ٧٦ «PT-76» سوفياتية .

ناقلات جنود مدرعة ٥٠٠ ناقلة من الانواع التالية :

ــ ناقلات جنود مدرعة ب ت ــ ٥٠ «BTR-50» سوفياتية .
ــ ناقلات جنود مدرعة ب ت ــ ٦٠ «BTR-60» سوفياتية .
ــ ناقلات جنود مدرعة ب ت ــ ١٥٢ «BTR-152» سوفياتية .

المدفعيـــة

ــ مدافع عيار ١٢٢ ملم
ــ مدافع عيار ١٣٠ ملم
ــ مدافع عيار ١٥٢ ملم
ــ قذائف صاروخية عيار ١٣٠ ملم كاتيوشا سوفياتية .
ــ قذائف صاروخية عيار ٢٤٠ ملم غراد سوفياتية .
ــ صواريخ ارض ــ ارض طراز فروغ ٧ .

الدفاع الجوي

ــ مدافع مضادة للطائرات عيار ٣٧ ملم سوفياتية .
ــ مدافع مضادة للطائرات عيار ٥٧ ملم سوفياتية .
ــ مدافع مضادة للطائرات عيار ٨٥ ملم سوفياتية .
ــ مدافع مضادة للطائرات عيار ١٠٠ ملم سوفياتية .
ــ صواريخ ارض ــ جو طراز سام ٢ سوفياتية .
ــ صواريخ ارض ــ جو طراز سام ٦ سوفياتية .

متفرقة ــ قذائف موجهة مضادة للدروع طراز ساجر «Sagger» سوفياتية .

الطيران ١٠،٠٠٠ رجل

المقاتلات ــ ٣١٠ طائرات مقاتلة موزعة كالتالي : ــ

ــ طائرات مقاتلة من طراز ميغ ٢١ «Mig 21» سوفياتية العدد ٢٠٠ .
ــ مقاتلات قاذفة من طراز ميغ ١٧ «Mig 17» سوفياتية العدد ٨٠ .
ــ قاذفات مقاتلة من طراز سوخوي ــ ٧ سوفياتية «Su-7» العدد ٣٠ .

ـ يحتمل ان تكون سورية قد استلمت طائرات مقاتلة معترضة من طراز سوخوي١١

طائرات نقل :

ـ طائرات اليوشن ـ ١٤ «Il-14» سوفياتية .

ـ طائرات س ـ ٤٧ «C-47» اميركية .

طائرات هيلوكبتر :

ـ طائرات مي ـ ٢ «Mi-2» سوفياتية العدد ٤ .
ـ طائرات مي ـ ٤ «Mi-4» سوفياتية العدد ١٠ .
ـ طائرات مي ـ ٨ «Mi-8» سوفياتية العدد ٢٢ .

البحرية :

ـ كاسحات الغام طراز « ت ٤٣ » Type «T 43» سوفياتية(١) العدد ٢ .
سميت : حطين ، اليرموك .

ـ كاسحات الغام ساحلية سوفياتية العدد ٢ .

ـ زوارق دورية طراز « شي » Type «CH» فرنسية (بنيت عام ١٩٣٩) العدد ٣ ،
سميت : عقبة بن نافع ، عبدالله بن عريسي ، طارق بن زياد .
الوزن : قياس ١٠٧ أطنان : حمولة كاملة : ١٣١ طنا .
التسليح : مدفع واحد عيار ٧٦ ملم + مدفع عيار ٢٠ ملم عدد ٢ + قنابل أعماق .
الطاقم : ٢٨ . (يعتقد بأنها لم تعد صالحة للخدمة) .

ـ زوارق صواريخ سريعة من طراز « اوسا » «Osa» سوفياتية العدد ٢ .

ـ زوارق صواريخ من طراز « كومار » «Komar» سوفياتية العدد ٦ .

ـ زوارق طوربيد « ب ٤ » Type «P 4» سوفياتية . العدد ١٧ .
الوزن : قياسي ٤٥ طنا ، حمولة كاملة ٥٠ طنا .
التسليح : أنبوب طوربيد عدد ٢ عيار ٥٣٣ ملم + مدافع عيار ٢٥ ملم عدد ٢ .

(٣) أسرائيل

آ ـ المعطيات الاستراتيجية

أ ـ عدد السكان : ٣،١٥٥،٠٠٠ نسمة .

طلبة الجامعات والمعاهد العليا : ٣١،٢٣٨ طالبا في اسرائيل + عدد من الطلاب في الخارج (غير محدد) .

ب ـ المساحة : ٢٠،٨٦٥ كم مربع .
الطرق : ٣،٢٧٠ كم من الطرق المعبدة + طريق طوله ٢٤٠ كم الى شرم الشيخ .
الخطوط الحديدية : ٧٣٣ كم خطوط عاملة + خط قيد الانشاء الى ايلات .

ج ـ الدخل القومي : (١٩٧١) : ٦،٢ مليارات من الدولارات .
معدل دخل الفرد : ١٩٦٢ دولارا .

---

١ ـ لمواصفات القطع السوفياتية انظر بحرية جمهورية مصر العربية .

موازنة الدفاع للسنة المالية (١٩٧٢ ــ ١٩٧٣) ١٬٢٤٧ مليون دولار (مقابل ١٬٤٨٤ للسنة ٧١ ــ ٧٢) .

نسبة مصاريف الدفاع الى الدخل القومي : ٢٣٫٩ ٪ .
مصاريف الدفاع للفرد الواحد (١٩٧١) : ٤٧٠ دولارا .

انتاج الطاقة الكهربائية (١٩٧٠) ٦٬٨٣٨ مليون كيلووات/ساعة .
انتاج الاسمنت (١٩٧٠) ١٬٣٨٤٬٠٠٠ طن .

طاقة تكرير النفط (١٩٧٠) ٦٬٠٠٠٬٠٠٠ طن .
انتاج الحديد والصلب (١٩٦٩) ١١٠٬٠٠٠ طن متري .
انتاج السيارات (١٩٧٠) سيارات سياحية ٣٬٩٠٠ . سيارات نقل ٥٬٧٠٠ .

ب ــ التسليح

مجموع القوات النظامية ٩٥ الف رجل .
يرتفع العدد عند التعبئة العامة الى ٣٠٠ الف رجل .

الجيش :

٦١٬٥٠٠ جندي نظامي .
٢٧٥٬٠٠٠ جندي عند التعبئة العامة .
٤ الوية مدرعة (تصبح ١٠ الوية مع الاحتياط) .
٥ الوية مشاة ميكانيكية (تصبح ٩ الوية مع الاحتياط) .
٥ الوية مشاة .
١ لواء مظلات (تصبح ٥ الوية مع الاحتياط) .
٣ الوية مدفعية .

الاسلحة التي يستخدمها الجيش :

الدبابات :

ــ دبابات متوسطة طراز م ــ ٦٠ «M-60» امريكية العدد ٢٠٠ .
ــ دبابات متوسطة طراز سنتوريون النموذج ٥ و ٧ «Centurion MK 5,7» بريطانية معدلة العدد ٩٥٠ .
ــ دبابات متوسطة باتون م ــ ٤٨ أ ١ «Patton M 48 A 1» امريكية العدد ٤٥٠ .
ــ دبابات متوسطة ت ٥٤ ، ت ٥٥ «T54, T55» سوفياتية معدلة العدد ١٠٠ .
ــ دبابات خفيفة م ــ ٥٠ ، م ٥١ «Cherman M50, M51» امريكية معدلة العدد ١٥٠ .
ــ دبابات استطلاعية خفيفة « آ ام اكس ١٣ » «AMX-13» فرنسية العدد ١٢٥ .

المدرعات

ــ مدرعات امل ٩٠ «AML 90» فرنسية ، العدد ١٥ .
ــ مدرعات امل ٦٠ «AML 60» فرنسية .
ــ مدرعات ستاغهاوند «Staghound» امريكية .

ناقلات جنود مصفحة :

ــ ناقلات جنود نصف مجنزرة طراز م ــ ٣ «M3» امريكية ، العدد ١٠٠٠ .
ــ ناقلات جنود مدرعة م ــ ١١٣ «M-113» امريكية .

المدفعيـــة

المدفعية ذاتية الحركة حوالي ٤٠٠ مدفع ذاتي الحركة من العيارات التالية :

— مدافع هاوتزر م—١١٠ «M-110» امريكية .
— مدافع هاوتزر م—١٠٧«M-107» امريكية .
— مدافع هاوتزر م—١٠٩ «M-109»امريكية ، العدد ٢٤ .
— مدافع هاوتزر طراز سلطان (تجمع في اسرائيل).
— مدافع هاوتزر م—٧ بريست «M.7 Priest» امريكية (قديمة ويحتمل انها سحبت من الخدمة).

— مدافع هاوتزر فرنسية على قواعد دبابات شيرمان عيار ١٥٥ ملم.
— مدافع هاوتزر موديل ٥٠ «Model 50» فرنسية .

مدافع مضادة للدروع :

— مدافع محمولة على نصف مجنزرات م٣ «M3» فرنسية ، عيار ٩٠ ملم.
— مدافع محمولة على سيارات جيب عديمة الارتداد ، عيار ١٠٦ ملم.
— مدافع ذاتية الحركة مضادة للدروع ب ت ٧٦ سوفياتية ، اعداد قليلة استولت عليها اسرائيل في حرب حزيران .

مدافع هاون : ٩٠٠ مدفع هاون محمولة على مجنزرات م٣ ، وقواعد دبابـــات « أ أم اكس ١٣ » من العيارات التالية : ١٢٠ ملم ، ١٦٠ ملم ، ٨١ ملم.

مدفعية صاروخية :

— قذائف صاروخية عيار ٢٤٠ ملم ، سوفياتية تصنع في اسرائيل .
— قذائف صاروخية عيار ١٣٠ ملم ، سوفياتية تصنع في اسرائيل .
— مدافع عيار ١٣٠ ملم ، سوفياتية .
— مدافع هاوتزر عيار ١٢٢ ملم ، سوفياتية .
— مدافع ٢٥ رطلا ، بريطانية .

قذائف مضادة للدروع :

— صواريخ مضادة للدروع س‌س١٠ «SS-10» فرنسية .
— صواريخ مضادة للدروع س‌س١١ «SS-11» فرنسية .
— صواريخ مضادة للدروع كوبرا — ٨١٠ «Cobra 810» المانية غربية .

مدافع مضادة للطائرات :

— مدافع ل—٧٠ بوفورز عيار ٤٠ ملم سويدية (تصنع في بريطانيا) .
— مدافع هسبانو — سويزا ٣٠ ملم سويسرية .
— مدافع ثنائية عيار ٢٠ ملم مجمعة من مدافع طائرات الاوريغان الفرنسية .

الطيران ١١،٠٠٠ جندي يرتفع هذا الرقم الى ٢٠،٠٠٠ عند دعوة الاحتياط .

مقاتلات : ٤٣٢ طائرة مقاتلة موزعة كما يلي : —

— مقاتلات صف اول من طراز فانتوم ف ٤ أي «F-4E» امريكية ، العدد ١٠٠ .
— مقاتلات صف اول من طراز ميراج ٣ سي «Mirage III C»فرنسية ، العدد ٥٠ .
— مقاتلات صف اول من طراز سكاي هوك أ — ٤ أي/هـ «A-4E/H» امريكية ، العدد ١٦٥ .

ـــ مقاتلات صف ثاني من طراز ميستير ٤ أ «Mystere IV A»فرنسية ، العدد ٢٧ .
ـــ مقاتلات صف ثاني من طراز اوريغان «Ouragan» فرنسية ، العدد ٣٠ .
ـــ مقاتلات صف ثاني من طراز سوبر ميستير«Super Mystere»فرنسية ، العدد ٩ .
ـــ قاذفات خفيفة من طراز فوتور «Voutour» فرنسية ، العدد ١٠ .

طائرات استطلاع : من طراز فانتوم ر ف ـــ ٤ أي RF-4E العدد ٦ .

طائرات نقل : ٤٢ طائرة نقل من الانواع التالية :

ـــ طائرات من طراز هيركوليز سي ١٣٠ «Hercules C 130» امريكية ، العدد ٢ .
ـــ طائرات من طراز نوراطلس «Noratlas» فرنسية ، العدد ٢٠ .
ـــ طائرات من طراز سي ٤٧ «C-47» امريكية ، العدد ١٠ .
ـــ طائرات من طراز ستراتوكروزر «Stratocruiser» امريكية ، العدد ١٠ .

طائرات هليكوبتر : ٧٢ طائرة من الانواع التالية :

ـــ طائرات من طراز سوبر فريلون «Super Freton» فرنسية ، العدد ١٢ .
ـــ طائرات من طراز سيكورسكي «CH-53 C (S-65)» امريكية ، العدد ١٠ .
ـــ طائرات من طراز اغوستابل أ ب ـــ ٢٠٥ أ «AB-205 A» امريكية ، العدد ٣٠ .
ـــ طائرات من طراز ألويت «Alouette» فرنسية ، العدد ٢٠ .

طائرات تدريب :

ـــ طائرات تدريب اساسي ومتقدم فوغا ماجستير «Foga Magister»فرنسية ، العدد ٨٥ .
ـــ طائرات تدريب أساسي وارتباط من طراز « سيزنا سكاي واجن » «Cessna Skywagon» امريكية .

البحرية : تضم ٢٢٠٠ ضابط وبحار ، واكثر من ٥٩ قطعة موزعة كالتالي :

غواصات :

ـــ غواصات من الفئة « ت » «T» Class بريطانية العدد ٢ سميت « ليفياتان » و « دلفين » .
الوزن : طافية ١٣٠٠ طن . تحت الماء ١٧٠٠ طن .
التسليح : ٦ انابيب طوربيد عيار ٥٥٣ ملم .
الطاقم : ٦٧ ضابطا وبحارا .

زوارق صواريخ سريعة :

ـــ زوارق سريعة فئة « ساعر » «Saar» Class صممت في المانيا وبنيت في فرنسا . العدد ١٠(١) . سميت ـــ عكو ، ايلات ، جعاش ، حيفا ، حانيت ، حيريف ، حيتس ، ميسجاف ، ساعر ، صوفا .
الوزن : قياسي ٢٢٠ طنا ، بحمولة كاملة ٢٥٠ طنا .
التسليح : يمكن تسليحها بقاذفي صواريخ ثلاثية + مدفع عيار ٧٢ ملم او بقاذفي صواريخ ثلاثية + قاذف واحد ثنائي ، او مدفع مضاد للطائرات عيار ٤٠ ملم عدد ٣ + انبوب طوربيد عدد ٢ .
المدى الاقصى : ٢٥٠٠ ميل .
الطاقم : ٣٥ ـــ ٤٠ ضابطا وبحارا .

ـ زوارق صواريخ سريع طراز « رشناف » بني في اسرائيل تحت اشراف فرنسي ويعمل بمحركات المانية ، العدد ٢ سميت رشاق ، وكيشيت .
الوزن : ٤١٥ طنا .
التسليح : ٧ صواريخ سطح ـ سطح + مدفع عدد ٢ عيار ٧٦ ملم + ٤ قاذفات قنابل اعماق .
المدى : ١٢٥٠ ميلا .
الطاقم : ٤٥ ضابطا وبحارا .

سفن دورية :

ـ زورق دورية واحد طراز « ب سي » «PC» امريكي .
الوزن : قياسي ٢٩٥ طنا . بحمولة كاملة ٤٥٠ طنا .
التسليح : مدفع واحد عيار ١٠٢ ملم + مدافع مضادة للطائرات واحد عيار ٤٠ ملم + ٣ عيار ٢٠ ملم + ٤ قاذفات قنابل اعماق .
الطاقم : ٧٠ ضابطا وبحارا .

زوارق طوربيد ٩ زوارق من الفئات التالية :

ـ زوارق طوربيد فئة عوفير «Ophir» Class بنيت في ايطاليا لحساب البحرية الاسرائيلية العدد ٣ . سميت عوفير ت ١٥٠ ، شفات ١٥١ ترشيش ت ١٥٢ .
الوزن : ٤٠ طنا .
التسليح : مدافع مضادة للطائرات واحد عيار ٤٠ ملم + ٢ عيار ٢٠ ملم + طوربيد عيار ٤٥٠ ملم عدد ٢ .

ـ زوارق طوربيد فئة ايا «Ayah» Class فرنسية العدد ٦ . سميت ـ ايا ت ٢٠٧ ، باز ت ٢٠١ ، دايا ت ٢٠٢ ، بيريس ت ٢٠٣ ، تحماس ت ٢٠٤ ، ياسور ت ٢٠٥ .
الوزن : قياسي ٦٢ طنا .
التسليح : مدافع مضادة للطائرات واحد عيار ٤٠ ملم ، ٤ عيار ٢٠ ملم + طوربيد عيار ٤٥٠ ملم عدد ٢ .
الطاقم : ١٥ ضابطا وبحارا .

قوارب دورية ٢٠ زورق دورية من الفئات التالية :

ـ قوارب دورية فئة كدما «Kedma» Class يابانية العدد ٤ . سميت كدما ٤٦ ، نيجبا ٥٢ ، ياما ٤٨ ، زافونا ٦٠ .
الوزن : ٣٢ طنا .
التسليح : مدفعين عيار ٢٠ ملم .
الطاقم : ١٠ بحارة .

ـ زوارق دورية فئة يار «Yar» Class المانية العدد ٢ . سميت ياردين ٤٢ ، ياركون ٤٤ .
الوزن : قياسي ٥٦ طنا . بحمولة كاملة ١٠٩ أطنان .
التسليح : مدفعين عيار ٢٠ ملم .
الطاقم : ١٦ ضابطا وبحارا .

---

١ ـ كانت هذه الزوارق في الاصل ١٢ زورقا ، باعت اسرائيل اثنين منهما : « مفتاح » و « مزنان » الى سيلان .

ـــ زوارق دورية صغيرة طراز ببر «PBR» Type العدد ١٢ .
الوزن : ٧،٥ طن .
التسليح : رشاش واحد عيار ٥،.
الطاقم : ٥ افراد .

ـــ زوارق دورية «HDML» Type بريطانية العدد ٢ سميت درور ٢١ ، تيرتسا ٢٥.
الوزن : قياسي ٤٦ طنا ، بحمولة كاملة ٥٤ طنا .
التسليح : مدفعين عيار ٢٠ ملم + ٨ قنابل اعماق .
الطاقم : ١٢ بحارا .

ـــ زوارق دورية طراز دبور «Dabur» امريكية .
الوزن : ٣٦،٢٥ طنا .
التسليح : مدفع عدد ١ ـــ ٢ عيار ٢٠ ملم + رشاش ٥،. مزدوج + قاذف قنابل عيار ٤٠ ملم ، او قاذف قنابل اعماق .
الطاقم : ٦ افراد .

سفن انزال ١٠ سفن انزال من الفئات التالية :

ـــ سفن انزال فئة « آش » «Ash» Class بنيت في اسرائيل العدد ٣ . سميت : اشدود ٦١ ، اشكلون ٦٣ ، احزيف ٦٥ .
الوزن : قياسي ٤٠٠ طن ، بحمولة كاملة ٧٣٠ طنا .

ـــ سفن انزال طراز « ل سي » «LC» Type العدد ٣ .
سميت : تسيون غوبير ٥١ ، شيكومونا ٥٣ ، ل سي ٥٥ .
الوزن : قياسي ١٨٢ طنا ، بحمولة كاملة ٢٣٠ طنا .

ـــ سفن انزال طراز « لسيم » «LCM» Type اميركية العدد ٣ .
الوزن : قياسي ٢٢ طنا ، بحمولة كاملة ٦٠ طنا .

ـــ سفينة انزال واحدة فئة بيت شافي «Beit Shafei» تستطيع حمل ١٦ دبابة.

الناقلات :

الناقلة بات شيفا «Bat Sheva» Type
الوزن : ٩٠٠ طن .
التسليح : ٤ مدافع عيار ٢٠ ملم .
الطاقم : ٢٦ بحارا .

ـــ سفينة نقل صغيرة مسلحة « بات يام » «Bat Yam»

ملاحظات :

ـــ عقدت البحرية الاسرائيلية اتفاقا مع «Vickers Barrow» لشراء ٣ غواصات من فئة ٥٠٠ طن .

دراسة تحليلية
للقوات المشتركة في القتال يوم اندلاعه

المقدم الهيثم الايوبي

هذه الدراسة عبارة عن جزء من كتاب ميزان القوى العربية ــ الاسرائيلية (٧٣ ــ ١٩٧٤) الذي سيصدر عن مركز الابحاث، والذي ارتأت شؤون فلسطينية ضرورة نشره في ظروف القتال الحاضرة .

(١) جمهورية مصر العربية

تملك جمهورية مصر العربية قوات مسلحة عاملة تضم ٣٢٥ الف رجل موزعين على القوات البرية والبحرية والجوية . وتتألف القوات البرية من ثلاثة جيوش ميدانية يضم كل جيش منها عددا غير متساو من الفرق والالوية والكتائب المستقلة . وتعتبر الفرقة او مجموعة اللواء المستقل الوحدة التكتيكية الاساسية لتشكيل الجيش .

ويتسلح الجيش المصري أساسا بأسلحة سوفياتية ويطبق التكتيك الحربي السوفياتي المعدل وفق ظروف قتال الصحراء وفي ظروف السيطرة الجوية المعادية .

ولقد كانت الاتصالات وادامة الاليات والمعدات واخلاء الجرحى والاليات وعمليات الاسعاف والاصلاح تتم حتى حرب ١٩٦٧ بشكل غير ملائم . وكانت أسباب هذا الضعف ترجع الى انخفاض القاعدة التكنولوجية العامة وعدم كفاية الاعداد المهني داخل القوات المسلحة المصرية . ثم جرى تلافي الجزء الاكبر من هذه النقاط بفضل التدريب المستمر وارتفاع المستوى الثقافي والتكنولوجي للجنود بفضل تجنيد « جنود المؤهلات » من ذوي المستوى العلمي العالي .

واذا قارنا مجموع القوات المسلحة النظامية ٣٢٥ الف رجل الى مجموع عدد الرجال في سن الخدمة العسكرية (من ١٨ الى ٤٥ سنة) ويبلغ ٦،٥٠٠،٠٠٠ رجل وجدنا أنها تعادل ٥ ٪ وهذا يعني ان القوات المسلحة النظامية لا تؤثر ، رغم ضخامتها ، على اليد العاملة المنتجة ولا تعرقل (بشريا) سير البناء الاقتصادي، وان كانت تعرقل (اقتصاديا) الى حد ما سير هذا البناء . وبالرغم من ان عدد الرجال في سن الخدمة العسكرية يعادل ٦،٥٠٠،٠٠٠ فان هذا العدد غير مدرب عسكريا ولا يمكن اعتباره رقما قاعديا لحساب ما تستطيع جمهورية مصر العربية تجنيده عند اعلان التعبئة العامة . ولقد منع الوضع الاقتصادي والمصروفات اللازمة للتدريب من تدريب جميع الرجال الصالحين للخدمة العسكرية ، وكانت لوائح التجنيد في كل عام لا تشمل جميع أفراد القرعة الذين ينبغي تدريبهم ، ولم يكن مستوى التدريب العسكري في المدارس الثانوية يسمح باعتبار خريجي

هذه المدارس جنودا احتياطيين او شبه احتياطيين . وتقول الاحصائيات الغربية المنشورة ان عدد الاحتياط المدرب اي الاحتياط البشري الذي يمكن استدعاؤه في حالة التعبئة العامة يعادل ٥٠٠ الف رجل .

وترجع ضخامة القوات المسلحة المصرية النظامية الى عاملين : يتمثل اولهما في عدم تأثر عجلة الاقتصاد (بشريا) عند غياب ٣٢٥ الف رجل في الخدمة العسكرية ، ومساهمة هذا الغياب في حل جزء من مسألة البطالة الظاهرة والمقنعة في مختلف مجالات النشاط الاقتصادي ، وهي مسألة تتزايد بتزايد السكان عامة ، وهجرة سكان مدن القناة الى الداخل ، وتزايد عدد خريجي الجامعات سنويا ، وعدم قدرة الاقتصاد على النمو وايجاد فرص العمل بسرعة مماثلة لسرعة تزايد اليد العاملة الصناعية والزراعية والفكرية . ويتمثل الثاني في ضعف نظام التعبئة العاملة الصناعية والزراعية قواتها العسكرية والاقتصادية في فترة زمنية قصيرة لصد الاعتداءات الاسرائيلية التي تأخذ شكل حرب خاطفة سريعة .

الجيش

يمتاز السلاح المدرع المصري بضخامة عدد دباباته المتوسطة ٢٠٠٠ دبابة منها ١٦٠٠ دبابة صف اول و٤٠٠ دبابة صف ثاني . وترجع ضخامة هذا السلاح الى ان مسارح المعارك المنتظرة هي مسارح صحراوية منبسطة تسمح للسلاح المدرع بحرية المناورة والحركة السريعة بشكل يجعل هذا السلاح يعطي افضل مردود قتالي . وسواء استخدمت هذه الدبابات هجوميا في سيناء او دفاعيا في الصحراء الشرقية فان قوة نيرانها وسرعة حركتها ستجعلها محور العمليات الحربية والقوة الاساسية التي ستحسم المعركة .

ويضم هذا السلاح الدبابات الثقيلة الوحيدة في المنطقة ج س ــ ٣ القادرة على العمل بفاعلية كبيرة ضد الهجمات المدرعة ، والقادرة ايضا على دعم الهجوم المدرع وتدمير الهجمات المعاكسة التي تقابله . بيد أن قلة عدد هذه الدبابات (٥٠ دبابة) وعدم زيادة هذا العدد بعد اعادة تسليح الجيش المصري بعد حرب ١٩٦٧ تدل على التوجه نحو الاستغناء عن هذا الصنف من الدبابات والاكتفاء بالدبابات المتوسطة ت ــ ٥٤ وت ــ ٥٥ المزودة بمعدات الرؤية الليلية . اما الدبابات المتوسطة ت ــ ٦٢ المتطورة المزودة بمعدات الرؤية الليلية ومدفع عيار ١١٥ والتي يمكن ان تقوم بمهمات الدبابات ج س ــ ٣ من ناحية مدى الرمي وقوة المدفع والتي تمتاز على سابقتها بسرعة الحركة وخفة الوزن فانها لم تدخل الخدمة في السلاح المدرع المصري على نطاق واسع . وليس لدينا معلومات مؤكدة عن عدد الدبابات ت ــ ٦٢ الموجودة في مصر وان كان من المعتقد أنها لا تقل عن ١٠٠ دبابة .

ويستخدم المصريون دباباتهم داخل تشكيلات مدرعة كبيرة (٣ فرق) تضم الدبابات ت ــ ٥٤ وت ــ ٥٥ وج س ــ ٣ بالاضافة الى وحدات مشاة ومدفعية ميدان ومدفعية م/ط وم/د ومهندسين واشارة وخدمات وشرطة عسكرية . وتشكل هذه الفرق والالوية المدرعة المستقلة القوة الضاربة الاساسية ويدخل قسم منها في الاحتياط الاستراتيجي والعملياتي .

اما الدبابات ت ــ ٣٤ فهي موزعة على فرق والوية المشاة . وتستخدم كدبابات دعم مباشر في الهجوم كما تستخدم في الدفاع لتدعيم الدفاع ضد الدبابات وخلق العقد المضادة للدبابات وتكون القوة الضاربة في الاحتياط التكتيكي لالوية المشاة سواء كانت الوية المشاة مستقلة او ضمن تشكيلة الفرقة .

ويرجع السبب في الحاق الدبابات ت ــ ٣٤ بالمشاة الى صغر عيار مدفعها (٨٥ مم)، وصغر سرعتها (٥٠ كم/ساعة) ، وضعف تصفيحها (البرج ٢٠ ــ ٧٥ مم) ، وعدم قدرتها بالتالي على الاشتباك بمعارك الدبابات التصادمية المبنية على السرعة والتصفيح وعيار المدفع ومدى الرمايات . كما يرجع السبب أيضا الى الرغبة في زيادة قوة النار والصدمة لوحدات المشاة .

والتطور الجديد في سلاح المدرعات المصري هو وجود ١٠٠ دبابة برمائية خفيفة ب ت ــ ٧٦ (لواء) . ولقد فرض هذا التطور الاحتلال الاسرائيلي لسيناء ، ووقوف الجيش الاسرائيلي على الضفة الشرقية للقناة ، وضرورة عبور هذا المانع المائي في أية عملية هجومية محدودة أو واسعة . ومن المؤكد ان بوسع هذه الدبابات المشاركة في دعم العبور نفسه ــ في بعض المواقع التي تسمح بها الضفاف بالنزول الى الماء والصعود منه ــ كما يمكنها تدعيم رأس الجسر الذي يتم تشكيله من قبل موجات العبور الاولى سواء تم هذا العبور بالهليكوبتر او عبر القناة بقوارب الاقتحام ، وتشكيل قوة ضاربة قادرة على توسيع رأس الجسر أو صد الهجمات المدرعة المعاكسة الرامية الى تطهيره وازالته ، ريثما يتم بناء الجسور العادية أو العائمة وعبور وحدات مدرعة للمشاركة في تنفيذ هذه المهمات .

ومن الملاحظ ان السلاح المدرع المصري ــ المسلح من الاتحاد السوفياتي ــ لا يضم وحدات من الدبابات الخفيفة المستخدمة في الاستطلاع نظرا لان التكتيك السوفياتي لا يستخدم مثل هذه لدبابات ويدعم وحدات الاستطلاع المؤلفة من وحدات مشاة ميكانيكية بدبابات متوسطة سريعة الحركة وقادرة على القتال عند اللزوم اذا ما فاجأتها دبابات العدو على عكس الدبابات الخفيفة التي لا يسمح لها تصفيحها او عيار مدفعها بالاشتراك في معارك من هذا النوع .

ويمتاز السلاح المدرع المصري بوجود القانصات (المدافع ذاتية الحركة س يو ــ ١٠٠) وهي سلاح سريع الحركة قوي التسليح (عيار ١٠٠ مم) قادر على قنص الدبابات المعادية من مسافة بعيدة . ويستخدم التكتيك السوفياتي هذه القانصات في الهجوم لمرافقة الدبابات وخاصة دبابات ت ــ ٣٤ وحمايتها ويكون عادة في النسق الثاني للهجوم . كما يستخدم القانصات في الدفاع كسلاح فعال بعيد المدى ضد الدبابات يدعم المواقع الدفاعية والعقد الدفاعية المضادة للدبابات . ولقد كان لهذه القانصات أهمية كبيرة عندما كانت الدبابات مزودة بمدفع ٨٥ مم (ت ــ ٣٤) وكان ضروريا لمرافقة هذه الدبابات لقنص دبابات العدو المزودة بمدفع عيار أقل من ١٠٠ مم قبل أن تستطيع هذه الدبابات الاشتباك بالمعركة . ولا تزال للقانصات أهمية ملحوظة في القتال اذا كانت الدبابات المستخدمة من طراز ت ــ ٣٤ ، ولكن هذه الاهمية تنخفض عندما تكون الدبابات المستخدمة من طراز ت ــ ٦٢ ذات المدفع عيار ١١٥ او من طراز ت ــ ٥٤ او ت ــ ٥٥ ذات المدفع عيار ١٠٠ مم ، وخاصة بعد أن طور العدو الاسرائيلي دباباته وركب عليها مدافع عيار ١٠٥ مم .

ويؤمن سلاح المدرعات المصري حمايته الجوية المباشرة بالمدافع المضادة ذاتية الحركة زد. س. يو ــ ٢٣ ــ ٤ الرباعية (٢٣ مم) ، و زد. س. يو ــ ٥٧ ــ ٢ الثنائية (٥٧ مم) المركبة على هياكل دبابات . كما يؤمن الدعم الناري المدفعي بمدافع جي.س. يو ــ ١٥٢ (١٥٢ مم) المركبة على هياكل دبابات ج س ــ ٣ نظرا لقدرة هذه الاسلحة على مواكبة القطعات المدرعة ، والتحرك بسرعة لا تقل عن سرعة المدرعات وتؤمن عدم انفصال اسلحة الدعم عن دبابات الصدمة . ولكن هذا لا يمنع قطعات المدرعات من استخدام المدافع المقطورة المضادة للدبابات لحماية نفسها وخاصة في الدفاع ، كما لا

يمنع استخدام مدفعية الميدان المقطورة من مختلف العيارات في الدفاع أو في رمايات التمهيد التي تسبق الهجوم والخرق أو تسبق الهجوم المعاكس .

وتؤمن الخدمات الهندسية الميدانية لقطعات المدرعات المصرية دبابات متوسطة مزودة بكاسحات الغام ، ودبابات متوسطة مزودة بشفرات خاصة (تانك دوزر) . بيد أنه لا يبدو أن لدى المهندسين المصريين دبابات حاملة جسور أو دبابات باصقة لهب .

ويظهر من تشكيل الجيش المصري ان سلاح المشاة تطور تطورا كبيرا يتمثل في انشاء ٣ فرق مشاة ميكانيكية محمولة على ناقلات جنود مدرعة (ب.ت.ر من مختلف الأنواع ، و أو.ت — ٦٤) . ويؤدي هذا التطور الى زيادة القدرة الحركية وقوة الصدمة لقطعات المشاة . ويؤمن لها وتيرة تقدم عالية في الهجوم والمطاردة . الامر الذي يسمح لهـا بمواكبة الفرق المدرعة خلال الخرق والالتفاف وعند العمل في عمق دفاعات العدو . كما يسمح لها — اذا ما دعمت بالدبابات — بتنفيذ مهمات مستقلة على محاور بعيدة أو ثانوية .

ومن المفيد عند الحديث عن المشاة الميكانيكية الاشارة الى الملاحظات الثلاث التالية :

١ — ان عدد عربات نقل الجنود المدرعة (٢٠٠٠) لا يكاد يكفي لنقل ثلاث فرق ، بالاضافة الى نقل سرايا الاستطلاع في ألوية المشاة وكتائب الاستطلاع في فرق المشاة ، وسرايا المشاة والاسلحة المعاونة في كتائب الدبابات الملحقة بألوية المشاة العادية ، وعدد من كتائب المغاوير الصدامية ، ووحدات السدود المتحركة (رص الالغام المتحركة)، ووحدات الكيميائيين ، وعدد من وحدات المغاوير ... الخ كمـا انه لا يسمح بوجود احتياطي كبير من الاليات المدرعة لتعويض الخسائر خلال المعركة .

٢ — اذا استثنينا عربات نقـل الجنود المدرعة بـتر — ٥٠ ب المجنزرة وجدنا ان بقية عربات نقل الجنود المدرعة تسير على عجلات الامر الذي يعيق مرونة حركتها في الصحراء ، ويبطىء تقدمها في مناطق الرمال الناعمة ، ويجعلها أكثـر حساسية ازاء نيران أسلحة المشاة الثقيلة (رشاشات ١٢،٧ ، شظايا الهاون) .

٣ — ان وجود عربات نقل الجنود البرمائية المدرعة يعني توجه قوات جمهورية مصر العربية نحو اعداد وحدات اقتحام لعبور قناة السويس في معارك هجومية واسعة او محدودة . لان هذه العربات المسلحة قادرة على المشاركة في الاقتحـام بضرب الخـط الدفاعي الامامي بنيران رشاشاتها ، كما انهـا قادرة على المشاركة في توسيع رأس الجسر وصد الهجمات المعاكسة المدرعة .

وعلى الرغم من أهمية فرق المشاة الخمس المزودة — عضويا — بدبابات ومدفعية ميدان ومدفعية مضادة للطائرات والدبابات ومهندسين واشارة ... الخ ، وعلى الرغم من الدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه في الدفاع والهجوم ، فانها تبقى قوة محمولة على آليات عادية ، وهذا ما يجعلها بطيئة الحركة ولا تتلاءم كليا مع حرب الصحراء الهجومية الحديثة . ولا تتلاءم الا جزئيا مع الدفاع الديناميكي المتحرك المبني على التقدم والتراجع والالتفاف وهذا يعني انها غير مؤهلة تماما للمشاركة بالقتال الصحراوي الذي يتـم بأسلوب يشبه اسلوب القتال البحري الذي لا يهتم بمسرح العمليات قدر اهتمامه بالبحث عن قوات العدو وتدميرها والتملص من ضربات العدو المعاكسة .

ويكمل القوة المصرية الضاربة لواءان مظليان مدربان على القفز بالمظلات والقتال بالهليكوبتر . ولم تكتسب هذه القوات خبرة قتالية في حـربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ولكنها اكتسبت مجموعة خبرات قتالية وادارية وقيادية في حرب اليمن وحرب الاستنزاف . ومن المحتمل أن تلعب دورا أساسيا في عمليات تسخين الجبهة المصرية أو في أي هجوم مصري

في سيناء لان بوسعها — اذا تأمنت لها التغطية الجوية المناسبة — عبور قناة السويس دون الحاجة للاصطدام مع خط بارليف وقطع خط التراجع عن الوحدات الاسرائيلية المدافعة عنه وعرقلة تقدم قوات الاحتياط العملياتي والاستراتيجي الاسرائيلية القادمة من العمق ، والمشاركة في ضرب خط بارليف من الخلف لمساعدة الهجوم الجبهي عبر القناة .

وتستطيع طائرات النقل العسكرية المصرية (اليوشن وانتينوف) حمل لواء مظلي مع أسلحته الثقيلة، كما تستطيع طائرات الهليكوبتر الموجودة (١٨٠ طائرة «مي» من مختلف الانواع) حمل لواء مظليين من القوات المجوقلة . وهذا يعني أن بوسع القيادة المصرية استخدام لواءي المظلات ، واسقاطهما وتموينهما بآن واحد اذا كان حجم العمليات المنفذة ، وسعة مسرح العمليات ، وحجم التغطية الجوية تسمح بذلك . وبوسع هذين اللوائين تنفيذ مهمات قتالية فعالة في عمق دفاع العدو ، خاصة وان تزويدهما بآليات مدرعة خفيفة ، وعربات جيب مسلحة يؤمن لهما قدرة حركية تكتيكية جيدة . كما أن التسليح الحديث ضد الدبابات (مدافع عديمة الارتداد ، مدافع خفيفة مضادة ذاتية الحركة ، صواريخ موجهة مضادة) والتسليح الحديث ضد الطائرات (صواريخ فردية تطلق من الكتف) تسمح لهما بالقتال مدة طويلة وراء خطوط العدو ، والصمود حتى تتصل بهما القوات البرية المهاجمة من الجبهة .

يمتاز الجيش المصري بضخامة مدفعيته الميدانية من مختلف العيارات (اكثر من ١٥٠٠ مدفع) . الامر الذي يؤمن له قوة نارية هائلة في الهجوم والدفاع. وتتوزع المدفعية على كتائب تابعة لالوية المشاة والمدرعات ، والوية مدفعية تابعة لفرق المشاة والمدرعات ، والوية مدفعية مستقلة تلحق بالفرق والالوية حسب المهمات القتالية . وتستخدم جميع المدافع للرمي ضد الاهداف البرية المختلفة ، كما أن من الممكن استخدام معظمها — في حالة تغلغل العدو في عمق الدفاع — كأسلحة مضادة للدبابات قادرة على تحطيم حدة الهجوم المدرع واعداد الظرف الملائم للهجمات المعاكسة الصديقة .

ويرجع السبب في ضخامة حجم المدفعية المصرية الى أن التكتيك الحربي المصري المبني على التكتيك الحربي السوفياتي يعتمد على غزارة نار المدفعية في الهجوم لخرق دفاعات العدو ، وكثافة السدود النارية الثابتة والمتحركة في الدفاع لايقاف الهجوم المعادي ، او تشتيت تشكيلاته وتخفيف سرعة تقدمها ، وفصل المشاة المهاجمة عن الدبابات لتسهيل ضرب كل سلاح منهما بشكل افضل.ويؤدي طول مدى المدفعية المصرية الى امكانية ضرب القوات الاحتياطية المعادية المتمركزة في العمق أو اجبارها على أخذ مواقع بعيدة لا تصلها نيران المدفعية الامر الذي يطيل الزمن اللازم لتدخلها في سد الثغرات أو شن الهجمات المعاكسة ويجعلها معرضة للقصف الجوي والبري مدة أطول خلال انتقالها المكشوف من مواقع تمركزها الى خط الانتشار المحدد للهجوم المعاكس . ونقطة الضعف الوحيدة في سلاح المدفعية المصري هو أن غالبية مدفعيته مقطورة بالآليات العادية او المجنزرة . وهذا ما يضعف مناورتها وقدرتها على مرافقة المشاة الميكانيكية والمدرعات في الهجوم والمطاردة بصورة خاصة ، ويجعل مرابضها أكثر تعرضا للقصف الجوي المعادي . فاذا استثنينا المدافع جي. س. يو — ١٥٢ (عيار ١٥٢ مم) ذاتية الحركة وجدنا أن جميع المدافع (١٢٢ مم ، و ١٣٠ مم ، و ١٥٢ مم ، و٢٠٣ مم) مقطورة تصلح للدفاع وللهجوم الكثيف بأسلوب « المدحلة الساحقة » ولكنها اقل صلاحية لقتال الصحراء المرن المعتمد على المناورة السريعة .

ولقد زادت القوة النارية المصرية زيادة كبيرة وزاد مداها بعد استخدام الصواريخ أرض — أرض فروغ — ٣ وفروغ — ٧ البعيدة المدى . وتستطيع هذه الصواريخ ضرب

تحشدات العدو وتدمير تجمعات قواته في الهجوم والدفاع ، كما يمكنها المشاركة في قصف التجمعات السكنية بعد تقدم المصريين في سيناء للرد على عمليات القصف الجوي التي سيمارسها العدو ضد المدن المصرية والاهداف المدنية الاخرى .

وتتشكل المدافع المضادة للدبابات هيكل الدفاع البري ضد الدبابات وهي موزعة الى وحدات عضوية ملحقة بكتائب والوية وفرق المشاة ، بالاضافة الى وحدات مستقلة احتياطية لدعم التشكيلات القتالية حسب المهمات . فاذا استثنينا القانصات (المدافع س. يو ــ ١٠٠) ذاتية الحركة وجدنا أن المدافع الاخرى كلها مقطورة ، وتنطبق عليها الملاحظة المذكورة بالنسبة لمدفعية الميدان .

ومن أحسن التطورات التي أدخلها الجيش المصري على دفاعه المضاد للدبابات هو استخدام صواريخ سنابر وصواريخ ساغر الموجهة المضادة للدبابات والقادرة على تدمير مدرعات العدو وآلياته من مسافات بعيدة .

وتتوزع وحدات المهندسين القتالية (وهي غير وحدات المهندسين المكلفة بالانشاءات والاشغال) الى سرايا مهندسين ملحقة عضويا بألوية المشاة والمدرعات ، وكتائب مهندسين ملحقة عضويا بفرق المشاة والمدرعات ، بالاضافة الى كتائب مهندسين احتياطية وكتائب مهندسين للمهمات الخاصة تعمل بامرة قيادات الجيوش البرية الثلاثة او تلحق بالفرق والالوية لمدة محدودة حسب المهمات الملقاة على هذه التشكيلات . ومن أهم هذه الكتائب كتائب الجسور الثابتة او العائمة الثقيلة والخفيفة .

ويضم الجيش المصري بالاضافة الى ذلك وحدات كيميائية للتطهير ووحدات قاذفات اللهب الخفيفة والثقيلة . وهي موزعة على قطعات المشاة والمدرعات او مجمعة داخل تشكيلات احتياطية تستخدم لمهمات معينة او تلحق بالتشكيلات القتالية حسب ضرورات المعركة .

ويلاحظ في القوات البرية المصرية ضخامة القوات الخاصة (٢٨ كتيبة مغاوير أي ما يعادل ٣ فرق مشاة) ، وهي وحدات مختارة جيدة التسليح والتدريب وتتمتع بمعنويات عالية وقدرة كبيرة على الحركة وروح صدامية مرتفعة . وتستطيع هذه الكتائب تنفيذ المهمات الصعبة وراء خطوط العدو ، كما يمكن ان تستخدم في مرافقة القوات الميكانيكية والتشكيلات المدرعة ، وتقوم بعملها بكفاءة عالية في قتال الجبال والصحراء وتطهير المدن .

ولقد أثبتت هذه الكتائب فاعليتها في حرب اليمن ، وكان من الممكن أن تقوم بدور فعال في حرب ١٩٦٧ ــ وخاصة من الجبهة الاردنية ــ لو طالت مدة الحرب وتخلخلت مؤخرات العدو . وتدل خبرة حرب الاستنزاف ، التي كانت من الجانب المصري حرب مدفعية وعمليات خاصة ، على فاعلية هذه الكتائب التي قامت بعمليات ناجحة وراء خطوط العدو وقدمت صورة لما يمكن ان تقوم به من مهمات في أية حرب مقبلة مع اسرائيل .

الطيران :

يملك سلاح الطيران المصري بالاضافة الى طائرات النقل وطائرات الهليكوبتر ٥٦٨ طائرة مقاتلة سوفياتية الصنع موزعة على مطارات الجبهة ومطارات العمق وعدد من مطارات السودان . ويمكن تصنيف طائرات سلاح الجو المصري من ناحية مهماتها القتالية الى ثلاثة أنواع يضم كل واحد منها فروع متمايزة جزئيا .

ويتمثل **النوع الاول** في قاذفات القنابل المتوسطة وحمولتها ٩ أطنان من القنابل

وقاذفات القنابل الخفيفة وحمولتها ٢ ــ ٣ أطنان من القنابل . ويسمح مدى القاذفات المتوسطة بضرب الاهداف البعيدة وتنفيذ المهمات الاستراتيجية حتى لو انطلقت من مطارات موجودة في السودان أو جنوب جمهورية مصر العربية ، كما ان مدى القاذفات الخفيفة يسمح لها بضرب الاهداف المتوسطة البعد والمشاركة في القصفين العملياتي والتكتيكي . بيد ان ضعف سرعة القاذفات وقلة مرونتها وانعدام تسليحها بالصواريخ جو ــ جو يجعلها هدفا لمقاتلات العدو ويجعل من الضروري حمايتها دائما بمظلة من المقاتلات السريعة المزودة بصواريخ جو ــ جو . وتستطيع طلعة القاذفات المصرية المتوسطة والخفيفة حمل ١٨٠ ــ ١٩٠ طنا من القنابل زنة الواحدة ٢٥٠ ــ ٥٠٠ كغ .

ويتمثل **النوع الثاني** في مقاتلات الهجوم الارضي المعدة لدعم القوات البرية خلال الهجوم والدفاع . ويضم هذا النوع ١٢٠ طائرة من طائرات الصف الاول سوخوي ــ ٧ و٢٠٠ طائرة من طائرات الصف الثاني ميغ ــ ١٧ . وتمتاز هذه الطائرات بقدرتها على العمل على الارتفاعات المنخفضة ولكن صغر مداها يجعلها طائرة المهمات التكتيكية ويفرض عليها العمل من مطارات قريبة من مسرح العمليات . كما ان ضعف سرعتها (وخاصة الميغ ــ ١٧) وعدم تزويدها بصواريخ جو ــ جو يجعلها بحاجة لحماية مقاتلات الصف الاول المعترضة . وتستطيع طلعة مقاتلات الهجوم الارضي المصرية حمل ١٦٠ طنا من القنابل زنة الواحدة ٢٥٠ كغ و٤٣٢ قذيفة صاروخية من عيار ٥٥ مم .

وتستطيع مقاتلات الصف الاول المصرية العمل في ميزان القوى الجوي العربي ــ الاسرائيلي الحالي ، ولكن مقاتلات الصف الثاني عاجزة عن العمل بفاعلية الا عند تخلخل هذا الميزان بصورة عامة ، او فوق مسرح العمليات الذي تؤمن فيه القيادة الجوية المصرية تفوقا محليا مؤقتا .

ويتمثل **النوع الثالث** في المقاتلات المعترضة (ميغ ٢١ من مختلف الانواع) وهي مخصصة لاعتراض قاذفات العدو والاشتباك مع مقاتلاته ، وحماية قاذفات القنابل ومقاتلات الهجوم الارضي . وتحمل هذه المقاتلات ، وكلها من مقاتلات الصف الاول ، صواريخ جو ــ جو ويسمح لها مداها بالتحليق من مطارات داخلية بعيدة نسبيا ومرافقة القاذفات الى عمق أجواء العدو . وتستطيع بعض نماذج هذه الطائرات ، مثل الميغ ــ ٢١ م ف المقاتلة متعددة الاغراض والميغ ٢١ ــ ف ، حمل قنابل زنة الواحدة ٢٥٠ كغ لقصف الاهداف الارضية . ولكن تسليحها الاساسي يبقى الصواريخ جو ــ جو أتول ، وتبقى مهمتها الاساسية القتال ضد الطائرات المعادية .

ولا يوجد في سلاح الجو المصري مقاتلات قاذفة مماثلة للفانتوم ف ــ ٤ الامريكية . وهذا ما يجعل التكتيك الجوي المصري مبنيا على دعم القوات البرية بمقاتلات الهجوم الارضي المحمية بالمقاتلات المعترضة ، او بالمقاتلات ميغ ــ ٢١ ب ف ، وتنفيذ مهمات القصف العملياتي بالقاذفات الخفيفة المحمية بالمقاتلات المعترضة ميغ ــ ٢١ ف وميغ ٢١ ــ ب ف ومداها حوالي ٦٠٠ كم أو بالمقاتلات ميغ ٢١ م ف متعددة الاغراض ، وتنفيذ مهمات القصف الاستراتيجي بالقاذفات المتوسطة المحمية بالمقاتلات المعترضة ميغ ــ ٢١ م ف متعددة الاغراض ومداها ١١٠٠ كم .

ويؤدي تخصص الطائرات السوفييتية وعدم وجود طائرات سوفييتية متعددة الاغراض والمهمات الى تعقيد استخدام سلاح الجو المصري وخاصة عند قصف الاهداف في عمق أراضي العدو . ولكن سهولة صيانة الطائرات السوفييتية وسهولة استخدامها والتدرب عليها ، وانخفاض ثمنها وتكاليف ادامتها تجعلها سلاحا يتلاءم مع الواقع الاقتصادي ــ البشري للبلدان النامية أكثر من الطائرات الامريكية المعقدة ، ويزيد سرعة استيعابها من قبل الطيارين المصريين .

وتذكر المصادر الغربية أن ٢٠٠ طائرة من الطائرات المقاتلة موجودة في المخازن، دون ان تحدد هذه المصادر أنواع الطائرات المخزونة . بيد أن عدد الطيارين المصريين ، والاستعدادات التكنولوجية الارضية التي ارتفع مستواها بشكل ملحوظ بعد حرب ١٩٦٧ ، وضرورات الاستعداد للمعركة تجعل النبأ مستغربا ولا يستند الى واقع مادي، ولا يجد سندا في المحاكمة المنطقية للامور .

ويقدر المصريون ان طائراتهم قادرة على القيام بأربع طلعات جوية في اليوم ، وتستخدم الطائرات المصرية القنابل العادية وقنابل النابالم والصواريخ جو — جو والقذائف الصاروخية جو — أرض ، والصواريخ جو — بحر ، وليس هناك ما يدل على امتلاكها لذخائر خاصة مثل القذائف المضادة للرادار (المماثلة للقذائف شرايك) والقنابل الانزلاقية ... الخ .

ويعتمد الدفاع الجوي المصري على المقاتلات المعترضة التي تحدثنا عنها ، وعلى أسلحة الدفاع الارضية المؤلفة من المدافع المضادة للطائرات والصواريخ أرض — جو . ويملك الجيش المصري مدافع مقطورة مضادة للطائرات من عيار ٢٣ و ٥٧ و ٨٥ و ١٠٠ مم ، وهي موزعة على وحدات ملحقة عضويا بكتائب والوية وفرق القوات البرية ، ووحدات احتياطية موضوعة تحت تصرف الجيوش لحماية المواقع والتجمعات القتالية الهامة ، ووحدات مستقلة لحماية المنشآت الجوية والاستراتيجية داخل البلاد . ويؤمن التنسيق بين هذه المدافع المختلفة العيارات والمدى شبكات مضادة لضرب الطائرات المعادية على الارتفاعات العالية والمتوسطة والمنخفضة . وبوسعنا هنا ان نذكر من جديد المدافع الذاتية الحركة زد. س. يو — ٢٣ — ٤ (الرباعية) المضادة للطائرات ، والمدافع الذاتية الحركة زد. س. يو — ٥٧ — ٢ (الثنائية) المضادة للطائرات والمخصصة لمرافقة القطعات المدرعة .

ولقد ارتفع مستوى الدفاع الجوي المصري ارتفاعا كبيرا بعد حرب ١٩٦٧ وذلك باستخدام قواعد الصواريخ أرض — جو سام — ٢ المخصصة للرمي ضد الطائرات المحلقة على ارتفاعات عالية . ولقد بذل العدو محاولات كثيرة خلال حرب الاستنزاف لمنع اقامة القواعد الثابتة لهذا الصواريخ . ثم دخلت المعركة الصواريخ أرض — جو سام — ٣ المحمولة على عربات مجنزرة والقادرة على الرمي ضد الطائرات المحلقة على ارتفاعات منخفضة وأمنت مع قواعد الصواريخ سام — ٢ شبكة دفاع قوية مضادة للطائرات . وحاول العدو من جديد تدمير هذه الشبكة ولكن مرونة الصواريخ سام — ٣ وقدرة عرباتها على الحركة وتبديل الموقع احبط خطة الطيران الاسرائيلي الذي أخذ يفقد طائرات الفانتوم التي كانت مستعصية على صواريخ سام — ٢ الامر الذي أجبر الولايات المتحدة الامريكية على تزويد اسرائيل بطائرات التشويش الاليكترونية وصواريخ جو — ارض من طراز شرايك لضرب الرادار واعماء شبكة الصواريخ . وبدخول الصواريخ سام — ٦ المحمولة على عربات مجنزرة والمخصصة للرمي ضد الطائرات على كل الارتفاعات تكاملت شبكة الدفاع الجوي المصري التي تضم اليوم ١٢٠ قاعدة صواريخ من الانواع الثلاثة والمرتبطة بشبكة رادار للرصد والانذار . وتستطيع هذه الشبكة بالتعاون مع بطاريات المدفعية المضادة للطائرات ، والطائرات المقاتلة المصرية اداء مهمتها بكفاءة ، وحماية الاجواء المصرية وتكبيد طائرات العدو الراغبة بالقصف خسائر رادعة لانها تفوق النتائج المرجوة من القصف الذي تستطيع القيام به الطائرات القليلة التي تنجو من شبكة الدفاع الجوي .

واذا أضفنا الى هذه الشبكة المتكاملة مجموعات الصواريخ الفردية الخفيفة سام — ٧ الموزعة على الوحدات البرية والمعدة للرمي بفاعلية ضد المقاتلات المنخفضة التي تقل

سرعتها عن سرعة الصوت وضد الهليكوبتر ، تصورنا الى اي حد ارتفع مستوى الدفاع الجوي المصري منذ حرب الاستنزاف حتى اليوم .

واذا كانت الصواريخ سام — ٢ التي تطلق من قواعد ثابتة سلاحا جيدا للدفاع عن التحشدات والمواقع الدفاعية والمنشآت الحيوية والاستراتيجية فان الصواريخ سام — ٣ وسام — ٦ تشكل سلاحا أكثر فاعلية لان امكانية اطلاقها من العربات المجنزرة التي تحملها يمنحها قدرة كبيرة على الحركة والانتقال المستمر ، الامر الذي يعطيها مرونة كبيرة تساعدها على تبديل مواقعها ، أو نصب الكمائن لطائرات العدو ، أو مواكبة القطعات الكبيرة الزاحفة في الهجوم .

ولا يمكن اعتبار مهمة الصواريخ سام أرض — جو الموجودة على الضفة الغربية لقناة السويس دفاعية بحتة لان مداها الكبير (٤٠ — ٥٠ كيلومترا بالنسبة لصاروخ سام — ٢ و٢٠ كيلومترا بالنسبة لصاروخ سام — ٣) يجعلها قادة على لعب دور هجومي في حالة قيام الجيش المصري بعبور قناة السويس لانها تستطيع من مواقعها الحالية تغطية سماء منطقة العبور وسماء رؤوس الجسر وحمايتها من الطائرات المعادية .

والحقيقة ان التعاون والتنسيق الجيد بين سلاح الطيران وقوات الدفاع الجوي المتحركة هما أحد الحلول العملياتية لافقاد سلاح الطيران الاسرائيلي تفوقه الحالي ، بشكل يسمح للقوات البرية — الجوية المصرية الضاربة بتنفيذ مهمات هجومية داخل سيناء على ان تكون وتيرة الهجوم متوافقة مع وتيرة تقدم بطاريات الصواريخ المضادة وأن يكون مدى الهجوم متوافقا مع بعد المطارات الميدانية ومدى عمل المقاتلات المعترضة ميغ — ٢١ . وقد تسمح الحماية الجوية اذا ما وصلت الى مستوى جيد باستخدام مقاتلات الصف الثاني لدعم الهجوم البري الامر الذي يزيد حجم القوة النارية للمهاجمين .

البحرية :

تعتبر البحرية المصرية أفضل قوة بحرية في منطقة الصراع العربي — الاسرائيلي من ناحية حجمها (حوالي ١٢٨ قطعة) أو من ناحية تكاملها . فهي تمتلك المدمرات ، والغواصات ، والزوارق حاملة الصواريخ ، والطوربيدات ، وسفن الانزال ، ومختلف أنواع كاسحات الالغام الملحقة بالاسطول والساحلية ، وقوارب الدورية ، وسفن الامداد . ولم تتح حرب ١٩٦٧ للبحرية المصرية فرصا كبيرة للعب دور حاسم في المعركة، الا أن المعارك القليلة التي خاضتها بعد حرب ١٩٦٧ أثبتت قدرتها القتالية .

وتستطيع مراكب الاسطول الحربي المصري القيام بالمهمات التالية :

أولا : المهمات الدفاعية البحرية . وتنفذها الغواصات والزوارق حاملة الصواريخ والطوربيدات وقوارب الدورية . بالاضافة الى المدفعية الساحلية والصواريخ الموجهة أرض — بحر من طراز ساملیت ، والتي يبلغ مداها ٨٠ كيلومترا تقريبا .

وتتسلح الزوارق حاملة الصواريخ المصرية من طراز أوسا ، وكومار بأحدث أنواع الصواريخ سطح — سطح من طراز ستيكس التي أحدث استخدامها ضد المدمرة ايلات في عام ١٩٦٧ انقلابا في النظرة العالمية الى أهمية هذه القطع الخفيفة الحركة وذات القدرة التدميرية العالية . ويبلغ مدى هذه الصواريخ ٤٠ كيلومترا أي حوالي ضعف مدى الصاروخ الاسرائيلي سطح — سطح غبريئيل المركب على الزوارق شيربورغ الفرنسية المستخدمة في اسرائيل . وتستطيع الزوارق المصرية التي تحمل هذه الصواريخ ، والغواصات ، وزوارق الطوربيد زنة ١٥٠ طنا ، وزوارق الطوربيد الخفيفة زنة ٥٠ طنا تأمين حماية كبيرة للسواحل المصرية اذا استطاع الطيران تغطيتها بشكل يؤمن لها حرية المناورة .

ثانيا : المهمات الهجومية البحرية . وتنفذها الغواصات والمدمرات والزوارق حاملة الصواريخ ، والطوربيدات ، وكاسحات الالغام كل حسب مداها وقدرتها النارية . ويمكن أن تتحدد مهمتها في الاغارة على مواقع العدو الساحلية الهامة ، أو قطع خطوط مواصلات البحرية ضمن اطار الخنق الاستراتيجي .

ان المدمرات المسلحة بمدافع عيار ١٣٠ مم ترمي بمعدل ١٠ قذائف بالدقيقة ولمدى يبلغ حوالي ٢٥ كيلو مترا قادرة على ضرب دفاعات العدو الساحلية ومنشآته الحيوية في الموانىء . وتؤمن لها مدافعها التسعة المضادة للطائرات حماية جوية جيدة . كما ان بالامكان اجراء تعديلات عليها وتسليحها بصواريخ سطح — جو بشكل يزيد قوة نيرانها المضادة للطائرات . وتستطيع الغواصات تشكيل حزام خانق حول السواحل المعادية ذلك لان مداها وعددها يسمحان لها بعمل حزام يمتد على طول الساحل الفلسطيني وبعمق عشرات الاميال بالاضافة الى اغلاق الملاحة أمام السفن الاسرائيلية في البحر الاحمر الذي تزداد أهميته يوما بعد يوم بالنسبة لاسرائيل المستفيدة حاليا من اغلاق قناة السويس . وتقوم الزوارق حاملة الصواريخ والطوربيدات خلال الهجوم بمهمات اساسية ضد القطع البحرية المعادية التي تستهدف عرقلة الهجوم البحري المصري أو ايقافه . ويكون دور كاسحات الالغام في الهجوم فتح الثغرات في حقول الالغام البحرية التي تغطي الشواطىء والموانىء الهامة والممرات المائية الحساسة .

ثالثا : مهمات دعم القوات البرية في الهجوم . تستطيع المراكب البحرية المذكورة في مهمات الهجوم البحري المشاركة في دعم عمليات الانزال البحري على شواطىء العدو . وتملك البحرية المصرية سفن انزال ذات طاقة انزال تعادل ٣٣٠٠ طن وهذا يعني انها قادرة على انزال كتيبتين مدرعتين دفعة واحدة . ويسمح وجود الدبابات البرمائية وعربات نقل الجنود المصفحة البرمائية بزيادة سرعة الانزال ووتيرته ويقدم للقيادة حرية اكبر في اختيار شاطىء الانزال دون الخضوع لتحديدات عمق الشواطىء . وتملك البحرية المصرية ايضا مراكب امداد وتموين قادرة على انشاء خط تموين بحري لتدعيم رأس الجسر عند انشائه بالاضافة الى وحدات (غير محددة العدد) من مشاة البحرية التي يمكنها الاشتراك في موجات الانزال الاولى .

هنا لا بد لنا من الاشارة الى ان عمليات الانزال البحري التي تمثل ضربات غير مباشرة عبارة عن عمليات معقدة تتطلب امكانات بحرية كبيرة ، وسيطرة جوية ملحوظة وتدريبا طويلا وخبرة في حل معضلات الامداد والتموين ، وليس في التاريخ الحربي المعاصر للبحرية المصرية عمليات انزال تعطينا فكرة عملية عن مدى قدرة مصر على القيام بمثل هذه الضربات . وبالاضافة الى ذلك فان حجم قوات الانزال الممكنة (المحدودة) واحتمالات تعرض رأس الجسر الى هجمات الاحتياط المدرع المعادي العملياتي أو الاستراتيجي تجعل عمليات الانزال المصرية المتوقعة والممكنة محدودة الحجم ، وضد اهداف معزولة عن مواقع تمركز القوات الاحتياطية المعادية (جزر صغيرة مثلا) وتقع ضمن مدى عمل الطيران . او في حالة اضطرار العدو لزج قواته الاحتياطية ضد الهجمات البرية بعد تطور هذه الهجمات بشكل خطير . الامر الذي يعني ان عمليات الانزال البحري المصرية لا يمكن ان تكون ، اذا ما توفر لها الدعم الجوي ، سوى عمليات تشتيتية محدودة .

رابعا : المهمات الخاصة . تملك البحرية المصرية وحدات (غير معروفة العدد) من الكوماندوز البحرية والضفادع البشرية القادرة على تنفيذ مهمات خاصة على شواطىء العدو او في موانئه . ويمكن نقل هذه القوات وسحبها بعد تنفيذ مهمتها بحرا أو بواسطة طائرات الهليكوبتر . ولقد قامت قوات الصاعقة البحرية بعمليات

استطلاعية وقتالية خلال حرب الاستنزاف اهمها العمليات المنفذة ضد السفن الاسرائيلية الراسية في ميناء ايلات .

وهكذا فان استخدام البحرية المصرية سيكون اما ضمن اطار الاستراتيجية الدفاعية (الدفاع عن الشواطىء والعمليات الخاصة) ، او ضمن اطار الاستراتيجية الهجومية (ضرب القوافل ، القتال ضد البحرية المعادية ، مهاجمة الاهداف الساحلية ، الانزال البحري ، العمليات الخاصة) . وسيتعرض عملها رغم تفوقها على بحرية العدو الى التحديدات التالية :

١ — التفوق الجوي المعادي الذي سيحرمها من حرية المناورة والحركة ويجمد نشاطها . وسيكون تأثير الطيران المعادي على العمليات البحرية المصرية كبيرا في شرق البحر الابيض المتوسط ومعظم اجزاء البحر الاحمر ، ولكنه سيفقد جزءا كبيرا من أهميته في جنوب البحر الاحمر واواسط البحر الابيض المتوسط وخاصة اذا ما اشترك في القتال الى جانب الطيران والبحرية المصريين سلاح الطيران الليبي وسلاح الطيران السوداني بالاضافة الى طائرات مصرية تقلع من الاسكندرية ومرسي مطروح ومطارات صعيد مصر ومطارات السودان واليمن .

٢ — ان المهمة الاستراتيجية الاساسية للبحرية المصرية هي القيام بالخنق الاستراتيجي في اواسط البحر الابيض المتوسط وجنوب الاحمر . ويعني هذا الخنق التعرض للقوافل المتجهة نحو اسرائيل لقطع الامداد بالمواد الاستراتيجية . بيد ان طبيعة اسرائيل كقاعدة للامبريالية وجزء عضوي منها سيعني محاولة البحرية الامبريالية المدنية والعسكرية فك هذا الحصار بنقل المواد الاستراتيجية بمراكب امريكية لا يمكن التعرض لها دون تصعيد الصراع مع الامبريالية الى مستوى قد لا تخطط له القاهرة ولا تسعى الى بلوغه . ويقدم لنا الحصار البحري لشواطىء فيتنام الشمالية مثالا عن خرق الحصار بمراكب دولة عظمى (الاتحاد السوفييتي) لا يرغب المحاصرون في تصعيد المعركة الى مستوى الصدام معها . كما يقدم لنا الحصار البحري لشواطىء كوبا خلال ازمة الصواريخ عدم امكانية خرق الحصار بسفن دولة عظمى اذا كان المحاصرون مستعدين لتصعيد المعركة الى مستوى الصدام معها . الا ان الحصار سيفرض على اسرائيل وضعا خانقا لانه سيعني تعطيل اسطول اسرائيل التجاري الضخم المكون من ١٠٢ سفينة كما سيعطل اسطول ناقلات النفط الاسرائيلية .

٣ — ستتعرض المناورة البحرية المصرية الى معضلة ضرورة توزيع قواتها بين البحرين الابيض المتوسط والاحمر ، وتعذر تحقيق الحشد السريع حسب المتطلبات العملياتية خاصة بعد اغلاق قناة السويس ، وسهولة قطع هذا الممر المائي الحساس حتى في حالة فتح القناة .

والحقيقة ان كل هذه التحديدات لا تحرم البحرية المصرية من أهميتها وفاعليتها التي ستتمثل خلال الصراع بمهمات قتالية فعلية ، او بالبقاء على الاقل قوة كامنة قادرة على تنفيذ مهمات قتالية الامر الذي يجبر العدو على تجميد جزء من قواته الضاربة للاحتفاظ بها كاحتياط استراتيجي معد لمجابهة عمليات هذه القوة الكامنة القادرة على تهديد اهدافه الحيوية في كل لحظة .

(٢) الجمهورية العربية السورية

تملك القوات المسلحة السورية ١٢٠ الف رجل موزعين على القوات البرية والجوية والبحرية . وهي مسلحة اساسا بأسلحة سوفياتية وتطبق التكتيك الحربي الخاص بالعقيدة الشرقية مع بعض التعديلات المتعلقة بحجم الوسائط النارية في الوحدات . وتقاتل هذه القوات على أرض تعرفها جيدا . وهي تتمتع بقوى معنوية عالية ومستوى تدريبي وقيادي وتكنولوجي يفوق المستوى الذي كان سائدا في حرب ١٩٦٧ . كما تتمتع بمستوى عال من التسييس والتلاحم مع الجماهير من طريق أقنية الحزب . وتستطيع سورية رفع عدد قواتها المسلحة خلال التعبئة العامة الى ٣٢٠ — ٣٥٠ الف رجل . ويحتاج جمع الاحتياط واعادة تنظيمه وزجه في المعركة الى عدة اسابيع .

وتعادل القوات المسلحة العاملة في سورية ١،٢٥ / ١٠٠ من مجموع عدد السكان اي ما يعادل ١٠/١٠٠ من الرجال في سن الخدمة العسكرية وتصبح القوات المسلحة بعد التعبئة معادلة لـ ٣/١٠٠ من مجموع عدد السكان و ٢٧/١٠٠ من الرجال في سن الخدمة العسكرية . فاذا عرفنا ان سورية لا تشكو من قلة اليد العاملة وان عددا كبيرا من اليد العاملة السورية يعمل بصورة دائمة او موسمية في بعض البلدان العربية عرفنا ان التعبئة العامة التي تجمد ٣/١٠٠ من السكان لا تعرقل (بشريا) عجلة الاقتصاد السوري ولا تؤثر بفاعلية على القوة البشرية اللازمة لمخططات التنمية .

يعتبر التجنيد الالزامي المصدر الاساسي للقوة البشرية في القوات المسلحة السورية ويشمل هذا التجنيد جميع المواطنين الذكور في سن التجنيد ، وهو يزود القوات المسلحة لا بالجنود فحسب بل بالضباط وضباط الصف الاحتياطيين والفنيين الذين يتم اختيارهم من بين ذوي المؤهلات العلمية العالية والمتوسطة ، الامر الذي يسمح باكمال نواقص الكادر الفني في القوات العاملة ، كما يسمح بخلق قطعات احتياطية فنية بكوادر احتياطية .

الجيش :

يتألف الجيش السوري من فرق حلت محل مجموعات الالوية السابقة . كما يتألف بالاضافة الى ذلك من كتائب والوية مستقلة . وتعتبر الفرقة او اللواء المستقل القطعة التكتيكية الاساسية لتشكيل الجيش . وهناك بالاضافة الى ذلك حوالي ٣٠ الف رجل مجمعين داخل سرايا الدفاع المحمولة القادرة على القيام بمهمات كثيرة أهمها الصراع ضد القوات المحمولة جوا ، وحماية المنشآت الحيوية الهامة بالتعاون مع وحدات مدرعة خفيفة وكتائب الجماهير الشعبية المسلحة .

يمتاز السلاح المدرع السوري بضخامة عدد دباباته المتوسطة (حوالي ١٢٠٠ دبابة) منها حوالي ٩٦٠ — ١٠٠٠* دبابة صنف اول و٢٤٠ دبابة صنف ثاني . ولقد بذل السوريون عناية كبيرة بسلاحهم المدرع على اعتباره القوة الضاربة القادرة على خرق دفاعات العدو في الجولان بفعل قوة النار والصدمة ، والقادرة بعد ذلك على مطاردته في العمق واستثمار النصر .

ويضم السلاح المدرع السوري ٣٠ دبابة ثقيلة ج س — ٣ واعدادا غير معروفة من الدبابات ت — ٦٢ المتطورة المزودة بمعدات الرؤية الليلية وبمدفع ١١٥ القادر على التفوق على جميع دبابات العدو المزودة بمدافع عيار ١٠٥ مم .

---

* تختلف الارقام هنا من مصدر الى آخر بسبب تضارب الاراء حول كمية الدبابات ت — ٦٢ التي وصلت الى سورية .

وتشكل الفرقتان المدرعتان السوريتان هيكل القوة الضاربة البرية وهي تضم دبابات ت ــ ٦٢ ، وت ــ ٥٥ ، وت ــ ٥٤ ، وج س ــ ٣ بالاضافة الى المشاة الميكانيكية ومدفعية الميدان والمدافع المضادة للطائرات والمضادة للدبابات ، ووحدات المهندسين والاشارة والشرطة العسكرية والخدمات الادارية . الخ . ولقد درب السوريون هاتين الفرقتين للقيام بمهمات الخرق والمطاردة والالتفاف ، كما دربوهما للعمل كاحتياط عملياتي واستراتيجي مهمته شن الهجمات المعاكسة .

أما الدبابات ت ــ ٣٤ فهي موزعة على الوية المشاة . وتستخدم كدبابات دعم مباشر وكأسلحة قوية مضادة للدبابات ، وكاحتياط تكتيكي لشن هجمات معاكسة على مستوى لواء وفرقة المشاة . بيد أن صغر عيار مدفع هذه الدبابة (٨٥ مم) وضعف تصفيحها يجعل من الضروري حمايتها بالمدافع ذاتية الحركة س ــ يو ١٠٠ .

ويلاحظ ان الجيش السوري لم يهتم كثيرا بخلق وحدات دبابات برمائية كبيرة نظرا لان مسرح عملياته المنتظر لا يتضمن موانع مائية هامة . كما انه لم يهتم باستخدام الدبابات الخفيفة او المصفحات التي لا تدخل في اطار التكتيك الحربي المطبق في سورية. ولم يزد السلاح المدرع السوري عدد مدافعه ذاتية الحركة س يو ــ ١٠٠ نظرا لان الدبابة ت ــ ٦٢ المزودة بمدفع عيار ١١٥ ، والدبابتين ت ــ ٥٤ وت ــ ٥٥ المزودتين بمدفع عيار ١٠٠ مم لم تعد بحاجة لدعم هذا المدفع الذي كان يلعب دورا هاما عندما كانت القطعات المدرعة تعتمد على الدبابات ت ــ ٣٤ .

وتستخدم القطعات المدرعة السورية اعدادا كبيرة من المدافع ذاتية الحركة المضادة للطائرات (زد.س يو ــ ٢٣ ــ ٤ ، و زد.س يو ــ ٥٧ ــ ٢) . واعدادا محدودة من المدافع جي. س. يو ــ ١٥٢ ذاتية الحركة والمركبة على هياكل دبابات . بيد أنها تعوض نقص المدافع ذاتية الحركة باستخدام اعداد كبيرة من مدفعية الميدان المقطورة من مختلف العيارات المستخدمة في الدفاع وفي رمايات التمهيد التي تسبق الهجوم والخرق او تسبق الهجوم المعاكس . وتعزز الدبابات قوتها النارية ضد دبابات العدو بصواريخ ساغر الموجهة المحمولة على العربات المدرعة .

وتؤمن الخدمات الهندسية الميدانية لقطعات المدرعات السورية وحدات مهندسين مجهزة بالمعدات اللازمة لفتح الطرق وازالة حقول الالغام دون ان يكون لديها على ما يبدو دبابات حاملة جسور أو دبابات باصقة لهب .

وبالرغم من عدم وجود مجاري مياه في مسرح عمليات الجيش السوري فان في وحدات المهندسين السوريين تملك وحدات جسور ثابتة (بيلي) ووحدات جسور عائمة ثقيلة وخفيفة معدة لاخذ مكان الجسور المدنية اذا ما قصفها العدو .

وتعتبر الفرقة الميكانيكية السورية المحمولة على ناقلات جنود مدرعة ب. ت. ر من مختلف الانواع . وتستطيع هذه العربات السير بكفاءة على أراضي الجبهة السورية كما يمكنها التقدم بوتيرة عالية مماثلة لوتيرة تقدم الدبابات الامر الذي يسمح لها بمواكبة قطعات المدرعات ، كما يسمح لها ــ بعد دعمها بالدبابات وصواريخ ساغر الموجهة المضادة للدبابات ــ بتنفيذ مهمات مستقلة على محاور بعيدة أو ثانوية .

وتملك فرقتا المشاة المحمولتان على عربات عادية قوة نارية جيدة ، فهي تضم مدفعية ميدان وم/د وم/ط ودبابات عضوية بالاضافة الى أسلحة المشاة . وتستطيع تنفيذ مهماتها في الهجوم والدفاع وتصلح للعمل الدفاعي والهجومي على ارض الجولان الوعرة . ولكنها لا تتلاءم مع الحرب المتحركة التي لا يتوقع حصولها على الجبهة

السورية على نطاق واسع نظرا لان وعورة الارض وقلة الممرات تحد من امكانات تنفيذها .

وتكمل القوة الضاربة السورية كتيبة مظليين و٥ كتائب مغاوير وهي مؤهلة للعمل وراء خطوط العدو ، او لتطهير المدن والقتال في الجبال والمناطق المشجرة ، او لمرافقة دبابات الاقتحام عندما تهاجم مواقع العدو الدفاعية . ومن المحتمل ان يستخدم السوريون المظليين المنقولين بالهليكوبتر للقيام بعمليات محدودة وراء خطوط العدو .

وتمتاز المدفعية السورية بكبر عددها وطول مداها وارتفاع مستوى تدريبها . ومن المعروف ان مستوى تدريب هذه المدفعية وخبرتها القتالية عاليان جدا فلقد كانت دائما القوة التي تشتبك مع الاسرائيليين وتصد اعتداءاتهم وتدمر منشآتهم . وتتوزع هذه المدفعية على كتائب تابعة لالوية المشاة والمدرعات،وافواج مدفعية تابعة للفرق، وافواج مستقلة احتياطية تعمل تحت تصرف قيادة الجيش لدعم المحاور الرئيسية في الهجوم والدفاع . والسبب في ضخامة حجم المدفعية السورية هو نفس السبب الذي ادى الى ضخامة المدفعية المصرية كما ذكرنا من قبل . ويزيد من القوة النارية للمدفعية السورية وجود بطاريات من صواريخ ارض — ارض «فروغ» بعيدة المدى. وعامل ضعف المدفعية السورية الوحيد هو أن معظم مدافعها مقطورة تجد في بعض الحالات صعوبة في التحرك بوتيرة عالية تتلاءم مع وتيرة تقدم الدبابات التي تقوم بالمطاردة او بالالتفاف الواسع . ويجعل مرابضها أكثر تعرضا للقصف الجوي المعادي . بيد ان حجم هذه المدفعية وبعد مداها يؤمن للقوات البرية دعما ناريا قويا ويسمح بتطبيق التكتيكات الشرقية المبنية على الدعم الناري الكثيف .

وتشكل المدافع المضادة للدبابات هيكل الدفاع البري ضد الدبابات وهي موزعة بوحدات ملحقة بالكتائب والالوية والفرق ، بالاضافة الى وحدات مستقلة احتياطية . ولقد زادت قوة الدفاع ضد الدبابات بعد أن أدخل الجيش السوري في تشكيلاته القذائف السوفياتية الموجهة المضادة للدبابات من طراز ساغر القادرة على تدمير جميع انواع دبابات العدو من مسافات بعيدة لا تقل عن ٢٠٠٠ م .

وتتوزع وحدات المهندسين القتالية الى سرايا مهندسين ملحقة بالوية المشاة والدبابات وكتائب مهندسين ملحقة بفرق المشاة وكتائب مستقلة تابعة لقيادة الجيش التي تستخدمها لمهمات خاصة او لدعم التشكيلات القتالية حسب الحاجة .

ويضم الجيش السوري وحدات كيميائية للتطهير ، ووحدات قاذفات اللهب الخفيفة والثقيلة . وهي موزعة على قطعات المشاة والمدرعات او مجمعة داخل وحدات احتياطية تعمل تحت تصرف قيادة الجيش لتنفيذ مهمات محددة او لتدعم التشكيلات القتالية حسب مقتضيات المعركة .

ومن الجدير بالذكر ان جنود الجيش السوري يحملون معدات وقاية من الغاز (قناع) وهم مدربون على الحرب في ظروف استخدام اسلحة الدمار الشامل (غازات ، ذرة) .

الطيران :

يملك سلاح الطيران السوري بالاضافة الى طائرات النقل والهليكوبتر حوالي ٣١٠ طائرات مقاتلة منها ٢٠٠ طائرة ميغ — ٢١ مقاتلة معترضة قسم كبير منها ميغ — ٢١ م ف. و ٣٠ طائرة سوخوي — ٧ . وتعتبر الميغ — ٢١ والسوخوي — ٧ من طائرات الصف الاول . وتأتي بعدها طائرات الهجوم الارضي ميغ — ١٧ وهي من طائرات الصف الثاني . وتعمل المقاتلات المعترضة السورية لصد غارات العدو وحماية طائرات الهجوم

الارضي خلال تنفيذ مهماتها القتالية ، اما طائرات الهجوم الارضي فتعمل في دعم القوات البرية المتقدمة في العمقين التكتيكي والعملياتي .

وتستطيع مقاتلات الصف الاول السورية العمل في ميزان القوى الجوي العربي — الاسرائيلي الحالي . اما طائرات الصف الثاني فلا يحتمل استخدامها بفاعلية الا عند تخلخل هذا الميزان بشكل ملحوظ . ولا يوجد في سلاح الطيران السوري قاذفات — مقاتلة الامر الذي يجبره على استخدام طائرات الهجوم الارضي لدعم القوات البرية بعد حمايتها بالمقاتلات المعترضة . ولقد أثبتت المعارك الجوية الماضية ان الطيارين السوريين يقاتلون بجرأة نادرة حتى في حالة التفوق المعادي . وهم يستخدمون في مجابهة التفوق المعادي تكتيكات انقضاضية مفاجئة تقلب حسابات العدو الذي لا يتوقعها ولا يستطيع تفسيرها . وتستخدم الطائرات السورية القنابل العادية وقنابل النابالم والصواريخ جو — جو « آتول » والقذائف الصاروخية جو — ارض وليس هناك ما يدل على امتلاكها لذخائر خاصة مثل القذائف المضادة للرادار والقنابل الانزلاقية .

البحرية :

ويعتمد الدفاع الجوي السوري على المقاتلات المعترضة والمدافع المضادة للطائرات من مختلف العيارات وقواعد الصواريخ وسام — ٣ . ويبدو ان هذه القواعد قد دعمت مؤخرا بصواريخ سام — ٦ . ولكن من الواضح ان الدفاع السوري ضد الطائرات أصغر حجما من الدفاع المصري المماثل . وتعمل المدفعية المضادة للطائرات داخل وحدات ملحقة بألوية وفرق المدرعات والمشاة بالاضافة الى وحدات مستقلة لحماية المنشآت الحيوية او دعم التشكيلات القتالية . ولقد زادت قدرة القوات البرية على مجابهة طائرات الهجوم الارضي وطائرات الهليكوبتر بعد تزويدها بصواريخ سام — ٧ الفردية بأعداد كبيرة .

تعتبر البحرية السورية قوة لحراسة الشواطىء . وهيكلها الاساسي مبني على زوارق الصواريخ « كومار » المزودة بأحدث انواع الصواريخ الموجهة سطح — سطح من طراز ستيكس (المدى ٤٠ كيلومترا) وزوارق الطوربيد . وتستطيع هذه الزوارق بالاشتراك مع المدفعية الساحلية حماية الشواطىء ضد الهجمات البحرية المعادية . كما تستطيع مقاتلة المراكب المعادية في معارك بحرية محدودة .

ولا تملك البحرية السورية غواصات او مدمرات لذا فان من غير المنتظر مشاركتها في عمليات الخنق الاستراتيجي . ومن غير المنتظر ايضا قيام البحرية السورية بعمليات انزال كبيرة ولكن هذا لا يمنعها من المشاركة في عمليات انزال قوات كوماندوز محدودة لتخريب اهداف حيوية على شواطىء العدو شريطة ان يتم ذلك ليلا للتخلص من خطر الطيران المعادي .

ويؤمن وجود هذه القوة بالاضافة الى ذلك ردعا كافيا يمنع العدو من القيام بعمليات ابرار جوية قرب الشاطىء بقوات محمولة جوا تنفذ مهماتها التخريبية وتنسحب بعد ذلك بحرا .

(٣) اسرائيل

تضم القوات المسلحة الاسرائيلية البرية والبحرية والجوية ٩٥ ألف رجل من بينهم ٢٣ ألف كادر . وتعتمد هذه القوات على نواة من المتطوعين المحترفين وعدد ممن يؤدون الخدمة العسكرية . وتتألف القوات البرية من الوية مستقلة عاملة وأخرى احتياطية . وتعتبر مجموعة القتال التي تضم لواء مشاة او مدرعات معزز بأسلحة من مختلف الصنوف الوحدة التكتيكية الاساسية . ولا يقاتل الجيش الاسرائيلي بوحدات ذات تشكيل عضوي ثابت بل يقاتل بمجموعات قتال تعزز بأسلحة المعاونة حسب المهمة . وتعمل هذه المجموعات بصورة مستقلة او تجمع لتشكل مجموعات الوية يختلف حجمها باختلاف مهمتها وطبيعة المحاور التي تقاتل عليها .

وتتسلح القوات الاسرائيلية بأسلحة امريكية وفرنسية وبريطانية والمانية غربية وسويسرية واسرائيلية . وهي تطبق التكتيك الحربي الغربي وتعتمد الهجوم كعقيدة حربية سواء كان ذلك في الهجوم نفسه ام في الدفاع .

ولم تقاتل القوات المسلحة الاسرائيلية دفاعيا منذ عام ١٩٤٨ الا في فترة حرب الاستنزاف . ولقد وضعتها القيادة السياسية ـ العسكرية دائما في حالة تفوق استراتيجي جعلتها تنتصر قبل المعركة ، وجعلت عملياتها التكتيكية الظافرة تبدو وكأنها عمليات اسطورية (١٩٥٦ و ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف) الامر الذي أعطاها ثقة كبيرة ومعنويات عالية . ويمكن القول بأن القوات المسلحة الاسرائيلية هي احدى القوات المسلحة المحترفة التي تستخدم الاساليب الصدامية في القتال وفق خطط يضعها قادة مغامرون ميالون الى العمليات التظاهرية المتسمة بالغرابة والتجدد وتتم في ظل تفوق استراتيجي مؤكد ، وبعد تحقيق التفوق التكتيكي في زمان المعركة ومكانها .

وتتميز القوات المسلحة الاسرائيلية بسرعة حركتها ودقة اتصالاتها وسرعة عملياتها اللوجيستيكية (الادارية) الخاصة بالامداد والتموين والاخلاء نظرا لاستنادها الى قاعدة تكنولوجية متقدمة .

ولا يمثل الـ ٩٥ الف رجل سوى القوات الموجودة تحت السلاح ، ويرتفع عدد هذه القوات في حالة التعبئة العامة الى ٣٠٠ ـ ٣٢٥ الف رجل . وتعتمد الخطط الاستراتيجية الاسرائيلية كلها على سرعة تنفيذ التعبئة العامة ودقتها ، وارتفاع المستوى القتالي والتقني للجنود الاحتياطيين ، ووجود معدات الوحدات الاحتياطية واسلحتها وتجهيزاتها كاملة وفي حالة حسنة من الصيانة .

ويعود اعتماد الاسرائيليين على الاحتياط الى رغبتهم في عدم بناء قوات عاملة كبيرة لا تسمح بها الطاقة البشرية المحدودة ، وثقتهم بقوة الردع التي تملكها قواتهم المسلحة ، واعتمادهم على دقة معلومات الاستخبارات ، والقدرة على تنفيذ التعبئة العامة في فترة لا تزيد عن ٧٢ ساعة .

وتبني اسرائيل خططها القتالية على أساس الردع المعتمد على التفوق . وشن الهجوم الاجهاضي عندما تضعف تأثيرات الردع . وهي تراهن دائما على انهاء الحرب بسرعة خاطفة عن طريق تدمير قوات خصومها بعمليات حاسمة برية وجوية . ويرجع السبب في ذلك الى رغبتها في حسم الموقف قبل أي تدخل دولي ، وقبل تمكن العرب من حشد كل قواهم ، وعدم قدرتها (بشريا) على شن حرب طويلة تتطلب تعبئة بشرية كاملة تضع في أتون المعركة اكثر من ١٠/١٠٠ من عدد السكان و٥٠/١٠٠ من مجموع الرجال في سن الخدمة العسكرية وحوالي ١٠/١٠٠ من النساء في سن الخدمة العسكرية الامر الذي يعطل عجلة الاقتصادين الزراعي والصناعي .

الجيش :

يحتـــل الجيش في اسرائيل المرتبة الثانية بعد الطيران . وتعتمد تكتيكاته وخطط تحشده وتحركه على وجود السيطرة الجوية الاكيدة . وابرز اسلحة الجيش الاسرائيلي هو سلاح المدرعات الذي يضم حوالي ٢٠٠٠ دبابة : ١٧٠٠ دبابة متوسطة امريكية وانكليزية و٢٧٥ دبابة خفيفة فرنسية . وتعمل هذه الدبابات ضمن ٤ الوية مدرعة عاملة تصبح عند التعبئة ١٠ الوية .

وترجع ضخامة هذا السلاح الى رغبة اسرائيل في مجابهة المدرعات العربية على أكثر من جبهة واحتمالات القتال في الصحراء وضرورة تعويض النقص البشري بزيادة قوة النار والصدمة. وليس في السلاح المدرع الاسرائيلي دبابات ثقيلة.وهو يستخدم الدبابات الخفيفة وفق العقيدة الغربية لعمليات الاستطلاع والمطاردة خاصة بعد تزويدها بمدفع ١٠٥ مم . ولا تذكر المصادر العالمية ان في الجيش الاسرائيلي عددا كبيرا من الدبابات البرمائية . ولكن وجود القوات الاسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة ، وعقيدتهـــا التعرضية الهجومية ، وميل قياداتها الى العمليات المفاجئة والضربات الردعية التظاهرية يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن في الجيش الاسرائيلي وحدات دبابات وعربات مدرعـــة برمائية بأعداد تكفي لاجراء عمليات خاصة على الضفة الغربية .

تملك معظم الدبابات الاسرائيلية (المتوسطة والخفيفة) مدفعا من عيار ١٠٥ مم كما تملك معظم دباباتها المتوسطة اجهزة رؤية ليلية .

ويستخدم الاسرائيليون دباباتهم في القتال داخل كتل ضخمة ، ونادرا ما استخدموها في الماضي بوحدات مبعثرة . ويدعمون المجموعات المدرعة بوحدات من المشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة والمهندسين والمدافع المضادة للطائرات .. الخ . وتكون هذه التشكيلات المدرعة هيكل القوات الضاربة أو في الاحتياط. وعندما يريدون دعم مجموعات القتال المشكلة من وحدات المشاة فانهم يقدمون لها دبابات الصف الثاني لزيادة امكانات النار والصدمة لهذه التشكيلات .

ويضم السلاح المدرع الاسرائيلي وحدات من المصفحات يستخدمها للاستطلاع المسلح او لمجابهة القوات المحمولة جوا . ولكن استخدامها الاساسي هو لمحاربة قوات الثورة الفلسطينية وقمع الاهالي الواقعين تحت الاحتلال . ان وجود هذه المصفحات في جيش متطور ، رغم اختفائها من جميع الجيوش الحديثة ، يدل على طبيعة هذا الجيش القمعية واستعداده لتنفيذ المهمات الداخلية .

ويؤمن سلاح المدرعات الاسرائيلي حمايته الجوية بالمدافع م/ط . ولكنه يعتمد في حمايته الجوية اساسا على سيطرة السلاح الجوي الاسرائيلي الذي يمنع الطائـــرات العربية من التحليق في سماء المعركة . اما الدعم الناري فهو يحصل عليه من المدافع ذاتية الحركة (٤٠٠ مدفع من مختلف العيارات) بالاضافة الى دعم الطيران . ويرافق التشكيلات المدرعة عادة مدافع مضادة للدبابات عيار ٩٠ مـــم محمولة علـــى نصف مجنزرات ومدافع ثنائية عيار ٢٠ مم (رشاشات اوريغان) محمولة على عربات نصف مجنزرة م ــ ٣ قادرة على مرافقة الدبابات وزيادة قدرتها النارية ضد الدبابات .

وتؤمن الخدمات الهندسية الميدانية لقطعات المدرعات الاسرائيلية دبابات كاسحات الغام ، وأخرى مزودة بشفرات بلدوزر (تانك دوزر) ودبابات حاملة جسور لاجتياز الموانع المائية الصغيرة والحفر على الطرقات والخنادق المضادة للدبابات .

وتضم القوات الضاربة الاسرائيلية ايضا ٥ الوية مشاة ميكانيكية تصبح عند دعوة الاحتياط ٩ الوية . وهي محمولة على ناقلات جنود مدرعة م ــ ٣ و م ــ ١١٣ نصف

مجنزرة الامر الذي يعطيها قدرة حركية كبيرة ، ويؤمن لها امكانية مواكبة الدبابات . ولقد اهتمت القيادة الاسرائيلية بزيادة عدد ألوية المشاة الميكانيكية ضمن خطة تستهدف الغاء الوية المشاة العادية التي لا تتلاءم كثيرا مع حرب الحركة السريعة الخاطفة في الصحراء .

وترافق الوية المشاة الميكانيكية الدبابات بغية مساعدتها وتدمير المقاومات امامها . وقد تستخدم هذه الالوية لتنفيذ مهمات خاصة على محاور ثانوية ، وتدعم في هذه الحالة بالدبابات ومدفعية الميدان ذاتية الحركة والصواريخ المضـــادة للدبابات والطائرات . وتمتاز ناقلات الجنود المدرعة المستخدمة في هذه الالوية بأنها مجنزرة او نصف مجنزرة قادرة على الحركة في الصحراء. بيد ان الناقلات المدرعة من طراز م ــ ٣ نصف المجنزرة ضعيفة التصفيح ويمكن لنيران الرشاشات الثقيلة خرقها .

ويكمل القوة الضاربة الاسرائيلية ١ــ٢ لواء مظلات يتحول عند التعبئة العامة الى ٥ــ٦ الوية . ولا تملك اسرائيل طائرات نقل وطائرات هليكوبتر لنقل كل هذه القوات دفعة واحدة . ولكنها تملك ما يؤمن نقل لوائين معا . ولقد استخدمت اسرائيل قواتها المحمولة جوا في المجابهات السابقة كقوات كوماندوس محمولة على عربات مدرعة ودفعتها لتطهير المدن بمساعدة الدبابات . كما استخدمتها في عمليات مظلية صغيرة محدودة ضد الجيوش العربية وضد قوات الثورة الفلسطينية . ولكنها لم تستخدمها حتى اليوم في عمليات مظلية كبيرة ذات مهمات استراتيجية .

وتدل تصريحات القادة الاسرائيليين على أنهم ينوون زيادة حجم قواتهم المحمولة جوا، ورفع مستوى قدرتها القتالية، وتزويدها بأسلحة ثقيلة وأسلحة ضد الدبابات والطائرات واستخدام طائرات الهليكوبتـــر المزودة بالرشاشات والصواريخ جو ــ ارض لدعـــم المظليين العاملين على الارض بقوة نارية فعالة ، واعداد اسطول من طائرات النقل وطائرات الهليكوبتر لنقل اعتدة ثقيلة (مدفعية ــ دبابات ــ عربات ... الخ) وامدادات وانزالها في مسرح عمليات المظليين . الامر الذي يشير الى احتمالات استخدام المظليين على نطاق واسع وداخل تشكيلات كبيرة لتحقيق المفاجآت الاستراتيجية في عمق الاراضي العربية .

وبالرغم من رغبة اسرائيل في الغاء سلاح المشاة وتحويله الى مشاة ميكانيكية تابعة للمدرعات وألوية مظلات فلا يزال لدى هـــذا الجيش ٥ الوية مشاة عاملة مدعومـــة بالمدفعية والدبابات والمهندسين . وتستخدم هذه الالوية للدفاع على المحاور الثانوية او لتطهير المدن او في الانساق الخلفية للهجوم . ويمكن اعتبارها اضعف وحدات العدو وأقلها ملاءمة للحرب الخاطفة .

ولا تهتم اسرائيل اهتماما كافيا بالمدفعية . وليس في جيشها أعداد كبيرة من المدافع المقطورة ، ومعظم مدفعيتها ذاتية الحركة . ويرجع التوجه نحو المدافع ذاتية الحركة الى الرغبة في استخدام المدافع القادرة على مسايرة تقدم الوحدات المدرعة والميكانيكية . أما ضعف المدفعية النسبي فيرجع الىاعتماد اسرائيل على الدعم الناري الجوي .

ويعتمد الدفاع الاسرائيلي المضاد للدبابات على المدافـــع المضادة ذاتية الحركـــة والمدافع ١٠٦ عديمة الارتداد المحمولة على سيارات جيب بالاضافـــة الى الصواريخ س س ــ ١٠ وس س ــ ١١ وكوبرا الثابتة او المحمولة على عربات نصف مجنزرة . ولا يبدو ان الجيش الاسرائيلي يولي المدافع المقطورة المضادة للدبابات اهتماما كبيرا .

اما المدفعية الارضية المضادة للطائرات فهي أضعف أسلحة العدو ، وتضم مدافع من عيار ٢٠ و ٣٠ و ٤٠ مم . وكلها موزعة على التشكيلات القتالية او ضمن وحدات خاصة

للدفاع عن المنشآت الحيوية . وتتمثل القوة الاساسية في الدفاع الجوي الاسرائيلي في صواريخ هوك المعدة لحماية أهم النقاط الحيوية . ولا يرى الاسرائيليون أن هناك ضرورة لتقوية دفاعهم الارضي ضد الطائرات طالما أنهم يتمتعون بالتفوق الجوي الذي يؤمن الحماية ضد الطائرات وفق مبدأ الطائرة ضد الطائرة .

وتتوزع وحدات المهندسين القتالية الى سرايا مهندسين ملحقة عضويا بألوية المشاة والدبابات والمظليين، وكتائب مهندسين قتالية مستقلة وكتائب مهندسين للمهمات الخاصة وتوضع هذه الكتائب تحت تصرف قيادات الجبهات لتنفيذ مهمات محددة لصالح الجبهة او لتدعم بها التشكيلات القتالية حسب طبيعة المهمة المكلفة بها .

ويضم الجيش الاسرائيلي وحدات كيميائية للتطهير ووحدات قاذفات لهب ، وهي موزعة على الوية الجيش او مجمعة داخل وحدات احتياطية تستخدم للقيام بمهمات خاصة او لتلحق بالتشكيلات القتالية .

الطيران :

يملك الطيران الاسرائيلي بالاضافة الى طائرات النقل والهليكوبتر ٤٣٢ طائرة مقاتلة منها ٣١٥ طائرة صف اول : ١٠٠ طائرة قاذفة ــ مقاتلة فانتوم ، ٣٥ طائرة قاذفة مقاتلة ميراج ــ ٣ سي ، و ١٦٥ طائرة هجوم ارضي سكايهوك .

ويبني الاسرائيليون نظرياتهم العسكرية في الامن والرد والردع على امتلاك التفوق الجوي الساحق القادر على حسم المعركة في الاراضي المكشوفة او خلق افضل الظروف القتالية الملائمة لعمل القوات البرية بشكل يرفع كفاءة هذه القوات ويعطيها تفوقا يزيد عن حجمها الحقيقي بمرتين او ثلاث مرات .

وبالرغم من قلة عدد الطائرات الاسرائيلية فانها تملك قوة نارية كبيرة . وتستطيع طائرات الصف الاول ان تحمل في طلعة واحدة (حمولة كاملة) ١٥١٣ طنا من القنابل ، كما تستطيع طائرات الصف الثاني حمل ٧٧ طنا . ومن المؤكد ان وجود ١٠٠ طائرة قاذفة ــ مقاتلة فانتوم ذات السرعة العالية والمزودة بصواريخ سبارو وسايدوندر واجهزة متطورة والتي يقودها طيارون قادرون على الافادة معا من هذه الاجهزة بشكل افضل يدخل عاملا جديدا في حسابات الميزان الجوي .

ويعتمد سلاح الطيران على القاذفات ــ المقاتلة (فانتوم وميراج) القادرة على القيام بمهمات الدفاع الجوي ومهمات القصف في العمق العملياتي والاستراتيجي ، ويدعم قواته البرية في مسرح المعركة بطائرات السكايهوك المعدة للهجوم الارضي . ويمكنه استخدام طائرات الصف الثاني مستير وسوبر مستير وأوريغان القاذفة المعترضة لدعم القوات البرية في حالة السيطرة الجوية الكاملة ، او في حالة السيطرة الجوية في مسرح محدد وزمن معين .

ويسهل وجود القاذفات ــ المقاتلة مهمات الطيران الاسرائيلي ويخفف من تعقيدات استخدام هذا السلاح ويعطي اسرائيل قدرة على القصف في العمق تفوق قدرة اسلحة الطيران العربية خاصة وان طائرة الفانتوم تعتبر حاليا من طائرات التفوق .

ولوجود طائرات الفانتوم تأثير آخر أيضا . ويتمثل هذا التأثير في منع الطائرات ميغ ــ ٢١ من تنفيذ مهمتها عند اعتراض طائرات الميراج والسكايهوك وطائرات الصف الثاني . لان كل مجابهة تتم بين هذه الطائرات الاسرائيلية وطائرات الميغ ــ ٢١ تنقلب الى مجابهة بين الميغ ــ ٢١ والفانتوم التي تشكل مظلة حماية . وهي مجابهة لصالح الفانتوم لانها اسرع من الميغ ــ ٢١ وتملك أجهزة اكثر تطورا وصواريخ ابعد مدى واكثر عددا . ولكن هذه المجابهة ستكون لصالح الطيران العربي في حالتين : ١) ان يحصل

هذا الطيران على طائرات ميغ ـــ ٢٥ أو طائرات سوخوي ـــ ١١ وهي مقاتلة معترضة تملك سرعة اكبر من سرعة الفانتوم ، واجهزة متطورة ، وصواريخ حديثة ، ٢) اذا ما تم تنسيق جيد بين طائرات الميغ ـــ ٢١ وبطاريات صواريخ ارض ـــ جو سام من مختلف الانواع .

وتستطيع طائرات الصف الاول الاسرائيلية العمل فور بدء الاشتباكات كما ان التفوق الجوي الاسرائيلي يسمح باستخدام طائرات الصف الثاني منذ البداية تحت حماية مظلة جوية من طائرات الفانتوم .

ويقدر الاسرائيليون ان طائراتهم قادرة على القيام بست طلعات جوية في اليوم ، ولقد كان بوسعهم في عام ١٩٦٧ القيام بعدد أكبر من الطلعات نظرا لقرب مسارح العمليات . اما اليوم وبعد اتساع مسارح العمليات فاننا نعتقد ان قدرة الطيران الاسرائيلي على القيام بست طلعات جوية يوميا أمر فيه بعض المبالغة .

وتستخدم الطائرات الاسرائيلية القنابل العادية وقنابل النابالم والصواريخ جو ـــ جو (سبارو ، وسايدوندر ، وشفرير) والقذائف الصاروخية جو ـــ أرض بالاضافة الى القنابل الانزلاقية ، والقنابل المتأخرة الانفجار ، والقنابل المنفلقة المضادة للاشخاص ، وقنابل شرايك المضادة للرادار .

البحرية :

تملك اسرائيل سلاحا بحريا صغيرا (٥٩ قطعة) بالنسبة للبحرية المصرية والسورية معا ، وبالنسبة لطول شواطىء الارض المحتلة وضرورة العمل في بحرين منفصلين .

وبالرغم من ضعف البحرية الاسرائيلية النسبي فقد قامت في المجابهات الماضية بأكثر من عملية بحرية بفضل التفوق الجوي الذي كان يحرم البحرية العربية من حرية الحركة. ولا تعتمد البحرية الاسرائيلية على المدمرات او الغواصات بل تعتمد على زوارق الطوربيد وزوارق الصواريخ المزودة بصواريخ غبريئيل .

ان حجم البحرية الاسرائيلية ونوعيتها ، وميزان القوى البحري لا يسمحان للبحرية الاسرائيلية الا بالقيام بمهمة الدفاع عن الشواطىء ، وببعض عمليات انزال محدودة او عمليات كوماندوس بحرية خاصة . بيد ان اختلال ميزان القوى الجوية سيجعلها قادرة على القيام بعمليات تفوق امكاناتها ، وسيساعدها على التحرك الى مسافات ما كانت لتجرؤ على التحرك اليها في ظل ميزان قوى جوي عادي .

مواقف عالمية من الحرب

صدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية خلال المواجهة الجديدة مع العدو الاسرائيلي مجموعة من الدراسات والتقارير في سلسلة « النشرات السياسية الخاصة » دار معظمها حول ردود الفعل العالمية ومواقف الكتل المختلفة من الانفجار الاخير وملابساته السياسية والاعلامية على هذا الصعيد . وكانت هذه النشرات تطمح في النهاية الى تغطية واسعة لاصداء هذه الحرب وترتباتها . الا ان ما صدر منها حتى الان وما ينشر هنا لا يفي بالغرض هذا ويكتفي بتغطية بعض الدول والمناطق وبطرح بعض القضايا الجزئية . ويهمنا ان نؤكد ههنا ان المواجهة الاخيرة — مهما قصرت واكتنف الغموض بعض جوانبها السياسية — ستغير الكثير من الموازين والاوضاع في المنطقة وعلى الصعيد الدولي (وقد نتطرق لاحقا لهذا الجانب) . فالحرب عبارة عن عمل سياسي مكثف في المحتوى والزمان . ولهذا يجدر بنا ان نتابع بدقة كافة الاصداء وردود الفعل التي تنشأ من اندلاعها واستمرارها . وقد شارك في اعداد هذه التقارير (بالترتيب الابجدي) : رفعت ابو العون ، داود تلحمي ، سعيد جواد ، عواطف عبد الرحمن ، محمد نصر وجميل هلال .

(١) الموقف السوفياتي من الحرب من خلال الصحافة السوفياتية

ان المتتبع للصحافة السوفياتية منذ مطلع عام ١٩٧٣ يلاحظ اهتمام السوفييت بالتحشدات الاسرائيلية على حدود كل من سوريا ولبنان واستفزازات اسرائيل الدائمة ضد لبنان وسوريا . فان صحفهم لا تكاد تخلو وبشكل دائم من الاشارة لاستفزاز اسرائيل ضد سوريا او لبنان ، وبين الفترة والاخرى نجد تعليقات سياسية حول سياسة اسرائيل العدوانية والتوسعية على حساب الشعوب العربية ، وكذلك تنديد بشكل دائم بسياسة العسكرية الاسرائيلية في المنطقة . هذا اضافة الى موقف السوفييت الثابت من الحركة الصهيونية العالمية ومحاولة فضح اساليبها وزيف ايديولوجيتها وافلاسها ، والترابط العضوي بين كل من الحركة الصهيونية العالمية وحكام تل أبيب من جهة والامبريالية العالمية من جهة ثانية ، وفق ذلك كله فقد صدرت في الصحافة السوفياتية عدة تحليلات للمجتمع الاسرائيلي وحركات الاضرابات الداخلية وتعاظم الجرائم في اسرائيل ونمو جيل منحرف نتيجة السياسة الخاطئة التي تنتهجها العسكرية الصهيونية الحاكمة في اسرائيل ، وتنوه الصحف السوفياتية بين الحين والاخر بدور الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ركاح » في النضال ضد الطغمة الصهيونية الحاكمة في تل ابيب.

كما أن الصحف السوفياتية أبدت اهتماما بالغا هذا العام وبشكل ملحوظ بحركة المقاومة الفلسطينية ، وتابعت باستمرار فضح الجرائم الاسرائيلية التي ارتكبت وترتكب ضد المخيمات الفلسطينية وضد قادة حركة المقاومة الفلسطينية في لبنان .

وكان أبرز ما اولته الصحافة السوفياتية اهتمامها حادث العدوان ضد البداوي ونهر البارز وعملية الانزال الاسرائيلية ضد هذين المخيمين ، وقد كتب عدة معلقين

سوفييت مقالات حول هذا الحادث منددين بالسياسة الاجرامية لاسرائيل وحكامها الصهاينة . ثم حادثة اغتيال القادة ابو يوسف ، كمال ناصر ، كمال عدوان ، ونسف مكتب الجبهة الديمقراطية في الفاكهاني ، وحوادث الاغتيال التي تمت في دول اوروبية . وقد اتهمت الصحف السوفياتية دوائر المخابرات الاسرائيلية وعملائها بأنها تقف وراء مثل هذه الحوادث الاجرامية . وكذلك حوادث التعرض للطائرات العربية (الطائرة الليبية ، الطائرة العراقية ، الطائرة اللبنانية) .

وكانت لصحافة السوفياتية باستمرار تحذر اسرائيل من نتيجة اللعب بالنار وتطالب بوقف مثل هذه السياسة التي ستكون دمارا على اسرائيل ، وقد نوهت الصحف بدور الامبريالية العالمية في دعم اسرائيل وتشجيعها لارتكاب مثل هذه الاعمال .

والتزمت الصحافة السوفياتية في الاونة الاخيرة سياسة فضح اسرائيل في افريقيا ووعي قادة حركة التحرر في افريقيا لدور اسرائيل التآمري مع حكام جنوب افريقيا العنصريين ، وركزت الصحافة السوفياتية على عملية قطع العلاقات الدبلوماسية بين عدة دول افريقية واسرائيل نتيجة انفضاح مواقف اسرائيل العدوانية والتآمرية العنصرية .

كما أبرزت وكالات الانباء السوفياتية والصحف السوفياتية خطابات الوفود التي نددت باسرائيل في الامم المتحدة معتبرة اياها بؤرة حرب في الشرق الاوسط . وجاء ذلك في مقال بعنوان « يجب اخماد بؤرة الحرب في الشرق الادنى » بقلم معلق بوكالة نوفستي بليشفسكي بتاريخ ٧٣/١٠/٦ .

كما ركزت وكالة نوفستي في مقال حول رسالة تفضح زيف الادعاءات الصهيونية من مهاجر يهودي روسي هارب من اسرائيل . تحت عنوان : « مهاجر يهودي هرب من اسرائيل يتحدث عن الحياة في تلك البلاد » .

ويوم ١٩٧٣/١٠/٧ اهتمت الصحافة السوفياتية بشكل مثير باحداث الشرق الاوسط وفي صفحاتها الاولى وبعناوين بارزة ادانت العدوان الاسرائيلي الصهيوني ضد الشعوب العربية .

فقد كتبت جريدة البرافدا يوم ٧٣/١٠/٧ في عرضها للاحداث الدولية تقول : «اليوم حيث تقدم الانفراج وازداد الامن تعززا بفضل نمو القوة والتأثير الدولي للاتحاد السوفياتي وكل الاسرة الاشتراكية ولسياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية النشيطة ونضال كل الشعوب الشغوفة بالسلم ، تقوم قوى الرجعية والعدوان الصهيونية باعتداءات جديدة على سلم الشعوب وحريتها واستقلالها . فيوم أمس هاجمت القوات الاسرائيلية ، بعد اعداد دقيق وتعبئة الاحتياط ، مصر وسوريا وكانت الصحافة العالمية الاجنبية قد تحدثت قبل عدة أيام متوالية عن احتمال مثل هذا الهجوم . وان معارك شديدة يشترك فيها الطيران والمدفعية والمشاة والمدرعات تجري على طول خط وقف اطلاق النار مع سوريا وعلى طول جبهة قناة السويس .. »

واستمرت تعليقات البرافدا مدينة العدوان الصهيوني وكذلك الازفستيا وكل الصحف السوفياتية مثل النجم الاحمر ، وجريدة الترود ، والكمسومولسكيا برافدا وغيرها .

ويوم ١٩٧٣/١٠/٨ نشرت كل الصحف السوفياتية بيان الحكومة السوفياتية الذي أشارت فيه الى « ان مسؤولية التطور الحالي في الشرق الادنى والاحداث الجارية هناك ونتائجها تقع بكاملها على اسرائيل وعلى تلك الاوساط الرجعية الخارجية التي تتساهل دوما مع اسرائيل في مطامعها العدوانية . » واشار كذلك بيان الحكومة السوفياتية الى « ان الاتحاد السوفياتي اذ يدين سياسة اسرائيل الاحتلالية يدعم بحزم

المطالب المشروعة للدول العربية حول تحرير كافة الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل سنة ١٩٦٧ » .

كما نشرت البرافدا وغيرها من الصحف السوفياتية بيان اللجنة السوفياتية لتضامن بلدان آسيا وافريقيا ، والذي توجهت فيه اللجنة السوفياتية الى جميع القوى المحبة للسلام وكافة المنظمات والحركات الديمقراطية في العالم بنداء تدعو فيه الى « تشديد دعمها للنضال الباسل الذي تخوضه شعوب مصر وسوريا دفاعا عن حرية واستقلال وسلامة اراضي بلديهما » .

وكتب معلق في صحيفة البرافدا مقالا حول «الاعمال العدوانية الجديدة التي قامت بها اسرائيل» . والمعلق هو فلاديمير يرماكوف وجاء في التعليق « ان « صقور » تل ابيب سلكوا من جديد طريق الاعمال العدوانية وتحدوا بذلك كافة القوى المحبة للسلام . واحدثوا في الشرق الادنى وضعا مشحونا بأخطر العواقب » .

أما معلق وكالة انباء نوفوستي فكتب يوم ١٠/٨ مقالا بعنوان « اسرائيل كانت تسير بخط مستقيم نحو عدوان جديد » . وجاء في التعليق : « قبل بضعة أيام من الاحداث التي بدأت يوم ١٠/٦ فضحت تل أبيب نفسها تماما بتكرارها كل اساليب الدعاية التي مارستها خلال اعداد عدوان سنة ١٩٦٧ ، فكما في ذلك الحين أرادت الصحافة الصهيونية ان تظهر اسرائيل وكأنها « عرضة لهجوم محتمل » وبهذه الذريعة اعلنت وزارة ديان التعبئة العامة وحشدت وحدات هامة على طول خط وقف اطلاق النار مع الدول العربية المجاورة ... الخ » .

واستمر المعلق في فضح سياسة اسرائيل الارهابية وفي عمليات تسميم المزروعات في منطقة نابلس وارهابها ضد شعب فلسطين داخل الارض المحتلة وخارجها .

وحدد مسار السياسة الاسرائيلية العدوانية في ثلاثة اتجاهات هي :

١) احباط كل الاعمال والمبادرات الرامية الى تسوية نزاع الشرق الادنى بالطرق السلمية .

٢) تحويل الاراضي العربية المحتلة الى نهب اقتصادي لاسرائيل ومن ثم تهويدها تدريجيا خلافا وانتهاكا للقانون الدولي .

٣) ممارسة الارهاب ضد البلدان العربية وضد الوطنيين من الشعب الفلسطيني .

ومراقب سياسي اخر ستروخانوف في الوكالات السوفياتية كتب تعليقا بعنوان : « الاتحاد السوفياتي يدعم قضية العرب العادلة » . يتطرق التعليق حول مواقف السوفييت المؤيدة للعرب في مختلف المجالات وكذلك محادثات بريجينيف ونيكسون وتأكيد بريجينيف على ضرورة حل النزاع بالطرق السلمية مع احترام الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وتطرق التعليق كذلك لخطاب بريجينيف في بلغاريا في ١٩ نيسان سنة ١٩٧٣ حيث أكد على احترام حقوق كل الشعوب في تقرير مصيرها ومن ضمنها الشعب العربي الفلسطيني .

وركزت وكالات الانباء والصحف السوفياتية يوم ١٠/٨ على تزايد عزلة اسرائيل في المجتمع الدولي .

ويومي ٩ و١٠/١٠ أكدت الصحف على بيان الحكومة السوفياتية وعلى مواقف السوفييت المستنكرة للعدوان الاسرائيلي والمؤيدة للشعوب العربية في النضال لدحر العدوان . وخصصت الصحف ، خاصة البرافدا مجالا لنشر بيان من النقابات السوفياتية ضد العدوان ومن أجل تأييد ودعم الشعوب العربية وشعب فلسطين وحقوقه العادلة .

وتحت عنوان « يجب لجم المعتدين الاسرائيليين » كتب المراسل والمندوب الخاص لصحيفة الجمهورية القاهرية الرفيق دافيدوف من موسكو حول موقف الرأي العام السوفياتي من العدوان الاخير ضد مصر وسوريا ، ونقل آراء دكاترة واساتذة جامعات في موسكو حول العدوان وضرورة دعم الشعوب العربية لدحر العدوان . والمعلق « ميدفيدكو » كتب مقالا حول العدوان تحت عنوان « دروس تلقن للمعتدين » اكد على طبيعة اسرائيل العدوانية وعلى عدوانها الاخير وارتباطه بعدوان سنة ١٩٦٧ وعرقلة اسرائيل لاية تسوية لازمة الشرق الاوسط . واكد على ضرورة دعم الشعوب العربية من أجل تحرير اراضيها .

وفي يوم ١٠/١١ كانت أبرز عناوين الصحف حول العدوان الاسرائيلي ضد الشعوب العربية ، وخصص المعلقون جزءا كبيرا من الصحف لتعليقاتهم فالمعلق السياسي لوكالة نوفستي كتب تحت عنوان « اسرائيل تحصد ما زرعت » : « ان القصف البربري لمدينة دمشق من قبل الطيران الاسرائيلي الذي ادى لوقوع ضحايا بين السكان المدنيين والدبلوماسيين ليس ابدا حادثا عرضيا في هذه الحرب ، فقد كانت اسرائيل منذ البداية سنة ١٩٤٨ معتديا وقحا لا تتورع عن استخدام أي وسيلة للتوصل الى اغراضها التوسعية : اغتصاب الاراضي العربية بالقوة ، الارهاب ، طرد السكان العرب بالقوة، التوسع الصارخ بذريعة استصلاح أراض جديدة الخ ... »

واما معلق ازفستيا « كوربافين » فيكتب تحت عنوان « تل ابيب تلعب النار » يعلق على تصريحات وزير خارجية اسرائيل عن السلام في الامم المتحدة ومحتواها الفارغ من اي معنى او أية قيمة ، ثم يتحدث عن اعتداءات اسرائيل المتكررة على الدول العربية ، وعن الدعم من وراء المحيط لاسرائيل في إعتداءاتها ويقصد بذلك طبعا الولايات المتحدة ، ويتحدث عن العلاقات العربية السوفياتية وقوة الصداقة وتأثير هذه الصداقة في صد أي عدوان ضد العرب ، وعن الحرب النفسية التي تشنها اسرائيل وحماتها الامبرياليين ضد العرب . ثم يأتي على الموقف المبدئي للاتحاد السوفياتي في دعم الامة العربية بنضالها من أجل تحرير اراضيها المحتلة عام ١٩٦٧ ومن أجل استعادة حقوق شعب فلسطين المشروعة وحق تقرير المصير لهذا الشعب .

ومعلق اخر في صحيفة ازفستيا « ماتغيف » يعلق تحت عنوان «ثم الرعونة» ويهاجم السياسة الاسرائيلية بشدة ليقول « ان الطغمة العسكرية الاسرائيلية تحارب لتحقيق أغراض احتلالية وتوسعية ، في حين ان القوات المسلحة المصرية والسورية والمستندة الى دعم متعاظم من جانب سائر البلدان العربية ، تخوض النضال في سبيل استرجاع اراضيها وحقوقها المشروعة » .

وفي ختام التعليق يقول ماتغيف :

ليس هناك ثمة سبيل اخر من أجل السلم في الشرق الادنى « ويؤكد في سياق التعليق على حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ..

وتنشر صحيفة « موسكو المساء » رسائل من مهندسين واطباء سوفييت ينددون بالعدوان الاسرائيلي ضد الشعوب العربية وفي سبيل التوسع ، ويؤيدون نضال الشعوب العربية لدحر العدوان .

وصحيفة « الترود » الناطقة باسم اللجنة المركزية للنقابات السوفياتية تؤكد في مقال طويل على ضرورة نضال الشعوب العربية لتحرير اراضيها ، وتؤكد على حقوق شعب فلسطين ايضا . وتهاجم بشدة العدوان الاسرائيلي ضد الشعوب العربية ، وضرورة انهاء مثل هذه الاعتداءات ووضع حد نهائي لها . وتؤكد على أن اسرائيل هي بؤرة

الحرب والتوتر بالمنطقة . وكذلك تؤكد وكالات الانباء على بيان جمعية الصداقة والتضامن مع الشعوب والبلدان العربية والداعي لانهاء العدوان الاسرائيلي ضد الشعوب العربية واعطاء الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة وحق تقرير مصيره .

(٢) المانيا الديموقراطية والحرب

في ١٠/٨ أصدر المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الاشتراكي الالماني الموحد بالاشتراك مع مجلس الدولة ومجلس الوزراء في جمهورية المانيا الديموقراطية بيانا جاء فيه :

« ان الوضع في الشرق الاوسط يتصف منذ سنوات بالتوتر نتيجة لسياسة اسرائيل العدوانية المتواصلة تجاه الدول والشعوب العربية ...

وخلال الايام القليلة الماضية عبأت اسرائيل قوات الاحتياط وزادت من حدة الوضع بتصريحات مختلفة من قادتها وحشدت قوات كبيرة على طول خطوط وقف اطلاق النار مع سوريا ومصر ، ثم بدأت اخيرا بالعمليات العسكرية ...

ان مطالب الدول العربية بانسحاب المعتدي الاسرائيلي من جميع المناطق العربية المحتلة عام ١٩٦٧ **وتلبية المطالب العادلة للشعب العربي الفلسطيني** تحظى بمساندة جميع القوى المحبة للسلام في العالم ومنها جمهورية المانيا الديموقراطية .. » .

وفي اليوم نفسه ، أبلغ اريش هونيكر السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب سفراء كل من مصر وسوريا والعراق نص هذا البيان و« تأكيد وقوف الحزب الاشتراكي الالماني الموحد وشعب جمهورية المانيا الديموقراطية بثبات الى جانب الشعوب العربية» حسب تعبير وكالة انباء (ا. د. ن) .

وفي حفل استقبال بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لتأسيس الجمهورية ، تكلم فيلي شتوف رئيس مجلس الدولة مستنكرا بشدة سياسة اسرائيل العدوانية ومبديا تضامن الحزب والدولة مع « الشعوب العربية المناضلة من اجل قضيتها العادلة بما فيها الشعب العربي الفلسطيني » .

واثناء اجتماعه في اولان باتور مع السكرتير الاول للجنة المركزية لحزب الشعب الثوري المنغولي تسيدنبال ، اعرب اريش هونيكر مجددا عن دعم بلاده « لقضية الشعب العربي » مضيفا : « اننا نقدم تضامننا ومساندتنا السياسية والمادية لضحايا العدوان الاسرائيلي » .

وبالفعل ذكرت وكالة (ا.د.ن) في عدد ١٠/١١ ان حكومة المانيا الديموقراطية اتخذت « قرارا بتقديم كميات كبيرة من بلازما الدم والعقاقير الطبية لحكومتي مصر وسوريا وذلك دعما للنضال المرير والعادل الذي تخوضه الشعوب العربية ضد المعتدين الاسرائيليين ... وتبرع منذ السادس من تشرين الاول العديد من مواطني المانيا الديموقراطية بالدم تعبيرا عن تضالهم ... »

كما نشرت الوكالة نص بيان اصدره **اتحاد النقابات الالمانية الحرة** ووجهه الى الاتحاد العام لنقابات العمال العرب ويعلن فيه تضامن العمال في المانيا الديموقراطية مع عمال وشعوب الدول العربية « وخاصة المهددة منها بالعدوان » ونشرت بيانا اخر اصدرته منظمتا الشبيبة الالمانية الحرة (التي أشرفت على مهرجان برلين في الصيف الماضي) والرواد الصغار يحمل مساندة « الجيل الجديد » للمطالب العربية .

وقد اتخذت منظمات سياسية وجماهيرية اخرى مواقف مشابهة نشير بينها الى

موقف الحزب الديموقراطي الليبرالي الالماني (وهو احد احزاب الجبهة الوطنية في المانيا الديموقراطية ويضم بعض الرأسماليين والمثقفين والفلاحين) الذي ندد بالسياسة التوسعية لاسرائيل وطالب بتطبيق قرارات الامم المتحدة وتصفية بؤرة الحرب في الشرق الاوسط (تاس ١٠/١٢) .

وقد رددت الصحف خط التضامن من هذا منددة بالعدوان الاسرائيلي ومركزة على تهديد اسرائيل لامن المنطقة وللسلام الدولي .

فكتبت صحيفة « برلين تسايتونغ » الواسعة الانتشار تعليقا في عدد ١٠/٨ جاء فيه « ان الاعتداء الغاشم موجه بشكل متعمد ضد الحل السياسي العادل لمشكلة الشرق الاوسط والذي **ظهرت في هذا الوقت شروط دولية ملائمة له** » .

وذكرت كبرى صحف المانيا الديموقراطية « نويس دويتشلاند » في ١٠/٩ ان « ازالة البؤرة الخطرة للحرب والازمات في الشرق الاوسط على اساس الانسحاب الكامل للمعتدين الاسرائيليين من جميع الاراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ وضمان الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني تشكل ضرورة لازمة لصيانة السلام العالمي » ، وان « مثل هذه التسوية هي في المصلحة المبدئية لجميع الشعوب التي رحبت بعملية تخفيف التوتر الدولي التي برزت للوجود في المدة الاخيرة » .

وفي مقالها الافتتاحي يوم ١٠/٩ ذكرت جريدة « نويه تسايت » ان المسؤولين عن الانفجار الحالي « هم انفسهم اولئك الذين انتهجوا **منذ ساعة ولادة دولة اسرائيل** سياسة عدوانية ضد الجيران العرب باعتبارها مبدأ للدولة ... »

واثارت صحيفة برلين المسائية الصادرة بعد ظهر ١٠/٨ نفس القضايا مشيرة الى ان « الجمعية العامة للامم المتحدة **ومؤتمر القمة لدول عدم الانحياز** اظهرا بوضوح العزلة الدولية لزمرة دايان » ، ومنددة بصحافة المانيا الاتحادية الرجعية وخاصة صحافة شبرنغر المؤيدة لاسرائيل .

وتحدثت صحيفة « هوريتسونت » الاسبوعية (ا.د.ن ١٠/١١) بشكل خاص عن نضال الشعب الفلسطيني مؤكدة على « ان النضال من اجل احترام الاستقلال والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني اصبح بصورة متزايدة عاملا جوهريا مشجعا لحركة الشعوب العربية ... » وعلى ان « مشاكل الشرق الاوسط لا يمكن حلها كما لا يمكن ازالة آثار العدوان الاسرائيلي دون مراعاة **المصالح الحيوية** للشعب الفلسطيني » ، مضيفة ان « منظمة التحرير الفلسطينية تعارض بصورة متزايدة المحاولات الرامية الى فصل الحركة الفلسطينية عن حلفائها الطبيعيين في النضال ضد الامبريالية » .

وقد اثارت معظم صحف المانيا الديموقراطية وسائر وسائل الاعلام تحيز الصحف والحكومة في المانيا الاتحادية لجانب اسرائيل . وقد ابرز بعضها تصريحا للاخ ياسر عرفات بهذا الاتجاه .

وباختصار نستطيع ان نقول ان الموقف الالماني الديموقراطي من القضايا العربية موقف قوي . واذا اخذنا بعين الاعتبار قيمة الكلمات في البيانات الرسمية فان عبارة « تلبية المطالب العادلة للشعب العربي الفلسطيني » في البيان الحكومي والحزبي عن الحرب تظهر تأييدا متقدما (مقارنة مع عبارات « الحقوق الشرعية » او « الحقوق القومية » او « الثابتة » الخ) . ولا بد من التذكير بأن المانيا الديموقراطية سمحت مؤخرا بفتح مكتب لمنظمة التحرير في برلين واستقبلت الاخ ياسر عرفات رسميا اكثر من مرة .

(٣) الصحافة الالمانية الغربية والحرب

من أبرز صحف المانيا الغربية صحيفة « سودويتش تساينونغ » اليومية الصباحية الواسعة الانتشار والنفوذ التي تصدر في ميونيخ وتجد صدى كبيرا لدى المثقفين .

وهي في مجمل سياساتها المحلية والاوروبية والعالمية ، ذات صبغة ليبرالية تعكس آراء الحزب الديموقراطي الاشتراكي الحاكم في بون ، او على الاقل تمثل بدقة مواقف الجناح الليبرالي فيه .

وبالنسبة للقضية الفلسطينية ، فان الصحيفة معروفة بانحيازها الى الجانب الاسرائيلي . وفيما يتعلق بالحرب العربية ـ الاسرائيلية الدائرة حاليا ، فان الصحيفة سارت على سياستها التقليدية من الصراع ، واظهرت في أنبائها وتحليلاتها وحتى في رسومها الكاريكاتيرية (خاصة في الايام الاولى من القتال) انحيازا الى جانب وجهة النظر الاسرائيلية ، مؤكدة التزامها ببقاء « اسرائيل » ، مظهرة اهتمامها بما يسمى « امن اسرائيل » ، متعاطفة مع قواتها المحاربة في الميدان .

على ان الصحيفة تعود ، في الايام التالية ، وتحت تأثير الضربات الموجعة التي نالتها الآلة العسكرية الصهيونية ، وبفعل اثبات القوات المسلحة العربية لوجودها ، الى شيء من مراجعة النفس ، لا يمس السياسة العامة للصحيفة ، بقدر ما يمثل موقفا « أكثر عقلانية » في تأييد « اسرائيل » ، وذلك يظهر خاصة حين تجد الصحيفة نفسها مضطرة الى الاعتراف بالواقع العسكري الجديد ، ناصبة من نفسها صديقا مخلصا لاسرائيل ينصحها بشيء من بعد النظر والواقعية والمرونة في تعاملها مع العرب ، والاقلاع عن النصاب الذي لا يؤدي الا الى « زيادة الاتجاهات الراديكالية والتضامن بين العرب ، وهو الامر الذي لا يلائم مصالح اسرائيل ، ولا يلائم مصالحنا أيضا !! » ـ أي مصالح الغرب بصورة عامة ـ !

وفي يوم ١٠/٨ نشرت رسما كاريكاتيريا ظهر فيه جندي مصري يقفز فوق قناة السويس ... ليقع في شرك مصيدة اسرائيلية ! وفي تحليلها السياسي أعطت البيانات الاسرائيلية قدرا من الاهتمام أكبر مما أعطت للتقارير العربية . وأشارت الى ان « اسرائيل » تجد نفسها ـ مرة أخرى ـ مضطرة للدفاع عن نفسها (!) امام معسكر عربي متضامن هذه المرة . وفي مغالطة فادحة قالت : « ونحن في الدول الغربية ساهمنا في تمويل الصدام بالاموال التي ندفعها ثمنا للنفط » !!

لكن الصحيفة غير مقتنعة بجدية التضامن العربي ، وتؤكد أن الدول العربية تفضل الاهتمام بمصالحها الخاصة ، بدلا من الاهتمام بالقضايا المشتركة !

وفي رأيها ان المفارقة المحزنة ان هذه الحرب ـ كما تريدها الاطراف الدولية ـ هي السبيل الوحيد لكسر جمود الموقف والسعي نحو حل سياسي .

وفي رأي الصحيفة ان هذه الحرب وجهت ضربة للدكتور كيسينجر ، وانها ستكون آخر الحروب في النزاع العربي الاسرائيلي .

وتعود في اليوم التالي (١٠/٩) الى نغمة « القاء اسرائيل في البحر » لتؤكد ان الولايات المتحدة ستتدخل اذا ما شعرت ان ذلك ممكن الحدوث .

وبصورة مستهجنة للغاية تربط الصحيفة بين تفوق « اسرائيل » عسكريا ، وبين مصلحة السلام العالمي ، ففي رأيها ان اختلال التوازن العسكري لغير مصلحة « اسرائيل » يهدد السلام العالمي !!

وكما فعلت بالامس ، فانها تحاول اليوم أيضا أن تثير الحساسيات بين الدول العربية،

فتزعم ان القذافي لا مصلحة له في ان يربح السادات الحرب !!

لكن الصحيفة تنصح « اسرائيل » بتهذيب شديد ، ومداورة ، بأن تتعلم كيف تكسب السلام بعد كسب الحرب (!) ، وذلك بالتخفيف من التصلب « الذي يؤدي الى تعاظم الاتجاهات الراديكالية والتضامن في العالم العربي ... وهو أمر ليس في صالح اسرائيل .. ولا في صالحنا أيضا ! »

وعادت « سودويتش تسايتونغ » في اليوم التالي (١٠/١٠) الى الاعتراف بأن سنوات النكسة لم تضعف معنوياتهم ، بل زادت من قوتها ، وان الحس العسكري العربي قد برز بعد غيابه في « الصورة القديمة للنزاع » .

كما لاحظت ان « اسرائيل » تجد نفسها في الجمعية العامة للامم المتحدة « معزولة سياسيا » .

وفي تعليقها يوم ١٠/١١ لفتت الانظار الى ان هذه الحرب قد فاجأت خبراء الاسلحة في الغرب ، وخاصة بظهور طائرة السوخوي ــ ٢٠ ذات الاجنحة المتحركة في أيدي العرب ــ على ذمة الجنرال هيرتسوغ !

ومن فلسطين كتب مراسلها مسجلا حالة القلق المتصاعد التي تعم الاسرائيليين بسبب خسائرهم البشرية ، كما سجل ذهول الاسرائيليين بسبب « اكتشافهم » ان « حدودهم » ــ اي خطوط ١٩٦٧ ــ لم تكن منيعة كما يفترض امام الهجوم العربي .

وفي مكان آخر تكهنت الصحيفة بأن من « سلبيات » هذه الحرب انها سوف تؤثر على الهجرة اليهودية الى فلسطين !

اما صحيفة « فرانكفورتر الجماينه » المحافظة الواسعة الانتشار والمقربة من اوساط الحزب الديموقراطي المسيحي المعارض والمعبرة عن طبقة رجال الاعمال والبورجوازية الكبيرة فذكرت (١٠/٨) ان انتصار « اسرائيل » أمر مفروغ منه ! ولكنها لا تستبعد امكانية نشوب حرب عالمية ثالثة في حالة قيام « اسرائيل » بتدمير نظام الدفاع الجوي السوفياتي في مصر وسوريا « بصورة مخجلة » تثير ردود فعل عنيفة في صفوف القوات المسلحة السوفياتية !

وبرزت العنصرية المعادية للعرب في قولها « وستظهر التطورات مقدار ضآلة تكيف العرب مع متطلبات القرن العشرين ، اذ انهم لن يستطيعوا استخدام معداتهم العسكرية العصرية بكفاءة ومهارة مثل الاسرائيليين » !

لكن الصحيفة اضطرت ــ مداورة ــ يوم ١٠/١٢ الى الاعتراف « ببعض النجاحات العربية » لكنها برأت القيادة السياسية الاسرائيلية من اية مسؤولية ، مشيرة الى أخطاء ارتكبتها القيادة العسكرية الاسرائيلية وعلى رأسها « سوء التقدير » . وتصب الصحيفة جام غضبها على موشي دايان « أسد حرب حزيران » الذي في اعتقادها لم يكن على صواب في قراراته . والصحيفة تتمنى ان تأتي الانتخابات الاسرائيلية الجديدة بممثلي الجيل الجديد « فان ذلك افضل للدولة اليهودية ولامكانات الاستقرار والسلام في الشرق الاوسط » وفي رأيها ان الجيل الاسرائيلي الجديد راغب ــ وقادر ــ على خلق سلام دائم مع الاقطار العربية .

واشارت الصحيفة في تقرير عسكري الى قوة التصدي العربي للهجمات الاسرائيلية ، مؤكدة ان « اسرائيل » لم تمتلك حتى الان في أي من الجبهتين حرية المبادرة والحركة .

كما سجلت الصحيفة ان الدعاية العربية هي الان أفضل بكثير من أيام حرب ١٩٦٧ وتصريحات القاء اليهود في البحر ! والى أن العرب قد بدأوا يصدقون ما تقوله اذاعاتهم .

وقالت ان العكس يحدث في « اسرائيل » حيث كلام كثير عن انتصارات « يخرج قبل أوانه بكثير » !

● اما صحيفة « دي فيلت » اليمينية المتطرفة التي تصدر عـــن مؤسسة شبرنجر الصحفية الضخمة الصهيونية الميول،فان خطها الاعلامي المعادي للعرب لا زال هو نفسه خط عام ١٩٦٧ حيث « اليهودي المسكين مضطر مرة اخرى الى الدفاع عن نفسه » أمام تفوق عربي كاسح ! وحيث البطولات الفردية الاسرائيلية تهزم الكثرة العـربية على الجبهتين !

وبطريقة مبتذلة للغاية يكتب مراسلها (١٠/١٢) في فلسطين عن الجنود السوريين المساكين الذين يدفعون الى الموت ، والقتل ، والحرق والدمار ، بينما قادتهم يجلسون في غرف مكيفة الهواء ، يحيطهم الخدم والحشم ، ويكتفون باصدار الاوامر « حتى يتم القاء الاسرائيليين في البحر » !

ومع هذا فان مراسل الصحيفة في سيناء (على الجانب الاسرائيلي) يعترف (١٠/١٥) بأن المصريين كسبوا احتراما كثيرا في أعين الجنود الاسرائيليين ، لكن المراسل يزعم ان احترامهم الحقيقي هو بالفعل للصواريخ السوفياتية المضادة للطائرات !

● اما صحيفة « فرانكفورتر روندتشاو » المستقلة الليبرالية الجـــادة والمقروءة على نطاق واسع في اوساط طلاب الجامعات ، فدعت (١٠/١٣) اوروبا الى الخروج من موقف المتفرج ، خاصة لتأثرها من تهديدات العرب « النفطية » بصورة رئيسية .

● أما صحيفة « هانوفير شـه برس » الليبرالية اليسارية والمحلية الاقليمية فركزت الانظار على كميات الاسلحة الواردة للمنطقة ـــ على الجانبين ـــ من كل من موسكو وواشنطن .

● وفي رأي صحيفة « مينشنر ميركور » ان ليونيد بريجنيف يمكنه ان يلحق هزيمة قاصمة بالعرب بصورة أسهل من قدرة ريتشارد نيكسون على ترك الاسرائيليين يواجهون الهزيمة !

وزعمت الصحيفة ان ما أسمته « نكران الجميل والعداء من جانب عملاء موسكو العرب ـــ تقصد الدول العربية الصديقة للاتحاد السوفياتي ـــ ان هذا ترك آثاره على المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي وقراراته بالنسبة للمنطقة » (محاولة مفضوحة للاساءة للعلاقات العربية السوفياتية وهدفها اظهار ان الموقف السوفياتي المؤيد للعرب حاليا هو موقف رجل واحد هو بريجنيف الذي «يخاطر» كما تقول الصحيفة بموقفه الحالي !!) .

● لكن صحيفة « شتوتجارتر تسايتونغ » الليبرالية فقالت ان عجز الدولتين الاعظم والامم المتحدة عن ايقاف الحرب قد عرضها جميعا للشكوى أو للسخرية ! لكن الصحيفة تعود الى شيء من التحليل تخرج منه باستنتاج مؤداه « انه ثبت ان موسكو وواشنطن قادرتان على منع الحروب في ظل بعض الظروف لكن الواقع انه ينبغي عليهما في مناطق معينة السماح بنشوب الحرب حتى لا يتورطان بصورة مباشرة فيها » !

وفي رأي الصحيفة ان هزيمة اسرائيل سوف تكون « شيئا رهيبا » بالنسبة للنفوذ الامريكي !

● «كولينش روند شاو» الصحيفة الاقليمية المحلية تساءلت ما اذا كانت الاستراتيجية العربية تسعى الى نقل النزاع الجديد الى المسرح الدولي؟ ونصحت الصحيفة «اسرائيل» بعدم التوسع في خطوط القتال الى ما وراء خطوط ١٩٦٧ لان ذلك قد يقوي التضامن

العربي ، وقد يفجر معركة النفط ، وأضافت « وكونها ضحية عدوان (!) من حق اسرائيل أن تدافع عن خطوط الهدنة المحددة قبل ٦ سنوات ، لكن عليها ان تعترف بأن هذه هي الفضلى وأن تكتفي بها » !

● أما « فرانكفورتر روند شاو » فدعت الى اسكات الاسلحة وبدء المفاوضات وذلك على يد عمل حازم من جانب الدول الكبرى !

وباختصار فان معظم الصحف الكبيرة في المانيا الغربية تتخذ موقفا عدائيا من العرب وتعكس مواقف التيارات السائدة في الحكم والمعارضة .

(٤) فرنسا والحرب

الموقف الفرنسي الرسمي :

انعكست خلال الحرب التناقضات التي تنخر الرسميين الفرنسيين في مواقفهم تجاه القضية الفلسطينية ، انعكست في تصريحاتهم ، رغم الحرص الشديد على ابداء موقف موحد . فرئيس الوزراء (المعروف « بصداقته » لاسرائيل) صرح في اليوم الثاني للمعارك : « ان الجيش — مهما كان — الذي يبادر في العمليات ، يحقق دائما بعض النجاحات في البداية . وهذه ملاحظة عامة تأكدت في كل الصراعات العسكرية » . وهذه العبارة غير الواضحة عمدا تحمل في طياتها :

— اعتبار العرب بادئين في القتال بما انهم هم الذين حققوا النجاحات الاولية .

— اعتبار هذه النجاحات مؤقتة ، بما أن الحروب لا تحسمها المعارك الاولى .

وذكرت جريدة لوموند الصادرة في اليوم الثالث للمعارك ان الرئيس بومبيدو يفضل أن يلتزم الصمت (ان « ينتظر ويرى ما سيأتي » على حد تعبيرها) في « قضية ما زالت بعض جوانبها غامضة » .

لكن السياسة الفرنسية التي دشنها ديغول ابان حرب ١٩٦٧ والتي تحاول اظهار تعاطف الحكومة الفرنسية مع الجانب العربي فرضت تعديلا على هذا الموقف . فما لبث وزير الخارجية ميشيل جوبير ان تساءل في اليوم نفسه (١٠/٨) : « هل يشكل دخول الانسان الى بيته بالضرورة عدوانا غير متوقع ؟ » مشيرا الى المبادرة المصرية — السورية .

وهنا برزت التناقضات الداخلية (أي داخل الاحزاب الحاكمة) وبين الموقف الرسمي الفرنسي وغالبية الاجهزة السياسية والاعلامية المسيطرة على البلد ، حين ثارت حملة واسعة ضد تصريح وزير الخارجية ، واضطر الناطق الرسمي للحكومة لتخفيف وطأة التصريح ان يشير الى ان الكلمة الهامة في العبارة هي « غير متوقع » مضيفا بأن الوزير حاول أن يطرح الامور من الزاوية المصرية — السورية . وهذا ما دفع جريدة لوموند بأن تطالب وزراء فرنسا بمحاولة وزن تعليقاتهم بشكل أفضل .

هذا على صعيد التعبير المباشر . اما على صعيد الموقف السياسي ، فقد عبر عنه وزير الخارجية في نهاية خطابه أمام الجمعية العمومية للامم المتحدة يوم ١٠/١٠ حين قال : « اني اعبر عن استعداد بلدي للمساهمة في تهدئة الحرب سريعا ومنعها من الاندلاع ثانية . وبوسعنا تقديم اقتراحات تؤدي الى حل سلمي شرط ان يريده الجميع وان يريد الجميع فعلا سلاما عادلا ودائما . واني واثق بأن **أصدقاءنا الاوروبيين** لهم نفس الرغبة » .

ومن هذه العبارة الموزونة كلمة كلمة ، يمكن استخلاص المواقف الفرنسية في هذه المرحلة :

ـــ فرنسا تطرح نفسها **كوسيط** بين الطرفين المتنازعين .

ـــ وهي تطرح نفسها بثقلها الاوروبي أي على اعتبار انهـا ستكون مفوضة مـــن المجموعة الاقتصادية الاوروبية (دول السوق الاوروبيـــة المشتركة التسع) للقيـــام بالوساطة .

ـــ كما تطرح حلا « عادلا ودائما » أي على حد تعبير الناطق الرسمي باسم الحكومة « تسوية نهائية ـــ بناء على قرار ٢٤٢ لمجلس الامن ـــ مرضيا عنه من الجميع ومؤمنا للجميع ضمانات الامن الضرورية » .

وقد سارعت اسرائيل الى رفض الوساطة الفرنسية متهمة فرنسا « بالانحياز الى جانب العرب » . الا ان الحكومة الفرنسية لا تقف عند هذا الرفض ، وتذكر بأن ديغول في الماضي كان قد عرض وساطة بلده في المسألة الفيتنامية ورفضها حكام سايغون آنذاك بتهمة مشابهة . فالسياسة الديغولية (وما بعد الديغولية) تعتمد على ان موازين القوى في المنطقة ستتطور الى غير صالح اسرائيل آجلا او عاجلا وستفرض على الاسرائيليين ليونة أكثر . وحينذاك ، بعد ان يقبل الطرفان بالوساطة الفرنسيـــة (او بشكل اعم الاوروبية الغربية) ، تبرز كتلة السوق المشتركة كقوة سياسية « فعالة » بين الدولتين الكبريين الملتزمتين عمليا بدعم احد طرفي النزاع .

ولا ضرورة للتأكيد على حاجة اوروبا الغربية (وفـــرنسا) « للاستقرار في الشرق الاوسط » الذي يشكل المصدر الاساسي للنفط الاوروبي . فلاوروبا الغربية مصلحة مباشرة في تأمين استمرار تدفق النفط وفي اعادة فتح قناة السويس التي توفر على نفط الخليج مسافة كبيرة . ففرنسا مثلا تستورد ثلثي نفطها من منطقة الخليج ونحو ثمانين بالمئة منه من الدول العربية تتوزع كالتالي (لعام ١٩٧٢) : السعودية ٢١ ٪ ، الكويت ١٤ر٤ ٪ ، الامارات ١٢ر٦ ٪ ، العراق ١٢ر١ ٪ ، الجزائر ٩ر٣ ٪ ، ليبيا ٨ر٣ ٪ ، والمجموع ٧٧ر٧ ٪ .

وهذه الارقام تكاد تكون متقاربة لكافة دول اوروبا الغربيـــة وتفسر الى حد بعيد التحولات في السياسة الفرنسية تجاه القضايـــا العربية كما تفسر الحرص الاوروبي الغربي على عدم التورط كثيرا الى جانب الطرف الاسرائيلي في النزاع (مع بعض التفاوت طبعا بين مواقف ايطاليا وفرنسا وبريطانيا مثلا من جهة والمانيا الاتحادية وهولندا من جهة اخرى) .

وهنا لا بد في ما يخص فرنسا من الاشارة الى قضيـــة طائرات الميراج الليبية التي اثارتها اسرائيل والاوساط المؤيدة لها في فرنسا . وقد نفت الحكومة الفرنسية التهم الاسرائيلية كما اشارت الصحف الفرنسية الى أن الميراج الليبية ليست قابلة للاستعمال في الحرب الدائرة الان نظرا لعدم توفر قطع الغيار بشكل كاف ولانعدام خزانات الوقود الاضافية التي تسمح لها بالانتقال الى مسافة بعيدة عن قواعدها في ليبيا .

مواقف القوى السياسية الفرنسية :

تقف القوى الماركسية (الحزب الاشتراكي الموحد ، قوى اليسار الجديد) بقوة الى جانب الطرف العربي في الحرب . وتركز بعضها بشكل خاص علـــى تأييدها للمقاومة الفلسطينية .

أما قوى الوسط واليمين فتقف بشكل مطلق الى جانب اسرائيل وتقود التظاهرات المعادية للعرب .

بقي قوتان كبيرتان تتنازعهما عواطف التأييد (المبدئي او المصلحي) لاحد الطرفين : التحالف الحاكم (وخصوصا الحزب الديغولي) واليسار المعتدل (وخصوصا الحزب الاشتراكي) .

ففي ١٠/١١ وقع ثمانون نائبا من مختلف الاتجاهات (باستثناء الحزب الشيوعي ، وهو الحزب الماركسي الوحيد الممثل في البرلمان) على بيان « للجنة التضامن الفرنسية مع اسرائيل » . وبين هؤلاء النواب عدد من نواب الحزب الديغولي . وهذا يظهر مدى الانقسام في مواقف الكتلة الحاكمة — او بالاحرى تناقض الموقف الرسمي مع عواطف غالبية قاعدته السياسية والانتخابية . اما الحليف الرئيسي للحزب الديغولي في الحكم (وهو مجموعة « الجمهوريين المستقلين ») فقد اتخذ موقفا مؤيدا ضمنا لاسرائيل باشارته الى « الاعتداءات الجديدة التي ادت الى اندلاع المعارك ثانية في دول الشرق الادنى » ومطالبته الحكومة الفرنسية باتخاذ موقف « غير متحيز او متسم بالتحيز » .

اما الحزب الاشتراكي فقد ظهرت بجلاء التناقضات الجديدة التي تتحكم في موقف قادته وقواعده . فمنذ الايام الاولى للمعركة، سارع احد قادته ورئيس بلدية مارسيليا غاستون دوفر الى التأكيد على ان « المصريين والسوريين هم المسؤولون عن الحرب » وهم الراغبون في ابادة اسرائيل « الدولة الديموقراطية » التي تواجه « ديكتاتوريات امما شعبية او اقطاعية » على حد تعبيره في جريدة « لو بروفنسال » (١٠/٨) التي تصدر في مرسيليا . وتخوف بعد أيام السكرتير الاول للحزب فرنسوا ميتران من ان « الجيوش المصرية والسورية لو بدأت هجومها من حدود غزة ومشارف الجولان لاصبحت في قلب اسرائيل » وهددت بالتالي وجودها الذي يحرص عليه .

وفي الوقت نفسه ، كتب جان روس احد اعضاء المكتب الاداري للحزب الاشتراكي مقالا يحمل فيه مسؤولية الانفجار الحالي « للمواقف المتصلبة التي اتخذتها غالبية الحكومة الاسرائيلية » تجاه المبادرات السلمية (وخاصة مبادرة يارنغ ومبادرة منظمة الوحدة الافريقية) .

وأخيرا اتخذ المكتب التنفيذي للحزب يوم ١٠/١٠ قرارا «معتدلا»حسب وصف الصحافة الفرنسية يؤكد على « وجود اسرائيل وحقها في الامن وكذلك حق الامة العربية الفلسطينية » وعلى الاتفاق على حدود دائمة بعد محادثات بين الاطراف المعنية والانسحاب من الاراضي المحتلة . وقد صوت ثلاثة عشر عضوا من المكتب على هذا القرار وعارضته اقلية من ثمانية اعضاء مركزة معارضتها على عبارة « وجود اسرائيل سيكون غير مضمون اذا لم تحصل على حدود آمنة » ، باعتبار ان هذه العبارة قد توحي بالقبول بضم بعض الاراضي .

الصحافة والحرب :

الصحافة **الواسعة الانتشار** في فرنسا عدائية بشكل مطلق للنضال العربي **ويمينية** بشكل أعم . ومن هذه الصحف اليومية في باريس « فرانس سوار » و « لوبارزيان ليبيريه » و « باري جور » و « لورور » و « لوفيغارو » والامر نفسه ينطبق على كبريات الصحف في المقاطعات (خارج باريس) . الصحف الباريسية التي يمكن استثناؤها من جو العداء هذا ، هي :

— لوموند : الصحيفة الليبرالية الرزينة الكبيرة التأثير في اوساط المثقفين والطبقات الوسطى . وتعتبر عالميا من أكثر المصادر جدية . (وهذا لا يمنعها بالطبع من التحيز باتجاه أو بآخر ، الا انها تعطي بشكل عام معلومات كثيرة) .

— لومانيته : جريدة الحزب الشيوعي الفرنسي . توزيعها لا يستهان به وخاصة في

الاوساط العمالية . تقف الى جانب قضايا التحرر العربية .

ـــ لا ناسيون : جريدة الديغوليين . ضعيفة التوزيع . تعبر عـــن وجهة نظر شبه رسمية .

ـــ كومبا : جريدة اليسار المعتدل . كانت حتى وقت قريب مؤيدة لاسرائيل . الا انها اليوم أكثر ذكاء في طروحاتها .

ـــ ليبراسيون : جريدة اقصى اليسار (اليسار الجديد) . ظهرت منذ اشهر وتوزيعها محدود . تضامنها مع الثورة الفلسطينية قوي . يديرها جان بول سارتر .

جريدة **لوموند** اعطت منذ اندلاع الحرب اهتماما كبيرا بها ، فهي تخصص لها صفحتها الاولى وعددا من صفحاتها الاخرى يصل أحيانا الى تسع صفحات . تحاول الجريدة اعطاء أكبر قدر ممكن من المعلومات من المصادر المتوفرة بالاضافة الى مقالات محرريها ومراسليها في المنطقة (بعضهم عرب واسرائيليون) . تحاول في تعليقـــاتها ان تكون متوازنة وتتجه نحو موقف وسطي انساني يحاول أن يوفق بيـــن الاعتراف بالوجـــود الفلسطيني وادانة التشنج الاسرائيلي والاعتراف بوجـــود اسرائيل وضرورة تأميـــن مستقبلها . الا أن العواطف الشخصية للمحررين والمسؤولين الرئيسيين في الجريدة متفاوتة رغم ما تشيعه الاوساط الصهيونية عن ميل لوموند الى الجانب العربي . في الافتتاحية الاولى بعد اندلاع الحرب برزت الجوانب التالية :

ـــ مبادرة العرب في الهجوم .

ـــ التركيز على أن هدف مصر وسوريا في نهاية المطاف هو المباحثات من موقع أفضل .

ـــ الاعتراف بأن العرب حققوا منذ البداية ومهما كانت نتيجة المعارك انتصارا كبيرا بتحطيمهم صورة المنهزمين والجبناء التي الصقت بهم .

ـــ التشكيك بامكانية ايجاد حل دائم بعد هذه الحرب .

اما جريدة **لوفيغارو** اليمينية والتي تعتبر أحيانا جريدة البورجوازية الكبيرة فقد أبرزت مرة أخرى عداءها المطلق للعرب وتأييدها الكلي لاسرائيل . وقـــد برز ذلك منذ الايام الاولى للحرب حيث ركزت على حتمية الهزيمة العربية وأكثر من هذا تحولت أمنياتها الى وقائع فعنونت عددها الصادر بتاريخ ١٠/٩ بعناوين ضخمة تؤكد اختراق اسرائيل لقناة السويس ونجاح هجومها المضاد في الجولان وسيناء وتقدمها نحو ضواحـــي دمشق وتدميرها لقواعد الصواريخ العربية تدميرا تاما الخ . وقد اضطرت في الاعداد اللاحقة أن تعترف بأن الهجوم الاسرائيلي يلقى صمودا عربيا (١٠/١٠) وأن الجنود العرب يظهرون شجاعة وكفاءة عسكرية . وقد أثارت هذه التناقضات حفيظة عدد من القراء اتصلوا بادارة الجريدة واتهموها بالتحيز الى جانب اسرائيل (عدد ١٠/١٠) .

جريدة **لومانيته** الشيوعية عبرت مرة أخرى عن تضامن الشيوعييـــن مع القضايا العربية واشارت (عدد ١٠/٨) الى أن المصريين والسوريين في أرضهم حينما «يهاجمون» في سيناء والجولان . كما أشارت الى احتمال تدخل أمريكي .

جريدة **كومبا** « الليبرالية » تؤكد على **تصميم** اسرائيل وعلى رغبـــة العرب في حل مشاكلهم الداخلية عن طريق الحرب وعلى الخطر الذي يتهدد النظامين المصري والسوري في حالتي النصر والهزيمة .

جريدة **لاناسيون** الديغولية (١٠/٨) تذكر بانذار ديغول لابا ايبان عشية حرب ١٩٦٧ وتذكر بوضع الفلسطينيين الذي يهملهم الرأي العام فيندفعون الى اعمال « هوجاء » . كما تشير الى اهمية البترول في المعركة ، وتطالب الامم المتحدة والدول الكبرى بالتدخل لايجاد حل عادل .

جريدة **ليبراسيون** اليسارية (اليسار الجديد) (١٠/٨) تقـول انه « يتوقف على الشعوب العربية وعلى الفلسطينيين بأن يكون الصراع الدائر أكثر من لعبة دامية بين القيادات تحسمها الدول الكبرى » وتشير الى احتمال وضع المقاومة الفلسطينية تحت هيمنة الدول العربية في حال الانتصار . وقد عبرت هذه الجريدة في عدد ١٠/١٢ عن تمزق ادارتها بقولها « بأن بعضنا من اصل يهودي . والبعض يؤيد الجيوش العربية . وآخرون يخشون من أن أي انتصار عربي قد يعني مصيبة جديدة للشعب اليهودي . منطقيا ، هم يوافقون على جدلية التاريخ التي جعلت مـن مقهور وارسـو مضطهدا للفلسطينيين في الشرق الادنى . ولكن عاطفيا الامر ليس بنفس السهولة » . ووراء هذه الكلمات يلاحظ القارىء نفس جان بول سارتر .

(٥) بريطانيا والحرب

يحدد الموقف البريطاني الراهن تجاه القتال الدائر حاليا بين القوات العربية وقوات العدو الاسرائيلي جملة من العوامل والاعتبارات الرئيسية أهمها : المصالح البريطانية في المنطقة (وخاصة فيما يتعلق بالنفط) والعلاقة الجديدة التي تربط بريطانيا بدول اوروبا الغربية (السوق الاوروبية المشتركة) من جهـة وعلاقة بريطانيا التاريخية كحليفـة للولايات المتحدة الامريكية من جهة اخرى . ويلعب دورا كذلك طموح بريطانيا (وخاصة بعد التقلص الذي أصاب نفوذها كدولة استعمارية كبرى) في أن تلعب دورا قياديا ضمن المجموعة الاوروبية متكافىء مع الدور الذي تلعبه فرنسا ضمن المسعى الاوروبي الهادف الى تحويل أوروبا قوة ثالثة مستقلة عن الدولتين الكبيرتين (بشكل نسبي طبعا لبقاء الترابط الاقتصادي القائم بين الدول الرأسمالية والمصالح التي تشدها الى الامبريالية الامريكية) . كما أن هناك اعتبارات ذات أهمية ثانوية تخص الوضع السياسي الداخلي في بريطانيا . ولعل أهم هذه وجود قوة صهيونية منظمـة تسيطر على بعض المراكـز السياسية والاعلامية الهامة ، وموقف احزاب المعارضة (وخاصة حـزب العمال) المتعاطف بشكل واضح مع اسرائيل والمتفهم لاهدافها .

مع اندلاع القتال على الجبهتين السورية والمصريـة قامت الحكومـة البريطانية بالاتصال مع الولايات المتحدة من جهة وفرنسا والمانيا الغربية من جهة اخرى محـاولة منها لتحديد موقف سريع من القتال الجاري . وبادرت بالدعوة الى عقد اجتماع طارىء لمجلس الامن دعت فيه الاطراف المتحاربة الى وقف مباشر لاطلاق النار . الا أن هـذه الدعوة فشلت بعد اصرار الولايات المتحدة على عودة الجيوش العربية الى خطوط وقف اطلاق النار السابقة (خطوط ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧) ومطالبة الاتحاد السوفييتي بربط اي قرار بوقف اطلاق النار بعودة اسرائيل الى حدود ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ودعم الصين الشعبية لهذا الاتجاه .

ولعل اعتقاد الحكومة البريطانية بان حكومـة مصر العـربية (وبالتالي الاتحـاد السوفياتي) مستعدة لقبول مثل هذا الاقتراح ما دامت قواتها تسيطـر على الضفـة الشرقية من القناة ومحاولة بريطانيا بلورة موقف متميز نسبيا عن موقف الولايات المتحدة المتجانس كليا مع الموقف الاسرائيلي هو الذي دفع حكومة بريطانيا الى تقديم الاقتـراح السابق . والاقتراح البريطاني هذا يعكس تقييم الحكومة البريطانية للاهداف السياسية التي تسعى حكومة مصر العربية الى الوصول اليها كهدف للقتال . وقد عكست مقالات بعض الشخصيات البريطانية في الصحف البريطانية بعض الملامـح الاساسية لهـذا التقييم . ففي مقال في جريدة « التايمز » اللندنية (١٠/١٠) عبر ريشارد كروسمـان (وزير عمالي سابق وذو اتجاه صهيوني واضح) عن اعتقـاده بان احتمـال اعتراف

الانظمة العربية بوجود اسرائيل يقوى اذا ما ابلت الجيوش العربية بلاءا حسنا في الحرب الحالية وبعد « ازالة الاهانة القومية » التي ذاقها العرب في حرب حزيران ١٩٦٧ . ولعل التقييم الذي نشرته مجلة « ايكونومست » البريطانية (والتي تعكس عادة والى حد كبير وجهات نظر الاوساط الحاكمة في بريطانيا) في افتتاحية عددها بتاريخ ١٠/١٣ يوضح الى حد كبير احتمالات الوضع السياسي في المنطقة بعد انتهاء الحرب وهذه الاحتمالات مرتبطة ارتباطا وثيقا بميزان القوى العسكري بعد وقف القتال . وتحدد الايكونمست ثلاثة احتمالات لهذا الوضع ونتائجه على الصعيد السياسي .

١ ــ هزيمة عسكرية للقوات المصرية وانسحابها الى الضفة الغربية من القناة . هذا قبل ان يتمكن العرب من ادخال النفط كسلاح في المعركة . وتقول الايكونمست ان حدوث هذا يجعل تحقيق اي تسوية سياسية مبنية على حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ غير ممكن .

٢ ــ اما الاحتمال الثاني فتلخصه « الايكونمست » في تمكن القوات المصرية من الاستمرار في السيطرة على جزء من سيناء (الضفة الشرقية للقناة) لفترة زمنية كافية بحيث تصبح المطالبة بحدود جديدة ومباحثات جديدة امرا واقعيا . وفي هذه الحالة فان الولايات المتحدة ستقع تحت ضغط شديد من الملك فيصل (سلاح النفط) لاجبار اسرائيل على الانسحاب الى حدود قريبة من حدود ما قبل ١٩٦٧ . وترى «الايكونمست» ان مثل هذا الوضع سينطوي على مضاعفات خطيرة لان بعض الاطراف العربية (المقاومة الفلسطينية وبعض القوى العربية الاخرى) لن ترضى بحدود ١٩٦٧ .

٣ ــ والاحتمال الثالث الذي تحدده الايكونمست هو انتصار شامل للقوات المصرية في سيناء بعد ان تفقد اسرائيل معظم طائراتها (السيطرة الجوية) مما يمكن هذه القوات من دخول سيناء تحت حماية الطيران العربي . وتعلق الايكونمست على هذا الاحتمال « ان الخوف ، في مثل هذه الحالة ، هو ان يدفع السادات الى الاعداد لحرب اخرى وان يصبح انسحاب اسرائيل الى حدود ما قبل ١٩٦٧ غير كاف » . . !!

وترى الايكونمست ان « السلام » يعتمد على قبول العرب لاسرائيل كجزء من المنطقة وهذا يتطلب رفض الدول العربية للمنطق القائل « بان المهم ليس اية حدود تتمتع بها اسرائيل بل الوجود الاسرائيلي نفسه » . وترى الايكونمست كذلك ان اية تسوية دائمة للنزاع يجب ان تتضمن ثلاثة عناصر رئيسية :

١ ــ حق اليهود في البقاء تحت حماية دولة اسرائيل (ضمان بقاء دولة اسرائيل والاعتراف بها كجزء من المنطقة) .

٢ ــ الاعتراف بحقوق العرب . وهذا يتطلب تقسيم الارض المتنازع عليها (وهنا لا تقدم الايكونمست اي تحديد لهذا التقسيم ولا تحدد « الارض » المتنازع عليها . . ولا تحدد من هم العرب المعنيون بتقسيم هذه الارض . .)

٣ ــ ان هذا التقسيم يجب ان لا يفرض على اسرائيل بل يجب ان تقبله اسرائيل طوعيا والا بقي الخوف الاسرائيلي من قيام العرب بهجوم اخر واثارة مسألة حق اسرائيل في الوجود من جديد .

بعد فشل مجلس الامن في التوصل الى قرار بخصوص القتال في المنطقة امتنعت بريطانيا عن التقدم بمبادرة جديدة واتخذت ــ كما يبدو ــ موقف **الانتظار** حتى يحسم الموقف عسكريا ولعل هذا نابع من اعتبارين رئيسيين : الاول ، الشعور بان العامل الحاسم على الصعيد الدولي هو موقف الدولتين الكبيرتين ، وانه ما لم تتفق الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، فسيبقى مجلس الامن مشلولا عن الحركة والمبادرة .

الثاني العمل على تحديد الدور الاوروبي بدور الوسيط الذي سيدخل طور الفعالية بعد وقف اطلاق النار والدخول في مرحلة صياغة مشاريع التسوية السياسية ومرحلة التفكير في الاجراءات التنفيذية لتطبيق اي مشروع تسوية يتم الاتفاق عليه .

ان الموقف الانتظاري التمهيدي هذا انعكس في محتوى وقلة تصريحات المسؤولين البريطانيين حول الوضع الراهن في الشرق الاوسط . ففي خطابه « بلاك بول » ١٢/١٠ قال وزير خارجية بريطانيا (السير اليك هيوم) « انه لا يجوز فرض تسوية على الاطراف المتنازعة وان اية تسوية تحتاج الى ضمانات دولية » ثم اعلن عن استعداد بريطانيا للمساهمة بالرجال والمعدات والاسلحة لتشكيل « قوة سلام » دولية (تحت اشراف الامم المتحدة) تقف الى جانبي الحدود الجديدة . وتكون هذه على نمط قوات الامم المتحدة الموجودة في قبرص . (التايمز اللندنية ١٣/١٠) ولقد لمح وزير الخارجية في خطابه ان السبب الاساسي في اندلاع الحرب هو احتلال اسرائيل للاراضي العربية في حرب ١٩٦٧ معبرا عن هذا بقوله « انه من المستحيل ان يبقى العرب ينظرون بدون انقطاع الى اراضيهم عبر حدود وقف اطلاق النار بدون اندلاع الحرب » .. الا أن خطاب هيوم لم يحدد شروط التسوية سوى انها يجب ان تبقى ضمن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ « بالرغم من غموضه » (حسب قول هيوم) وان هذه التسوية يجب ان تتم تحت اشراف الامم المتحدة . وتأكيده بان المبادرة من قبل الامم المتحدة او من قبل اي فريق اخر « لن تكون مجدية قبل ان يشعر احد الطرفين بانه على وشك هزيمة عسكرية » .

هذا وقد اوردت الديلي تلغراف اللندنية (وهي جريدة محافظة يمينية مؤيدة لاسرائيل) في عددها بتاريخ ١٣/١٠ نقلا عن الاوساط الرسمية بان المعلومات المتوفرة لدى الحكومة البريطانية تشير بان اسرائيل تواجه قوى عسكرية اقوى واشد مما واجهته في حرب ١٩٦٧ وانها بدأت تدرك ان العرب سيكونون اشد قوة وبأسا مما هم عليه الان اذا ما نشبت حرب جديدة بعد سنوات قليلة .. وبالتالي فان استمرار القتال اسابيع متعددة اخرى سيحمل اسرائيل على التفكير في تسوية دائمة . ولهذا تشعر الحكومة البريطانية (حسب معلومات الديلي تلغراف) بان الوقت لم يحن بعد للبدء في التحركات الديبلوماسية من اجل التسوية السياسية .

كما تجسد الموقف التمهيدي في اعلان بريطانيا الحظر على الاسلحة الى الدول المتحاربة ، وفي تركيزها على اهمية الدور الوسيط الذي تستطيع بريطانيا ان تلعبه في النزاع . ان دور الوسيط هذا يتطلب قبل كل شيء ان تكون الدولة الوسيطة مقبولة لدى الحكومات العربية المعنية ومن هنا جاءت محاولة بريطانيا دور الدولة « غير المنحازة » في الصراع . من هنا جاء القرار البريطاني بحظر شحن الاسلحة الى دول القتال بالرغم من المعارضة الشديدة الداخلية التي واجهت هذا الاجراء . والواقع ان هذه المعارضة ومهاجمة الحكومة الاسرائيلية للقرار (على اساس ان المتضرر الاول منه هو دولة اسرائيل لان الجزء الاكبر من دبابات اسرائيل ــ كما تقول الصحف البريطانية ــ هو من نوع « السنتوريون » والقرار سيحرم اسرائيل من قطع الغيار اللازمة لهذه الدبابات ..) ساعدت على ابراز هذا الدور « المستقل » للحكومة البريطانية وهي بالتالي من قبيل التهيئة والاعداد للعب دور الوسيط في المستقبل . ولعل ابراز بريطانيا خبر انها تقوم بتدريب ١٢ طيارا مصريا على طائرات الهيلوكبتر يصب في الهدف نفسه .

وقد ابرز رئيس وزراء بريطانيا هذا الدور التمهيدي الوسيط لبريطانيا في خطاب له في ١٣/١٠ بقوله « ان النتيجة المأساوية لبدء القتال في الشرق الاوسط تثبت مرة اخرى

ان القوى العظمى لا تسيطر وغير قادرة على السيطرة على ما يجري في العالم . ولهذا فسيكون للقوى الوسطى دور دائم وخاصة الاقطار — مثل بريطانيا — التي لها خبرة طويلة في المغامرة والديبلوماسية في جميع انحاء العالم » (خبرة بريطانيا الاستعمارية) واكد ان اهتمام بريطانيا الاوحد ازاء الوضع الراهن في الشرق الاوسط هو العمل من اجل « تسوية حقيقية » على اساس قرار مجلس الامن ٢٤٢ . واضاف انه كلما طالت الحرب كلما زاد خطر جر الدول العربية الاخرى في الصراع وكلما زاد تورط الدول العظمى نفسها في النزاع وكلما زاد الضرر اللاحق بمصالح العالم الغربي » .

هذا وقد رافق الموقف الانتظاري التمهيدي هذا التخوف من ان يؤدي استمرار القتال الى عرقلة امداد النفط الى اوروبا والى الاخلال « بالوفاق الدولي » القائم بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ومضاعفات هذا على علاقة المنظومة الاشتراكية واوروبا الغربية من جهة وعلى علاقة الاخيرة مع الولايات المتحدة من جهة اخرى . الا ان الخوف الاكبر كما بدا من اهتمامات الصحف البريطانية يدور حول النفط بسبب اعتماد دول اوروبا الغربية اعتمادا رئيسيا على النفط العربي .

وقد حاولت جريدة التايمز اللندنية التعرض لموضوع النفط في افتتاحية بتاريخ ١٠/١٣ استنتجت فيه ان الوضع في الدول الصناعية سيكون خطيرا اذا ما استعمل سلاح النفط ولكنه حسب قول الجريدة ، « لن يكون حرجا لان احتياطي النفط في اغلبية البلاد الصناعية يكفي ما بين ٦٥ — ٩٠ يوما حسب معدل الاستهلاك اليومي العادي ، وقالت الافتتاحية « ان قطع الامدادات النفطية عن اوروبا الغربية وشمال امريكا واليابان سيؤدي بصورة مباشرة وغير مباشرة الى الضغط على حكومة نيكسون لتبني سياسة اقناعية تجاه اسرائيل . ان هذا الاقناع سيتجه نحو احراز سياسة مبنية على التفاوض في الشرق الاوسط » . هذا وقد اوردت الصحف البريطانية اخبارا حول بدء المباحثات بين شركات النفط والحكومة البريطانية حول اجراءات تقنين النفط ، كما اعلنت الحكومة البريطانية عن استكمالها للاجراءات اللازمة لبدء التقنين عند الضرورة . واعلن وزير الصناعة البريطاني ١٠/١٢ ان تسيمات البترول جاهزة للاستعمال « حسب ضرورية الوضع » ، واعترف انه « وقت قلق بالنسبة لبريطانيا » . كما اوردت بعض الجرائد اخبار ارتفاع اسعار زيوت التدفئة في خلال اسبوع واحد من ٩٦ دولارا الى ١٢٥ دولارا للطن الواحد (التايمز ١٠/١٣) بسبب الوضع في المنطقة العربية . وذكرت مجلة الايكونمست ١٠/١٣ او اوروبا ستضطر الى تقنين البترول ان استمرت الحرب ثلاثة او اربعة اسابيع اخرى حتى ان لم تقطع الدول العربية النفط . وذكرت المجلة ان اوروبا تحصل على ١٠٪ من وارداتها النفطية عن طريق موانيء شرقي البحر المتوسط المغلق حاليا لناقلات البترول . وتقول الايكونمست انه اذا اوقفت دولة واحدة امداداتها من النفط فان هذا سيحتم تقنين البترول في اوروبا . اما اذا قطعت النفط ثلاثة او اربعة بلدان « فان اوروبا واليابان سوف تشعران بالضيق الجدي ولكن الوضع لن يكون خطيرا الا ان كانت السعودية احدى هذه الدول » . واضافت المجلة من المؤكد ان بعض الحكومات لن تسمح لان يتعرض من اجل المحافظة على سياسة امريكا الخارجية او من اجل اسرائيل مواطنيها للبرد او لان يصبحوا غير قادرين على استعمال سياراتهم ... ولهذا فان بعض هذه الحكومات ستقوم بترتيبات مباشرة وخاصة مع الحكومات العربية بدون وساطة شركات البترول الامريكية .. »

اما التخوف من ان يؤدي استمرار القتال الى تفاقم الوضع الدولي فقد عبرت عنه افتتاحيات عدد من الصحف البريطانية الرئيسية . فقالت « الصاندي تلغراف » الاسبوعية ١٠/١٤ ان استمرار القتال حتى يستعمل العرب سلاح النفط والى حين

تستهلك اسرائيل مواردها العسكرية سيؤدي الى وضع يصبح فيه الوفاق الدولي (بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة) والذي يعتمد عليه استقرار العالم ككل ، غير قابل للانعاش من جديد « كما اكدت جريدة « الجارديان » (الليبرالية) نفس الفكرة في افتتاحيتها بتاريخ ١٠/١٥ اذ قالت ان استمرار القتال سيؤدي الى توريط الدولتين الكبرتين مما يهدد علاقات الوفاق بين الشرق والغرب .

يمكن تلخيص الموقف البريطاني حول القتال الدائر في المنطقة بالنقاط التالية :

ـ وقف اطلاق النار واتاحة المجال لبدء المفاوضات ضمن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وهذا هو موقف اوروبا الغربية بشكل عام . وترى الدوائر البريطانية الرسمية ان قرار رقم ٢٤٢ يشكل ـ حسب قول وزير الخارجية اليك هيوم ١٠/١٥ ـ « أفضل فرصة للتوصل الى تسوية لانه القرار الوحيد الذي يوافق عليه العرب والاسرائيليون جميعا » .

ـ تجنب الدخول في تفاصيل عملية حول شروط التسوية السياسية . فالتصريحات الرسمية لا تدلي حتى الان بتفاصيل حول الحدود التي يستلزم على اسرائيل الانسحاب اليها . واشارة الى الحدود لا تتعدى التعابير الغامضة حول « الحدود الامنة » لاسرائيل . واقوال وزير الخارجية البريطاني ١٠/١٢ ان التسوية يجب ان « تجمع بين السيادة العربية والامن الاسرائيلي » . وان هذه التسوية يجب ان تتم تحت اشراف الامم المتحدة وحمايتها .

هذا وقد بدأت الصحف البريطانية في الايام الاخيرة تناقش بشكل تفصيلي نسبيا شروط التسوية السلمية فترى جريدة « الجارديان » ١٠/١٥ ان وقف اطلاق النار يجب ان يتبعه مؤتمر سلام ، وترى الجريدة ان متطلبات « الامن الاسرائيلي » ورغبة العرب في استرجاع اراضيهم المحتلة يشترط وجود مناطق عريضة مجردة من السلاح في سيناء ومناطق اخرى . ويشترط كذلك وجود قوات الامم المتحدة في شرم الشيخ . اما مستقبل القدس والفلسطينيين فهو بحاجة الى مفاوضات بين الطرفين . وترى الاوبزرفر ١٠/١٤ ان القدس تشكل « الصعوبة الاقليمية الوحيدة امام التسوية » .

ـ التخوف من ان يؤدي استمرار القتال لفترة طويلة الى مضاعفات اقتصادية خطيرة في اوروبا لاعتمادها على النفط العربي . كما تبدي الصحف البريطانية بعض التخوف من ان تؤدي اطالة القتال الى نتائج سلبية على صعيد « الوفاق الدولي » والى اعادة الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي . هذا وقد اشتدت في الايام الاخيرة مطالبة الصحف البريطانية للدولتين الكبيرتين بمباشرة الضغط على الاطراف المتحاربة لوقف اطلاق النار وبدء المفاوضات .

ـ يبدو ان بريطانيا تطمح لان تقوم لوحدها او بالمشاركة مع فرنسا (بصفة انهما تتزعمان دول اوروبا الغربية) في القيام بدور الوساطة لاحلال تسوية سياسية . كما يبدو ان هذا يتطابق مع طموح فرنسا الا هناك تباينا بين الموقف الفرنسي والموقف البريطاني حول دور اوروبا في هذا المجال والمجالات الاخرى . ففرنسا ترى ان دور اوروبا كقوة فعالة مرهون بقدرتها على لعب دور توازني « بين المعسكر الاشتراكي والولايات المتحدة ، بينما ترى بريطانيا بضرورة التنسيق والتعاون مع الولايات المتحدة والاستعمار الامريكي لمصلحة اوروبا (وبالتالي يهمها ان يبقى نفوذ الولايات المتحدة قويا في المنطقة العربية) .

وباختصار فان بريطانيا لا تزال تميل الى التفسير الامريكي ـ الاسرائيلي (وهو تفسير اللورد كارادون صاحب المشروع) لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . الا أن تغير

موازين القوى لصالح القوات العربية على أرض المعركة ومدى التوجه الجدي لضرب المصالح الامبريالية في المنطقة هما العاملان الحاسمان في فرض الشروط وتغييرها .

(٦) افريقيا : نحو عزل مستمر لاسرائيل

يمكن القول ان عام ١٩٧٣ كان عام القضية العربية على الصعيد الدولي فقد اتسعت بسرعة دائرة التأييد العالمي للحق العربي وكان لمؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز الذي عقد في الجزائر في اوائل يوليو الماضي ومؤتمر القمة الافريقي العاشر الذي عقد في اديس ابابا في مايو الماضي دور اساسي في هذا الاتجاه .

فقد شهد هذا العام سلسلة قرارات اتخذتها الدول الافريقية لقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل بدأت في مارس ١٩٧٢ عندما قطعت اوغندا علاقاتها باسرائيل احتجاجا على استمرار العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية وعلى الدور التخريبي الذي تقوم به اسرائيل في افريقيا ثم تلتها تشاد التي قطعت علاقتها باسرائيل في ٢٨ نوفمبر ١٩٧٢ ثم الكونغو برازافيل وتلتها مالي والنيجر وبوراندى . والمعروف ان غينيا قد قطعت علاقاتها مع اسرائيل عام ١٩٦٧ احتجاجا على العدوان . وفي ٤ اكتوبر الحالي أعلن الرئيس موبوتو رئيس جمهورية زائير اثناء وجوده في الامم المتحدة قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل كما ادان بشدة الاحتلال الاسرائيلي اللاشرعي للاراضي العربية وقال (اعلن امام العالم قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل حتى تسترجع مصر وسائر الدول العربية اراضيها المغتصبة حاليا) وعندما أعلن ذلك قوبل بترحاب شديد من ممثلي الدول في الامم المتحدة .

ولقد أثار العدوان الاسرائيلي الجديد السخط والاستنكار لدى الرأي العام الافريقي واعربت حكومات الدول المستقلة ومنظمة الوحدة الافريقية ورؤساء البعثات الدبلوماسية في الخارج عن تضامنهم التام مع النضال العادل الذي تخوضه الشعوب العربية من اجل تحرير الاراضي العربية المحتلة .

فقد أعرب السيد نزو ايكانجاكي السكرتير العام لمنظمة الوحدة الافريقية في برقية بعث بها الى رئيس جمهورية مصر العربية عن (التأييد التام للدول العربية والثقة بانتصار القضية العربية العادلة) .

وطلب سفراء ٢٥ دولة افريقية في القاهرة يمثلون منظمة الوحدة الافريقية بعد اجتماعات استمرت يومين الاجتماع مع وزير الخارجية المصرية لابلاغه نص القرار الذي اتخذوه بعد مداولاتهم بادانة العدوان الاسرائيلي على الدول العربية وعلى مصر بالذات . وقد التقى بهم وزير الخارجية بالنيابة والقى ملس عندوم سفير اثيوبيا وعميد السلك الدبلوماسي كلمة تأييد اشار فيها الى الوثيقة التي يحملونها عن التضامن الافريقي مع الشعب المصري والشعوب العربية الاخرى ووصف الاعمال العدوانية التي قامت بها اسرائيل بانها (حرب وحشية لا انسانية وان مقدرة العرب في صد العدوان يعد انتصارا للقارة الافريقية على قوى العدوان) كما اعلن ممثلو الدول الافريقية (١٢ دولة) لدى المقر الاوروبي لهيئة الامم المتحدة في جنيف عن دعمهم لمصر وسوريا دعما تاما وبدون تحفظ في نضالهما العادل ضد العدوان الاسرائيلي .

كذلك اجتمع سفراء الدول الافريقية في الاتحاد السوفييتي في السفارة المصرية وأصدروا البيان التالي (عطفا على القرار الذي تم اتخاذه في الدورة العاشرة لمنظمة الوحدة الافريقية التي عقدت في اديس ابابا في مايو الماضي يعرب سفراء الدول الافريقية عن تضامن ودعم حكوماتهم وشعوبهم لحكومة وشعب مصر والشعوب العربية الاخرى

التي تخوض نضالا عادلا من اجل تحرير اراضيها من العدوان الاسرائيلي) . كذلك اعرب سفراء الدول الافريقية في واشنطن عن تضامنهم الكامل مع مصر والدول العربية الاخرى في جهودها لاستعادة اراضيها المحتلة كما نددوا بشدة بقصف المدنيين من جانب السلاح الجوي الاسرائيلي وناشدوا الحكومة الامريكية وقف جميع الامدادات العسكرية التي تقدمها الى اسرائيل فورا وحثوها على بذل كل ما لديها من نفوذ مع سرائيل كي تنسحب من الاراضي العربية المحتلة .

هذا وقد اصدر ممثلو حركات التحرير الافريقية في القاهرة بيانا اعلنوا فيه تأييدهم التام لقضية الحق العربي وللكفاح الذي تخوضه الشعوب العربية من اجل حريتها واستقلالها وجاء في البيان الذي وقعه ممثلو حركات تحرير جنوب افريقيا وزيمبابوى وناميبيا وموزمبيق وانجولا (ان من حق الشعوب التي وقع عليها عدوان ان تتخذ كافة الوسائل الدفاعية لتحرير اراضيها وازالة العدوان عنها) .

ردود فعل متفاوتة :

اما بالنسبة لموقف الدول الافريقية فقد تفاوتت ردود الفعل ازاء اندلاع الحرب في الشرق الاوسط اذ تراوحت ما بين التأييد والمساندة المطلقة للدول العربية والتي وصلت الى حد قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل باعتبارها الدولة التي تعرقل بسياستها العدوانية احراز السلام في الشرق الاوسط . وقد اتخذت هذا الموقف تسع دول افريقية هي على التوالي توغو ورواندا وداهومي وفولتا العليا والكاميرون وغينيا الاستوائية وتانزانيا ومدغشقر وافريقيا الوسطى وقد اجمعت هذه الدول كما جاء في نص قرارات قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل على (ادانة واستنكار العدوان الاسرائيلي على الشعوب العربية بشدة وتحميل اسرائيل مسئولية تصعيد الحرب في الشرق الاوسط بتجاهلها الدائم لقرارات الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية . كما ادانوا استخدام اسرائيل قنابل النابالم وغيرها ضد المواطنين المدنيين العزل في مصر وسوريا وأعلنوا ان قرار قطع العلاقات ليس الا تطبيقا امينا لقرار منظمة الوحدة الافريقية في دورتها الاخيرة) .

كذلك اتخذت بعض الدول الافريقية موقف التأييد المصحوب بتقديم معونات للدول العربية التي تخوض الحرب ضد اسرائيل كما اعتبرت نفسها في حالة حرب مع اسرائيل مثل موريتانيا والصومال ، فقد اعلنت حكومة موريتانيا تأييدها المطلق للشعوب العربية في نضالها ضد العدوان الاسرائيلي ووجهت نداء الى الدول الافريقية تهيب بها ان تبذل قصارى جهدها ومساعداتها الى الشعوب العربية التي تواجه عدوانا اسرائيليا جديدا . كما دعت الشعب الموريتاني ان يتابع باهتمام سير العمليات العسكرية في الشرق الاوسط وان يكون على اهبة الاستعداد لتقديم المساعدة الضرورية الى أشقائه المحاربين . واتخذت حكومة موريتانيا قرارا بتقديم المساعدة المادية الى كل من مصر وسوريا وحركة المقاومة الفلسطينية كما ارسلت وزير الخارجية الى نيويورك كي يقدم لممثلي الدول العربية الدعم الدبلوماسي والسياسي .

وقد ارسلت الصومال انطلاقا من سياسة تقديم المعونة المادية الى شعبي مصر وسوريا المناضلين ضد العدوان ٢٥٠ طنا من اللحوم والاسماك وتشكلت بقرار من مجلس الثورة لجنة حكومية تتولى جمع التبرعات لمصر وسوريا . كما جرت مظاهرات في مقديشيو وكيسمايو وجوهار وايسكوسويان عقدها الشغيلة لمساندة القضيةالعربية. واعلن مجلس الثورة ان الصومال تعتبر نفسها في حالة حرب مع اسرائيل .

وداخل اطار التنوع الذي اتسمت به المواقف الافريقية ازاء العدوان الاسرائيلي الجديد يبرز موقف اوغندا الفريد الذي وصل الى حد قيام رئيس جمهوريتها عيدي أمين

بزيارة جبهات القتال وابداء الاستعداد للمشاركة الفعلية في الحرب وقد تجلى ذلك في الجولة التي قام بها الرئيس عيدي امين لزيارة سوريا والسعودية والاردن والعراق وقال انه (يقوم بجولة في العالم العربي كي يتمكن من اطلاع افريقيا على صورة صادقة لمعارك حرب الشرق الاوسط) .

وهناك بعض الدول الافريقية التي اقتصر تأييدها على ارسال برقيات الى الدول العربية التي تخوض الحرب تعلن فيها انه (ما دامت الاراضي العربية محتلة من جانب القوات الاسرائيلية فان الشرق الاوسط سيظل بؤرة صراع تهدد السلام العالمي وعلى الامم المتحدة ان تبذل جهدا مضاعفا من اجل احلال السلام في المنطقة) . وقد ورد ذلك في برقية ارسلها الامبراطور هيلاسلاسي امبراطور اثيوبيا* وتصريح أدلى به كوامي بار المسئول بوزارة خارجية غانا وكذلك البيان الذي صدر عن وزارة خارجية زامبيا .

موقف كينيا من النزاع العربي الاسرائيلي :

وهناك بعض الدول الافريقية التي تتنوع في داخلها المواقف ازاء حرب الشرق الاوسط مثل كينيا والسنغال ففي الاولى ادان الاتحاد الوطني لمسلمي كينيا بشدة العدوان الاسرائيلي المسلح في الشرق الاوسط واكد البيان (على ان استمرار احتلال اسرائيل لاراضي مصر احدى الدول المؤسسة لمنظمة الوحدة الافريقية يخلق خطرا جديا على السلام والامن في افريقيا ذاتها ودعا الاتحاد كافة الدول الافريقية المستقلة والقوى المحبة للسلام للوقوف ضد دسائس الصهيونية التي تساندها الامبريالية العالمية) . هذا بينما لم يخرج تصريح مجو روجيه مونجاي وزير خارجية كينيا عن التأكيد (على عدم السماح بالاستيلاء على اراضي الغير عن طريق القوة وأهاب بالامم المتحدة ان تجد الحل الدائم لمشكلة الشرق الاوسط على اساس الانسحاب الفوري للقوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة واحترام حقوق الشعوب) .

وهذا التنوع الذي تتسم به ردود الفعل في كينيا يعكس موقف التأييد المطلق للقضية العربية الذي تتبناه الجاليات الاسلامية هناك وخاصة في منطقة الساحل مقابل موقف الحياد الذي تحاول ان تبدو به حكومة كينيا ازاء مشكلة الشرق الاوسط ككل اذ لم تكن تخرج تصريحات المسئولين فيها وخاصة وزير خارجيتها عن ان كينيا تؤيد التوصل الى حل سلمي عن طريق التفاوض وهي عبارة غامضة لم تكن تتمشى مع تأييدها لقرارات منظمة الوحدة الافريقية التي تساند قرار مجلس الامن المطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية . ولكن يلاحظ ان بيان وزير الخارجية الاخير يعكس تحسنا ملموسا في موقف كينيا الرسمي من ازمة الشرق الاوسط — وتظهر اثار ذلك في وسائل الاعلام التي تملكها او تديرها الحكومة مثل الاذاعة والتلفزيون (صوت كينيا) ووكالة انباء كينيا فهي تقوم باذاعة الانباء الخاصة بالحرب في الشرق الاوسط دون التعليق عليها ويتضمن ذلك عرضا شاملا لتطورات الموقف والتصريحات التي يدلى بها الزعماء من جانبي النزاع دون التعليق عليها كما يقوم التلفزيون بعرض هذه الانباء والاحداث بصفة يومية . اما الصحافة في كينيا فهي ملك لشركات اجنبية غربية وخاصة شركة لونرو وهي شركة احتكارية بريطانية لها مصالح واسعة في روديسيا وجنوب افريقيا وكينيا وتمتلك مجموعة صحف الايست افريكان ستاندرد المعروفة بميولها الصهيونية ولهذا فان الصحافة تعكس وجهة النظر المعادية للعرب وللمقاومة الفلسطينية بصفة خاصة بينما نلحظ ان مجلة (كينيا مسلم) التي تعبر عن الرأي العام المثقف للجاليات الاسلامية تعكس التأييد المطلق للقضية العربية .

---

* بعد ذلك ببضعة ايام اعلنت اثيوبيا قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل .

موقف السنغال :

كذلك موقف السنغال وقد جاء في بيان المكتب السياسي للحـــزب التقدمي السنغالي (ان الموقف في المنطقة العربية كان يمثل سلاما مزيفا يهدف الى تبرير ضم اراض اقليمية بالقوة ويجب ملاحظة الاعمال العدوانية التي تشنها اسرائيل في نفس الـــوقت الـــذي ترفض فيه الاعتراف بمبدأ ضم اراضي بالقوة ولا شك ان المسئولية تقع على اعضـــاء مجلس الامن وخاصة الدولتين الكبيرتين لانهم فشلوا خلال ٦ سنوات في تطبيـــق قرار مجلس الامن الخاص بانسحاب القوات الاسرائيلية) .

ويلاحظ بشكل عام ان اجهزة الاعلام السنغالية اقرب الى وجهة النظر الصهيونية منها الى وجهة النظر العربية في كافة القضايا المتعلقة بالنزاع العربي الاسرائيلي وقد انعكس ذلك بوضوح على معالجة الصحف للعدوان الاسرائيلي الجديد فهـــم يحرصون علـــى تجنب كل ما من شأنه ان يسيء الى اسرائيل أو يفضح موقفها امام الرأي العـــام وقد برز ذلك في موقف صحيفة الشمس Le Soleil التي تديرها شركـــة فرنسية برأسمال يهودي ويرأس تحريرها باراديوف وهو معروف بعلاقاته الوثيقة بالسفارة الاسرائيلية في داكار . وذلك عكس صحيفة (غرب افريقيا) التي يرأس تحريرها اوبييه ديوب وهو منفتح على القضايا العربية وقد ابدت هذه الصحيفة تفهما ملموسا للقضية العـــربية واظهرت تضامنها مع الجانب العربي ودعت الامم المتحدة الى اتخاذ قرارات حاسمة من اجل وقف اطلاق النار في الشرق الاوسط .

كما ان هناك بعض الدول الافريقية التي ادانت اسرائيل وهددت بقطع العلاقـــات الدبلوماسية معها اذا لم تبادر بسحب قواتها من الاراضي العربية مثل نيجيريا . وقد صرح بذلك يعقوب جوون رئيس الحكومـــة الاتحادية في نيجيريـــا اثناء توقفه في مدينة مونروفيا عاصمة ليبريا في طريق عودته من الجمعية العامة للامم المتحدة . كما اكـــدت الصحيفة الرسمية (نيو نيجريان) ان المسئولية عن تجـــدد القتال وتصاعد الاعمـــال العسكرية في الشرق الاوسط تقع كلية على عاتق السلطات الاسرائيليـــة . وقالـــت الصحيفة (ان مفتاح التسوية السلمية في الشرق الاوسط هو تنفيـــذ اسرائيل غـــير المشروط لقرار مجلس الامن الذي ينص على الانسحاب الفوري لقوات المحتلين مـــن الاراضي العربية) .

ومن المهم تحليل وتقييم هذا التحول كعامل مؤثر على مركز اسرائيـــل في افريقيـــا وبالتالي على النزاع العربي الاسرائيلي . ففي نطاق سعي اسرائيل المستمر لتدعيـــم وتنمية العلاقات الدبلوماسية مع اكبر عدد من الدول الافريقية استطاعت ان تحقـــق نجاحا كبيرا عندما بلغ النشاط الاسرائيلي ذروته خلال الستينات ويتضح ذلك من انه في عام ١٩٦٨ وصل عدد بعثاتها الدبلوماسية الى ٣٢ بعثة في قارة بها ٣٥ دولـــة افريقية غير عربية هذا بالاضافة الى اقامتها علاقات وثيقة بالمسئولين في هذه الدول وتوقيـــع معاهدات صداقة وتعاون معها . وذلك كله فضلا عمـــا حققته اسرائيـــل في المجـــال الاقتصادي (التجاري والاستثماري) وتكفي الاشارة الى اعداد الخبراء الذين اوفدتهم اسرائيل الى افريقيا قد وصل الى ٢٨٥٩ خبيرا في الفترة ما بين ١٩٥٨ — ١٩٧٢ وهو ما يمثل ٦٠ ٪ أو أكثر من جملة الخبراء الذين أرسلتهم اسرائيل الى دول العالم الثالث كما تلقى ٨١٤٢ افريقيا تدريبات في اسرائيل .

وبالفعل فقد ارادت اسرائيل ان تكون افريقيا ساحة ممتدة تحاصر بها الدول العربية وتنمي داخلها نقاط ارتكاز لنشاطها وصورت نفسها للدول الافريقية غير العربية الحديثة الاستقلال بأنها دولة تنتمي الى العالم الثالث والى قارتي اسيا وافريقيا والى تطلعاتهما الى التقدم والتحديث والتحرر بعد الاستقلال وانها بين هذه الدول تعد نموذجا فريـــدا

في قدراتها على الانجاز التكنولوجي وعلى تطوير الزراعة وعلى استزراع الصحراء وعلى تنشيط بيع منتجات القارة من المواد الخام والمحصولات الزراعية وانها فوق ذلك قادرة على الاقراض وعلى تنمية مشروعات تتولاهـا دولة صغيـرة لا تنتمـي الى الغـرب الاستعماري الذي تحملت افريقيا ابشع صوره استغلاله وقمعه واضطهاده واستطاعت ان تقنع القادة الافريقيين بأنها قادرة على ان توفر لمجتمعاتهم الاستقرار وان مخابراتها كفيلة بتقديم مشورات مفيدة ومعنويات جدية في كبت كل حركة تمرد وملاحقة كل محاولة انقلاب .

منظمة الوحدة الافريقية والنزاع العربي الاسرائيلي :

ولكن رغم هذه الانجازات التي حققتها اسرائيل فقـد اصيب المخطط الاسرائيلـي باخفاق دبلوماسي تمثل في اقدام ١٧ دولة افريقية على قطع علاقاتها الدبلوماسية مـع اسرائيل . ويعكس هذا الاخفاق مدى التطور الذي طرأ على موقـف منظمة الوحـدة الافريقية من النزاع العربي الاسرائيلي منذ عدوان ١٩٦٧ حتى الان .

فبينما نلحظ في مؤتمر منظمة الوحـدة الافريقيـة المنعقد في سبتمبر سنـة ١٩٦٧ اقتصارها على (ابداء تعاطفها مع مصر واعرابها عن قلقها ازاء الموقف الخطـير الذي يسود جمهورية مصر وهي بلد افريقي تحتل جزءا من اراضيه قوة اجنبية) نرى ان هذا الموقف قد تطور في سبتمبر ١٩٦٨ واصبحت المنظمة تطالب (بانسحاب القوات الاجنبية من جميع الاراضي العربية طبقا للقرار الصادر عن مجلس الامن في نوفمبر ١٩٦٧) . ثم نلحظ ان الازمة قد ادرجت لاول مرة بشكل اساسي في جدول اعمال المنظمة في المؤتمر الذي انعقد في سبتمبر ١٩٦٩ حيث دعت الى ضرورة (انسحاب القوات الاجنبية مـن الاراضي العربية المحتلة وناشدت الدول الاعضاء في المنظمة بالعمل على المساهمة في تنفيذ هذا القرار بدقة) . كذلك في مؤتمر اديس ابابا في سبتمبر ١٩٧٠ اكدت المنظمـة على (ضرورة تأييد الجهود التي يبذلها الممثل الخاص للامم المتحدة من اجل تنفيذ احكام قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الخاص بالانسحاب) . وفي الدورة الثامنة لمنظمة الوحدة الافريقية التي انعقدت في يونيو ١٩٧١ واشترك فيها رؤساء ١٥ دولة افريقية طالـب بضرورة انسحاب اسرائيل الى الحدود التي كانت قائمة قبل حرب الايام الستة . كما ندد المؤتمر باسرائيل لانها لم ترد بالايجاب على مذكرة الدكتور يارينج الممثل الخاص للامم المتحدة في فبراير ١٩٧١ . وفي مقابل ذلك اعرب رؤساء افريقيا عن تضامنهم وتقديرهم لموقف مصر الايجابي لانها ردت بشكل ايجابي على مقترحات الدكتور يارينج ممـا يعتبر بمثابة مبادرة يمكن ان تسهم في اعادة سلام عادل ودائم في المنطقة العربية .

وقد شمل قرار منظمة الوحدة الافريقية بندا اضافه رئيس زامبيا ينص على تشكيل لجنة تتكون من عشرة رؤساء افريقيين تقوم بالضغط على الدول الكبرى من اجل التوصل الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط وتركز هذه اللجنة جهودها على ضرورة تطبيـق قرار مجلس الامن وتأييد مهمة يارينج مبعوث الامم المتحدة للسلام . وبالفعل فقد تشكلت اللجنة من رؤساء عشر دول افريقية هي موريتانيا واثيوبيا وليبريا والكاميرون وساحل العاج والسنغال وتنزانيا وكينيا وزائيري ونيجيريا برئاسة المختار ولـد داده رئيـس موريتانيا . وقد تفرعت عن لجنة العشرة لجنة الحكماء الافريقيين الاربعة وهم رؤساء الكاميرون والسنغال ونيجيريا وزائيري وقد قامت هذه اللجنة بالاتصالات بين الاطراف المعنية وقدمت تقريرا شاملا بنتائج اتصالاتها الى سكرتير الامم المتحدة . وقد اكـدت منظمة الوحدة الافريقية في دورة انعقادها التاسعة بالرباط في يونيو ١٩٧٢ على استنكار موقف اسرائيل السلبي المعوق الذي يمنع استئناف مهمة يارينج وحثت جميـع الدول الاعضاء على (تكثيف عملها في المحافل الدولية ومجلس الامن والجمعية العامة لاتخـاذ

جميع المبادرات من اجل انسحاب اسرائيل الفوري وغير المشروط من الاراضي العربية وشجب موقف اسرائيل الذي يعرقل تنفيذ قرار مجلس الامن) كما طالبت الدول الاعضاء (بالامتناع كلية عن تزويد اسرائيل بأية اسلحة او معدات عسكرية مما قد يشجعها على الاستمرار في احتلال الاراضي العربية والافريقية) .

ويعتبر القرار الذي اتخذته منظمة الوحدة الافريقية في دورة انعقادها العاشرة (مايو ١٩٧٣) بشأن ازمة الشرق الاوسط اقوى قرار اتخذته منذ حرب ١٩٦٧ اذ لاول مرة اعترفت (بأن احترام الحقوق الثابتة لشعب فلسطين يشكل عنصرا اساسيا في أي حل عادل ومنصف للازمة) كما اعلنت ان موقف اسرائيل (قد يحمل الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية على ان تتخذ على المستوى الافريقي بصورة فردية او جماعية تدابير سياسية واقتصادية ضد اسرائيل وذلك بسبب تهديدها لامن القارة الافريقية ووحدتها نتيجة لعدوانها المستمر ورفضها الجلاء عن الدول التي وقعت ضحية لعدوان ١٩٦٧) .

وعلى نطاق الامم المتحدة حدث تحول افريقي مماثل،ففي اعقاب حرب يونيو١٩٦٧ اتسم الموقف الافريقي عموما بالتردد كما ادى رفض ١٩ دولة افريقية تأييد مشروع قرار عدم الانحياز الذي كان يدعو الى سحب القوات الاسرائيلية الى ما وراء خطوط ٥ يونيو الى اسقاطه الا أنه يلاحظ حدوث تغير واضح منذ سنة ١٩٧٠ في الموقف الافريقي بشكل عام وخاصة بعض الدول التي كانت تدافع بشدة عن وجهة النظر الاسرائيلية وهي غامبيا وغانا ومدغشقر . وقد وصل هذا التطور الايجابي الى حد مساهمة دولتين افريقيتين هما نيجيريا وتانزانيا في المناقشات الاخيرة لمجلس الامن كممثلتين لمنظمة الوحدة الافريقية للتعبير عن ادانة المنظمة الشديدة للاحتلال الاسرائيلي .

(٧) الموقف الاميركي تجاه : « الحدود الآمنة لاسرائيل » و « المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني »

١ ــ خلفية السياسة الاميركية تجاه اسرائيل :

يحكم السياسة الاميركية تجاه اسرائيل ثلاثة تناقضات اساسية :

التناقض الاول هو التناقض القائم بين **مهام حركة التحرر الوطني** العربية وقواها الطبقية المحركة وبين **المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية الاميركية** والطبقات والفئات والقوى الاجتماعية التي ترتكز عليها تلك المصالح . ويتخذ هذا التناقض شكل التضاد بين التصدي لانجاز مهام حركة التحرر الوطنية العربية في الاستقلال الاقتصادي والسياسي والعسكري ومصالح الولايات المتحدة ومرتكزاتها الاجتماعية والسياسية .

التناقض الثاني بين **وجود اسرائيل ونقيضها التاريخي** الشعب الفلسطيني ، ووحدة هذا النقيض مع حركة التحرر العربية . ويتخذ هذا التناقض الاساسي في المنطقة العربية موضوعة الاشمل بالتضاد بين **وجود واستمرار** اسرائيل وانجاز المهام الوطنية لحركة التحرر الوطنية العربية والفلسطينية من اجل التحرير وتقرير المصير للشعب الفلسطيني وانجاز الاستقلال الاقتصادي والسياسي والعسكري لفصائل حركة التحرر العربية ، والتي تشكل بمجموعها اداة تنفيذية موحدة لنقض اسرائيل .

التناقض الثالث هو التناقض الكامن بين « أهداف وطموحات » اسرائيل التوسعية الاقليمية (من النيل الى الفرات) وما يرافق ذلك التوسع من أهداف اقتصادية وسياسية

وعسكرية ، وبين الاهداف الوطنية لحركة التحرر العربية السياسية والاقتصادية والعسكرية .

هذه التناقضات هي التي تحدد معسكري الصراع وموضوعة معسكر الولايات المتحدةواسرائيل . الولايات المتحدة ومصالحها الاقتصادية معبرا عنها بالقوى الاجتماعية التي ترتكز عليها ، واسرائيل كأداة ضاربة في المنطقة ضد حركة التحرر العربية والفلسطينية ومعسكر حركة التحرر العربية والفلسطينية الذي يشكل وجوده ومصالحه تعاكسا مع وجود ومصالح المعسكر الاول .

هذه التناقضات هى التي تعين جوهر السياسة الامريكية تجاه اسرائيل :

٢ ــ **السياسة الاميركية تجاه اسرائيل قبل الخامس من حزيران :**

انطلاقا من طبيعة تناقضات الصراع وحدت السياسة الاميركية أرضية تداخلها مع سياسة اسرائيل واتخذت الخطوط الرئيسية التالية :

١) الدعم الاقتصادي الاميركي لبناء اقتصاد اسرائيلي مرتبط باقتصاد الولايات المتحدة .

٢) المساعدات العسكرية الاميركية لايجاد تفوق اسرائيلي يواكب البناء العسكري العربي .

٣) الدعم السياسي والديبلوماسي المطلق لتغطية اعتداءات اسرائيل على المنطقة العربية وتخفيف اثار المقاطعة العربية .

٣ ــ **السياسة الاميركية تجاه اسرائيل بعد حزيران ١٩٦٧ :**

بعد الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي اثناء حرب حزيران ، اتخذت السياسة الاميركية تجاه اسرائيل المحاور التالية :

١) المحافظة على **التفوق العسكري** الدائم وتجهيز اسرائيل بمختلف انواع الاسلحة المتطورة آخرها « الفانتوم » .

٢) المحافظة على **تماسك الاقتصاد** الاسرائيلي بالدعم المستمر الذي وصل الى اكثر من ٧٠٠ مليون دولار سنويا .

٣) التأييد الكامل لاسرائيل من المنظمات الدولية لدعم سياستها في البقاء في الارض العربية المحتلة .

أهداف السياسة الاميركية :

١ ــ تحويل الانتصار الاسرائيلي الى انتصار اميركي وما يترتب على ذلك من تغيرات اقتصادية وسياسية في المنطقة .

٢ ــ الابقاء على احتلال الاراضي وعدم تنفيذ المقررات الدولية في الانسحاب لاحداث التغيرات الطبقية والاقتصادية التي تخدم استراتيجية الولايات المتحدة الاميركية .

٣ ــ محاولة عرقلة وتهديم العلاقات العربية السوفياتية لشل التأثيرات الايجابية الفعالة للصداقة السوفياتية . خاصة في المجالين العسكري والاقتصادي. والابقاء على الاختلال في ميزان القوى لصالح اسرائيل .

٤ ــ الضغط على الانظمة العربية الوطنية واضعافها لدفع الانظمة المحافظة للتأثير الفعال في المنطقة والتصدي لقيادتها ... وقد اتخذت السياسة الاميركية تجاه معضلة الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ صيغة تأييد « الحدود الآمنة لاسرائيل » معبرا عنها بـ:

ــ تأييد قرار مجلس الامن نظريا والالتزام بالتفسير الاسرائيلي للحدود الآمنة عمليا.

ـــ التأييد المطلق لمطلب اسرائيل في المفاوضات المباشرة التي تحرم الجانب العربي الرسمي من توازن القوى الدولي في المفاوضات الدولية ، وجعلها تقوم على اساس الاحتلال لصالح اسرائيل لفرض شروطها .

اما تجاه « المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني وهي الصيغة التي أجبرت الثورة الفلسطينية الولايات المتحدة على الاقرار بها . فان السياسة الاميركية تحاول التلاعب بها وتجويفها بما ينسجم مع سياستها ومصالح اسرائيل .

١ ـــ التفسير العملي الاميركي لهذه الصيغة اتخذ شكل البحث عن ممثلين للشعب الفلسطيني من خارج حركة المقاومة . من الممكن ان يمثلوا كل شيء الا المصالح الحيوية للشعب الفلسطيني ، كما أعلن سيسكو عشية الحرب .

٢ ـــ الصيغة التي تحكم السياسة الاميركية تجاه الارض المحتلة عـــام ١٩٦٧ ، وتفسيرها « للمصالح المشروعة للشعب الفلسطيني هي الصيغة التي تشكل المنطلق النظري لوزير الخارجية الاميركي قبل الحرب وهي « تســـوية بين الفريقين (العربي الفلسطيني ـــ الاسرائيلي) يكون كل فريق **غير راض** تماما ولكنه **لا يســـتطيع أن يخرق التسوية** » الترجمة التطبيقية .

ـــ اسرائيل تكون فيها **غير راضية تماما** . أي باقناعها بقبول التفسير الامـــيركي « للحدود الآمنة » وغير قادرة على ترجمة عدم الرضى بمعنى عدم موافقة الســـياسة الاميركية على تجاوز تلك « الحدود الآمنة » .

ـــ العرب المحتلة اراضيهم سيكونون **غير راضين تماما** ، عليهم ان **يرســـبوا عـــدم رضاهم** مقابل ارجاع الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ مع ضمان « الحدود الآمنة وتعديلاتها » مقابل اتفاقية « لسلام دائم » على حساب الوطن والشعب الفلسطيني .

ـــ الفلسطينيون يكونون **غير راضين** ليس بسبب ما لا يقبله العدو او يقبله بل بسبب **وجود العدو نفسه** . وبالتالي فان السياسة الاميركية لم تكن واضحة اطلاقا في تفسير الصيغة التي اقرتها في بيان القمة السوفياتية الاميركية عن المصالح المشروعة .

هذه المنطلقات وجدت ترجمتها في التفسيرات العملية لمناقشات الوزير الاميركي مع الوزراء العرب عشية الحرب .

الصيغة العملية : « ايجاد حل يمكن ان يكون **مقبولا من كل الاطراف** وعلى اســـاس ذلك يقام السلام » .

اسرائيليا : حدود آمنة معدلة بصيغة اميركية **وترسيب عدم الرضى التام** مقابل ضمان اميركي في الحماية .

عربيا : انسحاب اسرائيلي من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ في حدود **عدم رضى جزئي** وترسيبه بسبب ما سترتبه الاتفاقية من شل قدرة أية معارضة عربية او ترجمة لعدم الرضى .

فلسطينيا : حتى عشية اندلاع الحرب لم يكن للسياسة الاميركية أية تصريحات أو صيغ محددة لتلبية « المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني » .

في اجتماع كيسينجر مع الوزراء العرب وردت فيه الاشارة الوحيدة من الصيغـــة القائلة بأن وجود محاور فلسطيني في المفاوضات سيسهل المشكلة « مع محاولة التوفيق بينها وبين موافقة حسين ، في اطار مشروعه او غيره.

هذه الاسس النظرية والنصوص الرسمية هي التي **أرسيت عليها** دعائم السياســـة

الاميركية تجاه اسرائيل والعرب ، تجاه المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ و « الاماني المشروعة للشعب الفلسطيني » .

٤ ــ **الموقف والسياسة الاميركية تجاه اسرائيل بعد اندلاع الحرب :**

منذ اندلاع العمليات الحربية في السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ اتخذت السياسة الاميركية مواقف متغيرة متبدلة ، ولكن حدود التغير والتبدل **لم تخرج عن المرتكزات الاساسية** للاستراتيجية الاميركية بأي شكل من الاشكال .

الفصل الاول : مواجهة بدء القتال :

لقد اتخذ الموقف الاميركي تجاه بدء العمليات الحربية واستمرارها الشكل التالي :

ــ الدعوة لايقاف اطلاق النار الفوري ، دون تحديد او شروط لوقف اطلاق النار . وبعد التنسيق مع الموقف الاسرائيلي والاتصالات المكثفة مع أبا ايبن ، التزم الموقف الاميركي تماما بوجهة النظر الاسرائيلية .

ــ المطالبة بايقاف اطلاق النار مشروطا **بانسحاب عربي** الى حدود ما قبل القتال .

ــ دعوة وزير الخارجية الاميركية حكام الاردن والسعودية « **للتصرف باعتدال** » .

ــ التلويح بالاسطول السادس الاميركي ، كما عبر عنه الناطق باسم الخارجية الاميركية بالقول « ان قطعا بحرية تابعة للاسطول السادس الاميركي تحركت من موانىء اليونان في البحر الابيض المتوسط » .

ــ التهديد بالموقف العسكري الاسرائيلي والثقة بقدرته على صد الهجمات العربية وتحطيمها واعادة القوات العربية الى حدود ما قبل اندلاع القتال . وهذا ما قاله وزير الخارجية الاميركي للوزير المصري (الزيات) بصيغة **ثقة مطلقة** بقوة اسرائيل، وتأكد مطلق **بفشل** الهجوم العربي، مصحوبا بتهديد اميركي عن المصير الذي ينتظر العرب . . . هذه الخطوط الاربعة هي التي ميزت الموقف الاميركي في الفصل الاول .

في اجتماع مجلس الامن : كان التحرك الديبلوماسي الاميركي باتجاه العمل على تحقيق **انسحاب عربي الى خطوط ما قبل المعارك** ، محاولة سريعة لردع الانظمة العربية عن المشاركة في القتال او تأييده ، ولكي يكون التحرك الديبلوماسي الاميركي فعالا ، كان التلويح بالتدخل الاميركي والاعلان عن تحركات الاسطول الاميركي الغامضة المهمات والاتجاه .

هذا التحرك الاميركي ، كان **الاحتياط البديل** للثقة الاميركية المطلقة بالقدرة العسكرية الاسرائيلية على **تدمير وسحق القوات العربية** وتحقيق انتصارات عاجلة في ميدان القتال تساعد التحركات الديبلوماسية وتخلق عناصر نجاحها .

ولكن الثقة الاميركية بالقدرة العسكرية الاسرائيلية على تحقيق أرضية لتحركها الديبلوماسي ارتطمت وتحطمت امام الدفاعات العربية السورية ــ المصرية وصمود المقاتلين العرب في الجبهات المحاربة الثلاث الجنوبية والشمالية وجبهة الثورة الفلسطينية .

في النتيجة لم يستطع التحرك الاميركي ان يحقق شيئا بسبب انعكاس وقائع جبهات القتال على جميع المواقف السياسية العالمية . وبعد ان استطاع الفيتو السوفياتي ــ الصيني في مجلس الامن ان يعرقل اي قرار اميركي لمصلحة اسرائيل . ولم يبق من التحرك السياسي الاميركي سوى مدى التأثير والردع الذي احدثته الرسائل الاميركية الى السعودية والاردن « بالتزام جانب الاعتدال » . الى جانب تصعيد اشارات التلويح بتحركات الاسطول السادس الاميركي .

ولكن حقائق ميادين القتال العنيدة هذه المرة **بدأت تهدد المرتكزات الرئيسية للسياسة الاميركية** بعد استنفاد زخم الهجوم الاسرائيلي المضاد وتحول الحرب الى سجال متبادل في المعارك وانتصارات عربية متزايدة في اليوم الثالث للقتال . هذا الواقع دفع بالسياسة الاميركية نحو فصل جديد يستجيب بسرعة **لمواجهة التغيرات الاساسية في ميـــادين القتال** ... ولكن الخطوط الرئيسية لهذا الفصل لا تخرج ايضا عن المرتكزات الاساسية العامة تجاه الازمة .

الفصل الثاني في السياسة الاميركية : لمواجهة فشل المراهنة على الهجوم المضـــاد الاسرائيلي ووصول المناورة الاميركية الى طريق مسدود ، **وبوادر الاختـــلال في ميزان القوى** في جبهات القتال تحددت خطوط هذا الفصل كما يلي :

١ ــ التصعيد الى درجة التهديد بالتدخل ، ودفع الصراع الى آفاق دولية . اي الى آفاق المواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .

٢ ــ مخاطبة الاتحاد السوفياتي بعبارات تهديدية ، « بوضع جميع **عناصر الاتفاقات الثنائية** » بين البلدين **وعناصر الانفراج الدولي** مقابل **حصر النزاع وتطويقه** في الشرق الاوسط ، قبل الاختلال الواسع في ميزان القوى ضد اسرائيل ، وبالتالي ضد اميركا .

٣ ــ الحرص على ابقاء التهديد في حدود **تكتيكية ضيقة** عن طريق الاشارة الى عدم توفر عناصر ضرورة الموقف الحازم ، **والاشارة الى امكانات التراجع المفتوحة** .

في تصريحات هنري كيسينجر نتلمس هذه الخطوط بوضوح « ان التقارب بين اميركا والاتحاد السوفياتي لا يمكن ان يستمر ... وان الحكومة الاميركية لا تخادع نفسها فيما يتعلق بالسياسة التي ينتهجها المسؤولون في الكرملين ... ولذا فان الولايات المتحدة حرصت على تطوير وسائل دفاعية غير محدودة (النهار ٩ تشرين الاول ١٩٧٣) .

اما عناصر محاولة التهديد والردع في تصريحات الوزير فقد وردت في القول « ان على الاتحاد السوفياتي ان لا يتخذ موقفا غير مسؤول » ولكن المقطع الاساسي من التصريحات الذي يحاول **تدويل الصراع وتهديد التوازنات** الدولية التي خففت من حدة التوتـــر في العامين الماضيين فقد حددها الوزير الاميركي « بان الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الايدي اذا استغلت سياسة تحقيق حدة التوتر كشعار لتصعيد الخلافات في منـــاطق دولية مضطربة » وهذه اشارة واضحة الى الموقف السوفياتي الواضح في تأييد حق العرب في تحرير الاراضي المحتلة ، وبالتالي تأييد العمليات الحـــربية لتحريرها ــ هذا الموقف السوفياتي من وجهة النظر الاميركية « استغلال لسياسة تحقيق التوتر لتصعيد الاضطرابات في الشرق الاوسط » .

ولتأكيد ازدواجية السياسة وترابط مرتكزاتها الرئيسية حرصت الخارجية الاميركية على **تسريب تفسيرات** لاقوال كيسينجر لكي تخفف من ردود الفعل المحتملة تجـــاه التصريحات ، او اعطاءها تفسيرات جدية ، خاصة في لهجتها التهديدية . لقد قـــال المسؤولون في الخارجية « ان كيسينجر لم يقصـــد ان الكرملين يتصرف بشكل غـــير مسؤول»... وكذلك الاشارة الى «ان موسكو ابدت **اهتماما مماثلا** لاهتمامات واشنطن لوقف القتال » . (النهار ٩ تشرين الاول ١٩٧٣) .

وكان الرد السوفياتي عنيفا والفعل سريعا : الاعلان عن الاستجابة الكاملة **لتزويد العرب بالسلاح والعتاد** وجميع المتطلبات الضرورية ، العسكرية والاقتصادية لتحرير الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ والرسالة « التحريضية » لبومدين لتأييد القتال ودعوة الدول العربية للدخول في المعركة . كانت الرسالة الخطيرة **أكثر العناصر استفزازا** بالنســـبة للولايات المتحدة . كذلك كان الموقف العربي ، السوري ــ المصري المقاتل خاصـــة

مستجيبا للتصعيد وقابلا للتحدي ، في حدود الاستمرار في القتال ، وكانت ميادين القتال هي الاخرى ، وهي الاصل تصب في عناصر هذا التصعيد العربي ــ السوفياتي .

واستجابة لهذه المواقف التي واجهت التصعيد الاميركي في الفصل الثاني ... جاءت التصريحات الجديدة لوزير الخارجية الاميركي لترسم **خطا معتدلا مرة اخرى** ، دافعة السياسة الاميركية الى الفصل الثالث من مرحلة ما بعد القتال .

الفصل الثالث : لقد تميز هذا الفصل بتلطيف لهجة التصعيد ، تحديدهم المساعدات لاسرائيل في حدودها الضرورية . الابقاء على عنصر البديل ، أي التهديد ، ودفعه الى الوراء كاحتياطي ثابت لاحتمالات اختلال التوازن في ميادين القتال ، ومن أمثلة ذلك :

ــ في توضيحه للخط الاول اكد وزير الخارجية الاميركي بعد يوم واحد من تهديداته السابقة مناشدا العرب والاتحاد السوفياتي بالقول « ما زلنا نحاول تلطيف النزاع » .

ــ **التقدير الاميركي** ،وبشكل استثنائي ومتكرر في جميع التصريحات لـ « أهمية **ضبط النفس النسبي** ، الذي ظهر في وسائل الاعلام العامة في الاتحاد السوفياتي ، وفي سلوك مندوبه لدى مجلس الامن .

ــ **التقييم الاميركي للمساعدات السوفياتية** المقدمة للعرب . يقول كيسينجر بعد يوم واحد من اتهامه للاتحاد السوفياتي بـ « تصعيد الخلافات في مناطق مضطربة » : يقول عن شحن الاسلحة والمعدات السوفياتية للمناطق المضطربة « ان شحن المعدات في الجو في هذا الوقت **معتدل** وهو أكثر من خفيف **وشحن جوهري** الى حد ما ، اذا ما نظر اليه بالنسبة الى احتمال التأثير على العمليات العسكرية » .

وفي مخاطبة العرب ، بعد التصعيد السابق ، يحاول الوزير الاميركي ان يكون معتدلا ايضا ، **معتدلا بما فيه الكفاية** لاعطاء المبررات الضرورية للدول النفطية المحافظة على عدم استخدام النفط كسلاح حاسم وباجراءات فعالة . أشار الوزير الاميركي الى ذلك بالقول « لقد قمنا بمجهود جدي للغاية في هذه الازمة **للاخذ في الاعتبار** ، بشكل جدي **قلق العرب** ووجهات نظرهم » .

ــ اما العنصر الاخير في تصريحاته « الهادئة » ، والاول في تصريحات التصعيد السابقة ، (التهديد) فقد دفعه كيسينجر الى الوراء ، لجعله **البديل الجاهز** في حالة عدم الاستجابة السوفياتية العربية لتلطيف التحديات وايقاف التصعيد ، هذا العنصر الاخير جاء بالصيغة التالية : « عندما نتوصل الى اقرار ان الاعمال (مساعدات السوفيات) **وصلت الى نقطة اللامسؤولية** فاننا لن نتردد في هذه الازمة في اتخاذ **موقف حازم** » .

وكانت ردود الفعل السوفياتية العربية ، ليست كما تريد السياسة الاميركية بالضبط . فان سير المعارك في جبهات القتال ، واشتراك جيوش عربية اخرى وبفاعلية كبيرة خاصة الجيش العراقي ، واستمرار ثبات الموقف المصري السوري ، أجبر السياسة الاميركية على الانتقال مرة اخرى ، وبسرعة ايضا الى الفصل الرابع ... التصعيد ثانية ، وبوتيرة أكثر ايقاعا من قبل .

الفصل الرابع : تتميز عناصر هذا الفصل بخطوطها الرئيسية التالية :

ــ التهديد الرسمي بالتدخل (خطاب نيكسون) ــ الاعلان عن شحن كميات كبيرة من الاسلحة ــ الابقاء على خط التراجع ودفعه الى الوراء **كاحتياطي نحو** ضبط الصراع وتلطيفه مرة اخرى .

ــ لقد جاءت لهجة التهديد في تصريحات نيكسون وبنص رسمي يوحي بامكانات

التدخل ويعني شكل ذلك التدخل المحتمل . في الشق الاول يؤكد نيكسون « ان وجود الولايات المتحدة **قوية ومحترمة** ضروري لاقامة « سلام » في الشرق الاوسط » . اما عن تعيين شكل التدخل فقد أعطى الرئيس الاميركي نموذجا للمقارنة مع ظرف التدخل الاميركي عام ١٩٥٨ عندما تدخلت وحدات البحرية التابعة للاسطول السادس في شواطىء بيروت للدفاع عن حكومة شمعون ضد التدخل السوري كما اوردت التفسيرات . واستعداد الاسطول السادس واستنفار الفرقة ٨٢ للتدخل ضد سوريا في نهاية عام ١٩٧٠ عندما ظهر احتمال اختلال التوازن العسكري في الاردن لصالح حركة المقاومة الفلسطينية .

ـ الاعلان رسميا عن الجسور الجوية والمحاور البحرية لتزويد اسرائيل بالمعدات الحربية وبكميات كبيرة . ولتبرير زيادة ارسال الاسلحة ، اعلنت المصادر الاميركية ان الاسلحة والاعتدة الجديدة التي تشحن الى اسرائيل لا تساوي غير عشر (١/١٠)(١) المساعدات السوفياتية (الاسلحة والمعدات) التي وصلت الى دمشق والقاهرة في الاسبوع الماضي .

ـ الاعلان الرسمي عن شحن الاسلحة جاء بعد ساعات من صدور تصريحات عربية مهددة بتخفيض متصاعد للنفط المصدر للولايات المتحدة ، اي تجاوز التهديدات النفطية واهمالها .

ـ ولكن **خط التراجع بقي مفتوحا** وبقي **يرافق التصعيد** والتهديد **كالظل** في الفصول السابقة هذا الاحتياط جاء بصيغة قائلة « ان الاتصالات مع موسكو مستمرة » .. وهدفها تجنب « تصاعد اكبر في النزاع » هذا البديل الاخير هو الجسر الذي تبقى عليه السياسة الاميركية **لالتقاط الاستجابات** العربية ـ السوفياتية .

الفصل الخامس : خطاب الرئيس السادات والتفسيرات الاميركية والخطوات السياسية التي تترتب على تلك التفسيرات .

ـ كان الفصل الاول كما اوردته رويتر كالاتي : « رحب مسؤولون في الولايات المتحدة من نظرة اولى بعرض الرئيس السادات لحضور مؤتمر سلام باشراف الامم المتحدة ، وقالوا ان تحركا نحو وقف اطلاق النار يجب ان يكون في الاتجاه الصحيح » . هذا « الاتجاه الصحيح » الذي يتحدث عنه الاميركيون تجده في وجه المنظر الرسمية للحرب ، او التفسيرات الاميركية بطبيعتها واهدافها (النهار ١٨ تشرين الاول ١٩٧٣).

ـ في التفسير الذي تحدث عنه كيسينجر لهدف الحرب، والذي تبنى اسس السياسة الامريكية لمعالجة الحرب ومضاعفاتها على اساسه هو « ان الهجوم العربي قد حركه الامل بأن تظهر الحرب الجديدة عدم قبول القاهرة ودمشق للامر الواقع ، واذا كان هذا هو الهدف ، يقول الوزير الاميركي .. **« نعتقد ان هذا الهدف قد أنجز »** الحديث بعد اسبوع فقط من القتال ١٢ تشرين الاول ١٩٧٣ . ويضيف اخيرا بناء على ذلك « ان الولايات المتحدة مستعدة للمساعدة على تحقيق تسوية متفاوض عليها » .

ـ الهيرالد تريبيون الاميركية تضرب على خطوط هذا التفسير الاميركي فقد كتبت في

---

١ ـ الاسلحة والمعدات الاميركية التي شحنت بحرا وجوا في يومي الاحد والاثنين بلغت :
ـ ٥٠٠ طن من المعدات . كما ذكر المسؤولون في واشنطن ان السوفيات واميركا يشحنون ٧٠٠ طن يوميا.
ـ ٢٠ طائرة نفاثة فانتوم ، اقلعت من قواعد اميركية من اوروبا .
ـ سفينة شحن تحمل طائرات ، سكاي هوك ، ودبابات ، أقلعت من ولاية فرجينيا .
ـ ٢٥ طائرة سكاي هوك حطت في احد الموانىء الاميركية تمهيدا لشحنها الى اسرائيل .

٨ تشرين الاول ١٩٧٣ « ربما قام العرب بذلك — أي الحرب — أملا في تحقيق نجاح عسكري كاف لتعزيز موقفهم المفاوض » .

— بهذه الخلفية في وجهة النظر الاميركية التي تحدث عنها وزير الخارجية والصحيفة الاميركية اجتمع نيكسون بوزراء الخارجية العرب ، **وبالطبع بعد سماعه لخطاب السادات ومشروعه** ، وبعد تحديد وجهة نظر اميركية تجاهه .

ان التغييرات في فصول السياسة الاميركية لا تعني ، وللحظة واحدة ، اي تغيير في المرتكزات الاساسية المتقدمة لها . بل تعني وبالضبط ، الاستجابة لمعطيات التغيرات العسكرية في ميادين القتال وتفاعلاتها السياسية في الموقف السوفياتي والعربي ودول العالم . والمعالجات الاميركية المتغيرة هي معالجات **تستجيب الى درجات الحرارة السياسية المتغيرة في الموقف السوفياتي والمواقف العربية والعالمية** التي تؤثر فيها حقائق ميادين القتال . ولكن تلك التحولات الجزئية في السياسة الاميركية تصب جميعا في الحدود والاشكال التنفيذية والتطبيقية للمرتكزات الاساسية وهي : **ضبط الصراع وتطويقه عسكريا وسياسيا** . العمل على خلق ظروف تسمح بتحقيق تسوية اميركية — اسرائيلية معدلة بالحدود الدنيا لتأثيرات المعارك بعد تشرين الاول ١٩٧٣ والتي هي كما في تفسير الوزير الاميركي المتقدم « لاثبات عدم الخضوع للامر الواقع » ، وقد انجز الهدف ، كما يقول . وكما تذهب الصحيفة الاميركية الى المعنى نفسه . ولكن تلك التعديلات التي ستفرضها المعارك « لا يمكن ان تحددها رغبات الولايات المتحدة الذاتية او ضغوطات اسرائيل المتزايدة بل أن الحجم والوزن العسكري وطبيعة قيادته السياسية هي التي حددت وستحدد مستقبل الصراع وافاقه وليس شيئا اخر أبدا .

ان التغييرات التكتيكية المؤقتة والمتحولة في السياسة الاميركية تعبر عن الشكل الوحيد الذي **يمكن من عدم الانزلاق** الى تدخل استراتيجي اميركي مباشر ، ومواجهة اميركية سوفياتية شاملة حسب التقديرات الاميركية ، تدفع بالصراع الى آفاق بعيدة يمكن لها أن تدمر المصالح الاميركية وتهز الانظمة الحليفة لها ؛ وتقلب الحسابات الاستراتيجية راسا على عقب ، وتهز مرتكزاتها . وهذا يعتمد على قدرة قيادة الحرب العربية على **الاستمرار في القتال** .

٥ــ المرتكزات الاستراتيجية الاساسية للسياسة الاميركية في المنطقة :

١) **الحفاظ على ميزان القوى العسكري** في المنطقة مختلا لصالح اسرائيل ، ودرجة الاختلال المطلقة هي ما عملت السياسة الاميركية على تركيزها قبل اندلاع القتال ، وعندما تجد من الصعوبة بسبب نتائج الحرب الحفاظ على تلك النسبة ، لا تتخلى الاستراتيجية الاميركية عن هدف الاختلال النسبي لصالح اسرائيل بسهولة ، الا اذا ارغمت على ذلك . وكما حدد ابين في تقييمه للسياسة الاميركية تجاه موضوع التوازن العسكري بالقول « ان الاتصالات المتواصلة حول كل ما يتعلق بميزان القوى لا زالت قائمة » (في اليوم العاشر للقتال ١٦ تشرين الاول) . ولذا فانني لا ارى اي ظلال قائمة بل استمرار في التعارن والتقييم والمشاورات .

٢) **امن اسرائيل** : هذه المسألة كانت قبل الحرب تأخذ صيغة « الحدود الامنة » أما بعد اندلاع القتال واستمراره فان قضية « امن اسرائيل » تحظى بالتأييد الثابت والمطلق من الولايات المتحدة باعتبار ان دولة اسرائيل لها سيادة واستقلال بين دول المنطقة . هذا ما أعلنه نيكسون في تحديده للمرتكزات الاستراتيجية في المنطقة بالقول : « اننا نقول بحق كل أمة في الشرق الاوسط **في المحافظة على استقلالها وأمنها** » .

٣) الوزن السياسي والعسكري والاقتصادي للولايات المتحدة هو الضمانة الوحيدة لاستقرار المنطقة وتوفير فرص السلام فيها . وهذا أيضا ما أعلنه نيكسون في

تصريحاته الاخيرة عن الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة ، كدولة **قوية ومحترمة لفرض السلام** في المنطقة .

هذه المرتكزات للسياسة الاميركية ، تحاول اسرائيل اعطاءها مضامين تتجاوز احيانا مضامينها الاميركية ، دافعة الاتجاهات الصهيونية في مجلس الشيوخ والادارة للدفاع عنهـــا . وتتمثل هذه الظاهرة بالعناصر التالية :

١) محاولة ايبن لتأكيد السياسة الاميركية تجاه مسألة ميزان القوى ، بالاستعانة بتصريح لوزير الخارجية والقائل « بأن الاتصالات مستمرة حول كل ما يتعلق بميزان القوى » لكي يستنتج بانه لا يرى اية ظلال قائمة ، **بل استمرارا في التعاون والتقييم والمشاورات** .

٢) محاولة الاستعانة بالتصريحات الصهيونية وابرازها والتركيز عليها رغم تعارضها النسبي مع السياسة الرسمية التي يمثلها كيسينجر . بتصريحات ليرد مستشار نيكسون للشؤون الداخلية الذي يؤكد ان الولايات المتحدة تقف في مجابهة مكشوفة مع الاتحـــاد السوفياتي ، بينما يحاول كيسينجر تحقيق حوة التوتر مع السوفيات . وهذا الموقف الاسرائيلي يستهدف الحصول على مزيد من الاسلحة .

٣) الاستعانة بتصريحات مسؤولين اميركيين ثانويين حول حاجة اسرائيل المتزايدة الى السلاح والعتاد واستعداد الولايات المتحـــدة لتعويض جميع خسائر الحرب لجعل تلك التصريحات سياسة عامة رسمية .

٤) تهويل كميات الاسلحة السوفياتية الى العرب بهدف المطالبة بكميات مقابلة من السلاح بينما يصف وزير الخارجية شحن الامدادات السوفياتية بانه « معتدل، وخفيف، وجوهري » .

هذه العناصر تشير الى **حاجة اسرائيل المتزايدة** للاسلحة والمعدات . وأن هـــذه الحاجة المتزايدة لا تستجيب لها الا الاتجاهات الاكثر صهيونية في مجلس الشيـــوخ والادارة . وبهذا المعنى تكون حاجة اسرائيل اسرع بكثير من استجابة الادارة الاميركية، بسبب التهام القتال لها . وهذه الحاجة تؤكد عددا من الحقائق :

(١) بطلان الادعاء القائل بقدرة اسرائيل على انتاج ٧٠ ــ ٨٠ من السلاح خلال فترة قصيرة كما أعلن ذلك دايان عشية الحرب .

(٢) التناقض بين هذه الحاجة الكبيرة والبيانات الرسمية التي لا تشير الا الـــى خسائر خفيفة ومحدودة .

(٣) اضافة لحجم الخسائر الفعلي ، فان ذلك يؤكد خوف اسرائيل من المستقبـــل والحاجة للسلاح والمعدات الذي يتوقع الاسرائيليون ان تلتهمها ميادين القتال .

(٤) الحاجة المتصاعدة للاسلحة والمعدات تدفع باتجاه الارتباط الكامل بالقـــرار الاميركي ، وهذا يعني ان اي هامش للاستقلال من الاستراتيجية الاميركية تفرضـــه مصالحها القومية وحسابات الاستراتيجية العالمية سيجعل اسرائيل كليا تحت رحمة القرار الاميركي الذي لا يتطابق تماما مع القرار الاسرائيلي ، ويفقدها استقلالها النسبي الذي كانت تتحرك من خلاله ، والذي كان يسمح له بحرية رفض التفسيرات الاميركية « للحدود الامنة » او معارضتهم لضم القدس ، وهذا يحدث في حالة استمرار القتال، وزيادة التدخل الامريكي .

وقد عبر هذان الفريقان الاميركيان عن مواقفهما بالوقائع التالية :

١ ــ **الاتجاه الصهيوني والضغط على الادارة الاميركية** للاستجابة الكاملة لمتطلبات

حماية اسرائيل والابقاء على تفوقها . وقد عبر عن موقفه كما يلي :

١) طلب شيخان ديمقراطيان و١٨ عضوا في برلمان الولايات المتحدة من الادارة الاميركية تزويد اسرائيل بالاسلحة .

٢) دعا الشيخ هنري جاكسون الادارة الاميركية الى استعمال صلاحيتها لتقديم قرض من اجل تزويد اسرائيل بالمعدات العسكرية ووسائل الدفاع .

٣) دعا الشيخ هاريسون وليامز الولايات المتحدة ان تضاعف مساعداتها لاسرائيل لكي تتمكن من الدفاع عن نفسها .

٤) مطالبة السناتور كندي واعضاء اخرين في مجلس الشيوخ ، ورئيس نادي الرؤساء يعقوب ستاين الولايات المتحدة بارسال معدات واسلحة لتعويض ما فقدته اسرائيل في الحرب .

٥) جورج متي رئيس حركة العمل الاميركية توجه الى نيكسون ، يطالبه بزيادة دعم اسرائيل بالسلاح .

٦) الروابط المهنية الكبيرة في الولايات المتحدة وبينها روابط عمال السيارات ، المعادن ، النسيج ، الخدمات ، توجهت بطلب الى نيكسون لتزويد اسرائيل بالسلاح .

٧) السناتور جورج ماكغفرن نشر بيانا ندد فيه « بالعدوان » السوري والمصري وطالب بأن تلتزم الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بالاعتدة حسب احتياجاتها لصد العدوان . وان تلقي الولايات المتحدة بثقلها من اجل السلام وذلك بواسطة المفاوضات . وقال : ان كل احتمال للسلام متعلق باقناع العرب بأنهم لا يمكنهم الحصول على أي شيء بواسطة الحرب (رصد اذاعة اسرائيل) .

٨) وقع ٦٧ شيخا من اصل ١٠٠ شيخ في الكونجرس الاميركي على مشروع قرار يدعو الادارة الاميركية الى تزويد اسرائيل بكل ما تحتاج اليه من طائرات « فانتوم » وسائر المعدات العسكرية ، وقد قدم المشروع الشيخ هيوبرت همفري . ويعرب القرار عن التأييد المطلق لاسرائيل ، ويندد بمصر وسوريا ، ويدعو الادارة الاميركية الى « الحفاظ على قوة اسرائيل الرادعة » عن طريق تزويدها بالطائرات والمعدات العسكرية الاخرى .

٩) لقد كان من بين الموقعين على القرار الذي قدمه همفري ، الشيخ هيو سكوت زعيم كتلة الجمهوريين في مجلس الشيوخ . وهذا يعني ان الكتلة الجمهورية في المجلس تؤيد ذلك المشروع . وبالتالي فان الادارة الاميركية ليست خاضعة للتأثير الصهيوني من جانب جاكسون وهمفري ومؤيديهم .. بل أن الحزب الجمهوري الحاكم يساهم بفاعلية في اصدار قرارات التأييد لاسرائيل ، وتنفيذ تلك القرارات ، بعد أن يكون هو عبر ممثليه في مجلس الشيوخ قد ساهم في المشاريع التي تصدر عن الكونجرس . وبالنتيجة فان الاتجاهات الصهيونية في مجلس الشيوخ تتبادل الدعم والتنسيق في المواقف مع مثيلتها في الادارة الاميركية التي يرأسها نيكسون .

٢ ــ **اما الاتجاه الليبرالي ، فولبرايت ، مانسفيلد ، والمعارض للتورط الاميركي المباشر** فقد برز من خلال الوقائع التالية :

(١) **مستقبل الصراع** : في الخطاب الذي القاه في مؤتمر السلام على الارض وخطوطه الرئيسية هي :

ــ ان الدول العربية بما فيها تلك التي هي الان محافظة ، قد تصبح متطرفة ، اذا اصبحت ظلامتها مستديمة .

ــ « اسرائيل دولة عسكرية تواجه احتمال وقوع ارهاب متزايد وحرب متكررة

وكيانا وطنيا **لا يتوفر فيه شيء من الامن** ، ومهما تكن ثقة الاسرائيليين في مقدرتهم العسكرية فانه من المستبعد أن يستطيعوا هذا الاحتمال .

(٢) **الطاقة والعالم الاوروبي والاميركي :**

ـ حتى لو استطاع المتحاربون ان يقبلوا احتمال قيام كفاح لا نهاية له فان العالم الخارجي لا يستطيع ذلك .

ـ ان الشرق الاوسط اصبح نقطة الوميض لنزاع عالمي مثلما كان البلقان عام ١٩١٤ .

ـ الطاقة :

هناك مشكلة الطاقة سموها كما شئتم ـ ابتزاز ، عملا تجاريا عاديا ، ان الشرق الاوسط يملك ما لا يقل عن ٣٠٠ر٠٠٠ مليون من أصل ٥٠٠ر٠٠٠ مليون برميل من احتياط العالم المعروف من النفط . الولايات المتحدة تحتاج الى علاقات جيدة مع الدول المنتجة لانها لا تملك قدرة انتاجية اضافية خاصة بها .

ـ الدول المنتجة للنفط ليست على خلاف مباشر مع الولايات المتحدة ، ولم تفعل **شيئا قط لالحاق الاذى بالولايات المتحدة** .

ـ ان اعتمادنا على نفط الدول العربية المنتجة هو مسألة مصلحة وطنية ، ربما ليس اكثر من رابطتنا العاطفية مع اسرائيل ولكن بالتأكيد ليس اقل أيضا .

الشيخ فولبرايت يسمي العلاقات الاستراتيجية العسكرية مع اسرائيل تجاه المنطقة العربية **رابطة عاطفية** ويغفل الاسس الموضوعية التي تشد السياسة الاميركية لها .

اما الاقتراحات التي يقدمها فولبرايت لمعالجة الازمة فهي :

١ ـ وقف اطلاق النار بصورة عاجلة ، ليس وقف نار متأخر بحيث يمكن لهذه الجهة او تلك ان تفرض « حقائق جديدة » بل وقفا عاجلا عن اطلاق النار يأمر به مجلس الامن بمقتضى السلطة التي يتمتع بها . وعليه بموجب المادة السابعة من الميثاق ان يقرر الاجراءات الواجب اتخاذها لاستعادة السلام .

٢ ـ تطبيق قرار ٢٤٢ الذي يدعو الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة ، **والذي ينص ايضا على بقاء اسرائيل وعلى أمنها** عن طريق طلب « انهاء كل ادعاءات حالات الحرب والاعتراف واحترام السيادة والسلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دول المنطقة » .

ان منطلقات الشيخ فولبرايت عن المصالح الاميركية في المنطقة ، هي عينها التي رددها منذ سنوات ، ولكن اقتراحاته الاجرائية والتنفيذية الحاسمة التي يقترحها ظهرت فجأة ولاول مرة لتطبيق قرار ٢٤٢ **بالقوة** بعد ست سنوات من الرفض الاسرائيلي والدعم الاميركي . ان اقتراحاته تعكس القلق على اختلال التوازن في ميزان القوى ، والقلق من انفجار الصراع في المنطقة عموما وهو ما لا يرضى عنه حتى أكثر الشيوخ الديمقراطيين الذين يعارضون الادارة الاميركية .

ـ أما الشيخ مايك مانسفيلد السيناتور الديمقراطي فان مثل فيتنام ماثل امامه بشكل واضح وقد حدد موقفه على الشكل التالي :

١ ـ ان المارينز الاميركيين « جنود البحرية » يجب ان لا يشتركوا في حرب الشرق الاوسط .. « ان فيتنام واحدة تكفي » .

٢ ـ اقترح ان يصدر الرئيس الاميركي « دعوة عاجلة الى الرؤساء لحضور المؤتمر : بريجنيف ، بومبيدو ، برانت ، هيث ، كاكوي تاناكا ، والذين يمثلون الدول

الخمس : الاتحاد السوفياتي ، فرنسا ، المانيا الغربية ، بريطانيا ، اليابان » .

ان هذا المؤتمر كما يقترح الشيخ مانسفيلد يجب ان يسعى الى « تحقيق وقف فوري لاطلاق النار » .

الاتجاهات المتعارضة الصهيونية والليبرالية **تؤثر في السياسة الاميركية بدرجات مختلفة** ، وان ادارة نيكسون **توازن** بين نتائج السياسة الاميركية الداعمة لاسرائيل الى النهاية ومعاكسة مصالحها الحيوية في المنطقة ، وبين **التراجع** بين تلك السياسة والتخلي عن التأييد والدعم المطلق ، الذي يعرض كيان اسرائيل ونظامها الى الاهتزاز وهو ما يؤدي بالنتيجة الى احتمالات لا يمكن تقديرها وتقدير اثارها على تلك المصالح الاميركية الحيوية في المنطقة . ومن هنا فاميركا معنية بايجاد **التوازن** الدقيق بين **حماية اسرائيل وحماية مصالحها الحيوية** لما للتداخل بين الاثنين من تعقيد واهمية مطلقة . هذه الازدواجية في السياسة الاميركية تجاه المنطقة واسرائيل هي التي تفسر **ثبات الاستراتيجية الاميركية** في مرتكزاتها الاساسية وحرص الولايات المتحدة على استمرارها ، **رغم تعارض خطوط فصولها وتغيرها .**

وقد جاءت تصريحات نيكسون الاخيرة مؤكدة لثبات استراتيجية المحافظة على **التوازن** بين حماية اسرائيل وحماية المصالح الاميركية الحيوية . وبالضبط التغيرات التي تحافظ على الاستراتيجية العامة .

أعلن البيت الابيض ان الرئيس نيكسون طلب من الكونجرس ان يوافق فورا على اعتمادات لبرنامج مساعدة عسكري جديد لاسرائيل يبلغ مجموعه مليارين و ٢٠٠ مليون دولار ، ومن جهة اخرى اكد المقربون له انه يتوقع « ان ينهي القتال في الشرق الاوسط في وقت قريب نسبيا » وفي تبريره للاعتمادات قال نيكسون « ان هذه الاعتمادات ضرورية لمنع اختلال اساسي في التوازن العسكري نتيجة تزويد الاتحاد السوفياتي مصر وسوريا بمعدات على نطاق واسع » .

وفي تقييمه للمساعدات الاميركية لاسرائيل على شكل معدات حربية في الايام الاثني عشر الاولى قال « انها بلغت ٨٢٥ مليون دولار » .

ولم يخف نيكسون ان المساعدات كلما ارتفع حجمها أصبحت تفوق امكانات اسرائيل وبالتالي فلا بد ان تكون مساعدات مجانية وفي رسالته الى الكونجرس قال :« ان اتساع النزاع وحجم المساعدات السوفياتية خلقا حاجات تتجاوز طاقة اسرائيل على تسديد ثمن مشترياتها من الولايات المتحدة ومن هنا ضرورة تزود هذا البلد مجانا بالمعدات العسكرية » .

وقالت وزارة الدفاع الاميركية « ان الولايات المتحدة استدعت بعض الاحتياطيين في سلاح الجو الاميركي للمساعدة في عمليات نقل الاسلحة والاعتدة الى اسرائيل » .. وايضا « اوفدت عددا من رجال الطيران للمساعدة في عمليات اعادة تزويد تل ابيب بالسلاح » ولا يمكن اخفاء حقيقة تزويد اسرائيل بالطيارين فقد اعترف الطيار الاسير في القاهرة « ان طائرات الفانتوم قد وصلت الى تل ابيب بقيادة الطيارين الذين ارسلتهم الولايات المتحدة الى اسرائيل للاشتراك في القتال » .

هذا التصعيد الذي دفع به نيكسون هو تصعيد لضمان استمرارية المرتكزات العامة للسياسة الاميركية في هذه المرحلة من الصراع المتغير والعنيف من مراحل حرب التحرير الوطنية . وهو الشكل الوحيد ، في تقديرات ، نيكسون ـ كيسنجر ، الذي يمكن ان يحقق ضبط الصراع وتجميده حسب معادلة التصعيد الاقصى = وقف اطلاق النار « وتسوية مقبولة » من وجهة النظر الاميركية .

الحرب النفسية والخطوط الاعلامية لاذاعة اسرائيل باللغة العربية

شكل مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية وحدة من باحثيه لمتابعة الحرب النفسية الاسرائيلية ولتحليل الخطوط الاعلامية التي توجهها اذاعة اسرائيل باللغة العربية ومقارنتها مع ما تذيعه باللغة العبرية . وقد أصدرت هذه الوحدة أربعة تقارير وزعتها ، في فترة الاسبوعين الاولين للحرب ، على الاجهزة الفلسطينية والعربية ذات الاختصاص . وتكونت الوحدة من الاخوة الباحثين بلال الحسن وسعيد جواد ونزيه قوره وعنان العامري .

يوم السبت ، ٦ تشرين الاول ، ومنذ اللحظات الاولى لاندلاع القتال ، كان الخط الاعلامي الاسرائيلي الاول ، موجها نحو الداخل . وكانت كافة الاخبار تصاغ باتجاه رفع المعنويات ، وتبرير انتصارات الاندفاعة الاولى للجيشين السوري والمصري . ومن الواضح ان جو الحرب اثار في اوساط السكان الاسرائيليين قلقا كبيرا برز من خلال تركيز الاذاعة على القضايا التي تتعلق بحياتهم اليومية ومصير ابنائهم الجرحى . لذلك حرصت الاذاعة على تكرار الاخبار التي تتعلق بالامور التالية :

التعبئة الداخلية

١ ــ **توفر الاغذية** : كان هناك تركيز واضح على توفر الاغذية . ففي الساعة الثامنة من مساء اليوم الاول للقتال أعلن وزير التجارة والصناعة ان مخزون الاغذية الموجود يكفي الاستهلاك العادي ووعد بتوفير الاغذية بانتظام واستمرار . ولمواجهة الاقبال على شراء الاغذية بكميات كبيرة طلب وزير التجارة من السكان عدم شراء البضائع بهدف خزنها ، والتصرف كما هو الحال بالايام العادية . ولكن يبدو ان السكان لم يستجيبوا لهذا الطلب ، مما اضطر وزير التجارة والصناعة ، ان يصدر امرا بمنع تخزين الحاجيات ، مهددا كل من يخالف الامر بتقديمه للمحاكمة . كان هذا في اليوم الاول . اما في اليوم الثالث للقتال (٨/١٠) فقد بدأت العوامل السلبية بالظهور . اذ اختفت سلع اساسية ، وبدأ التجار يرفعون الاسعار ويظهر ذلك بوضوح من البيان الذي اذيع باسم المجلس الاسرائيلي للاستهلاك ، وطلب منه تذكير السكان بانه جرى تنظيم عملية تسويق جميع انواع الاغذية في جميع انحاء البلاد . ولكن البيان اعترف بان بعض المواد لا تصل الى الاسواق فقال « في حال حدوث عراقيل مؤقتة في التوزيع ، فان المجلس يدعو الى التحلي بالصبر » . اما بالنسبة لانتشار زيادة الاسعار ، فقد طالب البيان تقديم شكوى لدى كل زيادة ، وخاصة في اسعار البطاطا . ومن الواضح ان احد اسباب ازمة الغذاء في اسرائيل ، هو ان حالة الحرب والاستنفار قد أدت الى شلل في جهاز

المواصلات ، حيث قالت وزارة التجارة في اليوم الثالث للحرب انه تم تأمين وسائل نقل وتوزيع الحاجيات الاساسية مثل الخبز والزيت والسكر .

٢ ــ المستشفيات : من الواضح ان انباء القتال الاولى اثارت ذعرا في اوساط الاسرائيليين وحين وصلت انباء الخسائر الكبيرة التي تكبدوها ازداد هذا الذعر ، وازداد القلق على مصير ابنائهم الجرحى . ولذلك كانت الاذاعة الاسرائيلية معنية الى حد كبير ، وخاصة في اليوم الاول ، واليوم الثاني للقتال ، على توضيح تهيؤ كافة المستشفيات لاستقبال الجرحى والعناية بهم .

ففي اليوم الاول ، وبعد ساعتين ونصف الساعة من القتال فقط ، أعلنت الاذاعة الاسرائيلية ان مستشفى مئير في كفار سابا اخرج جميع المرضى من أصحاب الحالات غير الخطرة . وفي الساعة الخامسة مساء أعلنت الاذاعة انه تمت تخلية مستشفى آخر هو مستشفى موروكا في بئر السبع «وذلك لاعداد المستشفى لاستقبال المصابين» . وبعد وقت قليل من ذلك اذيع ايضا ان الاجراءات نفسها اتخذت في مستشفى صرفند ، وفي مستشفى كبلان في رحوفوت . وتابعت الاذاعة بث الانباء المشابهة فأعلنت في الساعة السادسة والربع مساء ان مستشفى هداسا قد تمت تخليته ، وتم بشكل خاص «توسيع غرفة استقبال المصابين » وكذلك كان الحال في مستشفى رمبام ، ومستشفى شعاري شيدك في القدس .

وفي الليل ، وعند الساعة التاسعة مساء أعلنت الاذاعة ان المركز الطبي في تل هشومير قد استقبل بعض الجرحى من الجبهة المصرية . وكانت الاذاعة حريصة على ابراز قول مدير المستشفى بان الجرحى وصلوا بعد ان تلقوا معالجة طبية ممتازة في منطقة المعارك .

ولكن هذه التطمينات كلها ، لم تؤد الغرض المطلوب منها . فقد أقبل السكان بأعداد كبيرة الى المستشفيات للاطمئنان على ابنائهم الجرحى ، وادى ذلك الى حالة من الازدحام والتوتر . ولذلك طلبت الاذاعة من السكان ان لا يحضروا الى المستشفيات بسياراتهم الخاصة !! كي لا يشكلوا ازدحاما على المداخل . ومن الواضح ان عدد الجرحى كان كبيرا جدا بحيث أصيب الاطباء والممرضون بالارهاق الشديد ، ولذلك وجه مستشفى تل ــ هشومير نداء للمتطوعين ان يحضروا الى المستشفى « ليحلوا مكان الاطباء والممرضين الذين ينبغي عليهم ان يستريحوا » . وزاد ذلك بدون شك من قلق السكان حول مصير جرحاهم .

٣ ــ التعبئة الشعبية : وعلى صعيد التعبئة الشعبية العامة ، بدىء منذ الساعات الاولى للقتال بالعمل حسب قوانين الطوارىء . ففي الساعة الرابعة والنصف من يوم القتال الاول أصدر وزير العمل اوامره « بتجنيد الطاقة البشرية للمرافق الحيوية » . وفي الساعة السابعة مساء أعلن وزير المواصلات توقيف اشارات المرور في الشوارع ، والغاء الانارة في الطرق ، وذلك لتوفير الطاقة الكهربائية من جهة ، ولانخفاض عدد القادرين على تشغيلها بسبب التعبئة العامة . ولمواجهة ازمة المواصلات طلب وزير المواصلات من السكان « عدم استخدام وسائط النقل العام دون حاجة » . وبالاضافة الى ذلك طلبت الاذاعة من السكان تخزين المياه من أجل الاستعمال اليومي ، ومن اجل الاستفادة منها في اطفاء الحرائق .

هذا ما كانت تقوله الاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية . اما في اذاعتها الموجهة باللغة العربية ، فقد كانت تنقل الانباء المقلقة نفسها ، بصورة مشرقة وايجابية ، هدفها التأثير على معنويات المواطن العربي . فحول موضوع الاغذية مثلا ، قالت الاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية في الساعة ١١،٣٠ صباح اليوم الثالث للقتال « ان المواد

الاستهلاكية قد وصلت الى الاسواق والحوانيت بصورة منتظمة ، وان الاهلين يقومون بمشترياتهم كالعادة » . وفي المقابل كانت الاذاعة الاسرائيلية معنية بابراز عدم توفر المواد الغذائية في الاسواق العربية فاذاعت في لساعة ٢،٣٠ من ظهر اليوم الثالث للقتال (١٠/٨) ان وزير التموين المصري قد أصدر تعليماته بتوزيع السكر والشاي بموجب بطاقات على ان لا تزيد حصة كل منهم على ٥٠ بالمائة من الكمية التي كانوا يتلقونها قبل نشوب القتال . وهكذا تكون اجراءات التقشف مباحة للاسرائيليين ، بينما تبرز وكأنها نقطة ضعف عند العرب .

اما بالنسبة للاضاءة والكهرباء ، فبالرغم مما تم في اسرائيل من اطفاء لانوار الطرق واشارات المرور ، فقد كانت حريصة على ان تذكر في اذاعتها العربية باستمرار « ان نظام التعتيم مفروض على دمشق والقاهرة منذ نشوب الحرب » . وبالطبع لم تكن تذيع مثل هذه الاخبار البديهية في الاذاعة الموجهة للاسرائيليين باللغة العبرية ، ذلك ان الاجراءات المطبقة عليهم كانت ولا تزال أشد من الاجراءات المطبقة في العواصم العربية.

ومن الامور الملفتة للنظر ان الاعلام الاسرائيلي الموجه للعرب ، عمد الى ترويج أخبار كاذبة من النوع الذي يكشف مباشرة وبسهولة . ففي اليوم الثالث للقتال ، وفي الساعة الثانية عشرة والنصف قالت الاذاعة الاسرائيلية « ان منع التجول قد فرض على العاصمة السورية دمشق » ، في الوقت الذي كان فيه المواطنون السوريون يملأون طرقات دمشق لرؤية حطام الطائرات الاسرائيلية . لقد جاء هذا الخبر الكاذب في ذروة الهجوم الاسرائيلي المضاد ضد القوات السورية ، وواضح ان الهدف منه رفع معنويات الجندي الاسرائيلي فقط .

وتكفي هذه الوقائع على صعيد التعبئة الداخلية ، لتبرز حالة الاضطراب التي شهدتها اسرائيل ، ولتبرز التناقض الواضح بين ما يذاع باللغة العبرية ، وما بين ما يذاع باللغة العربية ، هذا التناقض الذي يصل الى حد الكذب المفضوح .

٤ ــ محاولات رفع المعنويات: كان من الواضح تماما، من خلال متابعة ما تذيعه الاذاعة الاسرائيلية ، ان معنويات السكان تعاني حالة من الاضطراب ، تستدعي التركيز على انباء (اسطورية) من أجل رفع المعنويات المنهارة ، والتي نجمت عن انتصارات الاندفاعة العربية الاولى ، بينما كانت مثل هذه الانباء متجاهلة تماما في الاذاعة الموجهة باللغة العربية . ومن الامثلة البارزة على انباء رفع المعنويات النبأ الذي اذيع في الساعة الخامسة من اليوم الثاني للقتال (١٠/٧) والذي يقول ان ضابطا اسرائيليا واحدا قد تصدى لطابور مدرعات سورية ، واستطاع منفردا ان يدمر ٥٠ دبابة وشاحنة في وسط هضبة الجولان ، وان دبابة الضابط المذكور لم تصب الا في نهاية المعركة . ومن الواضح تماما ان هذا التركيز على البطولات الفردية ذات النوع الاسطوري ، انما يتم لتجاهل الحديث عن المجرى الاساسي للمعركة ، الذي كان فيه الجيش الاسرائيلي ككل يقوم بتراجعات واسعة ، ويواجه خسائر كبيرة .

وعلى نفس نسق الانباء الساعية لرفع المعنويات ، حرصت الاذاعة الاسرائيلية على ابراز الانباء التي تبين تلهف الاسرائيليين للالتحاق بالمعركة ، وخاصة الاسرائيليين المقيمين في الخارج . وركزت بشكل خاص على اظهار تعاطف المواطن الاوروبي العادي مع الاسرائيليين . ففي خبر كامل قالت الاذاعة الاسرائيلية في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم الثالث للقتال ان سائق سيارة الاجرة الذي نقل احد الاسرائيليين الى مطار لندن « رفض ان يتقاضى اجره عندما عرف ان زبونه اسرائيلي » .

ان هذا النسق من الانباء الساعية لرفع المعنويات ، والموجه اساسا للاسرائيليين باللغة العبرية ، لم يكن يذاع باللغة العربية . وكانت تذاع بالمقابل مجموعة من الانباء

الساعية لاضعاف المعنويات العربية . وكان اختيار هذه الانباء يتم بصورة مبتذلة وبعيدة عن كل منطق . فحين وجهت اذاعة صوت العرب نداء للجنود المصريين المرابطين على الضفة الشرقية للقناة ان يكونوا حذرين وان يكونوا يقظين ازاء كل المفاجـآت ردت الاذاعة الاسرائيلية (الساعة ١٢،٣٠ ظهرا — يوم ١٠/٨) بنبأ يقول ان صوت العرب حذر الجنود المصريين من عنصر المفاجأة في الحرب ، وقال لهم « انه عندما تقع المفاجأة تصاب القيادات بالعجز وسوء التصرف » .

وكذلك لجأت الاذاعة الاسرائيلية الى ترويج اخبار يصح وصفها بأنها اخبار سوقية وذلك حين كانت معنية بان تذيع خبرا كاملا يقول بان « الرئيس المصري أنور السادات بعث بتعليمات الى قرينته السيدة جيهان وابنائه في اوروبا بعدم العودة الى مصر ، وكان الرئيس السادات قد بعث بزوجته واولاده الى اوروبا مؤخرا » . وهنا يلاحظ ان اسرائيل لم تذع هذه الانباء باللغة العبرية . لان المقصود منها هو اضعاف المعنويات العربية فقط ، وليس اذاعة الخبر بحد ذاته .

الموقف من المقاومة الفلسطينية

في بداية الحرب ، حرصت الاذاعة الاسرائيلية على تجاهل دور المقاومة الفلسطينية والعمليات التي تقوم بها . ولذلك اكتفت بان تشير اليها اشارات عابرة ، وان تبرز فقط العمليات الاسرائيلية ضد المقاومة . ففي الساعة الثامنة من اليوم الاول للقتال قالت اذاعة اسرائيل ان « المخربين » الفلسطينيين انضموا الى الجيش السوري في المعارك ضد اسرائيل **قرب الحدود اللبنانية** . وواضح من هذه الصياغة انها تريد ان تتجنب القول بان الفدائيين يقومون بعمليات من الحدود اللبنانية واكتفت الاذاعة بان تقول ان الطائرات الاسرائيلية قصفت مواقع « المخربين » في جنوب لبنان ، دون ان توضح لماذا .

وكذلك في اليوم التالي ، تجاهلت الاذاعة الاسرائيلية نشاط المقاومة ، واكتفت بذكر النشاط السياسي الذي تقوم به ، وذلك حين اذاعت في الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم الثاني ان ياسر عرفات دعا جميع اعضاء منظمات « التخريب » لضرب المصـــالح الاسرائيلية داخل اسرائيل وفي العالم بأسره . وكذلك دعا الى وقف تصدير النفط للغرب ووضع هذا النفط بتصرف الدول المقاتلة ضد اسرائيل .

اما في اليوم الثالث للقتال ، فلم تستطع الاذاعة الاسرائيلية ان تستمر في تجاهلها لنشاطات حركة المقاومة ، فأعلنت في الساعة السابعة صباحا « ان اعمالا « تخريبية » جرت خلال الليل في مناطق مختلفة على طول الحدود اللبنانية ، فقد اطلق « المخربون » عددا من صواريخ الكاتيوشا وقذائف الهاون والبازوكا » . وبعد ساعات قليلة ، وفي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر قالت الاذاعة الاسرائيلية ان الطائرات قامت بقصف أهداف « المخربين » في منطقة العرقوب في جنوب لبنان . وبذلك توضح ان القصف قد تم بسبب نشاط حركة المقاومة المباشر ، وليس بسبب انضمامها للجيش السوري . وفي الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم نفسه قدمت الاذاعة الاسرائيلية لسكان اسرائيل نبأ عن نشاط المقاومة ، صيغ بطريقة تريد ان تبرر لهم سبب نشاط حركة المقاومة . قالت الاذاعة ان العواصم العربية كانت معنية بابراز نشاط حركة المقاومة ، وخاصة على الجبهة السورية . وتساءلت كيف يتم ذلك بعد الخلاف الذي نشب قبل الحـرب بينها وبين سوريا ؟ واستنتجت ، ان ذلك كان ثمن السكوت الذي قدمه لهم حافظ الاسد . فقد وعدهم بالاشتراك في القتال ، مقابل انهاء الخلاف الناشب . وأيا يكن التفسير الاسرائيلي لذلك ، فان تجاهل نشاط المقاومة لم يعد ممكنا من قبل الاذاعة الاسرائيلية .

والاعتراف به بعد استمرار الصمت عنه ، كان لا بد وان يأتي بهذه الصيغة التبريرية . وهنا من الضروري ان نلاحظ ، ان كل هذا الحديث عن المقاومة لم يرد في نشرات الاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية ، وكل ما كان يرد فقط هو انباء ضرب مواقع الفدائيين ، وذلك حتى لا تؤدي مثل هذه الانباء الى رفع معنويات المواطنين الفلسطينيين ، ولا الى ابراز الدور الخاص الذي يلعبه الفدائيون في المعركة .

المؤتمرات الصحفية لكبار القادة الاسرائيليين

منذ اللحظات الاولى لاندلاع القتال قام كبار القادة الاسرائيليين السياسيين والعسكريين ، بتوجيه سلسلة متواصلة من البيانات ، وبعقد سلسلة اخرى من المؤتمرات الصحفية . وكان الهدف المباشر لكل هذا النشاط رفع معنويات السكان الاسرائيليين من جهة ، وابراز الجوانب التي تقود الى تركيز ثقة الجمهور بهم وباجراءاتهم لمواجهة القتال الناشب . وكان القادة الاسرائيليون معنيين بتقديم أجوبة على عدد من الاسئلة التي اثارها اندلاع القتال . ومن هذه الاسئلة :

— لماذا لم تبدأ اسرائيل بالضربة الاولى ؟
— لماذا نجح المصريون في اختراق قناة السويس بسرعة ؟
— لماذا نجح السوريون في اختراق خط القتال في الجولان ؟
— لماذا هذه الخسائر الكبيرة في القوات الاسرائيلية ؟

وقبل ان نعرض للاجابات الاسرائيلية المقدمة ، لا بد ان نشير الى ان هذه المقابلات والبيانات كانت تذاع بالكامل باللغة العبرية ، وعندما تتم ترجمتها الى اللغة العربية ، تؤخذ منها فقط الجمل التي تشير الى الصمود الاسرائيلي ، والى نقاط الضعف العربية.

لقد وجهت البيان الاول جولدا مئير رئيسة الوزراء بعد الساعات الاولى من يوم القتال الاول . وركزت فيه على النقاط التالية :

١ — ان القوات الاسرائيلية تقوم **بصد** الهجوم السوري المصري .
٢ — ان خسائر جسيمة قد وقعت في صفوف القوات السورية والمصرية .
٣ — ان اسرائيل لم تفاجأ باندلاع القتال .
٤ — ان قوات اسرائيل كانت قد اخذت حالة الاستعداد اللازم لمواجهة الخطر .
٥ — ان اسرائيل قد بدأت بتجنيد **جزئي** لقوات الاحتياط .
٦ — اعلنت ثقتها بأن احدا لن يصاب بالذعر .
٧ — أطلقت شعار انتهاك **يوم الغفران** اليهودي .

وقبل منتصف الليل بقليل ظهر موشي دايان على التلفزيون ، وقال كلاما فيه كثير من التناقض مع كلام جولدا مئير :

— فبدلا من حديث مئير عن صد العدوان قال « يحتمل ان يكون عدد من الدبابات السورية قد توغل هنا وهناك عبر خطوطنا ، ويحتمل ايضا ان يكونوا احتلوا بعض مواقعنا » .

— وبدلا من حديث مئير عن الخسائر الجسيمة للسوريين والمصريين قال دايان « تدور الان معارك قاسية على الجبهتين » .

— وبدلا من حديث مثير عن ان اسرائيل كانت قد استعدت للهجوم قال دايان « نحن مستعدون ولكن ليس بقوتنا القصوى » .

— وبدلا من حديث مثير عن الاستدعاء الجزئي للاحتياط ، تحدث دايان عن الاستدعاء الكامل للاحتياط باعتدته وقال « عندما وصل الاحتياط الى الجبهة نكون بكل قوتنا » .

وقد حاول دايان ان يجيب عن الاسئلة الاخرى المطروحة ، محاولا تقديم تفسير مقبول للسبب الذي مكن القوات المصرية بشكل خاص من اجتياز القناة . وكان تفسير دايان ان هدف اسرائيل هو « المحافظة على حياة سلام داخل البلاد ولذلك لا نحافظ على الخطوط البعيدة ... لاننا في حالة كهذه سنعرقل الحياة المنتظمة في البلاد » . اما السبب الثاني الذي قدمه دايان فيقول ان اسرائيل لم تكن تريد شن حرب وقائية ، لانها لم تكن تريد البدء بالقتال . وقد سمحنا لانفسنا القيام بذلك لان « باستطاعتنا بهذه الوسيلة ضربهم في سيناء في نهاية الامر » . وكتطمين نهائي قال دايان « لا بد من ان تكون هناك فترة انتقال بين الحرب ... وبين ذلك الوقت الذي نصل فيه الى كامل قوتنا » . وبهذه الحجج تناسى دايان احاديثه هو بالذات ، والتي كررها عشرات المرات منذ حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، والتي كان يقول فيها ان اسرائيل تمتلك الان افضل حدود جغرافية مناسبة لامنها العسكري ، وان هذه الحدود تمنع العرب من شن اي حرب ضدها ، وبرزت لديه فجأة الاراء التي تتحدث عن فترة الانتقال ، وعن عدم القدرة على حماية الحدود بقوة حتى يمكن سير الحياة في الداخل بانتظام .

وقد تحدث دايان للمرة الثانية في مساء اليوم الاول نفسه ، وكان حديثه هذه المرة موجها للصحافيين ، وابرز في حديثه النقاط التالية :

١ — ان هدفنا على قناة السويس هو صد المصريين وبعد ذلك اخضاعهم .

٢ — اعلن رفضه لوقف اطلاق النار قائلا انه « يأمل ان لا يحصل « العدو » على أية مكاسب مثل الوصول الى وقف اطلاق النار » .

٣ — اعلن انه لا يتوقع ان تستمر الحرب اشهرا ، او اسابيع ، او حتى ايام .

وفي المقارنة بين حديث دايان في التلفزيون للسكان الاسرائيليين ، وبين حديثه للصحفيين الاجانب . نجد انه كان حريصا في حديثه للسكان ان يجيب بشكل مرض عن الاسئلة التي تقلقهم ، بينما كان حريصا في حديثه للصحافيين الاجانب ، ان يتجنب النواحي المقلقة ، وان يتحدث أمامهم بثقة عن مخططاته وحتمية نجاحها . وحين نفى ان الحرب قد تستمر حتى اياما ، فقد كان يعني انها ستستمر ساعات فقط . ونسي انه كان يتحدث بعد عشر ساعات من نشوب القتال .

وبعد دايان برز الى واجهة الاحداث الجنرال حاييم هرتسوغ ، كبير المعلقين العسكريين الاسرائيليين ، والقائد السابق للمخابرات الاسرائيلية ، وأوكلت له مهمة مخاطبة لسكان باستمرار . وفي حديثه الاول الذي اذيع في الساعة ١٢ ليلا من يوم القتال الاول بدأ هرتسوغ يقدم المبررات لانتصارات الاندفاعة العربية الاولى . فأعادها الى يوم الغفران « حيث تكون اسرائيل على درجة أقل من الاستعداد » . كما أعادها الى وجود قوة اسرائيلية صغيرة على قناة السويس (متناسيا خط بارليف والقوة الجوية الاسرائيلية التي يمكن تحريكها بأقل من ساعة) وقائلا « كان باستطاعتهم بسهولة توجيه الضربة الاولى من هذه النقطة او تلك . والشيء ذاته ينطبق على الوضع في الجولان » . وقد يكون هرتسوغ شعر بأن هذه الحجج ليست مقنعة كفاية للسكان الاسرائيليين فقدم لهم حججا أخرى موضوعة للتنفيذ وهي :

١ — مع اتمام التجنيد سيتم الانتقال الى مرحلة الهجوم المضاد .

٢ ــ ان الامر المقرر هو التفوق الجوي لاسرائيل .

٣ ــ مع بدء الهجوم المضاد سيوافق العرب على وقف اطلاق النار .. بعد أن يتم انتزاع الاراضي التي احتلوها .

وعلى غرار دايان أجرى هرتسوغ في عصر اليوم الثاني حديثا آخر مع الصحافيين الاجانب ، تهرب فيه من الاجابة على الأسئلة ، قائلا انه لا يريد تكرار مـا قاله وزير الدفاع موشي دايان . واضاف « لا يزال هناك ما يسمى **ضباب المعركة** ، وهذا الضباب هو في مصلحتنا » . واعترف هرتسوغ بايجاز شديد « ان المعركة في الجولان صعبة للغاية » . وهكذا لم يستطع هرتسوغ ان يتحدث مع الصحافيين الاجانب بنفس لهجة التبرير والتطمين التي تحدث فيها الى السكان الاسرائيليين ، ولجأ بدلا من ذلك الى بعض الاشارات الغامضة مثل قوله انه « لم يشاهد طائرات العـدو » ، ومثل قوله أيضا « ان تجميع القوات استغرق وقتا » .

ولكن حاييم هرتسوغ لم يستطع ان يبقى ضمن هذه العموميات ، فقد وصلت انباء اليوم الثاني للقتال بدون شك الى داخل اسرائيل . وكان من المطلوب تقديـم تفسير للهزائم التي واجهتها القوات الاسرائيلية ، وخاصة في هضبة الجولان . والملفت للنظر هنا ان التفسير الذي قدمه هرتسوغ ليبرر تراجع الجيش الاسرائيلي ، هو نفس التفسير الذي كان يقدم في السابق لتبرير التفوق الاسرائيلي على الجيش السوري . فقد قال هرتسوغ ان اسباب نجاحات الجيش السوري هي :

١ ــ ان الجيش السوري يعمل بالقرب من قواعده .

٢ ــ عدم وجود خط طبيعي مثل قناة السويس يفصل بين الجيشين .

٣ ــ عدد القوات السورية أكبر من القوات الاسرائيلية .

ونسي هرتسوغ وهو يدلي بهذه الحجج الاقوال الاسرائيلية التي كانت تروج في السابق كيف ان الجيش الاسرائيلي له سيطرة كاملة في الجولان لانه قريب جدا مـــن دمشق ، ويستطيع بسهولة ضرب كل خطوط الامداد والتموين التابعة له . وبينما كان دايان يقول ان الحرب لن تدوم حتى اياما ، اضطر هرتسوغ لان يقول « ليس من جدوى في ان نتكهن منذ الآن بسرعة المعركة ... فهذه الحرب تختلف تماما عن الحروب السابقة ... ولاول مرة منذ حرب الاستقلال نخوض حربا دفاعية ، والمبادرة ليست بأيدينا » .

وبالطبع ، فان كل هذه التعليلات لم تكن تذاع باللغة العربية وكان يتم الاكتفاء بابراز ما يرد فيها عن الصمود الاسرائيلي ، وذلك من أجل الاسهام في حملة اضعاف المعنويات العربية .

ان الاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية سلاح من أسلحة المعركة ضد العرب . ولا بد من النظر الى ما تذيعه من هذه الزاوية بالذات . وما قدمناه هنا من وقائع كاف ليثبت الكذب الذي تمارسه ، والتضليل الذي تهدف من ورائه الى اضعاف الجبهة العربية الداخلية بحملة نفسية مكثفة .

الاعلام الاسرائيلي والمواقف الدولية

الموقف الامريكي تجاه اسرائيل : لقد تلخص الموقف الامريكي عشية اندلاع القتال في « السعي من أجل مفاوضات بين العرب واسرائيل ترتب انسحابا اسرائيليا من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ (بحدود لا تختلف كثيرا عن الطموحات الاسرائيلية) مقابل التزامات تنازلية من جانب العرب » وباندلاع القتال كان رد الفعل الامريكي الاولي والسريع متمثلا في « دعوة الولايات المتحدة اسرائيل ومصر الى وقف اطلاق النار في الشرق الاوسط .

في الساعة ٢٠ من يوم السبت اي بعد ٨ ساعات فقط من بدء القتال . كما اوعز نكسون الى وزير خارجيته هنري كيسينجر «لعمل اي شيء لايقاف اطلاق النار» . وبدوره هو الآخر — اي كيسينجر — بعث برسالة الى السعودية والاردن « دعا حكامها للتصرف باعتدال » . (اذاعة اسرائيل العبرية الساعة ٢٠) .

لكن المواجهة والمعالجة الاسرائيلية للموقف الامريكي استهدفت على الفور تحديد وتأطير الموقف الامريكي في ترجمة الصيغة الاسرائيلية لوقف اطلاق النار ، اي الايقاف المشروط للقتال بانسحاب العرب الى حدود السادس من تشرين الاول .

لقد اتخذ الفعل الاسرائيلي الاول شكل الاتصال الدائم والمباشر بين ايين وكيسينجر لاطلاع الاخير على تطورات الموقف ، كان ذلك بعد خمس ساعات فقط من اندلاع القتال في مساء يوم السبت . وفي الساعة الحادية والعشرين من اليوم نفسه جاء التوضيح الاسرائيلي لصيغة وقف اطلاق النار كما أورده ايين لشبكة التلفزيون الامريكي « اي. بي. سي. » اي ان وقف اطلاق النار مشروط بانسحاب عربي الى حدود ما قبل بدء القتال « ومطالبا واشنطن ان تؤيد العودة الى خطوط وقف اطلاق النار » وكما يؤكد رغبته في أن تندد الولايات المتحدة « بالعدوان » . وزاد في مطالبيه « ان تندد بالهجوم ، فليس من معنى الآن لان موقف حيادي » (السبت ٥ر١٢ اذاعة اسرائيل) .

لقد جاء هذا الموقف الاسرائيلي المصحوب بنشاط دبلوماسي مكثف وسريع لمواجهة اي صيغة للموقف الامريكي تبتعد عن الصيغة الاسرائيلية ، وتحقق وقف اطلاق النار في حدود غير الحدود التي بدأ منها القتال ، اي في حدود جديدة تحقق انتصارا عربيا جزئيا وتحشد القوى العربية وتلهب قدراتها القتالية ضد اسرائيل ، بينما تعكس بالمقابل هزيمة اسرائيلية مهما كانت جزئية تحطم اسطورة اسرائيل الكلية القدرة . وتكون مضاعفاتها غير معروفة وغير منظورة النتائج بالنسبة لاسرائيل ولا يمكن تقدير مضاعفاتها البعيدة بعد انتقال المبادرة الى الجانب العربي وصعود امكانات تطور وتجذر الصراع في عموم المنطقة . هذه النتائج هي ما تفسر اصرار الاسرائيليين منذ بدء القتال ولحد الآن على ربط وقف اطلاق النار بالعودة نحو حدود ما قبل بدء القتال والضغط الواسع على الموقف الامريكي للدفاع عن هذا الموقف .

وبسبب من معرفة ابا ايين لموقف المنظمة الدولية التي خرقت حكومته قراراتها لمدة ٢٥ عاما ، فقد سارع ايين الى القول « بأنه لا يتوقع تحقيق اية نتائج سياسية من مؤسسات الامم المتحدة .. لان المنظمة الدولية بلا حول ولا قوة » كما أوردت تصريحه اذاعة اسرائيل العبرية في الساعة السابعة من صباح الاثنين . وقد جاء الموقف الامريكي في مجلس الامن مستجيبا للنداءات والمطالب الاسرائيلية عندما طلب مندوب الولايات المتحدة من مجلس الامن « ان يطلب المجلس من الاطراف المتقاتلة العودة الى المواقع التي كانت فيها قبل بدء الاشتباكات يوم السبت » . (اذاعة اسرائيل العبرية الثلاثاء — الثانية صباحا) .

ويذهب الموقف الاسرائيلي بعيدا في محاولة التأثير على الموقف الامريكي من الاشارة الى ان واشنطن لا تمانع في اجتياز اسرائيل لقناة السويس وخطوط ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . وهذه الاشارة جاءت بالتواقت مع أعلى مراحل هجومها المضاد الواسع في اليوم الثالث للقتال (الاثنين — اذاعة اسرائيل العبرية ساعة ٢٠) .

وقد تعامل الاعلام الاسرائيلي مع قضية عدم تدخل الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بشكل مباشر في النزاع — بوجهين مختلفين اظهار عدم امكانية التدخل السوفياتي مقابل التلويح بامكانية التدخل الامريكي المباشر .

لقد أوردت اذاعة اسرائيل ما قالته صحيفة « الواشنطن بوست » في اذاعتها العبرية في العاشرة من صباح الاثنين ما نصه « ان الولايات المتحدة كانت واثقة ان باستطاعة اسرائيل صد الهجوم ... وان الدولتين الكبيرتين اي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لن تتدخلا عسكريا في المعارك » والمقصود هنا ، عدم تدخل الاتحاد السوفياتي الى جانب العرب . ولكنها في المقابل كانت تذيع باستمرار تحركات الاسطول السادس ، وتشير الى وجهة ابحاره بغموض ، وتؤكد وجود حاملة للطائرات . وعلى امتداد الايام الثلاثة الاولى للقتال . كانت الاذاعة العبرية تتابع تحركات قطع الاسطول . هذا الخط الاعلامي الواضح المقاصد يستهدف التهديد والترهيب للتأثير على سير المعارك من جهة والتلويح بامكانية التدخل الامريكي في حالة اختلال التوازن العسكري لصالح الجبهة العربية .

اما موقف السناتور فولبرايت فقد اذاعت البرامج العبرية في اليوم الثالث للقتال في الساعة ١٤ تصريحاته في مجلس الشيوخ والتي تشير الى الصراع داخل المجلس بين الاتجاهات الصهيونية التي تضغط على الادارة الامريكية ، للدفاع عن موقف اسرائيل ، ودعوة فولبرايت المحددة لكبح جماح الادارة الامريكية من تجاوز السياسة الامريكية التي تحافظ على « التوازن » بين المصالح الامريكية الحيوية في المنطقة العربية (الطاقة) من جهة ، واتفاقات الانفراج الدولي ومتطلباتها من جهة أخرى .

الموقف السوفياتي والاعلام الاسرائيلي : قبل اندلاع القتال يتحدد الاتجاه الرئيسي في الموقف السوفياتي بـ « تأييد حق العرب في تحرير أراضيهم المحتلة » كما هو في مختلف البيانات العربية ـ السوفياتية المشتركة .

اما بعد اندلاع القتال فقد تمثل الموقف السوفياتي في البيان الرسمي لوكالة تاس في تحميل مسؤولية نشوب القتال بصورة قاطعة على اسرائيل وأوساط رجعية في الخارج وهذا ما أوردته الاذاعة الاسرائيلية في اليوم الثاني للقتال في الساعة التاسعة عشرة .

ومنذ الساعات الاولى للقتال حاولت الاذاعة الاسرائيلية ان تظهر أن هناك تناقضا بين الموقف السوفياتي والعربي تجاه الحرب . وأبرزت في نشراتها المختلفة خبر اخراج أو خروج الخبراء السوفيات من سوريا ومصر لكي تتوصل الى عدم موافقة الاتحاد السوفياتي على اعلان الحرب ، أو معارضته لها . ومن هذه المحاولة يريد المعلق السياسي الاسرائيلي القول بأن السوفيات لا يمكن أن يؤيدوا العرب ، أو أن تأييدهم سيكون غير فعال . وقد أوردت اذاعة اسرائيل بعد ساعات من بدء المعارك « في الوقت الذي بدأت فيه عمليات الاستعدادات العسكرية للبلدان العربية بدأ المستشارون السوفيات بالخروج بسرعة من مصر وسوريا » وتواصل « بأن حدوث عملية الاخلاء في مصر وسوريا في آن واحد يدل على ان الاخلاء جاء بمبادرة الاتحاد السوفياتي » ويخلص المعلق في النتيجة الى « ان السوفيات لم يفلحوا بالتأثير على الدولتين العربيتين عن هذه الخطط (خطط الحرب) » . بالمقابل أكدت جميع وكالات الانباء عدم صحة هذه الاخبار . كذلك ما ورد في النشرة العبرية من افتراء مفضوح صباح يوم الثلاثاء من « ان الاتحاد السوفياتي حذر اسرائيل قبل نشوب القتال بثلاثة أيام وذلك بواسطة وسيط فرنسي » . وهنا يبدو واضحا ان الاعلام الاسرائيلي قد جعل من العلاقات العربية السوفياتية قضية مركزية لالقاء ظلال من الشك على الموقف السوفياتي لشل فاعليته اثناء المعارك ، وبالتالي تأثيره الفعال في الميدان العسكري والسياسي .

لما كان الموقف السوفياتي قبل الحرب يتمثل في تأييد العرب لتحرير بلادهم فان ترجمته العملية بعد اندلاع القتال هي التأييد المطلق لاستمرار القتال حتى تحرير جميع الاراضي العربية . ولقد أوردت اذاعة اسرائيل هذا الموقف على الشكل التالي على لسان مراسل

الاسوشيتدبرس بأنه « لا أمل في امكان اتخاذ قرار بوقف اطلاق النار لان الروس والصينيين لا يوافقون على ذلك ، الا اذا تعهدت اسرائيل بالانسحاب من جميع المناطق التي احتلتها في حرب الايام الستة ، وهذا الامر لا يقبله الامريكيون » . (اذاعة اسرائيل ــ الاثنين ــ الساعة ١٦) . وبعد انعقاد مجلس الامن وارفضاضه تأكد الموقف السوفياتي في الاصرار على « وقف اطلاق النار بعد انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة عام ٦٧ » وهذا الموقف الى جانب الموقف الصيني جعل المجلس يصل الى طريق مسدود بسبب تعاكسه مع الموقف الامريكي . لقد تمثل التعاكس بتعبير الموقف السوفياتي عن الصيغة العربية لوقف اطلاق النار . بينما عبر الموقف الامريكي بدقة عن الصيغة الاسرائيلية لوقف القتال . اما الصيغة العربية التي وردت في تصريح الزيات في الامم المتحدة فهي « ان مصر لن توقف القتال حتى تستعيد أراضيها المحتلة عام ١٩٦٧ » . (النهار ٨ تشرين) .

وبسبب من تصاعد وتيرة الضغط الاسرائيلي على الولايات المتحدة ، والقلق الامريكي من تطور الصراع في ساحات القتال لصالح الجبهة العربية واختلال ميزان القوى ، تصاعدت وتيرة الضغط الامريكي على الاتحاد السوفياتي والتهديد بتعريض الوضع العالمي برمته الى الخطر كما في تصريح هنري كيسينجر صباح يوم الثلاثاء وكما أوردته الاذاعة الاسرائيلية « بأن جو التقارب بين الدولتين الكبيرتين من شأنه ان ينهار اذا لم يتصرف الاتحاد السوفياتي بمسؤولية بشأن الشرق الاوسط » ماذا يعني « التصرف بمسؤولية » في مفهوم الدبلوماسية الامريكية ؟ وكما أوردت الاذاعة الاسرائيلية تفسيرا لتلك الصيغة التي ظهرت في البيانات المتبادلة بين نكسون وبريجينيف يأمل فيها نكسون « دفع بريجينيف لوضع حد للحرب في الشرق الاوسط » . وفي تفسيره لطريقة وضع حد للحرب أكد نكسون بأن الولايات المتحدة « تأمل في الحصول على تأييد الموقف ناجح يؤدي الى وقف المعارك » . (اذاعة اسرائيل الساعة ١٨ ــ الاثنين) . ووقف المعارك يكون « بالعودة الى المواقع التي كانت فيها الاطراف المتقاتلة قبل بدء الاشتباكات » كما أوردت الاذاعة الاسرائيلية في الساعة الثانية من صباح يوم الثلاثاء .. أي ان التصرف بمسؤولية من التفسير الامريكي يكون في موافقة الاتحاد السوفياتي بل وتأييده لانسحاب عربي من الاراضي العربية المحررة وتقدم اسرائيلي لاحتلالها .

وفي الوقت الذي حاول فيه الاعلام الاسرائيلي التشديد على الموقف الامريكي المتصاعد في الضغط على الاتحاد السوفياتي . جاء في تصريحات بريجينيف في دعوة الدول العربية لتأييد سورية ومصر في قتالهما ضد اسرائيل وقوله « بأن المصالح الحيوية لكل الدول العربية مرتبطة بتأييد مصر وسورية في المعركة القائمة ، وان بلاده تقدم مساعدات مختلفة للمساعدة في تحرير الارض العربية » . (الاربعاء ــ لندن الساعة ٢٠) .

من خلال عرض الموقف السوفياتي والامريكي يبدو واضحا جدا اضطراب الاعلام الاسرائيلي في مواجهة الموقف السوفياتي . فهو يبدأ بالتشكيك وبالدس ، ثم ينتقل الى الاستعانة بالموقف الامريكي في محاولة الضغط والابتزاز . واخيرا تلجأ الاذاعة الاسرائيلية الى ايراد تصريحات ونصوص غامضة لتوحي بها مواقف مفترضة لا تعكس حقيقتها، منها ما اذاعته النشرة العبرية على لسان الناطق الامريكي مكلوسكي وقوله أن « للاتحاد السوفياتي موقفا مماثلا للولايات المتحدة » .. وان الاتحاد السوفياتي يرغب بتقيد الصراع بين العرب واسرائيل . وهذا ما يعكس اضطراب وتناقض الاعلام تجاه اخطر موقف يواجه اسرائيل .

أوروبا الغربية واسرائيل : الموقف العام لاغلب دول اوروبا الغربية قبل الحرب هو : تأييد قرار مجلس الامن ٢٤٢ والذي يتضمن انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ .

وقبيل اندلاع القتال بساعات ، نشطت الدبلوماسية الاسرائيلية لابلاغ دول أوروبا الغربية عن نوايا العرب في الحرب ، ونواياها هي « السلمية » ، لتطويق موقف هذه الدول والابقاء عليه في الحدود التي تستطيع السياسة الاسرائيلية ان توظفه لصالحها .

لقد أوردت الاذاعة الاسرائيلية ان كبار موظفي وزارة الخارجية اتصلوا بسفراء دول أوروبا الغربية لابلاغهم ان الجيشين المصري والسوري قد حشدا قواهما لعبور القناة ومهاجمة الجولان . (السبت ــ ساعة ٢٢) .

وبعد بدء القتال اتخذت الدول الغربية مواقف مختلفة لم تستطع السياسة الاسرائيلية واعلامها مواجهة تلك المواقف الا بارتباك واضطراب ظاهرين .

الموقف الفرنسي كما ورد في الساعة ٢٢ من مساء يوم الاثنين من الاذاعة الاسرائيلية، والذي ورد على لسان وزير الخارجية الفرنسي في تعقيبه على الحرب في الشرق الاوسط « أن الاشخاص الذين يحاولون وضع أقدامهم في بيوتهم لا يمكن اعتبارهم يقومون بأعمال عدائية غير متوقعة » .

وفي محاولة الاذاعة الاسرائيلية لتفسير هذا الموقف الواضح قالت بأن هذه موافقة من جانب حكومة فرنسا على رواية العرب والاتحاد السوفياتي ، وتضامن مع هجوم مصر وسورية . هذا التبسيط في الدعاية الاسرائيلية لا يقول شيئا ولا يفسر شيئا . انه يتهرب فقط من مواجهة الموقف والبحث عن جوهر السياسة الفرنسية تجـــاه محتل وطالب تحرير .

اما الموقف البلجيكي كما أوردته الاذاعة الاسرائيلية فقد تمثل بالقول « بأن خرق وقف اطلاق النار في الشرق الاوسط هو أمر مؤسف » وأيضا « ان بلجيكا مقتنعة بأن على مجلس الامن أن يبذل جهوده لايقاف المعارك » (الاثنين الساعة ١٠) . وقد تمثل الموقف البريطاني في التأكيد على ايقاف القتال ، وشجب الاعمال الحربية .

يبدو واضحا ان المعالجات الاسرائيلية في التصريحات والبيانات وأجهزة الاعلام كانت تستهدف الابقاء على مواقف دول أوروبا الغربية في اطار تأييدها للقرار ٢٤٢ . ولكن اندلاع القتال الذي يفترض موقفا محددا ومباشرا من قضية وقف اطلاق النار هو في جميع الحالات التي عبرت بها هذه الدول عن مواقفها معاكس للسياسة الاسرائيلية، ومحاولتها ايقاف القتال في حدود ما قبل حرب اكتوبر الحالية .

دول العالم الثالث : لقد اتخذت دول العالم الثالث ، آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية خلال اكثر من ست سنوات من الاحتلال مواقف متفاوتة في تأييدها للحق العربي ومطالبتها بالانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة ، وعلى وجه التحديد تأييدها للقرار ٢٤٢ .

ولكن اندلاع الحرب وضع هذه الدول امـــام موقف جديد . ولقد أوردت الاذاعـــة الاسرائيلية موقف هيلاسي لاسي في مساء يوم الاثنين (ساعة ٢٢) والذي يحمل دلالة واضحة في ادانة اسرائيل وتأييد حرب التحرير العربية ، وهذا الموقف هو نموذج لمواقف أغلبية الدول الافريقية التي لم تقطع علاقتها مع اسرائيل لحد الآن .

ان قول هيلاسيلاسي « انه طالما لم تعد المناطق المحتلة بالقوة الى أصحابها ، ستكون الحكومة صاحبة العلاقة ملزمة باتخاذ الوسائل لاعادتها » . هذا القول يجسد جوهر الموقف الافريقي تجاه اسرائيل ويعبر عن موقف جميع الدول التي تؤيد القرار ٢٤٢ .

وبعد مضي ما يزيد عن ستة اعوام على الاحتلال الاسرائيلي فان الاعلام الاسرائيلي ليس لديه من وسائل في مواجهتها سوى المطالبة بالعودة الى حدود ما قبل القتال ، أي مطالبة العرب بالتخلي عن اراضيهم ثانية ، وهذا ما يعود علـــى السياسة والاعلام الاسرائيلي بالنتائج العكسية .

المعالجة الاعلامية للمواقف العربية

يبدو واضحا من متابعة الاذاعتين العربية والعبرية ان ما تقوله اسرائيل في العبرية من بيانات وتصريحات حول المواقف العربية يتسم بالتقليل من أهمية المواقف العربية . بينما في نشراتها العربية تحاول ابراز التناقضات العربية وتضخيمها والاستنتاج بعدم فاعليتها .

في النشرات العربية كانت المعالجة بالنسبة **للموقف العراقي** كالتالي :

١ ــ التركيز على ابراز التناقضات العربية الشكلية والجزئية وحتى المختلقة منها ، دون النظر الى اعتبارات ظروف الحرب ، وصعود التناقض الرئيسي بين البلدان العربية واسرائيل .

٢ ــ ابراز تلك الخلافات على انها حاسمة ، وهي كل شيء في تحديد موقف العراق ، مع محاولة اغفال أي أساس وطني قومي للموقف العراقي .

٣ ــ التلويح بانهيار النظام السوري بين لحظة واخرى . . لردع العراق عن المساهمة في المعركة . وهذا الموقف الاعلامي في محاولة منع العراق من المساهمة ، رغم عدم أهمية منطلقاته ، فانه يتقلب ضد اسرائيل ، لانه يشكل دافعا أساسيا للموقف العراقي ، ومبلورا لضغط جماهيري عراقي وعربي للمساهمة السريعة والفعالة في المعركة .

في الساعة الثانية عشرة من صباح يوم الاثنين يقول المعلق السياسي في الاذاعة العربية « ان العلاقات بين دمشق وبغداد قد ساءت بصورة مؤكدة » . وبعد أن يتحدث المعلن عن جملة من المشاكل الحقيقية وغير الحقيقية منها يتوصل الى النتيجة التي يريدها بالتساؤل عن الهدف الحقيقي الذي تسعى اليه حكومة العراق ، ليتوصل الى ان هدف زعماء البعث العراقي هو « استغلال فرصة انهيار السلطة السورية المتوقع « قريبا » وما سينشأ عنها من فراغ في نظام الحكم السوري لكي يفرضوا سيطرتهم » .

هذا التفسير الساذج للموقف العراقي يغفل كليا طبيعة الحرب وجوهرها ومضاعفات وتفاعلات استمرار القتال بالنسبة للحكومات والشعوب العربية .

اما البرهان الذي تقدمه الاذاعة الموجهة الى الجماهير العربية لتأكيد تحليلها للموقف العراقي ــ السوري فهو القول « ان هدف الرئيس الاسد من وراء تركيزه لقوات سورية مدرعة حول العاصمة دمشق هو صد محاولة العراق لاستغلال الفرصة عند انهيار الوضع السوري » .

وفي الساعة الرابعة عشرة من مساء الثلاثاء تحدث حاييم هرتسوغ عن الموقف السوري اكد أن على القائد السوري أن يتخذ قراراته في ضمان الموازنة بين حماية أمن دمشق وبين استمرار وتصعيد الجبهة السورية . هذا التحليل العسكري للموقف السوري في الاذاعة العبرية يتحول الى اعلام مسطح وغير قادر على اقناع أحد ، لانه يتحول الى موقف ينطلق من تصورات اسرائيلية تقليدية مسبقة تخص الخلافات العربية الثانوية ما قبل المعارك .

وفي الوقت الذي تحاول فيه الاذاعة العبرية التأكيد على ان المساعدات العربية هي « وعود » وليس لها ابعاد بالنسبة للمعركة في المرحلة الحالية كما في نشرتها الصباحية ليوم الثلاثاء ، تفرد تفسيرا خاصا للموقف العراقي والقول بأن نقطة واحدة جديدة نسبيا تسبب القلق لاسرائيل . تلك النقطة الجديدة « تتعلق بالنبأ الذي يقول ان العراقيين تلقوا في الآونة الاخيرة عددا من القاذفات الروسية الحديثة من طراز « توبوليف ٢٢ » وفي النتيجة تحاول ربط القرار العراقي باستخدام هذه القاذفات ضد اسرائيل « بالموقف السوفييتي ورغبة الروس » ولا يجد معلق الشؤون العربية دوف ينون غير الموقف

الامريكي ليضعه في مواجهة الموقف العراقي والسوفياتي حسب تحليله . فبعد أن يقول دون ينون « اذا كان ــ لا سمح الله ــ نوايا كهذه » اي تدخل عراقي في الحرب فان تحذير هنري كيسينجر للروس من ان التقارب السوفياتي قد يتزعزع « اذا لم يتصرف الاتحاد السوفياتي بمسؤولية » قد يحول دون استخدام الطائرات والاسلحة العراقية . ان هذا الربط بين القرار العراقي والموقف السوفياتي يهدف الى التخويف من الموقف السوفياتي ، ومواجهته بالموقف والتهديد الامريكي . ولكن هذا الربط يغفل مرة اخرى طبيعة الحرب العربية الاسرائيلية وطابعها التحرري العادل الذي لا يمكن ان يكون موقف الصداقة السوفياتية فيه الا موقفا مساعدا وداعما وليس مقررا .. والموقف الامريكي وابتزازه وتهديداته لا يؤدي اذا استمر في تصعيده الا الى مضاعفات عكسية ، في تصعيد القرارات العربية وتفجير طاقات الجماهير ، وهذا يعني ان الاعلام في معالجاته لهذه المواقف يتخذ خطا دعائيا تبسيطيا خاطئا لا يمكن أن تكون له فاعلية في خدمة السياسة والاهداف الاسرائيلية .

معالجة الموقف اللبناني وحركة المقاومة : الموقف الاسرائيلي تجاه لبنان والمقاومة قبل اندلاع المعارك يعتمد على المعادلة التالية : الردع تجاه لبنان لكي يضغط على المقاومة والتهديد بمهاجمته كلما تصاعدت العمليات التي تدعي اسرائيل ان مصدرها لبنان .

بعد اندلاع القتال توقف التهديد بالردع او تنفيذه خوفا من خطر فتح جبهة قتالية جديدة . وعمليات المقاومة التي يمكن أن تنطلق من جنوب لبنان تصاعدت كما اعترف العدو مؤخرا وهذا يضع المعادلة الاسرائيلية في مواجهة التحدي . حول العمليات المسلحة للمقاومة هل يمكن ردعها بفتح الجبهة اللبنانية ؟

بعد صمت عن العمليات العسكرية للمقاومة استمر حتى اليوم الثاني من أيام الحرب أوردت الاذاعة العبرية في الساعة الثامنة عشرة من يوم الاثنين ثالث يوم القتال « بأن رئيس الحكومة اللبنانية طلب من السفراء العرب التأثير على « المخربين » بأن لا يقوموا بأية عملية من شأنها ان تعطي اسرائيل ذريعة لمهاجمة لبنان » . ثم تؤكد الاذاعة « وكان « المخربون » قد نشروا خلال الايام الاخيرة معلومات جمة حول عمليات قاموا بها ضد اسرائيل ، والاستمرار في التقليل من أهمية عمليات المقاومة يحقق هدفا مزدوجا : اخفاء فاعلية المقاومة الفلسطينية من جهة ، وعدم الوقوع بمعادلة التحدي التي كانت قائمة قبل الحرب في ردع لبنان من جهة اخرى ، لان الردع بعد القتال معناه فتح جبهة جديدة ، عسكريا وجماهيريا .

هذا الاتجاه تمثل بوضوح في القفز من فوق فاعلية عمليات المقاومة ليأتي قرار مجلس الوزراء في تحذير لبنان « بأن لا يقدم مساعدة عسكرية فعالة لسوريا » . كما ورد في نشرة الاخبار مساء يوم الاثنين .

هذه التغطية لحقيقة الموقف في جنوب لبنان وربط التحذير الاسرائيلي للبنان بالمساعدات التي تقدم لسوريا سرعان ما جاء الموقف الرسمي المحذر للبنان من التدخل ليكون اكثر وضوحا في اليوم الثالث للمعارك ، لانه جاء مصحوبا بالاشارة للمقاومة بدلا من سوريا وبالاعتراف « بأن بعض « **المخربين** » العاملين من لبنان وجهوا ضربات من الاراضي اللبنانية نحو المستوطنات الاسرائيلية » .

وهذا التناقض في معالجة الموقف الاسرائيلي تجاه لبنان ، تارة بالحديث عن سوريا وتارة أخرى بالحديث عن المقاومة ، يعكس حقيقة المأزق العسكري في تحديد موقف نهائي من الجبهة اللبنانية .

معالجة الموقفين الليبي والاردني : يقوم الموقف الاسرائيلي قبل اندلاع القتال تجاه الاردن وليبيا على امتداح « الحكمة » الاردنية في عدم التصدي لاسرائيل ونشدان السلام

بينما يتخذ جانب التحدي « لاستراتيجية القذافي القومية المعادية لاسرائيل » كما ترددها أجهزة الاعلام والتي تصفها « بالجنون والحمق القذافي » .

بعد اندلاع المعارك وضع النظامان الاردني والليبي امام الترجمة العملية لمواقفهما .

لقد كان موقف القذافي في اعلانه عن التأييد المطلق لمصر وسوريا بكل امكانات ليبيا في دعم القتال واستمراره . ولكن الجزء الثاني من « تصريحه هو الاعلان عن عدم موافقته على خطة الحرب لانها لا تقود الى التحرير الكامل وتبقي هدف الحرب في حدود تحرير الاراضي المحتلة عام ٦٧ » .

لقد حاول الاعلام الاسرائيلي التركيز على جانب نقد القذافي لاستراتيجية الحرب وتكرار هذا النقد بشكل مستمر . واخفاء الجانب الآخر في تأييد مصر وسوريا في قتالهما ضد اسرائيل .

وبالاضافة الى محاولة تفسير الموقف الليبي بما يخدم اهدافها في ابراز ليبيا وكأنها لا تؤيد المعركة بل وتقف ضدها ، فان دعوة الملك حسين والحكومات الاخرى للاقتداء « بحكمة القذافي » هي دعوة قائمة على تفسيرات وهمية لموقف ليبيا .

لقد كررت الاذاعات الاسرائيلية العبرية والعربية دعوة الملك حسين الى الاقتداء « بالقذافي وحكمته » . كما اظهرت في نشرتها العبرية بعد ساعات من اندلاع القتال رسالة هنري كيسنجر الى السعودية والاردن ودعوته لحكامها « للتصرف باعتدال » .

يبدو ان الموقف الاعلامي تجاه الاردن وليبيا يبدأ بافتراض وتفسير للموقف الليبي أولا . وبناء نصائح اسرائيلية على تلك التفسيرات لمواقف «الحكمة» الوهمية لتصديرها الى الاردن والدول العربية الاخرى .

مرة اخرى يكشف الاعلام الاسرائيلي في مواجهته لوقائع الحرب وسياساتها التي لا يمكن تأطيرها حسب تصورات اسرائيلية او اوهام وتفسيرات ذاتية تتمناها اسرائيل وتعالج المواقف المترتبة عليها . وبالتالي ما يجعل هذا النمط من المواجهة يتعاكس مع ابجدية الاعلام في مواجهة سياسات واقعية وليس تفسيرات وتخيلات وتلاعب في النصوص والتصريحات كما هو في التعامل مع موقف ليبيا .

ان الاعلام الاسرائيلي يغفل ان موقف الاردن لا يمكن ان تعينه وتحدده النصائح الاسرائيلية بقدر ما تقدره طبيعة النظام وقيادته السياسية ، وسير المعارك في جبهات القتال .

الهدف من السياسة الاعلامية هو ان تتمكن من التأثير في المواقف والسياسات الفعلية للدول العربية وتوجيه جميع طاقاتها للتأثير في تلك المواقف . اما ان تصطنع مواقف خيالية حسب تفسيراتها فهذا لا يعني سوى أن السياسة الاعلامية لا تتعامل مع الوقائع السياسية والعسكرية . وهذا ما يجعلها تقع في التناقض والتبسيط والسذاجة في خطوطها الاعلامية الرئيسية .

قوات الكوماندوس المصرية : كيف عالج الاعلام الاسرائيلي موضوع الكوماندوس المصريين ، الذين تم انزالهم خلف القوات الاسرائيلية منذ ساعات الاول لاندلاع القتال؟

لقد كانت هذه المعالجة نموذجا للتضليل الاعلامي ، ونموذجا لتجاهل الانباء التي يمكن ان تضعف الروح المعنوية الاسرائيلية .

فالاذاعة الاسرائيلية الموجهة باللغة العبرية صمتت عن اي اشارة لهذا الموضوع طوال اليومين الاول والثاني من القتال . ولم تورد اي نبأ حول الكوماندوس المصريين الا في اليوم الثالث للقتال . اي حين بدأ الهجوم الاسرائيلي المضاد ، وأصبح الكشف عن

نشاط رجال الكوماندوس ، يمكن أن يكون مقبولا من الاسرائيلي العادي ، وهو يسمع في نفس الوقت انباء الهجوم المضاد .

ولكن حتى في اليوم الثالث ، فان الاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية ، لم تتحدث الا عن سحق وابادة الكوماندوس ، وتجاهلت تجاهلا كاملا الاعمال التي قاموا بها . وكذلك كان الامر بالنسبة للاذاعة الاسرائيلية الموجهة باللغة العربية .

ففي اليوم الثالث للقتال اذاعت اسرائيل بالعبرية للمرة الاولى في الساعة ٨ر٤٥ صباحا خبرا جاء فيه « قبل اكثر من ساعة وقع اشتباك بين قواتنا وقوات كومندو مصرية . ويبدو ان هذه القوات قد دخلت الى خليج السويس في اليوم الاول للمعارك ، وتستعين قواتنا بطائرات الهيلكوبتر لمطاردة قوات العدو ... وستجري **ابادة** افراد الكومندو المصري خلال ساعات قليلة » . ان الحديث هنا يتركز على الابادة ضمن ساعات قليلة ، ولكن الخبر يتجاهل انه قد مضى على وجود الكوماندوس في سيناء اكثر من ٤٨ ساعة . ولذلك فان الحديث عن القضاء عليهم وابادتهم لا يهدف الا الى رفع معنويات الجندي الاسرائيلي الذي اعترض رجال الكوماندوس بدون شك تقدم هجومه المضاد .

وفي الساعة الثانية عشرة ظهرا ، اتسع موضوع الكوماندوس ونشاطهم . مما اضطر الجنرال هرتسوغ كبير المعلقين الاسرائيليين العسكريين ان يشير اليهم في تحليلاته المتواصلة فقال « في نطاق مطاردة وحدتي كومندو مصريتين ادخلتا الى سيناء ليل الهجوم الاول ، تم القضاء على واحدة منهما ، عدد افرادها ٥٠ رجلا » . وعلى عكس الخبر الاسرائيلي الاول ، الذي يتحدث عن فرقة كوماندو مصرية واحدة ، يتحدث هرتسوغ هنا عن وحدتين ، ويشير الى ابادة الوحدة الاولى ، دون أن يشير الى نشاط الوحدة الثانية .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر من يوم القتال الثالث ، نقلت الاذاعة الاسرائيلية حديثا لمراسلها من داخل جبهة القتال . وتبين في هذا الحديث ان الكوماندوس الموجودين في سيناء هم اكثر من مجموعتين . قال المراسل « اصطدمت قوات الجيش الاسرائيلي المحاربة في سيناء اكثر من مرة بوحدات كوماندوس مصرية » .

اما في الوصف التفصيلي فقد كانت الاذاعة الاسرائيلية مضطرة للاعتراف بصعوبة المعارك مع رجال الكوماندوس . فاحد الجنود يروي لمراسل الاذاعة القصة التالية : « هوجمنا بواسطة كمين من الكوماندوس المصري .. وحدثت بيننا اصابات ...وكانت العملية صعبة ، فقد كانوا مستحكمين في الرمال ، وبعد معركة قصيرة اصطدمنا بهم في معركة عن قرب ، فرمونا بالقنابل المضادة للدبابات ، ولم نستطع ضربهم بالاسلحة الثقيلة » . وبعد هذا الوصف لصعوبة المعركة ، وبعد تجاهل الخسائر التي اوقعوها بالقوة الاسرائيلية ، اكتفى مراسل الاذاعة بذكر الجملة الاخيرة التالية على لسان الجندي « في مراحل المعركة الاخيرة دسناهم بجنازير المصفحات والدبابات » .

اما في الاذاعة الموجهة باللغة العربية ، فان كل هذه التفاصيل لم يرد لها اي ذكر . وكانت الاشارة الوحيدة للموضوع من خلال تعليق يشرح معنى ابادة فرقة الكوماندوس، ويلخص القصة كلها ، بانهم جاؤوا ليواجهوا الموت المحقق وان مهمة القيادة ان تتيح للكوماندوس فرصة العودة ، وهو ما لم تفعله القيادة المصرية .

ان هذه المعالجة لموضوع الكوماندوس ، تظهر مقدرتهم على البقاء فترة طويلة وراء خطوط العدو . كما تظهر انهم نفذوا بشجاعة مهمة عرقلة الهجمات الاسرائيلية المضادة . وذلك بالرغم من كل الصمت الذي احيط به نشاطهم ، وبالرغم من التركيز على ابادتهم فقط .

التعاطف الشعبي الدولي : في اليوم الرابع للقتال (الثلاثاء ــ ٩/١٠) ، وبعد فشل الهجوم الاسرائيلي المضاد ، وبعد بروز المزيد من الانتصارات العربية في الجولان وسيناء ، بدأت الاذاعة الاسرائيلية تركز على مظاهر التأييد الشعبي العالمي لاسرائيل . موجهة الانظار بشكل خاص الى مظاهر التأييد الشعبي الاميركي . وقد اذيعت هذه الانباء بشكل خاص باللغة العربية ، مما يوضح ان الهدف منها اقناع العرب ان الوضع الدولي غير مؤيد لهم . وانه يمكن لهذا الوضع الدولي المؤيد لاسرائيل ان يغير من نتائج المعركة . وبالطبع .. فان الاذاعة الاسرائيلية تجاهلت كل مظاهر التأييد الدولية التي تلقاها العرب ، سواء على الصعيد الرسمي او الشعبي .

ففي الساعة السادسة والنصف من صباح يوم الثلاثاء نقلت الاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية ان مظاهرات كبيرة ستجري في الولايات المتحدة تأييدا لاسرائيل . وسيجتمع ٥٠٠ من الزعماء اليهود في واشنطن ويصدرون قرارا يدعون فيه الحكومة الاميركية الى تأييد اسرائيل .

وبعد ان اذاعت اسرائيل على لسان وزير المالية التكاليف المالية الضخمة التي تكبدتها بسبب الحرب ، ركزت اسرائيل في اذاعتها العربية على نشاطات الجباية اليهودية في الولايات المتحدة . فقالت « ان الجباية اليهودية أعلنت عن عزمها على جمع مئة مليون دولار لدعم اسرائيل ... وقد تم جمع ٣٥ مليون دولار قيمة بيع سندات القرض الاسرائيلي » .

ولمزيد من التطمين للسكان الاسرائيليين ، وباتجاه رفع المعنويات ، والقول بان كل شيء يسير على ما يرام ، اعلنت الاذاعة الاسرائيلية في اليوم نفسه انباء مضحكة عن « ... وصول مجموعات السياح الى البلاد كما كان مقررا ...ومن المتوقع ان تصل الى اسرائيل في الايام القليلة القادمة مجموعتان اخريان من السياح » . والحقيقة ان اسرائيل تقوم من ضمن حملة جمع الاحتياط ، باستدعاء كافة الاسرائيليين المقيمين في الخارج . وغالبية هؤلاء الاسرائيليين يحملون جنسية بلادهم الاصلية اضافة الى الجنسية الاسرائيلية. وبالاضافة الى ذلك تقوم اسرائيل باستقدام المتطوعين الاوروبيين على غرار ما حصل في حرب حزيران عام ١٩٦٧ . وحتى تتجنب اسرائيل ذكر هذه الوقائع ، تتحدث عن افواج السياح التي تصل باستمرار . وفي الوقت نفسه ، ولاحداث الاثر النفسي المطلوب ، تبرز اسرائيل بشكل متواصل الانباء التي تقول بان شركات الطيران قد أوقفت رحلاتها الى مطارات دمشق والقاهرة ، بسبب الوضع القائم في الشرق الاوسط .

الاتجاهات العامة للسياسة الاعلامية الاسرائيلية

لقد كان لاندلاع القتال ، وتوقيته ، وشكل ومسار العمليات الحربية الاولى ردود فعل سريعة ومتباينة بالنسبة للاسرائيليين من جهة ، والشعوب العربية وشعوب العالم وحكوماتها من جهة أخرى . حسب طبيعة موقف كل منهما من الحرب .

ان ردود الفعل السريعة التي صنعتها حقائق القتال في ايامه الاولى قد عبرت عن السقوط الكامل لجميع الادعاءات والركائز الاعلامية التي عبرت عن مختلف السياسات الاسرائيلية لما قبل الحرب . تلك السياسات التي شيدت عليها جميع « القناعات » و « الاساطير » طيلة السنوات الست التي مضت على حرب حزيران ١٩٦٧ . ومن هنا فان مسيرة المعارك والتفاعلات العسكرية والسياسية التي تترتب عليها ، والمضاعفات المستقبلية التي خلقتها ، قد اجبرت السياسة الاعلامية الاسرائيلية على مواجهة مرحلة انتقال مضطربة تتسم بالتذبذب والتناقض الشديدين ، قبل ان تتمكن من الانتقال الى المرحلة التي تستطيع فيها بناء الخطوط والركائز الاعلامية الجديدة ، التي تجيب على

اسباب فشل السياسات الاسرائيلية وغطائها الاعلامي لما قبل بدء معارك اكتوبر . وتستجيب لظروف التغيرات التي تخلقها ساحات المعارك بعد ان هدمت كثيرا من الاوهام والاساطير وشيدت مجموعة من الحقائق والوقائع التي طالما تعرضت للتشويه على يد مخططي السياسة الاعلامية العامة .

اولا ــ معالجة قضية اندلاع الحرب المفاجيء : لقد كانت الدعاية الاسرائيلية عبر تاريخها ، وخاصة بعد حرب حزيران ، تقوم على الزعم بان الاستخبارات الاسرائيلية غير محدودة القدرة في معرفة خطط العرب وتفكير قادتهم بدقة . وبالتالي فان جميع الخطط والسياسات الاسرائيلية تكون مبنية على أدق المعلومات واصدقها ، خاصة العسكرية منها ، لمواجهة اي موقف يمكن ان يستجد في المنطقة عموما تكون اسرائيل معنية فيه . لكن اندلاع القتال ، وتوقيته ، وعدم توقعه بالنسبة للقيادة الاسرائيلية السياسية والعسكرية ، الا بصورة « احتمال » فحسب ، وقبل ساعات فقط من بدء العمليات (حتى الزعم الرسمي بمعرفة نوايا الحرب عند العرب كان احتمالا غير محدد الشكل والسعة والاتجاه) ، واندلاع القتال بتلك الهمة قد عين على الفور المعنى الذي يترتب على الثقة المطلقة باسطورة المخابرات ، وبناء الخطط الحربية «الأمن» اسرائيل على اساس معلوماتها وتقديراتها . من هنا واجه الاعلام الاسرائيلي مأزقه الاول .

كيف واجه الاعلام الاسرائيلي هذا المأزق ؟

١ ــ **اسرائيليا** : الاعلام الموجه للاسرائيليين باللغة العبرية : لقد حاولت الاذاعة العبرية ان تبرز بشكل مكثف ودائم التكرار قضية « خرق » العرب لحرمة يوم الغفران، لاخفاء واقع المفاجأة ، والتغطية على « اسطورة » المخابرات التي لا تخطيء ولا تفاجأ . وفي الوقت الذي استهدف هذا التوجه في الاعلام اخفاء « الحقيقة » التي اكدتها السياسة الاعلامية طيلة سنوات ما بعد الحرب ، حقيقة عجز العرب الكلي وانهيار ارادتهم القتالية تماما ، وتحويل «الذهن» الاسرائيلي نحو قضية ثانوية تماما هي قضية « غدر » العرب « وخرقهم » للمقدسات . فقد استهدف ايضا تحريك والهاب اكثر المفاهيم والنزعات الدينية تخلفا في المجتمع الاسرائيلي ولكن المحاولة الاخيرة ليست كبيرة الفاعلية بالنسبة للاسرائيليين الذين يمارسون الاصول والواجبات الدينية « كطقوس » اعتادوها بفعل التكرار ، ولا تشكل بالنسبة لهم جزءا من الايديولوجية الصهيونية ومفاهيمها الاساسية . كذلك بالنسبة للقطاعات الواسعة التي هي على قدر من المعرفة بأوليات العلم العسكري وانفصاله عن الدين وطقوسه بالنسبة لهم او للعرب . واذا كان هذا الالحاح الاعلامي يمكن ان يكون له بعض الآثار المباشرة لدى اوساط مختلفة من المجتمع الاسرائيلي ، فان التمسك به في منابر الامم المتحدة يتحول الى مثار للسخرية والاستخفاف وكدليل ضعف في الجانب الاسرائيلي وسط الحقائق الاساسية المروعة التي تسببها الحرب ، والتي يكون الرأي العام الأوروبي معنيا باتخاذ موقف تجاه مضاعفاتها .

٢ ــ **عربيا** : الاعلام الاسرائيلي الموجه للشعوب العربية : لقد ركز الاعلام على ان اعلان الحرب من جانب العرب هو « مغامرة اجرامية حمقاء » من قبل السادات والاسد . لكي يحقق هذا الخط تشكيكا سريعا في امكانية استمرار الحرب او تحقيق أي نصر للعرب . هذه المحاولة تعبر عن استمرار للخط القائم على تيئيس الجماهير العربية من تعذر امكانية تحقيق أي مكسب في مواجهة اسرائيل كلية القدرة والسطوة ، من قبل العرب كليي العجز والضعف .

ولقد عبر هذا الاتجاه الاعلامي عن نفسه في سيل متزايد من التهديدات المتصاعدة النبرة لاستيعاب رد الفعل العربي السريع بعد اندلاع الحرب . لقد وصلت تلك التهديدات الى الحديث عن «تحطيم راس الافعى» اي سحق القيادة المصرية والسورية، ووضع حد « نهائي » لاحتمالات المغامرة في المستقبل .

لكن هذا الخط الاعلامي الذي يشكل امتدادا لاتجاهات الاعلام بعد حرب حزيران ومنطلقاتها الاساسية ، كان يمكن ان يعطي تأثيرا ايجابيا في ارباك الجماهير والحكومات العربية ، وكان يمكن ان يحقق ايضا دفعا سريعا لمعنويات الجنود الاسرائيليين في حالة تحقيق انتصارات سريعة في صد الهجوم العربي . او على الاقل ايقاف زخمه الاولي عبر انتصارات اسرائيلية ميدانية . بينما يكون فعل هذا الخط عينه في الحالة التي يثبت فيها خطأ الحسابات الاسرائيلية وعدم صحة التهديدات والعنجهيات وصيغ التهديد ضد العرب . وهو ما حصل فعلا ، يكون الفعل والتأثير معاكسا تماما لاهدافه فهو يخلق ثقة عالية للجماهير بالقيادة العربية وامكانات النصر بينما يبدأ الاسرائيليون بالتشكيك في قيادتهم وتكذيب خطها الاعلامي من جهة وبداية اعادة النظر في اقوال القادة الاسرائيليين عن العرب وقدراتهم القتالية .

الحصيلة لاستمرار خط ما قبل الحرب بعد المعارك كان على العكس من اهدافه المرجوة . بالنسبة للجماهير العربية . تمثلت بالتشكيك وتكذيب الدعاية الاسرائيلية عن قدرات القيادة العربية مقابل صعود الثقة وتركزها بامكانات النصر وتحطيم اسطورة القدرة الاسرائيلية التي بدأت تقهر .

٣ ــ **عالميا** : الاعلام الاسرائيلي في مخاطبة الشعوب والحكومات الاوروبية : قبل الحرب تركز الاعلام الاسرائيلي الموجه الى الحكومات والشعوب الاوروبية على اساس ان فرض الامر الواقع هو المدخل الوحيد لتحقيق لسلام مع العرب . وان الاسرائيليين لا يمانعون في تحقيق تسوية مع العرب « ضمن حدود آمنة » لم تحددها القيادة الاسرائيلية حتى اندلاع القتال . بالمقابل كان الرأي العام الاوروبي والحكومات الاوروبية تلتزم وتدافع عن قرار ٢٤٢ كمدخل لاحلال السلام في المنطقة : انسحاب اسرائيلي مقابل التزام عربي بالاعتراف باسرائيل وضمان سلامتها .

وبعد اندلاع المعارك تصدى الاعلام الاسرائيلي لاستيعاب ردود الفعل تلك والتي عبرت عن تعاطفها وتفهمها لدوافع العرب بدخول الحرب باعتبارها حربا تستهدف تحرير اراضيهم التي تمانع اسرائيل في الانسحاب منها طيلة اكثر من ست سنوات .

في مواجهة هذه الارضية ركز الاعلام عبر الاذاعات والتصريحات والمؤتمرات والصحافة المؤيدة لاسرائيل على القول بان الحرب قد « حطمت فرص السلام التي كانت وشيكة من قبل» . هذه المخاطبة لشعوب اوروبا وامريكا وحكوماتها يمكن أن تلتقي مع الرغبة الاكيدة في احلال السلام ، دون ان تدرك بالضبط الطبيعة الخاصة والاستثنائية للصراع في المنطقة العربية .

لكن ذاكرة الشعوب الاوروبية وحكوماتها ، من خبرتها في السياسة والاعلام الاسرائيليين طيلة ستة اعوام كانت كافية لتأكيد حقيقة ان اسرائيل كانت حتى ساعة اندلاع الحرب غير معنية تماما بتحقيق السلام في المنطقة . وهذه الحقيقة تجعل التأكيد الاعلامي على قضية « ان الحرب قد حطمت فرص السلام الوشيك » لا تلقى استجابة واسعة . خاصة وان برنامج حزب العمل الانتخابي الاخير لا تخفى حقيقة اهدافه وموقفه من موضوعة السلام ، والذي تعرف الشعوب والحكومات الاوروبية الكثير عنه قبل بدء المعارك .

ربما تجد دعوى اسرائيل في الحرص على السلام صدى بين الشعوب الاوروبية باتجاه الضغط لوقف اطلاق النار عن الحدود القتالية القائمة ، ولكن هذا الموقف لم يحققه الادعاء بان « الحرب حطمت فرص السلام » ذلك ان الجو العالمي ، وهو الذي تبلورت فيه سياسة الانفراج الدولي وحل اكثر المعضلات التهابا عن طريق المفاوضات، هو الذي سيقرر اتجاه الرأي العام الاوروبي .

ان النتائج الفعلية للخط الاعلامي الموجه الى اوروبا وامريكا شعوبا وحكومات ، عن رغبة الاسرائيليين المفاجئة في « السلام » ، سوف تقررها النتائج الفعلية لموازين القوى العسكرية في جبهات القتال .

ثانيا : الاعلام في مواجهة اشتداد المعارك : ا ــ مرت السياسة الاعلامية الموجهة **للاسرائيليين** ، عبر مرحلتين متمايزتين :

مرحلة ما بعد بدء المعارك مباشرة وقد اتسمت بالخطوط العامة عبر التسلل التالي :

١ ــ الوعد بالهجوم المضاد الصاعق الذي ينهي « الحماقة العربية والمغامرة الجنونية » .

٢ ــ التأكيد على أن عدم بدء القتال من قبل اسرائيل هو موقف رسمي اتخذته الحكومة الاسرائيلية مستهدفة فضح مواقف ونوايا العرب العدوانية لكي يمكن ادانتها وخلق شروط عدم تكرارها . . !

٣ ــ التأكيد على الاهمية القصوى « لضمان السلام داخل حدود الخط الاخضر » وهو ما يتطلب الاهتمام بأمن اسرائيل (داخل الخط الاخضر) وثانوية المناطق البعيدة عسكريا خاصة سيناء (كما في تفسير دايان لنجاح المصريين من عبور القناة) .

٤ ــ ابراز تأييد يهود العالم والتركيز على تعاطف اليهودي اينما كان ، والتركيز على وقائع شكلية صغيرة (سائق تاكسي لم يستلم اجورا من المسافر بعدما عرف انه يهودي) .

٥ ــ التكرار الدائم في الحديث عن صور من بطولات اسرائيلية في حرب حزيران ومقارنتها بصور عن « هزائم » عربية في تلك الحرب .

٦ ــ اللجوء الى تكرار الاساليب التي استخدمت اثناء حرب حزيران في مخاطبة القادة والجنود العرب بانكم تغامرون بحياتكم وان معركتكم يائسة ، وان نهاية المغامرة العربية قريبة جدا .

٧ ــ التركيز على التأييد الواسع للموقف الاسرائيلي .

٨ ــ اعتبار الموقف السوفياتي مسألة ذات اهمية استثنائية مركزية وملاحقته بدءا من الادعاء بمعارضته لقرار الحرب ، والتشكيك بفاعلية السلاح السوفياتي وحتى اختلاف قضية تسريب قرار الحرب الى الاسرائيليين .

ولكن هذه الخطوط الاعلامية التي تخاطب الاسرائيليين واجهت مأزقا جديا بعد تكسر الهجوم المضاد وعدم تحقيق اي من الوعود الاسرائيلية وبالتالي تأكيد عدم صحة الخطوط الاعلامية الستة الاولى،امام تصاعد القتال وثبات الانتصارات العربية وتقدمها .

في نهاية المرحلة ، وبعد ان فقدت الخطوط الرئيسية للسياسة الاعلامية فاعليتها وفرض تصديقها ، تركز الاعلام الاسرائيلي على ابراز الموقف الامريكي المؤيد لاسرائيل ، وعلى وضعه في مواجهة الموقف السوفياتي والتأكيد على تدويل الصراع وجعله مرتبطا في مصير جميع المعضلات العالمية المختلف عليها بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية .

الخطوط الاعلامية الرئيسية للمرحلة الثانية :

١ ــ اعداد الاسرائيليين لحرب استنزاف طويلة .

٢ ــ التركيز على ان موقف الولايات المتحدة المؤيد لاسرائيل هو الذي يمكن من اجبار السوفيات على عدم تصعيد الحرب والضغط على العرب لايقاف القتال .

٣ ــ التأكيد على عدم فاعلية الدعم العربي للدول المقاتلة ، واستثناء اهمية اشتراك العراق وجعل موقفه مرتبطا بالقرار السوفياتي .

ب ــ **السياسة الاعلامية الموجهة للشعوب العربية** : لقد اتخذت السياسة الاعلامية الموجهة للشعوب العربية وحكوماتها الاتجاهات الرئيسية التالية :

١ ــ الادعـــاء بان الهجوم العربي « حمـــاقة كبرى » و « مغامرة » امـــام التفوق الاسرائيلي المطلق ، وما هي الا ساعات « لا اعتقد انها تدوم اياما » (دايان) .

٢ ــ الحديث عن التفوق العلمي للاسرائيليين واهميته في تقرير مصير القتال وذلـــك بايراد امثلة من المعركة عن صور تثبت كفاءة المهندسين الاسرائيليين . وهذا استمرار لاعلام اسرائيل في حزيران ١٩٦٧ .

٣ ــ التأكيد على التخلف والعجز العربي في القتال .

٤ ــ التكرار المستمر والممل لابراز صور « حزيرانية » ومقارنة مفاهيم « واساطير » حزيران صورة بصورة بواقعه عبر اشكال مختلفة في الدعاية واجتزاء بعض من المعارك للمقارنة . منها (شكل الحرب في سيناء كما في حزيران ، هروب القادة العرب ،المصيدة العسكرية في سيناء) وبالنتيجة مناشدة الجنود العرب والقادة الاختيار بين الهـــلاك او الاستسلام .

٥ ــ محاولة ايجاد مقارنة بين القول بصفات الشجاعة العربية وهروب العـــرب في حزيران . ومحاولة تجريد الانسان العربي والمقاتـــل من جميع الصفـــات ما عدا صفة « العقل » الذي تدفعه للاستسلام وانقاذ حياته .

٦ ــ ابراز الصفات « السيئة » للقادة والجنـــود في الجيوش العربية والاسفاف في التأكيد على صفات التخلف لضباط وجنود الجيش العراقي الى درجة تكرار الاكاذيـــب عن « الانحرافات » لتقليل القدرات الكفاحية للضباط والجنود العرب .

٧ ــ محاولة تصوير الخلافات العربية كأنها هي كل شيء وهي الحاسمة في تحديـــد الموقف من القتال ومنها القول بان اشتراك العراق في المعركة يهدف لاسقاط حكومـــة الاسد وليس لدعم القتال .

٨ ــ ابراز التأييد الامريكي الواسع ودفع تحركات الاسطول السادس الى المقدمـــة في الاتجاه الاعلامي .

٩ ــ تصعيد نبرة الهجوم على الاتحاد السوفياتي والتشكيك بمواقفه تجاه العرب . بهدف الحيلولة دون تطور العلاقات الكفاحية وتأثير ذلك التطور عـــلى مسار الحـــرب سياسيا وعسكريا .

لقد استهدفت الخطوط العامة للاعلام العربي « تحطيم » ارادة القتال لدى الجيوش والشعوب العربية ، استمرارا للنهج الاعلامي الناجح في ظروف حرب حزيران المختلفة.

لكن هذا الاتجاه الاعلامي بدأ يعطي نتائج معاكسة تماما لاهدافه مع تطور المعارك وتأكيد ارادة القتال ، وفقدان المزاعم الاسرائيلية اية امكانية على التأثير او التصديق .

اما الاعلام الخاص بالموقف السوفياتي والامريكي فقد فقد الاول فاعليته بتطور الموقف العملي للاتحاد السوفياتي من الحرب ، بينما ادى التأكيد على الدعم الامريكي والتهديد بتحرك الاسطول السادس الى موجة عداء جماهيرية عربية عارمة للقتال ضد اسرائيل وضرب المصالح الامريكية .

لم يبق من الخطوط الاعلامية التي لها قدر من الفاعلية سوى وضع معادلة الصدام السوفياتي الامريكي امام الشعوب العربية وربط مصير العالم بقضية الشرق الاوســـط وهذا المحور الاعلامي ستقرر حدود فاعليته في الايام القادمة . وساحات القتال هي ما يقرر كل شيء .

ج ــ **الاعلام الموجه الى شعوب وحكومات اوروبـــا** : الاعلام الموجـــه الى شعوب

اوروبا وحكوماتها يختلف تماما عنه بالنسبة للاسرائيليين والعرب . لان الرأي العام الاوروبي رغم جنوحه لتأييد « السلام » وتحقيق الانفراج الدولي . فان الموقف الاعلامي الاسرائيلي في مخاطبته ليس على درجة كبيرة من السهولة . ذلك بسبب من التصلب الاسرائيلي تجاه تنفيذ القرارات الدولية، ومن جهة حصول العرب على قرارات صاغتها شعوب العالم وايدتها حكوماته . تلك القرارات تؤيد حق العرب في اراضيهم وتطالب اسرائيل بالانسحاب . فالقتال بهذا المعنى يحمل معه وثيقة تأييد دولية من شعوب العالم وحكوماته .

من هنا كان الاعلام الاسرائيلي مدركا لهذه النقطة الاساسية ولكن كيف عالجها وما هي فاعلية معالجته في خطوطه الاساسية .

لقد اتسمت المعالجة بالتسلسل التالي :

١ ــ التركيز على الضرورة القصوى لوقف اطلاق النار وانسحاب العرب الى حدود ما قبل القتال هو المدخل الوحيد « لانعاش وتجديد فرص السلام » .

٢ ــ ابراز الاتجاهات الصهيونية المؤيدة لاسرائيل داخل حكومات اوروبا او في مؤسساتها السياسية لتطويق رد الفعل الاوروبي المعادي لاسرائيل أو التخفيف من حدته .

٣ ــ اظهار التأييد اليهودي والصهيوني لاسرائيل في مناطق مختلفة من العالم (تظاهرات ، وقائع عطف ، متطوعون) .

هذه المحاور الاعلامية لن تجد لها فاعلية كبيرة في اوساط الاوروبيين ، المؤيدين للموقف الاسرائيلي ، او الذين يلتزمون موقفا حياديا . ذلك ان الموقف العربي **الرسمي** المنطلق من قرار مجلس الامن ، قد حدد موقفه السياسي بالاستعداد لوقف اطلاق النار عند حدود الخامس من حزيران ، كما في تصريح الزيات . وهو موقف تستطيع الحكومات الاوروبية ان تدافع عنه امام الضغوطات الصهيونية التي قد تتعرض لها .

وحتى حين يتحدث المسؤولون العرب عن تحقيق جميع الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، كما في تصريح الرئيس السادات ، فان الموقف الاوروبي المعارض والمحايد، سينظر الى هذه النقطة على انها وردت في بيان القمة السوفياتية ــ الاميركية ، الاخير، وخاصة بعد التأييد العالمي الواسع الذي لقيته هذه القضية في مهرجان برلين ، وفي مؤتمر الجزائر .

أما اظهار تعاطف اليهود واظهار الاتجاهات الصهيونية المؤيدة لاسرائيل كما في الحكومة الفرنسية ومؤسساتها السياسية فان فاعلية هذا الاتجاه مرتبط باستمرار مسيرة القتال وما يترتب عليه من مواقف في السياسة الدولية بالنسبة للشعوب والحكومات .

د ــ **الاعلام الموجه الى الشعب الامريكي وحكومته** : المراهنة السياسية والاعلامية على موقف الولايات المتحدة هي مراهنة مصيرية حاسمة بالنسبة لاسرائيل . من هنا فان الدبلوماسية والاعلام الاسرائيلي معنيان بالتأثير في الموقف الامريكي حكومة واحزابا وجماهير .

لقد تمثل الخط الاعلامي الذي يخاطب الامريكيين وحكومتهم واحزابهم بالمحاور التالية :

١ ــ التأكيد على ان انتصار العرب وهزيمة اسرائيل هو هزيمة للولايات المتحدة وانتصار للاتحاد السوفياتي ، وتهديد للمصالح الامريكية في المنطقة (لان اسرائيل حامية للمصالح الاميركية) .

٢ ــ العمل على ابقاء الموقف الامريكي مطابقا للموقف الاسرائيلي ومتابعة اطلاع

المسؤولين الامريكيين اولا بأول على حقائق ميادين القتـــال ، للوصول الى تقديـــرات مشتركة للموقف ، والمعالجة (الاتصال الدائم بين ايبن وكيسينجر) .

٣ ــ ابراز وتضخيم فاعلية الموقف السوفياتي المؤيد للعرب واعتبـــاره هو القضية الوحيدة في وجه اعادة « شروط » السلام .

٤ ــ التأكيد على ان فرص السلام ستكون قائمة فقط عندما ينسحب العرب الـــى حدود ما قبل الحرب . لان اعطاءهم اي انتصار جزئي يؤجج نواياهم « العدوانية » ضد اسرائيل والولايات المتحدة .

هذه الخطوط الاعلامية في مناشدة الحكومة الامريكية ومنظماتها السياسية تؤثر حاليا في الموقف الامريكي ، ولكن ذلك لا يتم بسبب من براعة السياسة والاعلام الاسرائيليين بل وبالضبط بسبب من المصالح الامريكية الحيوية التي تهددها الانتصارات العـــربية ، والانكسازات الاسرائيلية . ولكن الخلل الكامن في الدعاية والسياسة الاسرائيليين ينبع من الحدود التي تقف عندها المصالح الامريكية وتبـــدأ بالابتعاد عن المصالح والاهداف الاسرائيلية . ان حدود هذا الافتراق وتعبيراته مرتبط بمتغيرات عديـــدة متشابكة فـــي علاقة الولايات المتحدة مع الانظمة الرجعية العربية وحساباته لمستقبل المنطقة . تلـــك العوامل مجتمعة هي التي ستقرر في النهاية الحدود التي يمكن للموقف الامريكي ان يقف عندها . والخطوط العامة التي تحرك سياستها الدولية .

من هنا فان حدود فاعلية الاعلام الاسرائيلي الـــذي يناشد الامريكيين وحكومتهـــم ، تقررها اساسا ، المصالح الامريكية . وعند ظهور اية بوادر في الاختـــلاف بين الموقفين يعجز الاعلام الاسرائيلي عن التأثير الواسع والقتال في الموقف الامريكي .

ان وقائع القتال الذي تشتد وتيرته هي ، وليس غيرها ، ما سيقرر جميع السياسات العالمية وهي وحدها تترك بصماتها القوية على المواقف الامريكية والسوفياتيةوالعالمية. وتجعل الاعلام الاسرائيلي بالتالي يخرج من مأزق ليدخل اخر ، حتى يستطيع ان يتخلص من الارث الثقيل للاعلام الاسرائيلي القائم على اوهام الحرب الحزيرانية .

تناقضات الاعلام الاسرائيلي بالوقائع والنصوص

الهجوم المضاد والحديث عن الابادة

في اليوم الثالث للحرب العربية الاسرائيلية (الاثنين ــ ١٩٧٣/١٠/٨) بدأ الهجـــوم الاسرائيلي المضاد في الجولان وسيناء . وكان الاعلام الاسرائيلي قد ركز طويلا على هذا الهجوم المنتظر ، مؤكدا ان كل الانتصارات العربية سوف تسحق فور ان يبدأ . ومـــع الساعات الاولى لانطلاقة هذا الهجوم تغيرت كل اللغة الاعلامية الاسرائيلية التي كانت تتحدث عن صد الهجمات العربية ، وبدأ الحديث عن **سحق وابادة** القوات العربية وفيما يلي الاقوال والمواقف التي تثبت ذلك :

« اننا ننقض وننقض . ويقول لي رجال المدرعات ان امامنا قوة تفوقنا عددا . ولكن المعرفة في هذه الحالة تلعب دورا اكبر من العدد المتفوق . تماما مثل لعبة الشطرنج » .

« انني استطيع ان اصف قائد القوة التي ارافقها بانه صاحب القبضة الساحقة » . تقرير مراسل الاذاعة العبرية « رافي اونجر » عن المعـــارك في قناة السويس ١٩٧٣/١٠/٨ .

« ان المعطيات القائمة في أرض المعركة الان ، تؤهلنا لابادتهم تمامـــا » . مراســـل الاذاعة العبرية يهوشـواع جلون ، عن المعارك في الجولان ١٩٧٣/١٠/٨ .

بعد فشل الهجوم المضاد الاعتراف بضراوة المقاومة

ولكن الهجوم الاسرائيلي المضاد ، لم يستطع رغم كل الحملة الاعلامية المركزة التي احيط بها ، أن يحقق ما كان مرجوا منه ، وقوبل بمقاومة عربية ضاربة ، تظهرها الاقوال الاسرائيلية التالية :

« اما بالنسبة للقوات الارضية ، فانها مزودة بمعدات مضادة للطائرات ، كثيرة جدا وفعالة جدا . وان قوة النيران المضادة للطائرات قوية جدا في معظم الجبهات » . ضابط اسرائيلي من سلاح الطيران ، في مقابلة مع الاذاعة العبرية ١٩٧٣/١٠/٨ .

« ما زلنا نتعرض لقصف شديد ، شديد جدا ، وتقع القذائف حولنا . وبسبب القصف المدفعي الشديد تراجعنا الى الوراء . لكن المسؤولين يأمرون بالتقدم الى الامام بأي ثمن . ونحن ننتظر ما سيحدث ، وفي هذه الاثناء تستمر عمليات القصف » . تقرير مراسل الاذاعة العبرية «يهوشواع جلون» عن المعارك في الجولان ليل ١٩٧٣/١٠/٩ .

« الحرب تدور من جبل الى جبل ، ومن كيلومتر الى كيلومتر . فاذا كانت القوات المصرية تقف صباح اليوم على بعد عشرة كيلومترات من القناة ، فانها الان تراجعت كيلومترا واحدا . . . وعلى الرغم من الاصابات التي حلت بالجسور، فما زال بامكانهم نقل القوات والذخائر الى قواتهم العابرة » . مراسل الاذاعة العبرية ، « برميا يوفيل » عن القتال في سيناء ١٩٧٣/١٠/٩ .

« معارك مريرة . . مقاومة العرب اكبر مما قدر كثير من الاسرائيليين » صحيفة التايمز اللندنية ١٩٧٣/١٠/٩ .

انهيار الهجوم المضاد وانهيار الحالة النفسية

وبعد ان واجه الجنود الاسرائيليون هذه المقاومة الصلبة في الجولان وسيناء ، وبعد ان انكسرت حدة الهجوم الاسرائيلي المضاد ، برزت في اوساط الجنود الاسرائيليين حالة معنوية يائسة كشفت عنها الوقائع التالية :

« كان القصف على امتداد القناة . . وقال احد ضباط المدفعية لو كان لدي مدافع كهذه ، لكنت ترى ما كنت سأفعله بهم »!! مراسل الاذاعة العبرية « عاموس أتينجر » عن المعارك في سيناء ١٩٧٣/١٠/٩ .

« بالامس كنت شاهدا لنقاش بين بعض الجنود في آلية نصف مجنزرة ، وكان الموضوع : ما هو الاسم الذي سيطلقونه على هذه الحرب . وتبلور اقتراح بتسميتها : حرب الايام الرهيبة » . مراسل الاذاعة العبرية « روني دانيال » عن الحرب في الجولان ١٩٧٣/١٠/٩ .

التبرير الاسرائيلي لفشل الهجوم المضاد

وفي مواجهة هذا الانهيار النفسي في اوساط الجنود الاسرائيليين ، والممتد بدون شك الى اوساط الجمهور الاسرائيلي ، بدأت حملة اعلامية لرفع المعنويات وللدفاع عن صواب الخط السياسي والعسكري الذي اتبعته القيادة . وبرز ذلك في المواقف والاقوال التالية :

« ان الاستراتيجية التي اتخذناها ، والمتمثلة بالانتظار حتى غزو العدو ، كانت سليمة تماما واثبتت نفسها . . . كان من الضروري هذه المرة اثبات المؤامرات العدوانية للعدو في الوقت الذي اعلنت فيه اسرائيل عن استعدادها لقبول تسوية سلمية عن طريق اتفاق جزئي ، او اتفاق شامل ، او باية طريقة اخرى » . ايجال آلون في حديث خاص للاذاعة العبرية ١٩٧٣/١٠/٩ .

« في اليـــوم الخامس للحرب .. يبدو لي اننا نقدر حق التقدير ، **المكسب الكبـــير** الكامن في الاعتراف باننا فقدنا الخطوط امام قوات العدو ، واننا اقمنا قاعدة مأمونـــة استعدادا لما سيأتي ... وهذا يعود الى كوننا مدللين » .

« ليس بالامكان ان نفسر للجمهور الاعتبارات الكامنة في هـــذا التحـــرك او ذاك . فاحيانا تكون هذه الاعتبارات نابعة من الرغبة في اغراء العدو والايقـــاع به . وهـــذا المجرى يبدو للمراقب احيانا بطيئا ومحطما للاعصاب » . العميد هرتسوغ كبير المعلقين العسكريين ١٠/١٠/١٩٧٣ .

تقديم بعض الحقائق للجمهور الاسرائيلي

وبعد تقديم هذه التبريرات والتفسيرات ، كان لا بد من تقديم بعض الحقائق للجمهور الاسرائيلي . وفي هذه الحقائق اعترف المسؤولون الاسرائيليين بجزء من الانتصـــارات العربية . وبداوا يهيئون الجمهور الاسرائيلي لحرب طويلة الامـــد ، بعد ان اغروه في البداية بحرب خاطفة تنتهي بسرعة فور وضع قوات الاحتياط في المعركة . وقد ظهـــر هذا الخط الاعلامي في المواقف التالية :

« هذا لا يعني ان العدو السوري قد دمر ، الا انه عانى من خسائر كبيرة ، وارغـــم على التنازل عن معظم انجازاته » .

« ينبغي عدم التقليل من أهمية رؤوس الجسور التي اقيمت على القناة » . العميد اهارون ياريف ٩/١٠/١٩٧٣ .

« انكم اليوم تواجهون اصعب حرب ... وهذه ليست الحرب الخاطفة التي اعتدنا عليها . اذ ان الحرب هذه المرة صعبة وطويلة الامد .. واسلوب القتال لدى عدونـــا هو اسلوب حرب الشعوب التي لا قيمة لحياة البشر فيها » . **العميد** شموئيل جونون ، قائد قوات سيناء ١٠/١٠/١٩٧٣ .

« ان المعركة التي سنخوضها ستطول ، نستطيـــع ان نصمد فيهـــا اذا ما اعترفنا بالوقائع كالمطلوب ... وان بوسعنا الاستمرار في قتالنا بواسطة جملة من الاجراءات بتعقل » . العميد اهارون ياريف ٩/١٠/١٩٧٣ .

« ان اسرائيل تتكبد خسائر كبيرة بسبب ايمانها بالسلام والديبلوماسية » . سيمحا دينيتس ، سفير اسرائيل في واشنطن ١٠/١٠/١٩٧٣ .

ثم بدأ التهديد بالمستقبل

ولتعويض الخسائر ، ولمواجهة الحالة النفسية الداخلية المضطربة ، بدأ المسؤولون الاسرائيليون يلجأون الى التهديد والرعبة . ويركزون على تخويف العرب من المستقبل . وساهمت في هذه الحملة الاعلامية الجديدة ، بعض الصحف الاوروبية الموالية لهـــم . وكذلك تصريحات المسؤولين الامريكيين . ومن الامثلة على ذلك :

« ان جيش الدفاع الاسرائيلي لن يتوقف عند خطوط وقف اطلاق النار ، اذ اقتضت الحاجة ، وذلك من أجل ابادة العدو المصري والسوري » . بيجـــال الون نائب رئيسة الوزراء ١٠/١٠/١٩٧٣ .

« يجدر فهم رغبة اسرائيل في مطاردة اعدائها وراء القناة والى داخـــل سوريا ... ذلك ان اسرائيل لا تستطيع ان تسلم بحرب استنزاف بطيئة ، ولا يمكنها ان تسلم بتكرار شن مثل هذه الحرب بعد بضعة اعوام » . الديلي تلجراف اللندنية ١٠/١٠/١٩٧٣ .

« ان الولايات المتحدة لم تطلب من اسرائيل بان لا تجتاز قناة السويس » المتحـــدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الاميركية ٨/١٠/١٩٧٣ .

تقارير عسكرية

ننشر فيما يلي عددا من التقارير العسكرية التي اعدها القسم العسكري في مركز الابحاث الفلسطينية ، باشراف المقدم الهيثم الايوبي ومساعدة الباحثين في القسم محمود عزمي وهشام عبدالله ، ووزعها على الصحف العربية والجهات المختصة ، في الاسابيع الماضية ، كملاحق للنشرة العسكرية الخاصة التي كان القسم يعدها ويوزعها على الصحف يوميا .

(١) اضواء على « خط بارليف »

عقب وقف اطلاق النار في حرب ١٩٦٧ اقامت القيادة العسكرية الاسرائيلية مجموعة من المراكز الدفاعية الخفيفة العادية على طول القناة ، ولكن عندما بدأت المدفعية المصرية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ تمارس دفاعا ايجابيا في مواجهة الاعتداءات الاسرائيلية على مدن القناة وخاصة بعد أن تعززت قواها بوصول مئات من قطع المدفعية الجديدة من الاتحاد السوفياتي ، شعرت القيادة الاسرائيلية أن هناك ضرورة لمواجهة احتمال ممارسة مصر للضغط عن طريق القصف المدفعي المركز الذي يهدف الى حرمان اسرائيل من حق التواجد المستقر الهادىء على الضفة الشرقية للقناة ، عن طريق اقامة خط دفاعي قوي نسبيا يقلل من حجم القوات اللازمة للسيطرة على ضفة القناة — وهو هدف سياسي اساسا — ويقلل في الوقت نفسه من الخسائر التي يمكن ان تلحق بها نتيجة لقصف المدفعية ورصاص القناصة المصريين .

ولذلك شنت القيادة الاسرائيلية عمليات ردع غير مباشرة في مؤخرة الجبهة المصرية البعيدة بواسطة وحدات فدائية محمولة جوا (اغارة على محطة كهرباء قرب نجع حمادي وعلى جسر نجع حمادي) حتى تربك القيادة المصرية وتجبرها على ايقاف قصف المدفعية بعض الوقت وتتيح بذلك فرصة اقامة الخط المذكور . وكانت المشكلة العسكرية والفنية المطروحة على القيادة الاسرائيلية وقتئذ ، في ظل فترة رئاسة الجنرال حاييم بارليف للاركان ، هي كيف يمكن التوفيق بين اعتبارين متعارضين اولهما ضرورة وجود قوات كافية للسيطرة على خط القناة معرضة بشدة لتركيز المدفعية داخل تحصينات منيعة توفر لها الحماية والقدرة على تغطية القناة بالنيران الرادعة للمصريين حتى لا يفكروا في عبور القناة ، مع ما تفرضه هذه الضرورة من تثبيت حركة قوات كبيرة داخل مواقع ثابتة ، وعدم جدوى هذه المواقع الامامية في حالة عدم وجود عمق دفاعي مكمل لها ، وبين ضرورة الاحتفاظ بقوات احتياطية رئيسية متحركة للقيام بالهجمات المعاكسة تتفق واسلوب حرب الحركة الذي درب الجيش الاسرائيلي عليه ومارس قتاله العملي وفقا له دائما في حرب ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ . بمعنى ان اقامة خط دفاعي ثابت يتطلب ان تكون شبكة المواقع الدفاعية المقامة على طول القناة ذات عمق كاف والا تعرضت للاختراق نتيجة تركيز قوة متفوقة فجأة عند أي نقطة في الخط مدعومة بقوات محمولة

جوا بطائرات الهليكوبتر يجري ابرازها في مؤخرة الخط والانقضاض عليه من الخلف . وهذا يفترض حشد قوات كبيرة ــ فضلا عن النفقات المالية الضخمة للمنشئات الدفاعية ــ وتثبيت حركتها في الوقت نفسه، وكلا الامرين لا يتوافقان مع امكانات اسرائيل من حيث الطاقة البشرية ومن حيث ضرورة ان تكون قوتها الرئيسية متحركة حتى تستطيع ان تناور بها على الخطوط الداخلية بين الجبهات المختلفة بمرونة وسرعة .

وكان الحل الممكن واقعيا هو انشاء مجموعة من النقط الدفاعية القوية التحصين على مقربة شديدة من القناة بلغ عددها ٣٥ نقطة قوية تبدأ من اول الكيلومتر ١٠ شمالا حتى بور توفيق جنوبا وهي مسافة قدرها ١٢٣ كيلومترا أي بمعدل نقطة حصينة لكل أربعة كيلومترات باستثناء منطقة البحيرات المرة تدعمها في المؤخرة قوات مدرعة ميكانيكية تمثل القبضة الضاربة المتحركة المساندة للنقط الدفاعية التي كان من المفترض أن تعيق عمليات العبور المصرية المحتملة لحين تحرك القوى المتحركة وتحديد اتجاهات العبور الرئيسية . وبطبيعة الحال اعتبر الطيران هو القوة الضاربة الاساسية المساعدة . وقد تم انشاء مجموعة النقط القوية الدفاعية هذه بحيث تتسع لقوة كتيبة تقريبا عند الاقتضاء ويفصل بين كل نقطة واخرى بضعة كيلومترات قليلة يمكن تغطيتها بالنيران الصادرة من النقط المتعاونة مع بعضها البعض . ووضعت هذه النقط على مقربة شديدة من ضفة القناة لتستطيع ان تراقب الحركة عليها وتغطيها بنيرانها المباشرة والمؤلفة من الرشاشات والبنادق والاسلحة المضادة للدبابات بالاضافة لنيران المدفعية والهاونات الموضوعة في مواقع خلفية . وقد تم سقف الملاجىء ومواقع الرمي (الدشم) التي تضم الاسلحة المستخدمة داخل النقط الدفاعية في بداية انشاء الخط الدفاعي المذكور ، الذي حمل اسم قائد الاركان الاسرائيلي «حاييم بارليف»،في اواخر عام ١٩٦٨ وبداية ١٩٦٩ بكتل من قضبان وفلنكات السكك الحديدية وبكميات كبيرة من اكياس الرمل لتقليل النفقات المالية . ولكن ثبت ضعف هذه التقنية الهندسية في مواجهة قصف مدفعية الميدان المصرية من عيارات ١٢٢ ، ١٢٠ ، ١٥٢ مم والهاونات الثقيلة عيارات ١٢٠ مم ، ١٦٠ مم . وذلك عندما بدأت حرب الاستنزاف بالقصف المدفعي الشهير يوم ٨ اذار (مارس) ١٩٦٩ والذي أدى الى تدمير نحو ٦٠ ٪ من دفاعات الخط المذكور خلال الشهرين التاليين . ولذلك جرى بعد ذلك ، وخاصة بعد وقف اطلاق النار عام ١٩٧٠ ، اعادة بناء النقط الدفاعية وتجهيزها بشكل اقوى واحدث وسقفت الملاجىء ومواقع الرمي (الدشم) المحفورة تحت الارض بكتل سميكة منيعة من الاسمنت المسلح تستطيع ان تتحمل الاصابات المباشرة من قذائف الهاونات والمدفعية المصرية وقنابل الطائرات التي زنتها الف رطل . وجهزت الملاجىء بكافة وسائل الراحة التي تمكن الجنود من الحياة بصورة حسنة دون التعرض لخطر القصف المدفعي بما في ذلك دورات المياه غير المألوفة ميدانيا ووجود مخزون كبير من المياه والمؤن والذخيرة ونقط مراقبة تلسكوبية لعدم تعريض المراقبين لنيران القناصة ، وبلدوزر لاعادة فتح طرق المواصلات عند الضرورة بين الرمال نتيجة للقصف، وطبيب مقيم ، كما ربطت كل نقطة دفاعية بشبكة الاتصالات التليفونية العسكرية المتصلة بالشبكة المدنية حتى يستطيع كل جندي الاتصال ببيته كل يوم اذا رغب في ذلك لرفع معنويات الجنود وعدم شعورهم بالعزلة . هذا وقد احيطت النقط القوية من كل اتجاه بحواجز قوية من الاسلاك الشائكة والالغام وبمختلف وسائل الانذار . ومدت انابيب المياه الى اقرب اماكن ممكنة من النقط وبحيث تكون الانابيب غير مكشوفة من الجو قدر الامكان (اي تحت الارض) كما درب الجنود العاملون في النقط الدفاعية على العمل كمراقبين ارضيين مساعدين للطيران لتسهيل التعاون بين النقط والدعم الجوي المباشر لها. وكذلك للعمل كمراقبين معاونين

للمدفعية ذاتية الحركة والدبابات المحتشدة في العمق التكتيكي والعملياتي كاحتياطي متحرك ، والتي كان يجري تحريكها باستمرار من موقع لاخر منعا لتحديد مواقعها بصورة ثابتة دائمة للمدفعية المصرية التي تقع داخل مرماها البعيد (اذ كان يصل مدى بعض أنواع المدافع المصرية المذكورة من عيار ٢٠٣ مم الى ٩٩ كلم ومن عيار ١٣٠ مم الى ٢٥ كلم ومن عيار ١٢٢ مم الى ٢٢ كلم) .

هذا كما اقيم على امتداد ضفة القناة امام النقط الدفاعية حاجز رملي يبلغ ارتفاعه ما بين ١٢ و ٢٠ مترا عن سطح الماء بواسطة الجرافات الضخمة وذلك لاعاقة الاليات البرمائية المصرية عند محاولتها عبور القناة وتسلق الضفة الشرقية. وجهز هذا الساتر الترابي بين النقط القوية ليكون مصاطب يمكن للدبابات استخدامها كما زودت النقط القوية بخزانات مملوءة بمواد ملتهبة ومواسير خاصة تصل لسطح القناة لعمل ستارة من النيران فوقها وقد قدرت جملة نفقات الخط المالية بنحو ٢٣٨ مليون دولار . وقد شبه الكاتب العسكري الامريكي المقدم ارفينج هيمونت «خط بارليف» بخط «مينيسوتا» الدفاعي الامريكي الذي اقيم خلال المراحل الاخيرة من الحرب الكورية ! ولكن الجندي المصري والتخطيط العسكري المصري الجيد الذي وصل الى حد اقامة نماذج للخط وتدريب الجنود على اقتحامها حطما أسطورة « خط بارليف » الذي قيل أنه لا يقهر يوم ٦ تشرين الاول (اكتوبر) المجيد وحطما ايضا معه اسطورة الاحتياطي المتحرك والطيران المدعم له القادر على القاء القوات المصرية المهاجمة الى القناة واثبتا ان الخطوط الدفاعية الحصينة تنقلب في الحرب الحديثة الى ستارة كرتونية هشة اذا ما هاجمتها قوات تتمتع بروح هجومية عالية ، وقدرة نارية كبيرة ، وقدرة حركية في البعد الثالث . وسوف تحمل لنا الايام القادمة مزيدا من التفاصيل عن هذا الخط وكيفية اختراقه بواسطة القوات المصرية الباسلة كما أشار الى ذلك رئيس الاركان المصري الفريق سعد الدين الشاذلي في حديثه يوم ٩ تشرين الاول الماضي .

(٢) حقائق امكانات المشاركة العسكرية العربية

لم تعد حرب الصيام حرب سورية ومصر وحدهما . فلقد تعربت منذ ايامها الاولى ، واشتركت بها قوات عربية اخرى . وكان دخول الجيوش العربية متتابعا ، وسيستمر هذا الدخول مع انتقال القوات العربية من مواقع تمركزها البعيدة في العمق الاستراتيجي الى مواقع تمركزها في العمقين العملياتي والتكتيكي .

وليس حجم المشاركة العربية متماثلا، كما ان سرعة زحفها في القتال تختلف من جيش الى اخر . وتتأثر هذه الامور بحجم القوات المسلحة لكل بلد وطبيعة هذه القوات وتدريبها وتسليحها وبعدها عن مسرح العمليات ، وسهولة المواصلات او صعوباتها ، وضرورات ابقاء اجزاء منها في البلد المعني لاسباب عسكرية او سياسية . ولكي نعطي القارىء العربي صورة حقيقية عن هذه المشاركة واحتمالاتها في المستقبل لا بد لنا من أخذ كل هذه العوامل بعين الاعتبار وادخالها في حسابات التوقعات .

الجمهورية العراقية : يتكون الجيش العراقي من ٦ فرق ، واحدة مدرعة وواحدة ميكانيكية ، وفرقتي مشاة في الواحدة ٤ ألوية و٧ كتائب مدفعية وكتيبة مظلات، وفرقتين جبليتين ، ويمتلك ٩٠٠ دبابة متوسطة و٦٥ دبابة خفيفة . و٢٠٠ مدفع من عيار ١٢٢ و١٣٠ ملم . ويضم سلاح الطيران ١١٠ طائرات مقاتلة من طراز ميغ ٢١ و٣٢ طائرة قاذفة من طراز هوكر هنتر ، و٤٨ قاذفة سوخوي ٧ و٩ قاذفات تو ١٦ .

ويستطيع الجيش العراقي دعم الجبهة الشمالية بفرقة مدرعة وفرقة ميكانيكية وفرقة

مشاة و٢ ــ ٣ كتائب مدفعية وكتيبة مظليين ، وحوالي ٦٠٠ دبابة متوسطة و٢٠٠ مدفع بالاضافة الى ١١٠ طائرات ميغ ٢١ ــ و٤٨ قاذفة سوخوي ــ ٧ و٩ قاذفات تو ــ ١٦ . نظرا لانه مضطر للحفاظ على قواته الاخرى لحراسة الحدود . ولقد استطاعت الدبلوماسية العراقية الاريبة تحرير جزء كبير من القوات بعد تحسين العلاقات مع ايران ، كما أن سياسة التفاهم مع الاكراد ، وانتشار الروح الوطنية المعادية لاسرائيل بين صفوف الاكراد يعني ان العراقيين غير مضطرين لتجميد قوات كبيرة من جيشهم في البلاد .

ولا يعترض نقل الطيران العراقي الى القتال اية صعوبة . فالمسافة بين المطارات العراقية والمطارات السورية محدودة ، كما أن المطارات السورية مجهزة بمعدات وأجهزة أرضية سوفياتية من النوع الذي تحتاجه الطائرات العراقية . ويتطلب تجمع القوات البرية العراقية وانتقالها عدة ايام على طرق صحراوية مكشوفة . وكان من الممكن عرقلة تقدمها ومنعها من الوصول الى الجبهة والمشاركة في القتال لو أن الطيران الاسرائيلي حافظ على تفوقه . ولكن اختفاء اسطورة التفوق الجوي يجعل من الممكن اجراء هذه الحركة الاستراتيجية بكل سهولة تحت تغطية الطيرانين السوري والعراقي اللذين لا يستطيع الطيران الاسرائيلي ان يحشد ضدهما قوة جوية تحقق التفوق المحلي والمحافظة في الوقت نفسه على التوازن الجوي على الجبهة المصرية .

الجمهورية العربية الليبية : يضم الجيش الليبي ٢٠ الف جندي هي : ٤ الوية (لواء مدرع ، لوائي مشاة ميكانيكي ، ولواء حرس وطني) و٦ كتائب هي كتيبة مغاوير و٣ كتائب مدفعية وكتيبتي مدفعية م/ط . ويتسلح بحوالي ٢٥٠ دبابة متوسطة و١٦٣ مدفع ميدان . وبطاريات كروتال وسام ــ ٢ . اما سلاح الطيران فمن المحتمل أن يكون قد استلم ٨٢ طائرة قاذفة ــ مقاتلة من طيراز ميراج ٥ بالاضافة الى ١٠ طائرات قاذفة مقاتلة من طراز ف ــ ١٥ .

ولا تتعرض الحدود الليبية لاي تهديد خارجي . وبوسع ليبيا ان ترسل الى الجبهة الجنوبية بكل سهولة لواء مدرعا ولوائي مشاة ميكانيكيين وكتيبة مغاوير وكتيبتي مدفعية على الاقل . ويمكن لهذه القوات ان تصل الى الجبهة خلال ٣ ــ ٤ ايام نظرا لتحركها على طرق محمية من اي خطر جوي جدي . والدعم الاكبر الذي تستطيع ليبيا تقديمه هو الطائرات القاذفة ــ المقاتلة (ميراج ، وف ــ ١٥) شريطة ان تنقل المعدات والتجهيزات الارضية الى المطارات المصرية بشكل مسبق نظرا لان الطائرات الليبية (الفرنسية والامريكية الصنع) لا تستطيع استخدام المعدات والتجهيزات الارضية المصرية (السوفياتية الصنع) .

وتستطيع ليبيا الحفاظ على جزء من الطائرات في مطاراتها للاشتراك مع بعض الطائرات الجزائرية والمغربية في عمليات الخنق الاستراتيجي في وسط وغرب البحر الابيض المتوسط .

الجزائر : يتألف الجيش الجزائري من ٤ الوية مشاة ميكانيكية ولواء مظلات و٨ كتائب (٣ كتائب دبابات مستقلة ، و٥ كتائب مدفعية مستقلة) بالاضافة الى ١٣ سرية قوات صحراوية . ويتسلح بدبابات سوفياتية متوسطة عددها ٦٠٠ و٥٠ دبابة خفيفة و ٢٥ مدفعا ذاتي الحركة س ــ يو ١٠٠ وجي أس يو ١٥٢ ومدافع متطورة من عيار ــ ٨٥ ملم و١٢٢ ملم و١٥٢ ملم .

أما سلاح الطيران فيتكون من ٣٠ طائرة ميغ ٢١ و٩٥ طائرة من طراز ميغ ١٥ و١٧ بالاضافة الى ٣٠ قاذفة خفيفة اليوشن ــ ٢٨ .

ولا تتعرض الحدود الجزائرية لاي تهديد خارجي . وبوسع الجزائر ان ترسل الى الجبهة الجنوبية ٣ ألوية ميكانيكية ولواء مظلات وكتيبتي دبابات مستقلة و٤ — ٥ كتائب مدفعية . مع الحفاظ على لواء ميكانيكي و١٢ سرية صحراوية وكتيبة دبابات داخل اراضيها وتحتاج هذه القوات الى ٦ — ١٠ ايام للتجمع والتحرك والوصول الى الجبهة. وان كان بوسع أقسامها الاولى الوصول قبل ذلك.ولا تتعرض حركة القوات الجزائرية لاي خطر جوي جدي نظرا لتحركها على طرق محمية من الطيران الاسرائيلي. اما الدعم الجوي الجزائري فمن الممكن ان يكون فعالا جدا وسريعا اذا ارسلت الجزائر طائرات الميغ — ٢١ والميغ — ١٧ والقاذفات الخفيفة اليوشن — ٢٨ الى المطارات المصرية المزودة بمعدات وتجهيزات ارضية سوفياتية ،ملائمة للطائرت الجزائرية السوفياتية الصنع . وتستطيع الجزائر الحفاظ على بعض طائراتها للمشاركة في الخنق الاستراتيجي .

ان الاحتمال الاكبر هو ارسال القوات الجزائرية الى الجبهة الجنوبية ولكن هذا الاحتمال لا ينفي امكانية ارسال جزء منها عن طريق البحر الى الجبهة الشمالية .

المغرب : يبلغ تعداد الجيش المغربي ٦ ألوية (لواء مدرع ، و٣ ألوية مشاة ميكانيكية ولواء امن خفيف ولواء مظلات) بالاضافة الى ١٧ كتيبة (٩ كتائب مشاة مستقلة ، وكتيبة حرس ملكي ، وكتيبة هجانة ، و٣ كتائب فرسان صحراوية ، وكتيبتين مهندسين) هذا بالاضافة الى ٥ مجموعات مدفعية . ويتسلح الجيش المغربي بدبابات متوسطة عددها ١٢٠ دبابة وخفيفة عددها ١٢٠ دبابة . ويملك سلاح الطيران ٣٦ طائرة مقاتلة من طراز ف — ٥ أ و١٢ ميغ — ١٧ .

ولا تتعرض الحدود المغربية لاي تهديد خارجي . وبوسع المغرب ان يرسل الى الجبهة الجنوبية لواء مدرعا ولوائين ميكانيكيين ولواء مظلات و٤ مجموعات مدفعية . ويحتاج تجمع هذه القوات وتحركها ووصولها الى مصر ١٠ — ١٤ يوما.ولكن القطعات الاولى تصل قبل ذلك بزمن كبير . ولا تتعرض حركة هذه القوات للخطر الجوي . ومشكلتها الوحيدة عند الانتقال هي اضطرارها الى التحرك على الطريق الساحلي الوحيد نفسه الذي تتحرك عليه القوات الليبية والجزائرية الامر الذي يخلق تعقيدات كبيرة تتعلق بامور تنظيم الارتال وقوافل التموين . ويمكن للمغرب تقديم عدد جيد من الطائرات . واذا كان قدوم الطائرات ميغ — ١٧ الى المطارات المصرية لا يتطلب اي اعداد ارضي مسبق فان ارسال الطائرات ف — ٥ أ الامريكية الصنع لا بد وان يسبقه وصول تجهيزات ومعدات أرضية ملائمة . ويستطيع المغرب الحفاظ على طائراته الامريكية الصنع في مطارات بلاده للمشاركة في الخنق الاستراتيجي .

ان الامر الطبيعي هو ارسال القوات المغربية الى الجبهة الجنوبية ولكن هذا لا يعني عدم امكانية ارسال جزء منها الى سورية عن طريق البحر .

السودان : يبلغ عدد افراد الجيش السوداني ٣٥ الف رجل موزعين كالتالي : ٨ ألوية (لواء مدرع ، ٦ ألوية مشاة ولواء مظلات) و٧ أفواج (٣ افواج مدفعية و٣ أفواج مدفعية م/ط وفوج مهندسين) ويتسلح بـ ١٥٠ دبابة متوسطة . و١٢٠ مدفعا عيار ٢٥ رطلا و١٠٥ ملم و١٢٢ ملم بالاضافة الى مدافع هاون عيار ١٢٠ ملم . أما سلاح الجو فيضم ١٦ ميغ — ٢١ ، و٨ مقاتلات قاذفة ميغ — ١٧ .

ولا تتعرض حدود السودان لاي تهديد خارجي . لذا فان بوسعه ان يرسل الى الجبهة الجنوبية لواء مدرعا ولواء مظلات و٣ ألوية مشاة وفوجي مدفعية وفوجي مدفعية م/ط وفوج مهندسين و١٠٠ مدفع . ويعترض وصول هذه القوات عدم وجود طرق برية او نهرية بين مصر والسودان واضطرار الارتال الى التحرك بواسطتين برية ونهرية

الامر الذي يتطلب وقتا طويلا وخاصة بالنسبة لقطعات المدرعات والمدفعية . امـــا الطائرات السودانية فان من الممكن الحفاظ عليها في المطارات السودانية البعيدة عـــن قصف طائرات العدو وذلك للمشاركة في الخنق الاستراتيجي في جنوب البحر الاحمر .

الاردن : يضم الجيش الاردني ٣ فرق واحدة مدرعة وواحدة ميكانيكية وواحدة مشاة بالاضافة الى لواء مشاة مستقل وكتيبة قوات خاصة و٣ افواج مدفعية ولديه ٣٥٠ دبابة متوسطة . و١٣٠ مدفعا ٢٥ رطلا و ٥٠ مدفع هاوتزر عيار ـــ ١٠٥ ملم و١٥٥ ملم. و ١٠ مدافع ١٥٥ ملم. اما سلاح الطيران فيضم ١٥ طائرة من طراز ستارفايتر ف ـــ ١٠٤ ، و٣٥ طائرة من طراز هوكر هنتر .

يشكل الاردن دولة من دول المواجهة .لذا فان وضعه يختلف بشكل جذري عن اوضاع الدول العربية الاخرى . ولا يستطيع الاردن تفريغ اراضيه من القوات وارسالها الى الجبهة الشمالية لان اشتراكه في القتال على الجبهة السورية (تحت تغطية جويـــة سورية ـــ عراقية) يعني اعلان الحرب الذي يمكن أن ترد عليه اسرائيل بهجوم علـــى الاراضي الاردنية او على ميناء العقبة على الاقل .

ولا يستطيع الاردن زج كل قواته الا اذا قرر بالفعل الهجوم من الجبهة الشرقية . أما اذا قرر الاكتفاء بدعم الجبهة السورية فان مشاركته ستكون محدودة لا يزيد حجمها عن فرقة واحدة ، اذ أن عليه في هذه الحالة ان يحتفظ بكبد قواته لحماية ميناءه الوحيد (العقبة) وحماية الطرق المؤدية الى عمان ، مع الحفاظ على احتياط كبير في شمال البلاد لصد أي هجوم اسرائيلي يحاول الالتفاف على ميسرة الجيشين العراقي والسوري بحركة واسعة تخترق الاراضي الاردنية . أما على الصعيد الجوي فان حجم الطـــيران الاردني يكاد لا يسمح له بحماية قواته البرية ، وسيحتاج الاردن في أية معركة على الجبهة الشرقية لدعم عراقي كثيف خاصة وان دفاعات الاردنيين ضد الطائرات محدودة ولا تضم سوى اعداد قليلة من صواريخ ارض ـــ جو من طراز تايغر كات البريطانية .

المملكة العربية السعودية : يبلغ تعداد الجيش السعودي ٣٦ الف رجل ، موزع على ٤ الوية مشاة و١٠ كتائب صواريخ ارض ـــ جو من طراز هوك . ويتسلح بستين دبابة خفيفة و٣٠ دبابة متوسطة . أما سلاح الطيران فيمتلك ٣٤ طائرة لايتننغ القاذفـــة المقاتلة و١٢ طائرة قاذفة هوكر هنتر و١٥ مقاتلة سابر ف ٨٦ .

ولا تتعرض حدود المملكة العربية السعودية لاي خطر خارجي . ولكن سمة المملكة وصغر القوات البرية السعودية يجعلنا نعتقد ان الدعم الذي يمكن ان يقدمه السعوديون للاردن هو عبارة عن كتيبة مدرعة ولواء او لوائي مشاة مع مدفعية وصواريخ هوك . ويمكن استخدام القوات البرية لتعزيز الدفاع عن ميناء العقبة ، كما أن بوسع صواريخ هوك تعزيز الدفاع الجوي للجيش الاردني . وليس من المحتمل ارسال قوات سعودية الى الجبهة السورية الا باعداد محدودة . وتستطيع السعودية دعم الجبهتين السورية والاردنية بطائرات لايتننغ تنطلق من المطارات الاردنية ، مع الحفاظ على طائرات سابر وهوكر هنتر في المطارات السعودية للمشاركة في الخنق الاستراتيجي في جنوب البحر الاحمر .

المقاومة الفلسطينية : تتمثل القوات المسلحة للثورة الفلسطينية بقطعـــات نظـــامية (القادسية وحطين وعين جالوت ولواء اليرموك) وكلها عبارة عن وحدات مشاة خفيفة مدربة على قتال الصاعقة . بالاضافة الى القوات غير النظامية المدربة علـــى حرب العصابات . وخلايا التنظيم السري المسلح داخل الارض المحتلة . فاذا استثنينا وحدات جيش التحرير المتمركزة في لبنان وجدنا أن كافة قوات الثورة الفلسطينية النظامية وغير النظامية مشتركة في القتال منذ اليوم الاول ، وتقوم بمهماتها وراء خطوط العـــدو .

وستتزايد فاعلية المقاومة باستمرار كلما تخلخلت قبضة الجيش الاسرائيلي من الارض المحتلة وانشغلت القوات الاسرائيلية الاحتياطية بالحرب على جبهات القتال العربية .

ان سرعة الحشد ودقة وحسن اختيار مواقعه عوامل هامة في الحرب وشرط أساسي من شروط نجاحها .وستدل الايام القليلة القادمة الى اي مدى تتقن الجيوش العربية تنفيذ هذا المبدأ لمعادلة سيل الاسلحة الامريكية المتدفقة او التي ستتدفق على اسرائيل .

(٣) الدبابات العربية – الاسرائيلية تتجابه في الميدان

تلعب المدرعات العربية حاليا دورا بالغ الاهمية في المعارك الدائرةفي سيناء والجولان، وذلك بعد أن توفر لها قدر كاف من الحماية الجوية الناتجة عن وسائل الدفاع الجوي الارضية الفعالة والنشاط الاخذ في الازدياد للمقاتلات المعترضة فوق الجبهات . وسوف يزداد هذا الدور اهمية وحسما على نتائج المعارك البرية في الايام المقبلة ، خاصة في الجبهة المصرية حيث توجد في صحراء سيناء ارض عمليات انموذجية للمدرعات وبالذات على المحور الاوسط « الاسماعيلية — بيرجفجافة » ، والمحور الشمالي « القنطرة — العريش » ، وذلك يصبح من المهم ان نتعرف على أبرز المواصفات والامكانات التقنية لمختلف أنواع هذه المدرعات بالمقارنة مع انواع المدرعات الموجودة لدى العدو الاسرائيلي (من خلال المعلومات الواردة في مختلف المراجع العالمية) وعلى الارقام التقديرية لقوى الطرفين في هذا المجال .

تضم المدرعات العربية الموجودة لدى كل من مصر وسوريا أنواع الدبابات التـــالية:

الدبابة ت — ٦٢ : دبابة متوسطة سوفييتية الصنع تزن نحو ٣٧ طنا وقوة محركها الديزل ٧٠٠ حصان وتصل سرعتها القصوى على الطرق الى نحو ٥٥ كلم / ساعة . اما على الارض العادية فتبلغ أقصى سرعة لها ٣٢ كلم. ويصل مدى عملها الاقصى على الطرق وهي مزودة بخزانات الوقود الاضافي الى نحو ٤٨٠ كلم . ويبلـــغ سمك درع هيكلها الامامي ١٠٠ مم والجانبي ٨٠ مم اما درع البرج فأقصى سمك فيه يبلغ ٢١٠ مم . ويتألف طاقمها من ٤ افراد . وهي مسلحة بمدفع مضاد للدبابات (ذو ماسورة ملساء وهو الاتجاه الحديث في مدافع الدبابات) عيار ١١٥ مم ورشاش عيار ٧ر١٤ مم ، والمدفع مزود بجهاز أشعة تحت الحمراء للرؤية الليلية (وكذلك هناك جهاز مماثل لسائق الدبابة) كما أنه مزود بجهاز يضبط التصويب بدقة اثناء السير سواء فوق الارض المستوية او غير المستوية . وقد بدأ انتاج هذه الدبابة في عام ١٩٦٥ .

الدبابة ت — ٥٥ : دبابة متوسطة سوفييتية الصنع تزن نحو ٣٦ طنا وقوة محركها الديزل ٥٨٠ حصان وتصل سرعتها الى ٥٥ كلم / ساعة و٣٢ كلم على الارض العادية، وسمك دروعها مماثل لسمك دروع الدبابة ت — ٦٢ . ويصل مدى عملها الاقصى على الطرق الى نحو ٦٢٠ كلم . ويتألف طاقمها من ٤ أفراد . وهي مسلحة بمدفع عيار ١٠٠ مم ورشاش ٧ر٦٢ مم . ومزودة بأجهزة القتال والسير الليلي والتصويب بدقة اثناء السير وفوق الارض غير المستوية وقد بدأ انتاج هذه الدبابة في عام ١٩٦٢ .

الدبابة ت — ٥٤ : دبابة متوسطة سوفييتية الصنع تزن نحو ٣٥ر٥ طن وقوة محركها الديزل ٥٧٠ حصان وسرعتها القصوى على الطرق ٥٠ كلم / ساعة وهي مماثلة في سمك دروعها وكذلك في مدى عملها وتسليحها الرئيسي للدبابة ٥٥ باستثناء انها مزودة برشاش اضافي مضاد للطائرات « دوشكا » ٧ر١٢ مم فوق البرج وأنواعها الحديثة قادرة على القتال الليلي أيضا ، وقد بدأ انتاجها في عام ١٩٥٤ .

الدبابة ت — ٣٤ : دبابة متوسطة سوفييتية الصنع تزن نحو ٣٢ طنا وقوة محركها

الديزل ٥٠٠ حصان وتصل سرعتها القصوى على الطرق الى نحو ٥٠ كلم / ساعة ويصل مدى عملها الاقصى على الطرق الى نحو ٣٥٠ كلم ويبلغ سمك دروع هيكلها الامامي ٤٧ مم وسمك درع برجها ٧٥ مم ، وهي مسلحة بمدفع عيار ٨٥ مم ورشاشان عيار ٧٫٦٢ ويتألف طاقمها من ٥ افراد وهي ليست مزودة باجهزة قتال ليلي او تصويب محكم للمدفع اثناء السير . وقد بدأ انتاجها في عام ١٩٤٣ .

الدبابة ب ــ ت ٧٦ : دبابة خفيفة برمائية سوفييتية الصنع تزن نحو ١٤ طنا وقوة محركها الديزل ٢٤٠ حصان وتصل سرعتها القصوى على الطرق الى ٣٠ كلم / ساعة وسرعتها في الماء تبلغ نحو ١٩ كلم / ساعة . ويبلغ سمك درعها الامامي ١٥ مم وسمك برجها ٤٥ مم ، ويصل مدى عملها على الطرق الى نحو ٢٥٠ كلم وهي مسلحة بمدفع عيار ٧٦ مم ورشاش ٧٫٦٢ مم ، ويتألف طاقمها من ٣ افراد . وقد انتجت عام ١٩٥٥ .

وتتميز الدبابات المذكورة عموما بسرعة المناورة وبعد مدى عملها بدون تزود جديد بالوقود وتحملها للعمل والقتال فترة طويلة نسبيا دون الحاجة لصيانة كما ان تصميم الانواع الثلاثة الاولى (ت ٦٢ ، ٥٥ ، ٥٤) يتميز بانخفاض ارتفاع جسم الدبابة (٢٤٠ سم في ت ٥٥ و ٥٤) ، (٢٨٨ سم في ت ٦٢) الامر الذي يصعب نسبيا عملية اصابتها من مسافات بعيدة في الارض المنبسطة ، كما تتميز هذه الانواع الثلاثة أيضا (وت ٣٤ الى حد ما) بمتانة دروعها بسبب ميلها الشديد وانسيابيتها وطريقة صبها من الناحية التقنية ، الامر الذي يعوض نسبيا قلة سمك دروعها بالقياس للانواع الغربية الاثقل وزنا مثل السنتوريون والباتون . وتتألف الكتلة الرئيسية من الدبابات العربية من نوعي ت ٥٤ ، ٥٥ التي يقول تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني انه يوجد منها لدى مصر نحو ١٥٠٠ دبابة منهما ولدى سوريا نحو ١٠٠ دبابة منهما ايضا .

ويقول ايضا انه يوجد لدى مصر نحو ٤٠٠ دبابة « ت ٣٤ » ولدى سوريا نحو ٢٥٠ دبابة منها ، وهذا فضلا عن اعداد اخرى غير معروفة على وجه الدقة من دبابات ٦٢ لدى كل من مصر وسوريا . كما يقال ان لدى مصر نحو ١٠٠ دبابة ب ت ٧٦ البرمائية ولدى سوريا عدد قليل منها . وبالاضافة الى ذلك فانه يقال ايضا ان لدى مصر نحو ٥٠ دبابة ج س ــ ٣ ولدى سوريا نحو ٣٠ اخرى من النوع نفسه ، (وهي دبابات ثقيلة سوفييتية الصنع انتجت في عام ١٩٤٥ وتزن الواحدة منها نحو ٤٦ طنا وتبلغ قوة محركها الديزل ٥١٩ حصان وتصل سرعتها القصوى على الطرق نحو ٣٧ كلم / ساعة ويصل مدى عملها على الطرق الى ٢٠٨ كلم ويبلغ سمك درع جسمها الامامي الى ١٢٠ مم وسمك درع برجها الى ٢٣٠ مم ، وهي مسلحة بمدفع عيار ١٢٢ مم ورشاشان ٧٫٦٢ مم واخر م/ط ١٢٫٧ ويتألف طاقمها من ٤ افراد) .

كما يوجد لدى مصر نحو ١٥٠ مدفع مضاد للدبابات ذاتي الحركة مدرع من نوع « س يو ١٠٠ » ولدى سوريا نحو ٥٠ مدفعا من النوع نفسه (وفقا لتقديرات عام ١٩٧٢) وهو قانص دبابات سوفييتي الصنع يتألف من مدفع عيار ١٠٠ مم مضاد للدبابات مركب على شاسيه دبابة ت ٣٤ ويزن نحو ٣٠ طنا وتبلغ سرعته القصوى على الطرق نحو ٥٠ كلم / ساعة ويصل مدى عمله الى ٢٨٠ كلم وهو يعمل في مصاحبة الدبابات كمدمر للدبابات المعادية او مدفع اقتحام للمواقع الدفاعية ويمكن استخدامه ايضا كمدفع ميدان ذاتي الحركة معاون للدبابات او المشاة الميكانيكية .

تلك هي اهم خصائص المدرعات العربية الموجودة لدى القوات المصرية والسورية والعراقية والجزائرية كما توجد انواع منها ايضا لدى ليبيا والسودان والمغرب . وتنتظم معظم الدبابات المصرية والسورية ضمن تشكيلات فرق مدرعة اساسا وبعض الالوية او الافواج المدرعة المستقلة التي قد تلحق بفرق المشاة الميكانيكية او للعمل كاحتياطي عملياتي .

أما المدرعات الاسرائيلية فتضم خليطا من انواع مختلفة من الدبابات الامريكية والبريطانية والفرنسية تؤلف في مجموعها عددا يصل في تقديرنا الى نحو ٢٠٠٠ دبابة .

وفيما يلي أبرز الخصائص الفنية لانواع الدبابات الاسرائيلية المستخدمة :

الدبابة م ٦٠ أ : دبابة متوسطة امريكية الصنع تزن نحو ٤٨ طنا وتبلغ قوة محركها الديزل ٧٥٠ حصان وتصل سرعتها القصوى على الطرق ٤٨ كلم / ساعة ويصل مدى عملها الاقصى في هذه الحالة الى ٥٠٠ كلم ويتألف طاقمها من ٤ افراد وهي مسلحة بمدفع عيار ١٠٥ مم بريطاني التصميم امريكي الانتاج ورشاش ٧٫٦٢ مم وهي مجهزة بوسائل القتال الليلي ودقة تصويب المدفع فوق مختلف انواع الاراضي واثناء السير ويبلغ ارتفاع الدبابة ٣٢٦ سم . وقد زودت الولايات المتحدة اسرائيل بعدد من هذه الدبابات ولكنها لا تؤلف الكتلة الاساسية من المدرعات التي تتألف أساسا من دبابات سنتوريون وباتون .

سنتوريون مارك ٧٫٥ : وهي دبابة متوسطة بريطانية الطراز تزن ٥٠ طنا كانت انواعها الاولى مجهزة بمدفع عيار ٨٣٫٤ ذي القذيفة ٢٠ رطلا ثم اصبحت انواعها الاحدث مجهزة بمدفع اقوى من عيار ١٠٥ مم ، وقد وحد الاسرائيليون تسليح جميع دباباتهم من هذا الطراز بمدافع عيار ١٠٥ مم . وهي مزودة ايضا بجهاز يؤمن استقرار المدفع أثناء الرمي مهما كانت وعورة الارض . وتبلغ اقصى سرعة لها على الطرق ٣٤ كلم / ساعة . ويصل مدى عملها الى ١٨٥ كلم تقريبا .

باتون م ٤٨ أ ٢ ، م ٤٨ أ ٣ : وهي دبابة متوسطة امريكية الطراز تزن نحو ٤٥ طنا مزودة أصلا بمدفع عيار ٩٠ مم ذي سرعة قذيفة عالية (وهذا يوفر للقذيفة قدرة اكبر على اختراق الدروع من مسافات بعيدة نسبيا وهي في حالة الباتون تقدر بنحو ٢٠٠٠ متر) وقد زودت وفقا لتقارير من المانيا الغربية التي أمدت اسرائيل بها ، بجهاز بصري جديد لتحديد المدى يتيح لها اطلاق قذائف المدفع الثقيلة مباشرة على الهدف دون ان تضطر الى اطلاق الرصاص الخطاط المحدد للمدى اولا . وتبلغ اقصى سرعة لهذا النوع من الدبابات نحو ٥١ كلم / ساعة على الطرق ، وهي مزودة بمنظار للاشعة تحت الحمراء .

شيرمان م ـ ٤ ماركات (٥٠ ، وسوبر شيرمان، و ٥١): وهي دبابات امريكية متوسطة من مخلفات الحرب العالمية الثانية تزن حوالي ٣٠ طنا ، وكان بعضها مزودا بمدافع عيار ٧٦ مم والبعض بمدافع ٩٠ مم والبعض الاخير زود بمدفع ١٠٥ مم وهي بشكل ما معادلة للدبابة السوفييتية الطراز « ت ٣٤ » ، ولكن هيكلها وبرجها لم يكن تصميمهما جيدا مثل الـ « ت ٣٤ » . وذلك بحكم ارتفاعه وعدم انسيابيته كما في الـ « ت ٣٤ ». وقد زودت هذه الدبابات بمحركات جديدة اقوى من التي كانت بها أصلا ، كما ركبت لها سلاسل اعرض لتكون اكثر قدرة على السير في الرمال مثل « ت ٣٤ » . وتصل اقصى سرعة لها الى نحو ٤٠ كلم / ساعة ، ومدى عملها قصير نسبيا لا يزيد عن ١٣٠ كلم وربما أقل من ذلك .

أم اكس ١٣ : وهي دبابة خفيفة فرنسية الطراز تزن نحو ١٥ طنا مسلحة بمدفع عيار ٧٥ مم ، وتبلغ اقصى سرعة لها ٦٠ كلم / ساعة ويصل مدى عملها لنحو ٣٢٠ كلم . وهي تستخدم اساسا في الاستطلاع او العمليات التي تتطلب مطاردة سريعة نظرا لسرعتها وقدرتها على المناورة ، وذلك بحكم ان تدريعها خفيف للغاية حتى ان باطنها لا يحتمل انفجار لغم تحته ولذلك يكون سائقها معرضا بشدة لخطر الالغام .

وتوضح لنا هذه البيانات المقارنة للخصائص الفنية للدبابات الموجودة لدى الطرفين

ان الدبابات العربية متفوقة في الجملة على الدبابات الاسرائيلية سواء من حيث حداثة الطراز بالنسبة لغالبيتها (وخاصة الدبابات الموزعة على الالوية المدرعة لانها كلها « ت ٥٤ » و « ت ٥٥ ») او من حيث القدرة على المناورة ، او من حيث جودة وكفاءة تصميم الهيكل وطريقة تصفيح الدروع بغض النظر عن السمك (وهو الامر الذي تتفوق فيه « السنتوريون » و« الباتون » على « ت ٥٤ » و « ت ٥٥ ») او من حيث بعد المدى . كما أنها تتعادل معها في قوة النيران والمدى المؤثر للاصابة وذلك بالنسبة للقوة الاساسية للدبابات الاسرائيلية « السنتوريون » و« الباتون » وتفوق الانواع الاخرى . هذا كما ثبت ان « ت ٥٤ » تفوق « الباتون » في عدد من النواحي الامر الذي اضطر امريكا الى انتاج الدبابة الجديدة « م ٦٠ » التي أخذت تزود بها اسرائيل . اما «ت٣٤» فهي ذات كفاءة أفضل من « السوبر شيرمان » واستطاعت ان تدمر عددا من « السنتوريون » و « الباتون » في حرب ١٩٦٧ .

وليست الدبابة « أم اكس ١٣ » اكثر من مركبة استطلاع مدرع سريعة الحركة . هذا كله من حيث مقارنة نوعية السلاح المدرع لدى الطرفين ، اما من حيث اجمالي عدد المدرعات او الدبابات المتوفر لدى كل طرف ، فلدى اسرائيل ٢٠٠٠ دبابة ولدى جيوش مصر وسوريا معا نحو ٣٠٠٠ دبابة ، فاذا اضفنا اليها مئات الدبابات العراقية والمغربية المشتبكة فعلا بالقتال . ومئات الدبابات الجزائرية والليبية والاردنية التي يحتمل اشتراكها* تكونت لدينا صورة واضحة عن حجم القبضة الفولاذية التي تسدد ضرباتها الساحقة لجيش العدو كل يوم وعلى جميع الجبهات وفي ظل ميزان قوى جوية يسمح لها بالحركة بفاعلية وكفاءة .

(٤) القوات العربية الخاصة ودورها في الحرب

جاء في تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني عن عام ١٩٧٢ — ١٩٧٣ بصدد تقديره لقوة الجيش المصري (وهي تقديرات يجب عدم الاخذ بحرفيتها) ان قواته تضم ٢٨ كتيبة مغاوير (او « صاعقة » كما يطلق عليها في اللغة العسكرية المصرية) كما تضم لواءين من المظليين ، ومن المعروف ايضا ان لدى البحرية المصرية وحدات خاصة من الصاعقة البحرية او رجال الضفادع البشرية .

ويقول التقرير المذكور ايضا ان لدى الجيش السوري ٥ كتائب مغاوير وكتيبة مظليين . هذا وقد تطور حجم ونوعية القوات الخاصة المصرية عقب هزيمة ١٩٦٧ وخلال مرحلة حرب الاستنزاف عامي ١٩٦٩، ١٩٧٠ نظرا للدور الطليعي الذي لعبته خلال هذه الحرب بالتعاون مع سلاح المدفعية والدفاع الجوي الارضي في عمليات ومعارك هذه الحروب الهجومية المحدودة .

فقد قامت وحدات المغاوير (الصاعقة) بعديد من عمليات العبور الجزئية لقناة السويس تضمنت أعمال دوريات في العمق التكتيكي للعدو وكمائن لالياته ودورياته واقتحام مواقعه الحصينة ، وكانت اهمها واكثرها اثارة وخطورة بالنسبة للعدو الاسرائيلي وقتئذ عملية الاقتحام للموقع الاسرائيلي المحصن في الشريط المواجه لبور توفيق قرب مدينة السويس جنوب القناة التي جرت يوم ١٢ يوليو عام ١٩٦٩ حين عبرت قوة من المغاوير القناة حوالي الساعة السابعة مساء تحت حماية المدفعية التي كانت تقصف الموقع المحصن الاسرائيلي بعنف ثم تسللت الضفة الشرقية وهاجمت الموقع

* راجع عدد الدبابات التي يمكن اشتراكها في القتال في **ملحق النشرة العسكرية الخاصة** رقم ٧ الصادرة عن مركز الابحاث الفلسطينية في ١٤/١٠/١٩٧٣ .

ودمرت ٥ دبابات كانت رابضة فيه وقتلت وجرحت نحو ٤٠ جنديا وأسرت واحدا اخر ثم عادت الى الضفة الغربية . وقد اهتزت القيادة الاسرائيلية وقتئذ كثيرا من هـذه العملية واعتبرتها سابقة خطيرة يجب ردع المصريين عن محاولة تكرارها نظرا لفداحة الخسائر التي نتجت عنها ولخطورة مغزاها التكتيكي ، ولذلك بدأت بعد ذلك تصعيد الردع الذى كانت تمارسه على الجبهة حينئذ عن طريق بدء استخدام الطيران في قصف بعض المواقع المصرية في بور سعيد يوم ٢٠ يوليو ١٩٦٩ . ومما يذكر ان هذا الموقع الحصين هو الموقع الذي استسلم مؤخرا للقوات المصرية بعد أن حوصرت حاميته عدة أيام عقب اقتحام القناة يوم ٦ تشرين الاول (اكتوبر) الحالي .

كما قامت وحدات من المظليين المحمولين بطائرات الهليكوبتر يوم ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ قبيل الفجر بالنزول الى منطقة قريبة من مركز اداري وقيادي للعدو في «مصفق» الواقعة على بعد ٨٥ كلم من قناة السويس على المحور الشمالي لسيناء ثم قصفته بصواريخ كاتيوشا بشدة وعادت الى قاعدتها . وتكررت هذه العملية في منطقة «رأس مطارمة ــ رأس ملعب» على الساحل الشرقي لخليج السويس بالاشتراك مع وحدة اخرى من الكوماندوس المنقولين بحرا . هذا وقامت وحدات خاصة اخرى من الضفادع البشرية المصرية خلال المرحلة نفسها بمهاجمة ميناء ايلات ثلاث مرات . الاولى في ٨ نوفمبر ١٩٦٩ والثانية في ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ والثالثة في ٩ شباط (فبراير) ١٩٧٠ ونجحت في اغراق سفينة تموين ساحلية واعطاب سفينة انزال واعطاب سفينتي نقل اخريتين فضلا عن اصابة منشآت الميناء باضرار مختلفة ، واعترفت الصحف الاسرائيلية وقتئذ بمعظم هذه الخسائر . وقد نقلت وحدات الضفادع البشرية الى مقربة من هدفها بواسطة طائرة هليكوبتر ونجحت في العودة سالمة الى قواعدها في جميـع المرات . واستنادا الى الخبرات العملية الهامة المكتسبة خلال حرب الاستنزاف جرى تدريب وتطوير الوحدات الخاصة المصرية وتركز الاهتمام ايضا على وحدات المظليين الذين اصبح طابع تدريبهم واعدادهم الرئيسي يعتمد على نقلهم بطائرات الهليكوبتر التي زاد حجمها ونوعيتها زيادة طردية مع زيادة اهتمام القيادة المصرية بهذه القوات ، خاصة في ظل تولي الفريق سعد الدين الشاذلي رئاسـة الاركان بحكم انه كان اصلا ضابطا مظليا ويدرك اهمية تطوير واستخدام هذه القوات والوحدات الخاصة عامة . وتقدر مصادر معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني عدد طائرات الهليكوبتر المصرية بنحو ١٨٠ طائرة من انواع مي ــ ٢ ، مي ــ ٤ ، مي ــ ٦ ، مي ــ ٨ السوفييتية الصنع ، وهي قوة نقل جوي عمودي تكفي لنقل لواء كامل من المظليين (نحو ٢٠٠٠ جندي) دفعة واحدة على الارجح خاصة اذا ما عرفنا ان طائرة « مي ــ ٦ » تستطيع نقل ٦٥ جنديا بأسلحتهم وان « مي ــ ٨ » تستطيع نقل ٢٨ جنديا بسلاحهم وهما النوعـان اللذان يمثلان النسبة الرئيسية من مجموعة طائرات الهليكوبتر المصرية . وهذا يفسر انا الدور الفعال الذي قامت به هذه الوحدات في عملية « الشرارة » اي عملية اقتحام خط القناة و« خط بارليف » اذ انزلت خلف المواقع الحصينة وهاجمتها من الخلف وخلقت الاضطراب في مؤخرتها التكتيكية بل والعملياتية ايضا حيث تعرضت بالكمائـن لقوافل او آليات ومدرعات العدو المتجهة اثناء الليل الى الجبهة على المحاور الثلاثة الرئيسية في سيناء . كما هاجمت ايضا منطقة آبار البترول في « رأس سدر » على الشاطىء الشرقي لخليج السويس وأحدثت بها اضرارا وحرائق ، وترددت انباء عـن عمليات كوماندوس مصرية في منطقة شرم الشيخ ، واعلن عن قيام وحدة مـن الكوماندوس بمهاجمة موقع معادي على المحور الساحلي في شمال سيناء يوم ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) واقتحامها اياه من اكثر من اتجاه وعودة القوة الى قاعدتها سالمة بعد الحاقها خسائر للعدو في الافراد والمعدات . كما انه من المعروف ان قوات اخرى مـن هذه

الوحدات الخاصة تعمل حتى الان وراء الخطوط الاسرائيلية في سيناء وفقا لمصادر العدو نفسها التي قالت ان هذه الوحدات قد انزلت على امتداد جبهة سيناء وانـــه يصعب القضاء عليها لكثرة المخابىء الطبيعية في المنطقة .

وتوضح لنا العمليات الحربية التي استخدمت فيها هذه الوحدات الخاصة العربية ان القيادة العسكرية المصرية استخدمتها في اقتحام بعض المواقع الحصينة في « خط بارليف » سواء بعبور القناة نفسها او بالنزول وراءها نظرا لارتفاع قدراتها وكفايتها الفنية في ممارسة هذا النوع من العمليات القتالية ، واستخدمتها أيضا في عمليـــات بالعمق العملياتي ضد طرق المواصلات ووسائل الامداد والتموين والمراكـــز الادارية والاهداف العسكرية الاخرى الهامة في مؤخرة العدو بهدف ارباك قيادته وتشتيت جهده وانزال بعض الاضرار المادية بقواته فضلا عن استطلاع هذه المؤخرة في المناطق او الاوقات التي لا يستطيع الاستطلاع الجوي القيام بنشاط فعال فيها .

ومن المعلوم ان القوات الخاصة المصرية تضم فرعا جديدا نسبيا للاستطلاع بعيد المدى يتلقى افراده تدريبا شاقا وخاصا يمكنهم من العمل فرادى او جماعات محدودة في مهام استطلاعية وراء خطوط العدو بمسافة كبيرة ولفترة طويلة . وما زالت الكتلـــة الرئيسية من وحدات المظليين المصريين لم تستخدم بعد حتى الان في عمليات كبـــيرة (وكذلك الوحدات المماثلة لدى الجانب الاسرائيلي الذي يقال ان لديه ٥ ــ ٦ ألوية من المظليين وقدرة نقل لواء منها دفعة واحدة بطائرات النقل لاسقاطه بالمظلات ولواء آخر يمكن نقله بطائرات الهليكوبتر) . ولكن امكانات المعركة المقبلة في سيناء التي ستبرز مع تطور الهجوم المصري داخل سيناء ترجح استخدام هذه القوات في عمليات كبيرة في ظل درجة كافية من السيطرة الجوية المصرية وضعف فاعلية طيران العدو خاصة بالنسبة للنقط الدفاعية الاسرائيلية المتفرقة المتباعدة عن بعضها البعض على طول الشاطىء الشرقي لخليج السويس وفي شرم الشيخ ورأس محمد بأقصى جنوب شبه جزيرة سيناء، وربما أيضا في المدخل الشرقي لممر متلا عند جبل الحيطان حيث يمكن بذلك تطويق القوات المعادية المستحكمة داخل تلال وكهوف وجبال منطقة ممر متلا البالغ طولها بين « ممر الحيطان » شرقا و« ممر متلا » غربا نحو ٢٠ كلم متى توفرت ظروف ملائمة من الناحية الجوية وامكانات تقدم سريع للمدرعات المصرية من طرق اقتراب غير مباشرة بالنسبة للقوات المعادية في الممر .

* وفي الجبهة السورية نشطت ايضا القوات الخاصة العربية وقامت بتنفيذ عدد من المهام القتالية الهامة للغاية ، فقد قامت قوة من المغاوير السوريين المحمولين بطائرات الهليكوبتر باقتحام موقع محصن به محطة رادار كبيرة في جبل الشيخ يعرف بالمرصد واستولت عليه بعد قصف تمهيدي له بالطائرات (وهي عملية تشبه مـــن الناحيـــة التكتيكية عملية اقتحام المظليين الالمان المحمولين بطائرات شراعية لقلعة « ايبن ايمايل » البلجيكية الواقعة على قناة البرت عند الحدود البلجيكية مع لوكسمبورغ في مطلع الحرب العالمية الثانية يوم ١٠ مايو ١٩٤٠) .

وقامت أيضا كتائب قوات حطين من جيش التحرير الفلسطيني بتنفيذ بعض هـــذه المهام الخاصة ، فالكتيبة ٤١١ انزل افرادها وراء خطوط العدو في الجولان واحتلت سرية منها موقع تل الفرس بعد أن هبط افرادها بواسطة طائرات الهليكوبتر مباشرة فوق مواقع العدو واستشهد من رجالها ١٢ مقاتلا وجرح ١٠ ولا تزال السريتان الاخريتان من الكتيبة المذكورة تعملان حتى الان وراء خطوط العدو تمهيدا لعمليات تقوم بها القـــوات السورية النظامية .

والكتيبة ٤١٢ قامت بنقل سراياها بطائرات الهليكوبتر ايضا واحتل افرادها مواقع

تل عكاشه وتل العباس وتل ابو الذهب ، وتكبدت خسائر كبيرة في الارواح نتيجة دقة وخطورة المهام المكلفة بتنفيذها والتي نجحت فعلا في القيام بها .

وكذلك احتلت الكتيبة ٤١٣ مهامها فاحتلت قرى خسفين والعال في القطاع الجنوبي من الجولان ، ومما يذكر ان هذه القرى كانت قـــوات المظليين الاسرائيليين المحمولين بالهليكوبتر قد احتلتها يوم ١٠ حزيران عام ١٩٦٧ دون قتال نظرا لانسحاب القـــوات السورية منها طبقا لامر عام بالانسحاب واعتبرت عملية الاستيلاء عليها من قبل اجهزة الدعاية الصهيونية عملا تكتيكيا هاما في تاريخ المظليين الاسرائيليين .

- وتتلقى الوحدات الخاصة من مغاوير او مظليين او صاعقة بحرية تدريبات شاقـــة للغاية تستهدف رفع مستوى اللياقة البدنية لافرادها المنتقين بعناية (وغالبا عن طريق التطوع) حتى يتحملون مشاق المهام التي سيقومون بها ، منها مثلا التدرب على الجري يوميا مسافة لا تقل عن ١٠ كيلومترات والسير بكامل تجهيزات الميدان مسافات كبيرة تصل أحيانا لنحو ١٢٠ كلم دفعة واحدة ، والقيام بتدريبات شاقة في تخطي مواقـــع مختلفة ، خلال زمن قصير وبسرعة . كما تتضمن تدريبا راقيا على استخدام مختلـــف انواع الاسلحة الصغيرة من بنادق ورشاشات وقواذف مضادة للدروع وهاونات وقنابل يدوية والغام وعبوات ناسفة ، فضلا عن الهبوط بالمظلات سواء بالنسبـــة للمظليين المنقولين بطائرات النقل او بالهليكوبترات او بالنسبة للمغاوير او الضفادع البشرية . ويزداد عنف وتنوع التدريب بالنسبة لوحدات الصاعقة البحرية (الضفادع البشرية) ووحدات الاستطلاع بعيد المدى الذين ينتقون بعناية خاصة وعلى اساس التطـــوع بالكامل ويكلفون بمهام صعبة للغاية . كما يدرب جنود الوحدات الخاصة من المغاوير او المظليين على القتال كمشاة آلية وبالتعاون مع المدرعات والطيران والمدفعية خاصة وان وحدات المظليين اصبح الان من الممكن لها ان تستخدم المصفحات والمدافع ذاتية الحركة المنقولة جوا سواء بواسطة طائرات النقل التي يمكنها ان تلقي هذا العتـــاد الثقيل بواسطة أنواع خاصة من المظلات المجهزة بصواريخ تقليل سرعة الاصطدام بالارض عند اقترابها منها او بطائرات الهليكوبتر الضخمة مثل « مي ـــ ٦ » . وعموما فان حجم ونوعية القوات الخاصة العربية يسمح لها أن تلعب دورا كبيرا فعال الاثر في المراحل الاكثر تطورا المتوقعة على الجبهتين المصرية والسورية .

النفط العربي في خدمة المعركة

الدكتور طارق يوسف اسماعيل

الذين يلمون بالسياسة الدولية يعلمون ان أهم مقومات العلاقات الدولية هو ما يطلق عليه بالمصلحة القومية وهي المؤثر الاول في السياسة الخارجية لاي دولة ، فهي التي تقرر اتجاه العلاقات الدولية لاي امة مهما عظم شانها او قلت اهميتها . فالمصلحة القومية اذن هي المحور الرئيسي لسياسة اي دولة لانها منبع حاجة ذلك الشعب وهي التي تعبر عن حاجاته وتطلعاته وآماله ، وبالطبع عن ارائه في الحياة وفلسفته في الوجود . ولهذا فان المصلحة القومية يمكن ان تعتبر العامل الاول في تكوين وتطوير وادارة السياسة الخارجية لكل أمة .

ويعرف دارسو العلاقات الدولية المصلحة القومية بانها كل ما يتعلق بصيانة استقلال الدولة وأمنها ، وتأمين استمرار سيادتها والحفاظ على رضاء مواطنيها . ويميز علماء السياسة بين شكلين من اشكال المصلحة القومية ، الاول ما يسمى بالمصلحة الحيوية والثاني بما يدعى بالمصلحة الثانوية والفرق بينهما في النوعية والاهمية فقط ، فالامم عادة تجند كل امكاناتها ، وفي معظم الاحيان تخاطر بكل ما لديها من اجل الدفاع عن مصلحتها الحيوية ، اذ ان المصلحة الحيوية تعني امورا مهمة تتعلق بكيان الدولة كالدفاع عن الدولة وسيادتها ومعتقداتها وما تعتبره اساسيا لبقائها، بينما المصلحة الثانوية تتضمن امورا لا يعني عدم وجودها انتقاصا من الاستقلال ولكنها تدعم السيادة وتؤمن تحقيق امال مواطنيها واطماحهم . فبالامكان تحويل المصلحة الثانوية الى مصلحة حيوية والعكس بالعكس . وتتغير تلك المصالح من مكان الى مكان ومن زمان الى اخر . فما هو حيوي لدولة اليوم قد لا يكون مهما غدا وربما لم تكن له اهمية بالامس . وما هو حيوي لدولة ما قد لا يكون الا ثانويا لاخرى او عديم الاهمية لثالثة او قد يكون مهما لعدد من الدول .

فالنفط العربي لم يكن مهما للدول الغربية ثم اصبح جزءا من مصلحتها الثانوية خلال الخمسينات . وكان بيع النفط واثمانه مصلحة حيوية بالنسبة للدول العربية المنتجة للنفط اذ بدونه لا يمكن ان تواجه متطلبات شعوبها وحتى لا يمكن لها ان تعيش بدون اثمانه .

وبهذا كانت حياة الدول المنتجة للنفط بيد الدول المستهلكة وجاءت السبعينات واحدثت ثورة في هذه العلاقة . فالدول المنتجة الان لديها من الفائض النقدي ما يمكنها من العيش باقل من ربع واردات نفطها وفي حالة السعودية بدونه وكذلك الكويت هذا مع العلم بان الدول المستهلكة للنفط تحتاج الى ضعف ما ينتج الان ليفي باحتياجاتها . وازمة الطاقة التي تمر بها الدول الصناعية وعلى رأسها الولايات المتحدة ودول اوروبا الغربية تجعل تأمين ضخ النفط اليها حاجة ماسة ومصلحة قومية . في ضوء ما تقدم يمكن للعرب استعمال هذه القوة التي لديهم الان اما لتحييد تلك الدول في النزاع العربي الاسرائيلي او الضغط عليها بتغيير سياساتها لصالح العرب . واقل ما يمكن ان يحدث هو عدم زيادة الانتاج للوفاء باحتياجات تلك الدول . وفي بعض الحالات فان المصلحة القومية الحيوية لبلادنا تقتضي عدم زيادة الانتاج حاليا لان مستقبل بعض الدول المنتجة سوف يكون مظلما اذا ما نضب لديها النفط ، والتوقعات لذلك ليست بعيدة عن بداية القرن القادم .

في الصفحات التالية سنحاول بيان اهمية النفط العربي في الاقتصاد العالمي واثر ذلك في السيطرة النقدية وسنقدم بعض المقترحات عن كيفية استعمال هذا السلاح لاغراضنا القومية .

أهمية نفط العالم العربي

كانت الولايات المتحدة الاميركية حتى عام ١٩٦٦ تحتل المرتبة الاولى في انتاج النفط في العالم ولكنها نزلت الى المرتبة الثانية لان الشرق الاوسط احتل مركز الصدارة الدولية اذ بلغ انتاجه ذلك العام ٤٧١ مليون طن بينما بلغ انتاج الولايات المتحدة ٤٦٢ مليون طن واحتلت المرتبة الثالثة في العالم الكتلة الشيوعية اذ انتجت نحو ٢٩٠ مليون طن في ذلك العام .

واستمر انتاج الشرق الاوسط وجميعه نفط عربي(١) — ما عدا ايران — بالزيادة . وفي عام ١٩٧٣ ينتج العالم العربي وايران ٤٣٪ من نفط العالم غير الشيوعي وتحتوي طبقات ارضه ثلثي الاحتياطي المثبوت ، فالاحتياطي المعروف من النفط في العالم هو ٦٧٠ بليون برميل موزع على النحو التالي: المملكة العربية السعودية ١٣٨ر٠٠٠ر٠٠٠ ، ايران ٦٥ر٠٠٠ر٠٠٠ ، الكويت ٦٤ر٩٠٠ر٠٠٠ ، الجزائر ٤٧ر٠٠٠ر٠٠٠ ، ليبيا ٣٠ر٤٠٠ر٠٠٠ ، العراق ٢٩ر٠٠٠ر٠٠٠ ، باقي البلدان العربية ٥٨ر٤٠ر٠٠٠ .

ويتوقع العديد من المعنيين بشؤون النفط ان تزداد اهمية الشرق الاوسط البترولية في العقد المقبل . ولنأخذ مثلا الزيادة التي يتوقع ان تطرأ على انتاج بلد واحد فقط من الشرق العربي لنرى درجة هذه الزيادة . ففي عام ١٩٧٢ انتجت المملكة العربية السعودية ٥ر٢ بليون برميل يوميا ويتوقع ان يتضاعف انتاجها عام ١٩٨٠ . وتثبت الاحصائيات المتوفرة لدينا هذا الاتجاه ان لم تتجاوزه ، ففي اوائل ايلول ١٩٧٣ اعلنت وزارة المعادن الفنزويلية احصائيات تثبت أن المعدل اليومي لانتاج النفط ارتفع بنحو ١٠٪ عن معدل العام الماضي وذلك خلال الاشهر الخمسة الاولى من السنة الحالية(٢).

وكميات الانتاج حسب اهميتها كانت كالتالي : (بالبرميل يوميا) المملكة العربية السعودية ٧ر٤٥٢ر٠٠٠ ، ايران ٥ر٨١٨ر٠٠٠ ، فنزويلا ٣ر٣٣٧ر٠٠٠ ، الكويت ٣ر٠٧٢ر٠٠٠ ، قطر ٥٩٥ر٠٠٠ .

وقد أكدت مجلة Middle East Economic Digest أهمية موقع الشرق الاوسط بقولها : ان الشرق الاوسط ، وبضمنه شمال افريقيا ، عزز موقعه كاحد المصادر الرئيسية في انتاج الطاقة في العالم. حيث انتجت دوله في عام ١٩٧٢ ٣ر٤١٪ من الانتاج العالمي للنفط الخام بينما كان انتاجها ٥ر٤٠٪ فقط في السنة السابقة لذلك . كل هذا في الوقت الذي ارتفع معدل انتاج النفط في العالم ٥٪(٣). فهكذا فان معظم دول العالم سوف تجد نفسها بصورة مباشرة او غير مباشرة متأثرة بنفط العالم العربي الذي لا بد ان يكون ضمن نطاق المصالح القومية في اكثر الدول الصناعية بدرجات متفاوتة ، فقد يكون في بعض منها جزءا من المصالح الحيوية ويكون للبعض الاخر جزءا من المصالح الثانوية ، وهنا تكمن قوتنا .

العرب والبترول والنقد الدولي

وكنتيجة لهذا التوسع في الطلب على البترول في الشرق الاوسط ازداد احتياطي النقد للدول المنتجة للنفط في المنطقة . تقول المجلة الاميركية نيوزويك ان احتياطي العربية السعودية من العملة النادرة والذهب سيكون (٣٠) بليون دولار سنة ١٩٨٣ وليبيا لديها الان (٣) ملايين دولار احتياطي(٤). ويقول أحد خبراء النقد السيد هوراس س. بيلي ، نائب الرئيس الاقدم « للمصرف الكيميائي » « ان حكومات الشرق الاوسط سيتراكم في خزاناتها نحو ١٧٥ بليون دولار ، ممثلة ما قد يكون اكبر تراكم مالي لنقود اجنبية في التاريخ » وفي نهاية عام ١٩٧١ بلغ احتياطي الذهب(٥) في الشرق الاوسط عشرة بلايين دولار .

ويعتقد ان هذا الرقم قد ارتفع في العامين التاليين . هذا ويبلغ احتياطي اميركا الان نحو (١٣) بليون دولار ولو حاولنا حساب ما حل باحتياطي اميركا من هبوط وما نتوقع ارتفاعه من احتياطي الشرق الاوسط لخرجنا بنتيجة واحدة وهي ان احتياطي الشرق الاوسط الان مساو لما تملكه اميركا . هذا مع العلم بان التوقعات هي ارتفاع احتياطي العرب كما ذكرنا وانخفاض احتياطي اميركا . وعندما حدثت ازمة الدولار الاميركي في شهر اذار ١٩٧٣ والتي تعتبر اكبر ازمة نقدية واجهها الغرب منذ الثلاثينات عندما تدفقت كميات هائلة من الدولار الى المانيا الغربية تبلغ قيمتها ٢ر٧٠٠ر٠٠٠ دولار نصفها جاءت من الشرق الاوسط كما يدعي احد المسؤولين الالمان، اعترى الغرب الذهول لقوة العرب النقدية ، فقد

اعترف وزراء مال الدول الغربية في اذار ١٩٧٣ لدى اجتماعهم في العاصمة الفرنسية لبحث ايجاد حلول للازمات المتوالية لنظام النقد العالمي ، اعترفوا « بظهور قوة نقدية جديدة هي قوة اموال البترول في شمال افريقيا والشرق الاوسط »(٦). ويقول بعض خبراء المال الاميركان ان عجز ميزان المدفوعات في اميركا نتيجة شراء البترول الخام سيكون نحو (٢١) بليون دولار سنويا ، واوربا (٢٥) بليون واليابان نحو (١٥) بليون . وذلك الدخل سيكون ما يقدر انه نصيب دول الشرق الاوسط المنتجة للبترول ما بين ٣٠ — ٤٠ بليون دولار سنويا . ونصيب السعودية من ذلك قد يكون النصف . وقد أعلن السيد محمود رياض الامين العام للجامعة العربية بان الفائض النقدي(٧) في البلاد العربية عام ١٩٨٠ يتراوح بين ٢٠ — ١٠٠ بليون دولار(٨). اذا كانت هذه التوقعات صحيحة واذا كانت هذه الاستنتاجات واقعية فان في العالم العربي اليوم قوة لا تضاهى ، فان الاقتصاد العالمي اليوم في قلق دائم نتيجة الارتباك المالي الذي حصل نتيجة لازمة النقد الاميركية في بدايتها والتي اصبحت عالمية فماذا كان سبب التدهور هو هذا الجزء القليل من الاحتياطي العربي الذي نزل عفويا الى اسواق التبادل النقدي الاوروبية فكيف ستكون النتائج اذا جاءت محصلة خطة متعمدة ؟

لماذا يحتاج العالم نفطنا ؟

هناك سببان رئيسيان لاقبال العالم على النفط العربي وهما :

١ — احتياجات العالم له ، فالطلب المتزايد وعدم وجود مصادر اخرى للطاقة هما الاساس لهذا التهافت على نفط العالم العربي والشرق الاوسط فالحاجة اذن هي السبب هنا .

٢ — السبب الثاني هو رخص وسهولة استخراج النفط في البلاد العربية(٩).

من يعتمد على نفطنا ويحتاجه ؟

تحدد التايمس اللندنية حاجات الدول الصناعية من البترول حسب الجدول التالي وتورد ايضا(١٠) احتياجات تلك الدول في عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ و ١٩٧٠ للمقارنة فقط وبملايين الاطنان :

اسم البلد	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٨٥
الولايات المتحدة	٧٢٥	٩٥٥	١٤٤٠	٢٤١٧٥	٢٤٦٥٠
السوق الاوروبية المشتركة	٣١٥	٤٣٥	٧٠٠	١٤٠٧٥	١٤٣٤٠
اليابان	٣٠	٧٠	٢٤٠	٤٦٠	٦٣٥
المجموع	١٤٠٧٠	١٤٤٨٠	٢٤٣٨٠	٣٤٧٠٠	٤٤٦٢٥

وتقول التايمس اللندنية ان توازن القوى النفطي في العالم تغير تغيرا مفاجئا وسريعا في ثلاث طرق : ١ — ان المبادرة هي في يد الدول المستهلكة المنتجة وان التوازن الاقتصادي هو لصالحها بدرجة عظيمة . فان الدول المنتجة الان تملك قوة كبيرة . ٢ — تغير الدور الذي تلعبه شركات النفط العالمية في اسواق النفط فقد تغير دورها من محتكرة مسيطرة على جميع العمليات المتعلقة بالنفط الى دور المشتري الذي يتنافس على النفط مع بقية المشترين . ٣ — العلاقة بالسكان الغربيين تغيرت ايضا لانهم اصبحوا مستهلكين عليهم ان يدفعوا اسعارا اكثر . ففي الماضي كانوا يشترون المنتجات النفطية في تلك الدول باسعار ارخص من تلك التي تباع على اهل وشعوب المنتجة للنفط(١١).

ومن يتفحص احتياجات النفط العالمي يجد الصورة كما يلي :

حتى هذا القرن كانت الولايات المتحدة تكتفي اكتفاءا ذاتيا من النفط ولا تستورد الا القليل وقد وضح الان ان حاجات اميركا تفوق انتاجها ويعتقد المختصون انه في عام ١٩٨٠ ، ينبغي على الولايات المتحدة ان تستورد خمس احتياجاتها . وهناك في هذا المضمار ملاحظة مهمة ، وهي ان الولايات المتحدة التي يعيش على ارضها ٦٪ من مجموع سكان العالم فقط تستهلك ٣٠٪ من الطاقة العالمية. وان اليابان واوربا الغربية تعتمدان اعتمادا كليا

على اسواق عالمية اخرى ويزودهما الشرق الاوسط تقليديا باحتياجاتهما النفطية . وقد كانت الدول الاشتراكية حتى الان مكتفية ذاتيا غير ان هناك دلائل تشير الى ان هذه الدول تدخل قريبا اسواق النفط العالمية كمشترية . هذا واذا نظرنا الى الزيادة السنوية للاستهلاك العالمي للطاقة التي تبلغ ٥٠٦٪ وان المنطقة الوحيدة في العالم التي لديها الامكانات في تامين هذه الاحتياجات هي الشرق الاوسط فان ازمة الطاقة هي في الوقت الحاضر هي ازمة سياسية بالدرجة الاولى . ذلك ان الطاقة موجودة ومتوفرة ويمكن ان تفي بحاجة المستهلكين خلال العشرين سنة القادمة ولكن الخوف والهلع هما نتيجة فرض السيادة التي تملكها الشعوب المنتجة للنفط على مواردها النفطية . فسابقا كانت الدول المستهلكة وبالذات احتكارات شركات النفط العالمية ، تسيطر على انتاج النفط وتسويقه فهم وحدهم يقررون مكان انتاج النفط وكميات هذا الانتاج بينما الدول المنتجة لا تتدخل مطلقا . بالاضافة الى كل ذلك فان تلك الاحتكارات هي التي تقرر حتى اسعار النفط ، وبما ان ميزانيات معظم تلك الدول المنتجة للنفط تعتمد اعتمادا كليا على وارداتها النفطية فان تلك الشركات قررت حتى ميزانيات تلك الدول ، وفي معظم الاحيان تدخلت تدخلا مباشرا في شؤونها السياسية الداخلية .

وقد اعترفت وكالة المخابرات الاميركية بدورها بالاشتراك مع شركات النفط في خنق ايران دوليا وتأليب الجيش على حكومة محمد مصدق عام ١٩٥٢ والتي أدت الى سقوط ذلك الحكم . وقد ادى هذا الدور الى فرض ظل من الارهاب على معظم الثورات التقدمية لدى مجابهتها لشركات النفط في بلادها او حتى التعرض لها ، فان مصير مصدق كان انذارا لكل حركة تسعى الى تحدي شركات النفط فالمشكلة اذن الان هي مشكلة سياسية ، فدول الغرب المستهلكة للنفط واحتكارات النفط العالمية فقدت سيطرتها الكاملة على النفط وعلى مصير البلاد المنتجة له . والان وقد زالت هذه السيطرة فالغرب ثائر يهول النتائج المترتبة على ذلك خاصة وان بعض الدول المنتجة للنفط ، وعلى الاخص العربية منها ، تريد ان يكون لها صوت في السياسات التي تؤثر على مستقبلها . فالعالم العربي يسيطر على الاسواق العالمية الان وسيمد سيطرته خلال العقدين القادمين ، بينما ترفض اميركا بالذات هذه الاحتمالات وتريد العودة الى المعادلة القديمة التي تكفل لها التعسف والاستغلال والسيطرة التي تقترب من شكل الاستعمار القديم وتورد مجلة « ميدل ايست ايكونوميك دايجست » « ان احتياجات اميركا من النفط عام ١٩٨٠ ستربو على ١٫٨٠٠ مليون طن سنويا ثلثها يجب ان يأتي من العالم العربي » بالاضافة الى ان الولايات المتحدة ستحتاج الى استيراد ٣٠٠٫٠٠٠ متر مكعب من الغاز سنويا وقد تعاقدت الجزائر مع اميركا لتزويدها بنحو عشر ذلك[١٢] .كما تؤكد احتياجات حلفاء العالم الغربي اهمية الاعتماد على العالم العربي وتقول مجلة نيوزويك الاميركية « اعتمادا على احدث الاحصائيات ، ان اميركا واليابان واوربا ستحتاج (٧١) مليون برميل في اليوم عام ١٩٨٠ بينما تستهلك الان فقط (٣٨) مليون يوميا ، ولكن هذه الدول سوف تنتج (٣٥) مليون برميل يوميا وان هذا النقص يمكن تلافيه من الشرق الاوسط فقط » واستطردت المجلة قائلة « ان المنطقة يمكن ان تستخرج يوميا[١٣] (٦١) مليون برميل في عام ١٩٨٠ . وان اميركا تستورد الان اقل من مليون برميل من النفط يوميا وهو ما يعادل ٣٪ فقط من الاستهلاك العام . ولكن التقديرات تشير بان الاستيراد سيزداد الى ٤٠٪ من احتياجات اميركا »[١٤]. ومن الواضح اذن ان هذه الدول المعتمدة على النفط العربي سوف تكون مضطرة لتأمين استمرار حياتها الطبيعية وبضمنها الصناعية والتي هي الان مصلحة قومية حيوية ولا بد لها ان تعمل كل شيء لضمانها .

النفط كسلاح عربي

كما بينا يحتاج العالم الى النفط العربي لانه لا يمكن للعالم الغربي بصورة خاصة الاستمرار بدونه في ظل التطور الصناعي المتفوق، وليس بامكان ايجاد مصادر اخرى للطاقة فان العشرين السنة القادمة تؤكد على ان في ايدي العرب سلاحا فعلا وهو ايضا يؤثر تأثيرا بالغا على المصالح القومية لدول اميركا واوربا الغربية واليابان فقد آن لهم ان يجعلوه آلة تحقق جزءا من مصالحهم القومية . ان هذا حق شرعي في العلاقات الدولية وبامكانهم استعمال دبلوماسية حاذقة لهذا الخصوص خاصة وانهم لا يحتاجون الى واردات النفط بل العكس لقد تراكمت احتياطيات واسعة في خزائن العالم

العربي وان من الافضل ان يبقى النفط في باطن اراضي العالم العربي وذلك لضمان مستقبل العالم العربي ورخائه الاقتصادي للسنوات المقبلة فان انتاجه بالكميات الهائلة سوف يؤدي الى صرف معظم وارداته .

ان واردات النفط ستكثر في المستقبل اذ ان اسعاره ستزداد يوما بعد يوم .

ولعل ما يخيف الغرب وعلى الاخص الاميركان هو انهم على حد تعبير دافيد فريمان (وهو احد اخصائيي مؤسسة فورد) « اننا — يعني الاميركان — سوف نستورد النفط لا اختيارا وانما بالضرورة » ولهذا يحاول العديد من المهتمين بشؤون النفط(١٥) في اميركا وانكلترا لتسفيه الرأي القائل بعدم احتياج العرب الى الاسواق الغربية رغم كل ما هو واضح من الاحصائيات المحايدة واحسن مثل على ذلك هو موقف الاستاذ ايدلمن (الاستاذ في معهد ماستيوست الفني فهو يصر على ان بالامكان تحدي الدول المنتجة للنفط وبالتالي اجبارها على قبول رغبات الدول المشترية !! ان هذا الرجل بصورة خاصة اخطأ في كل تقديراته(١٦) عن النفط . فثلا في السبعينات قال ان الاحتياجات الاستهلاكية من النفط ستقل كثيرا وبالطبع اثبت الواقع بطلان هذا في كل يوم ، ومع ذلك تنشر له الصحف هذه الاراء السخيفة غير العلمية . ومع كل الحقائق الواضحة الثابتة من ملايين وبلايين الدولارات التي تتراكم في خزانات الدول العربية تقول جريدة الديلي تلغراف البريطانية : « يجب ان لا ينسى المرء ان العرب لا يمكنهم اكل النفط ، ان عليهم بيعه لاجله ، فهناك احتمال بعيد ان تجابه الصناعة البريطانية اي نقص في النفط نتيجة ما يحصل في العالم اليوم »(١٧).

ومن الغريب ان معظم هؤلاء الذين يدعون العلم ويحاولون تطمين الرأي العام الغربي هم من الخبراء اليهود . ترى هل للصهيونية دخل في ذلك . فهناك ملمح بارز في ستراتيجية اسرائيل في التقليل من أهمية البترول العربي ، ففي مؤتمر صحفي عقد في ميامي في ١٦ مارس ١٩٧٣ قال ايبان « ليس هناك اساس من الصحة في الاراء التي تدعي بان الحكومات العربية سوف تقطع النفط عن اميركا لاسباب سياسية ، فانهم لم يفعلوها في الماضي ولن يفعلوها الان . ان الدول المستهلكة للنفط لها خيار في الشراء من مصادر اخرى . وليس للعرب خيار الا في بيع نفطهم لان ليس لهم اي مصادر اخرى — للحياة — قط !! » وبالطبع بادر ممثل الولايات المتحدة في الامم المتحدة قائلا(١٨) بان ليس هناك اي تأثير للنفط ولا لدوله المنتجة على سياسة اميركا الخارجية(١٩).

ان ما يخيف اميركا هو محاولة الدول المنتجة للنفط العربية استعمال هذه القوة التي تدفع ايديهم للضغط على اميركا لتبديل سياستها في المنطقة وجاء في تقرير الشؤون الخارجية والذي نشرته وزارة الخارجية الاميركية في ابريل سنة ١٩٧٣ ما يؤكد ذلك حين قال : « ان علينا ان نحاول خلق علاقات طيبة بيننا وبين الدول المنتجة للنفط ونحاول الحد من التأثيرات الخارجية التي قد تؤثر على ضمان احتياجاتنا من النفط واحتياجات المستهلكين الاخرين ، وان على الدول المنتجة ايضا ان تكون مصلحتها في تطوير صناعة النفط في دولها بسلام وانتظام وان لا تسمح للنفط بان يصبح قضية سياسية بينها وبين الدول المستهلكة »(٢٠) وفي الوقت نفسه بدأت صيحات الاحتجاج على السياسة الاميركية في الشرق الاوسط تعلو حتى في مجلس الشيوخ الاميركي فقد حذر رئيس لجنة الشؤون الخارجية السيناتور وليم فلبرايت الذي يعالج القضايا العربية بطريقة خاصة تنسجم مع مصالح اميركا في المنطقة ، حذر اميركا من مغبة الاستمرار في سياستها الحالية في الشرق الاوسط والتي قد تضطر بعض الدول العربية المنتجة للنفط بان تقطع النفط عن اميركا وسوف يؤدي ذلك حتما الى كارثة في الطاقة باميركا والتي قد تحمل بعض المسؤولين على اتخاذ اجراء عسكري بهذا الخصوص عن طريق « حلفائها اسرائيل وايران » وقد اكد جون سكالي رئيس الوفد(٢١) الاميركي الى الامم المتحدة ان ليس للنفط اي تأثير على سياسة اميركا الخارجية !! رغم ان جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط(٢٢) صرح بان للنفط اثرا في السياسة الاميركية تجاه الشرق الاوسط(٢٣).

مقدمات العمل السياسي

نشطت في الاونة الاخيرة المحاولات التي تقوم بها السعودية لتذكير اميركا بالقوة التي تملكها بهذا الخصوص فقد اعلن الملك فيصل للصحفيين في تموز ١٩٧٣ « ان من الصعب على السعودية ان تستمر في علاقاتها الطيبة وتتعاون مع اميركا اذا استمرت

اميركا في سياستها الحالية مع اسرائيل »(٢٤). وكان قد سبقه السيد احمد زكي اليماني وزير النفط السعودي في اعلان الاتجاه نفسه في اذار ١٩٧٣(٢٥). كما أكد هذا الموقف اكثر من مرة وزير الخارجية السعودي السيد عمر السقاف(٢٦). وكان اخر تصريحات الملك فيصل هو ما قاله لمجلة نيوزويك الاميركية « اذا لم تستجب اميركا وتربيا الى احد شروطنا في استمرار زيادة الانتاج ... فعند ذلك سنعيد تقييم الموضوع كما تمليه علينا مصالحنا الخاصة . وفي هذه الحالة ستكون النتيجة الارتفاع في الاسعار وهو ما سيزيد من دخلنا فنضطر الى تقليل الانتاج »(٢٧). وبالطبع اعلن العراق تأييده الكامل لمثل هذه الخطوات ، وكذلك ابدت الكويت الاتجاه(٢٨) نفسه وكذلك أعلنت ابو ظبي(٢٩).

وأهم تلك التطورات هو الموقف الموحد الذي قررت اجتماعات وزراء الخارجية العرب اتخاذه في اثناء مباحثات منظمة الدول المصدرة للنفط(٣٠). وبهذا يمكننا ان نستفيد من الوضع العالمي الحاضر فقد قالت مجلة الايكونوميست البريطانية المعروفة « ان علينا ان نفهم ان تجارة النفط سياسية اكثر من منها عملية اقتصادية »(٣١).

خاتمة :

ان هذه الثروة العظيمة التي بين ايادي العرب وحاجة العالم الماسة اليها يجعلنا لاول مرة نسخر ثرواتنا لخدمة مصلحتنا الحيوية الخاصة فان استمرار التوسع الاسرائيلي يعني انتهاك سيادتنا وبالتالي مصلحتنا الحيوية ، كما ان حاجة اميركا والغرب الماسة لنفط العرب يجعله ضرورة قومية ملحة لهم وتدخل في حساب المشرفين على سياسة الغرب الخارجية .

١ — Tareq Y. Ismael, *Governments and Politics of the Contemporary Middle East* (Homewood, Ill.: Dorsey Press, 1970), p. 19.

٢ — *Daily Star* (Beirut), September 5, 1973. p. 8.

٣ — *Middle East Economic Digest*, January 19, 1973, p. 59.

٤ — *Newsweek*, February 19, 1973, p. 18.

٥ — *International Herald Tribune*, March 21, 1973.

٦ — **الاهرام** ، ١٩٧٣/٣/١٩ .

٧ — *International Herald Tribune*, March 21, 1973.

٨ — Chase Manhattan Bank, Capital Investments by the World Petroleum Industry, November 1961, November 1962, as quoted by George W. Stocking, *Middle East Oil: A Study of Political and Economic Controversy* (Vanderbilt University Press, 1970), p. 424.

٩ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 38, July 13, 1973, p. 11.

١٠ — *London Times*, April 9, 1973.

١١ — *Ibid.*

١٢ — *Middle East Economic Digest*, January 19, 1973, p. 61.

١٣ — *Newsweek*, July 23, 1973.

١٤ — *Ibid.*

١٥ — *Newsweek*, July 23, 1973.

١٦ — *Foreign Affairs*, Winter 1973.

١٧ — *Daily Telegraph* (London), February 15, 1973.

١٨ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 31, May 25, 1973, p. 9.

١٩ — *Ibid.*

٢٠ — *The Daily Star* (Beirut), April 20, 1973.

٢١ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 31, May 25, 1973, p. 9.

٢٢ — *Ibid.*

٢٣ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 2, August 10, 1973.

٢٤ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 38, July 13, 1973.

٢٥ — *Middle East Economic Survey*, April 20, 1973.

٢٦ — *Middle East Economic Survey*, June 1, 1973 and June 8, 1973.

٢٧ — *Newsweek*, September 10, 1973, p. 12.

٢٨ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 35, June 22, 1973.

٢٩ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 45, August 31, 1973.

٣٠ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 44, August 24, 1973.

٣١ — *The Economist* (London), July 7, 1973.

الحرب في صحف الضفة الغربية

الصحيفتان الاسبوعيتان اللتان وصلتا من الضفة الغربية ، واللتان صدرتا يوم ٦ تشرين الاول المجيد ، كانتا تتحدثان عن الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية وعن الامبراطورية الاسرائيلية التي يسعى قادة اسرائيل لتحقيقها على حساب شعوب امتنا العربية . فصحيفة الفجر التي صدرت ووزعت قبل اندلاع المعارك بساعات قليلة، كان العنوان الرئيسي الذي يتصدر صفحتها الاولى : « استمرار الحشود الاسرائيلية على حدود سورية » . أما صحيفة « صوت الجماهير » التي صدر عددها الاول في ١٩٧٣/٩/٢١ ، فقد كان عنوان عددها الثالث الذي صدر ووزع ايضا قبل نشوب المعارك بساعات ، هو : « الف لا للحالمين باقامة امبراطورية اسرائيلية » .

أما بعد اندلاع الحرب ، وبعد ان فتحت صفحة جديدة في تاريخ هذه المنطقة وشعوبها العربية ، فانه كان من الطبيعي ان تتبدل الاهتمامات وان يتقدم بعضها على البعض الاخر . وعليه ، فان من الطبيعي كذلك ان تتبدل اهتمامات الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية وان يتقدم اهتمامها بالحرب ونتائجها المنظورة وغير المنظورة ، عما عداه من الاهتمامات.

اذن كيف كانت الحرب في صحف الضفة الغربية ؟

اولا لا بد ان نسجل في بداية هذا التقرير ملاحظة على غاية كبيرة من الاهمية . وهي أن الصحف ذات الاتجاه الوطني مثل جريدتي «الشعب» و«الفجر» ، اكتفت بابراز اخبار المعارك وسيرها على مختلف الجبهات دون أن تتناولها بالتعليق . وربما منعا لتعرضها للاغلاق او المصادرة ، فانها لم تصدر بافتتاحياتها وتعليقاتها العادية طوال فترة المعارك حتى يوم ١٩٧٣/١٠/١٨ . وقد لاحظ ذلك مراسل جريدة « معاريف » الاسرائيلية في عددها الصادر مساء يوم ٧ تشرين الاول حيث قال : انه قد صدرت صباح أمس — الاحد — صحيفة الشعب اليومية التي تطبع في شرقي القدس — المؤيدة لمصر وللمنظمات الفلسطينية — بدون مقال افتتاحي .

وشيئا اخر لاحظه مراسل صحيفة معاريف « ايدي سومر » ، وهو أن : صحيفة القدس اليومية التي تصدر ايضا في شرق القدس ، والتي تعتبر مؤيدة للديوان الهاشمي ، قد نشرت مقالها الافتتاحي والذي يعبر عن موقف الملك حسين في هذه المرحلة ، حيث يحاول عدم التدخل في الحرب دون الاعلان عن ذلك رسميا .

لقد نشرت هذه الملاحظات جريدة الشعب نفسها الصادرة يوم ١٩٧٣/١٠/٨ ، قائلة : لماذا لم يشر مراسل صحيفة معاريف الى سبب عدم وجود الافتتاحية ، ولماذا لم يتساءل عن سبب ذلك ؟؟ والذي يفهم من اشارة « الشعب » هذه ، ان هناك اوامر من سلطات الاحتلال الاسرائيلي بعدم نشر صحيفة الشعب وغيرها من الصحف ذات الاتجاه الملتزم بالنضال الوطني الفلسطيني ، اية افتتاحيات او تعليقات تتناول طبيعة وسير المعارك الدائرة . ونحن محقون جدا في هذا الاستنتاج ، نظرا لمعرفتنا بزيف وهشاشة «الليبرالية الاسرائيلية» التي تحاول بها سلطات الاحتلال ، اخفاء ملامح وجهها العنصري البشع . لذلك فانه من الطبيعي جدا ، أن الصحف التي طلب اليها عدم نشر افتتاحيات تتعلق بالمعارك وسيرها — كما هو واضح من اشارة « الشعب » السابقة ، ان تمتنع بدورها عن نشر أية تعليقات اخرى يمكن ان تصرف اهتمام جماهيرها عن المسألة الاساسية التي تشغل قلب وعقل سائر شعوب هذه المنطقة.

واذا عدنا للتعرف على كيفية تناول الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية لانباء المعارك وسيرها على مختلف الجبهات ، فان علينا ان نفرق هنا بين تناول كل من صحيفتي الشعب والفجر من

جهة وصحيفة القدس من جهة اخرى ، لسير انباء هذه المعارك . وذلك ليس استنادا الى ملاحظة مراسل جريدة معاريف الاسرائيلية التي أشرنا اليها ، وهي صحيحة جدا ، ولكن استنادا الى قرائتنا لهذه الصحف ومعرفتنا لاتجاهاتها ، خلال الشهور السبعة الماضية*.

صحيفتا الشعب والفجر :

« الشعب » صدرت يوم ٧ تشرين الاول ، اي ثاني يوم المعارك ، تحت عنوان رئيسي يقول : « اندلاع الحرب .. معارك ضارية بين القوات المصرية السورية والاسرائيلية على الجبهتين الشمالية والغربية .. الجيش المصري ينجح في عبور قناة السويس ويرفع العلم على بعض المواقع في الجبهة الشرقية والجيش السوري يخترق خطوط القتال بالمرتفعات ويحتل عددا من المواقع الاسرائيلية ... » . ومما استلفت انتباه « المعلق الدبلوماسي » لجريدة الشعب ان الانباء الصحفية التي وردت من القاهرة ودمشق وبيروت قبل يومين من اندلاع المعارك قد « اعلنت مسبقا عن وجود حشود عسكرية على الجبهتين ، الامر الذي دفع بالقيادة العسكرية الموحدة المصرية والسورية الى اتخاذ اجراءات عسكرية سريعة لمواجهة الموقف المتدهور » وملاحظة اخرى لفتت انتباه المعلق الدبلوماسي للصحيفة ، وهي أن خطاب الرئيس السادات في ذكرى وفاة عبد الناصر « قد جاء خلوا من التطرق الى الموضوعات العسكرية مما أثار حفيظة الاوساط الشعبية واستغراب المحافل السياسية » . وانتقلت الصحيفة بعد اشارتها الى عدد من الملاحظات الاخرى الى وصف وقع انباء المعارك على سكان مدينة القدس بشقيها العربي والاسرائيلي . وندرج فيما يلي النص الحرفي لوصف « الشعب » لصدى المعارك في مدينة القدس كما ورد في عددها الصادر في ١٩٧٣/١٠/٧ ، وذلك للاهمية : «..أما في القدس بشقيها العربي الاسرائيلي لوحظ ان الامور منذ الصباح كانت تجري بصورة غير طبيعية ، اذ ظهرت في السماء طائرة حربية اسرائيلية في نحو السابعة من صباح امس ، وفي الساعة الثانية بعد الظهر سمع صوت صفارات الانذار في القدس بشقيها العربي والاسرائيلي ، وكان مدعاة للفت النظر ، وان كان المواطنون للوهلة الاولى لم يعيروا الموضوع اهتماما زائدا الا ان المواطنين الذين اعتادوا سماع الانباء من صوت العرب والقاهرة ، لاحظوا ان المحطتين استبدلتا برامجهما العادية بالاناشيد الوطنية والقومية والمارشات العسكرية . وسرعان ما انتشرت أنباء المعارك انتشار النار في الهشيم . والتف الناس حول اجهزة الراديو في الحوانيت وعلى جوانب السيارات وحول الباعة المتجولين يستمعون الى انباء المعارك . كما أن محطة الاذاعة الاسرائيلية التي كانت مغلقة بسبب عيد الغفران لدى اليهود ، استأنفت البث باللغات العبرية والعربية والانجليزية والفرنسية ، كما لوحظ ان المصلين اليهود في المبكى اخذوا يغذون الخطى في العودة الى مساكنهم . كما حمل جنود الدوريات في الشوارع العربية اجهزة الراديو واخذوا بدورهم يستمعون الى انباء المعارك في الجبهتين المصرية والاسرائيلية . وحيث ان المواطنين اعتادوا العودة الى منازلهم قبل مدفع الافطار ، لوحظ ان اقبال الناس على المشتريات كان أكثر من العادة بقليل . بيد أن الجنود والمواطنين الاسرائيليين اقبلوا على شراء السجائر بينما ظل راديو اسرائيل في نشراته الاخبارية باللغة العبرية يوجه التعليمات الى الاطباء والموظفين ورجال الشرطة وغيرهم بالتوجه الى مراكز اعمالهم . وعززت الدوريات البوليسية والعسكرية ، بالاضافة الى كل ذلك لوحظ ان الاذاعات العربية والاسرائيلية بدأت في استعمال الشيفرة على موجاتها العاملة . ولكن الامر لم يستمر بالهدوء الذي كان عليه قبل الظهر حيث انقلب في المساء الى شيء واضح من التأزم والاستعداد العسكري على نطاق اوسع عندما بدأت سيارات الشرطة في القدس العربية تدعو الناس بموجب قانون الطوارىء وامر الدفاع الى التعتيم ، الامر الذي اضطر اصحاب المقاهي والحوانيت والحلويات الى الاسراع الى اغلاق محلاتهم ، والتزم الناس بيوتهم بهدوء وتابعوا سماع الانباء من شتى المصادر العربية والاسرائيلية وعواصم الدول الكبرى ... » واخذت صحيفة الشعب في اعدادها الصادرة فيما بعد تبرز الاخبار المحلية ، الى جانب المعارك العسكرية ، المتصلة بالحرب ووقعها على السكان العرب سواء

---

* لمزيد من التفاصيل راجع ملحق المناطق المحتلة في « شؤون فلسطينية » عدد ٢٦ .

في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، وفي الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ . وكان مجرد ايراد «الشعب» لمثل هذه الاخبار المحلية ، ردا واضحا على ما حاولت اجهزة الاعلام الاسرائيلية الايحاء به من اختلاف التكوين النفسي لعرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ عن العرب الذين احتلت ارضهم عام ١٩٦٧. فقد جاء في أحد الانباء التي اوردتها « الشعب » نقلا عن صحيفة « معاريف » الاسرائيلة : ان عددا من الشباب العرب في باقة الغربية وام الفحم الواقعتين في المثلث قد نصبوا (دبكة) في شوارع قريتهم فرحة بالنصر العسكري الذي حققته الجيوش العربية ضد اسرائيل في اليوم الاول . هذا وقد علمت الشرطة بالامر فقامت باعتقال عدد من هؤلاء الشباب للتحقيق في أسباب تصرفهم حسب اقوال الشرطة . وأوردت الصحيفة خبرا اخر يتعلق باوضاع المناطق المحتلة جاء فيه « ان حركة السير المدنية بين القدس وباقي مدن الضفة الغربية المحتلة شبه مجمدة وكذلك حركة المشاة كانت قليلة . وفهم ان معظم السيارات من (دوبل كابنيه والتندر) قد جرى تسليمها للسلطات حسب طلبها » الشعب ١٩٧٣/١٠/٨ .

وقبل أن نستطرد في مجال متابعة الصحف العربية لانباء المعارك ووقعها على السكان الغرب، فانه لا بد من الاشارة الى أن هذه الصحف خاصة « الشعب » ــ قد بدأت بالتعبير أكثر فأكثر عن وجهة نظرها من خلال صياغتها لتلك الاخبار . فمثلا عندما ذكرت ان عدد الاسرى الاسرائيليين خلال اليومين الاولين للقتال بلغ اثنين وسبعين أسيرا، قالت الشعب « ... ومعظم هؤلاء الاسرى قد سلموا أنفسهم وبعضهم بأسلحتهم ومعداتهم مما يدل على يأسهم من استمرار التمسك بالارض التي احتلوها عنوة وفي ثقة من كفاءة القوات المصرية وقدرتها على الحاق هزيمة كبرى بقوات العدو ، وذلك لاصرار قواتنا على تحرير الارض ... » (الشعب ١٩٧٣/١٠/٩) كما اوردت الشعب في نفس عددها السابق ان الصليب الاحمر أبلغ اهالي المساجين العرب في السجون الاسرائيلية بأن الزيارات لابنائهم قد الغيت بسبب الحالة الراهنة . وقالت تحت عنوان اخر ان سلطات الاحتلال استدعت صباح أمس حوالي ١٢ وجيها من وجهاء مدينتي رام الله والبيرة حيث وضعت معظمهم في غرف منفردة من الصباح الى ما قبل الافطار بقليل ، ثم جرى التنبيه عليهم تحسبا من أي « عمل يخل بالامن مع تحميلهم مسؤولية اي عمل يحدث في المنطقة بسبب الاحداث الجارية ». وفي خبر اخر اوردته الشعب في نفس عددها المذكور قالت فيه : « بدت القدس خلال اليومين الماضيين شبه خالية فقد كانت معظم المحلات التجارية مغلقة وانقطعت حركة التنقل بين القدس العربية والقطاع الغربي من المدينة ... اما اخبار قطاع غزة فتكاد تكون مقطوعة تماما حيث انقطع السير بين القطاع واسرائيل والضفة الغربية المحتلة ويعيش القطاع هذه الايام في شبه عزلة تامة . وفي الضفة الغربية ، باستثناء الخليل ونابلس حيث تطغي الحالة التجارية على الاسواق، فان بيت لحم ورام الله وجنين وطوكرم واريحا فتبدو الحركة العادية والتجارية شبه مجمدة . أما في قطاعات الريف بالضفة الغربية فقد توقفت حركة السفر للمدن الا في حالات اضطرارية » (الشعب ١٩٧٣/١٠/٩) .

بقي موضوع العمال العرب الذين يعملون في المصانع والورش الاسرائيلية . فقد عنت وسائل الاعلام الاسرائيلية على هذا الموضوع خصوصا بعد أن وجهت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية نداء لهم بالامتناع عن الذهاب الى اماكن عملهم في المصانع الاسرائيلية . وقد وجدنا في جريدة الشعب الصادرة يوم ١٩٧٣/١٠/١٠ ان العمال العرب قد امتنعوا بالفعل عن الذهاب الى أماكن عملهم الامر الذي أدى الى تعطل اعمال البناء وتجارة الجملة . وفي هذا الخبر ما يؤكد على التفاف العمال وسائر القطاعات الفلسطينية حول الثورة وطرحها لكل الشعارات والنداءات .

وفي يوم ١١ تشرين الاول صدرت الشعب بعناوين متفائلة مثل : « دفة القتال في صالح القوات العربية ... المصريون يتوغلون في سيناء حوالي ٢٥ كيلومترا ، ٦٠٠ ــ ٨٠٠ دبابة وقاعدة صواريخ مصرية عبرت قناة السويس » . كما أبرزت الصحيفة مشاركة القوات العراقية في القتال واخبار قطع عدد من دول العالم لعلاقاتها مع اسرائيل . بالاضافة الى نشرها صورة فوتوغرافية لصاروخ « فروغ » الذي تحدثت اسرائيل عن أن القوات السورية تستعمله في هذه الحرب .

وبعد اسبوع من القتال كانت عناوين «الشعب»

الرئيسية اشد تفاؤلا ، الى جانب ذلك اوردت بعض الاخبار المحلية الهامة مثل اجتماع الوجهاء في رام‌الله والقدس ومثل ارتفاع الاسعار بنابلس وعدم تعامل التجار الا بالدينار . وفي قطاع العمل والعمال قالت الصحيفة « ولاول مرة وجد الناس من يعرض نفسه عليهم للعمل لديهم بأية اجرة كانت مما يدل على أن عدم السفر للعمل في اسرائيل بسبب الحرب كان من حظ رجال الاعمال والبناء العرب الذين كانوا يتوقفون عن اعمالهم بين اونة واخرى بسبب عدم وجود عمال » (الشعب ١٩٧٣/١٠/١٢) .

أما جريدة الفجر الاسبوعية ، أشد صحف الضفة التزاما ووطنية ، فقد صدر عددها الاول بعد الحرب يوم ١٩٧٣/١٠/١٢ يحمل عناوين حمراء صاخبة مثل : « يا عمال العرب دمروا منشآت البترول .. اعنف قتال على الجبهة السورية » . وكانت « الفجر » على غرار جريدة الشعب خالية من اي تعليق او افتتاحية فامتلأت صفحاتها الداخلية بسرد المعارك يوما بيوم .وكانت في سردها لسير المعارك تأخذ وجهة نظر الجانب العربي وعواطفه الوطنية .

ولاول مرة يرد ذكر انباء عمليات قوات الثورة الفلسطينية ، في صحف الضفة الغربية ، كان في عدد جريدة الشعب الصادرة يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ ، حيث نقلت الخبر عن لسان ناطق عسكري اسرائيلي ولكنها صاغته على النحو التالي : « اعترف راديو اسرائيل صباح أمس بتصاعد عمليات المنظمات داخل الارض المحتلة . وقال ان اشتباكا وقع بين قوات اسرائيلية ومجموعة من الفلسطينيين تضم حوالي ٢٠ شخصا مزودين بقذائف صاروخية واسلحة مختلفة . واضاف ان الاشتباك وقع داخل الارض المحتلة قرب الساحل وان أحدا من جنوده لم يصب بأذى » .

وبعد ، فان الذي يشغل المواطن الفلسطيني داخل سجن الاحتلال الكبير ، هو اي الانتصارات ومدى ما تحقق منها على الجبهات المقاتلة . لذلك نجد أن صحيفة الشعب الصادرة يوم ١٠/٥/ ١٩٧٣ تبرز على صفحتها الاولى الانباء المشجعة والمطمئنة عن سير المعارك . فنقلت عن وكالة انباء « الاسوشيتد برس » عن معارك الجبهة السورية « انه لا يظهر ان الاسرائيليين يحرزون اي تقدم في القتال او أنهم كما يقولون يتوجهون الى مناطق قريبة من دمشق » ونقلت عن وكالة الانباء الالمانية « ان القوات العراقية تتولى مهمة اقتحام القطاع الشرقي في الجبهة السورية من الشمال الشرقي لهضبة الجولان ... (وان) الطوابير العراقية تمضي قدما في طريقها » . وكان نشر مثل هذه الانباء على الصفحة الاولى يعني شيئا هاما بالنسبة لعرب الارض المحتلة بعد ان وعد ديان باقتحام دمشق وضرب الجيوش العربية .

صحيفة القدس

انفردت صحيفة القدس دون سواها من الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية خلال الاسبوعين الاولين للحرب ، بنشرها افتتاحية يومية تتعلق بشجون الحرب وشؤونها . وانطلاقا من الخط السياسي المهادن لهذه الصحيفة اليومية ، نشرت افتتاحيتها الاولى بعد نشوب الحرب ، داعية للسلام وتطبيق قرار مجلس الامن الشهير لعام ١٩٦٧ . ورغم ان عناوين صفحتها الاولى والرئيسية كانت تتحدث عن تقدم القوات المصرية والسورية. فقد كتبت تقول : « ... وعليه فان على دعاة السلام الحقيقيين في العالم اذا ارادوا خدمة السلام أن يتداركوا الامر بالقلب المفتوح والعدالة المطلقة ... ان مثل هذه الارادة الخيرة فقط هي التي تكتب للسلام البقاء ولهذه المنطقة التي طالت غيبة السلام عنها الطمأنينة والاستقرار » القدس ١٩٧٣/١٠/٧ .

وعندما دعي مجلس الامن لمناقشة تطورات الازمة بعد نشوب الحرب،بناء على طلب من الولايات المتحدة ، صدرت جريدة القدس تحمل افتتاحية تشرح الاختلاف بين وجهات نظر المجموعات الرئيسية التي يتشكل منها مجلس الامن ، فوصفت المجموعة الاوروبية بانها داعية لحل الازمة عن طريق تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . أما الولايات المتحدة فان موقفها وبالتالي اقتراحاتها سوف تبقى الازمة في جمودها السياسي الذي عاشته منذ سنوات عديدة . وعندما تطرقت « القدس » الى الموقف السوفياتي قالت ان موقفه غير متطابق مع الموقف الاميركي . (القدس ١٠/٩/ ١٩٧٣) .

اما عندما انتهت اجتماعات مجلس الامن للمرة الاولى ، دون التوصل الى اية نتيجة عملية ، علقت « القدس » على مطالبة اميركا بعودة القوات

المتحاربة الى حدود ٥ تشرين الاول بقولها : « لا نعتقد ان احدا يختلف مع نيكسون في ان بناء اطار للسلام يجب ان يكون هو الهدف ، ولكن هل امكن الاتفاق على حدود للسلام الذي يتحدث عنه نيكسون ؟ ان سلاما يقف مفهومه عند الحدود التي دأبت على رسمها السياسة الاميركية مع تجاهل كامل لحقوق الشعب الفلسطيني الذي دارت رحى هذه الحرب وكل حرب سابقة عليها ، وأريقت فيها الدماء لاسباب ابرزها معاناته وتشريده عن ارضه، بل وعدم الاعتراف بوجوده ... ان سلاما هذا شأنه يفقد ابرز مقومات الاقتناع به وتحقيقه » . (القدس ٧٣/١٠/١٠) .

استمرت « القدس » في الايام التالية تناقش الموقف الاميركي وتبسطه للبحث والتعليق . فبعد ان وضح أن مجلس الامن لم يستطع الخروج بالازمة الى افاق التسوية السياسية ، حملت « القدس » مسؤولية كل ذلك الموقف الاميركي المنحاز الى جانب اسرائيل . وقالت في معرض تعليقها هذا : « لقد اصبح متعينا على اميركا بالذات ان تدرك ان الحلول والمبادرات الهزيلة ستكون البذور الصالحة ، والاعداد النفسي والطبيعي لتجدد القتال كلما لاحت فرصة مواتية لتجدده ، **وذلك ما لا يرغب فيه احد ، ولا ينبغي أن يسمح لاحد بابداء رغبته فيه ، لان اجيالا من المواطنين ينبغي ان تنشأ في ظل السلام الحقيقي وتنفتح قلوبها للسلام وحده** . وليس يخلق المناخ الملائم لهذا السلام الا الاعتراف بالحقوق المشروعة للعرب وللفلسطينيين في الارض وفي الحياة والوجود والاستقرار » (القدس ١٩٧٣/١٠/١١).

وبعد ان فشل مجلس الامن للمرة الثالثة بالوصول الى نتائج ملموسة ، حملت « القدس » مسؤولية ذلك هذه المرة للدولتين الكبرتين . وظهرت افتتاحيتها تحت عنوان « خلاف الكبار » . كما كان عنوان صفحتها الاولى الرئيسي بالخط الاحمر : « الاسلحة الاميركية والروسية تتدفق على المتحاربين » (القدس ١٩٧٣/١٠/١٢) . لكن « القدس » التي تحدثت في افتتاحيات سابقة لها عن الانحياز الاميركي ، لم تستطع ان تظل توازي في موقف الدولتين الكبرتين ازاء ازمة المنطقة . فعادت في بداية الاسبوع الثاني للقتال ، بتحميل فشل الخروج بحل للازمة الطاحنة ، لموقف الولايات المتحدة الاميركية. ولخصت ذلك بفقرة من افتتاحيتها الصادرة يوم ١٩٧٣/١٠/١٣ تقول فيها : « ان مجلس الامن ينعقد وينفض ، ثم ينعقد وينفض ، ويتوالى ذلك منه في غير طائل ، ما لم تتجه اميركا الى حيث يتجه العالم كله ، واذ ذاك فقط تدنو من العدل الذي ابدى نيكسون حرصه على ان تلعب حكومته دورها في تحقيقه » .

ان صحيفة « القدس » التي عندما تحمل اميركا مسؤولية الاحداث الراهنة ، تتحدث عن ذلك بحياء وحذر ظلت مشغولة — من خلال افتتاحياتها المتتالية — بشرح وتحليل مواقف الاطراف الدولية المعنية . فمن المساواة بين موقف الدولتين الكبرتين (القدس ١٠/١١) ، انتقلت الى دعوة حكومة الرئيس نيكسون لتلعب دورها الذي وعدت به لتحقيق السلام العالمي (القدس ١٠/١١) ، انتقلت الى دعوة الدول الاوروبية وحضها على المساهمة بالتسوية المنشودة للازمة ، وجاء في دعوتها هذه أن الدول الاوروبية يمكن ان تتعرض لازمة نفطية ، ليس بسبب قرار عربي ، وانما بسبب من استمرار نشوب المعارك وتعطل امكانيات نقل النفط الى موانئها . (القدس ١٩٧٣/١٠/١٥) .

اما عندما قررت اميركا ان ترسل شحنات الاسلحة الى اسرائيل ، واعلنت ذلك رسميا ، فما كان من « القدس » الا ان وصفت اميركا بدولة « لا تصنع السلام » ، وتتجاهل « حق الشعب الفلسطيني الذي تقوم الدولة الصديقة لاميركا على انقاضه » . وختمت « القدس » تعليقها على هذا الموقف من جانب اميركا بقولها : « ان الاصرار على استيعاب وتمثيل وجهة نظر واحدة في النزاع الدائر في الشرق الاوسط ، لا يسمح مطلقا ، كما لا يترك مجالا للتفكير بتقبل وصف اميركا بانها « صانعة سلام » . » (القدس ١٩٧٣/١٠/١٦).

عيسى الشعيبي

الدعاية الصهيونية ـ الاسرائيلية والقول بان « العرب يريدون إلقاء اليهود في البحر »

عبد العال الباقوري

« لسنا هواة قتل وتدمير انما نحن ندفع عن انفسنا القتل والتدمير . لسنا معتدين ولم نكن معتدين لكننا لا نزال ندفع عن انفسنا العدوان . نحن لا نريد الموت لاحد انما ندفع الموت عن شعبنا . اننا نعشق الحرية ونريدها انا ولغيرنا وندافع اليوم كي ينعم شعبنا بحريته . نحن دعاة سلام ونعمل من أجل السلام لشعبنا ولكل شعوب العالم وندافع اليوم من أجل ان نعيش بسلام . » [الرئيس حافظ الاسد ١٠/٦/ ١٩٧٣] .

- **« نحن لم نكن مهددين بخطر الابادة عشية حرب الايام الستة ، ولم نقل ابدا او نفكر بوجود احتمال من هذا القبيل . ومن الصحيح ان هذه الفرضية جرى تصورها ابان حرب ١٩٤٨ ، لكنها تكشفت عن ضآلة في الجدية منذ ذلك الحين . »**
- **« انا من جهتي لا استعمل التعريف عن تدمير اسرائيل ، لان مغزى هذه الكلمات في معناها المألوف هو الافناء الجسدي لمليون من اليهود او الغزو الفعلي لاراضي دولة اسرائيل او الامران معا . ومثل هذا الخطر لم يكن قائما » (عشية عدوان حزيران ـ يونيو ـ ١٩٦٧) . [حاييم بارليف ، نيسان وتموز ١٩٧٢] .**

مهد جهاز الدعاية الصهيونية ـ الاسرائيلية والامبريالية لعدوان حزيران بحملة مكثفة وواسعة النطاق ، تم اعدادها مسبقا . وشملت هذه الحملة العالم كله تقريبا، وركزت بصفة خاصة على امريكا الشمالية واوربه الغربية.وبتأثيرها ـ وبتأثير عوامل اخرى عديدة ومتشابكة ـ استطاعت اسرائيل والصهيونية العالمية استنفار الرأي العام وأغلب القوى الفاعلة داخل هذه الدول ، ضد العرب وزعمائهم ، مع ضمان التأييد والمساندة لاسرائيل .

وقد اعتمدت هذه الحملة الدعائية ـ فيما اعتمدت عليه ـ على ترويج ونشر فكرة رئيسية هي : أن اسرائيل ، الضعيفة المسالمة ، في خطر حقيقي من جراء هجوم وحشي تقوم به الذئاب العربية المصممة على تدميرها ، والقضاء عليها ، وكان الشعار المحوري في هذه الحملة هو ترديد ان العرب يعلنون ويصرحون ليلا ونهارا بأن هدفهم « القاء اليهود في البحر » ، وقد جاء ذلك على السنة زعمائهم ، وصحفييهم ومعلقيهم السياسيين .. واستندت ادوات الدعاية الصهيونية ـ الاسرائيلية ، في نشر diffusion هذا الادعاء، على الاقتباس بعد تصريحات بعض الزعماء العرب ، والمقالات الصحفية ، بل والرسوم الكاريكاتورية ، مما راج في الايام السابقة على العدوان ، وأغلبها اقتباسات يمكن ان تحمل او تفسر ـ اذا أخذنا بظاهر معناها ـ على أنها توحي بذلك .

وكانت الحملة الدعائية ضد العرب ، من التركيز والضخامة والانتشار ، حتى قيل ان اسرائيل استطاعت كسب المعركة قبل ان تبدأ باطلاق اول رصاصة(١)، بمعنى أنها هيأت الاذهان لقبول ما كانت تعد له وتدبره .

ولم يكن صدفة التركيز في هذه الحملة على اذاعة ونشر تعبير « العرب يريدون القاء اليهود

في البحر » ، ذلك أن الحملة كـــانت تعرف اهدافها، كما أن مخططيها على وعي كبير بالجماهير التي تخاطبها ، تعرف مدى حساسيتها نحو ما يمكن ان يمثل « اعتداء » على « اليهود » فالذهن الاوربي والامريكي بصفة عامة يختـــزن ذكريات خاصة من حملات اضطهاد « اليهود » وما تعرضوا له في تلك البلاد ، مما ولد عنده حساسية خاصة تجاه ما يعرف « باللاسامية » او معاداة اليهود ، وهو العامل الذي تلاعبت به الدعاية الصهيونية كثيرا ، وغذته وضخمته بشكل كبير .

القول بأن « العرب يريدون القاء اليهود فـــي البحر » ، رغم انه أشيع بشكل واسع في الحملة الدعائية التي سبقت عدوان حزيران (يونيو) — وربما حتى الان(٢)، الا انه ليس اختراعا حديثا لقد صكته الدعاية الصهيونية مبكرا ، وحاولت ان تشرعه دائما في وجه العرب ، كاتهام مسلط، لتكسب به عاطفين عليها ، ومؤيدين لاهدافهـــا ، تستعديهم جميعا ضد العرب ، هذا ، في وقت كان العرب لا يتحدثون عن مواطنيهم « اليهود » الا بقولهم : انهم منا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وهنا نلاحظ ان تداول الدعاية الصهيونية لهـــذا التعبير يروج رواجا كبيرا في حالتين : اذا ما شعرت الصهيونية ان مخططها يواجه أزمة او عقبة ما ، تعوق تنفيذه أو اكتماله ، او اذا ارادت ان تخطو خطوة جديدة نحو تحقيق اهدافها ، وصولا بها الى الهدف الاعلى : اسرائيل الكبرى .

وبينما كانت القوى الصهيونية تشنع على العرب زاعمة أنهم « يريدون القاء اليهود في البحر » كان زعماؤها هم الذين يتحدثون بصراحة وبدون مواربة، ويخططون بنشاط وجد ، ويعملون بسرعة كبـــيرة وصولا الى : « القاء العرب في الصحراء » بل ان اكثر زعماء الصهيونية وروادها كانوا يسقطون الوجود العربي في فلسطين من حسابهم ، ففلسطين أرض بلا شعب ، يجب أن تعطى لشعب بلا أرض! حسب الشعار الصهيوني الذائـــع الانتشار . والقضية هنا ليست قضية كلام او مجرد شعار، فقد نفذ هذا الشعار بدقة وبحسم ، وفي مراحل متتابعة ومرسومة . فالمعول عليه هنا اذا ما كان العرب قد القوا « باليهود » في البحر حقا أم لا ؟ واذا ما كان العرب قد انتزعوا شعبا من وطنـــه وأرضه وسلخوه منه وشردوه ، في صورة لم يعرف لها التاريخ مثيلا ؟

من هذا العرض الموجز ، نستطيع ان نضع أمامنا ثلاثة افتراضات رئيسية :

الاول : ان يكون العرب قد قالوا فعلا بالقاء اليهود في البحر .

الثاني : أن العرب لم يقولوا بالقاء اليهود في البحر ، وأن التعبير — أصلا — من خلق الدعاية الصهيونية .

الثالث : أن يكون بعض العرب ، نفر قليـــل منهم قد تورط في قول ذلك ، ولكن بمعنى خاص، ليس هو المعنى الحرفي لهذه العبارة ، وانما هي على الارجح تعبيرات تدخل في اطار « التشنجات الخطابية » التي ينساق وراءها هـــذا الحاكم العربي او ذاك في محاولة لارضاء الجماهير او كسبها والحصول على تصفيقها .

هذه الافتراضات الثلاثة يمكن أن نعرض لها من جانب تاريخي يحاول البحث عن موقف العرب تجاه « اليهود » ، خصوصا منذ بدأت الهجرة الصهيونية الى فلسطين تتزايد على نحو خطـــير منذ السنوات التي تلت الحرب العـــالمية الاولى مباشرة حين بدأت الامبريالية العالمية تعد فلسطين لتكون « الوطن القومي لليهود » . وفي مقابل ذلك، لا بد ان يكون واضحا في ذهننا ما اذا كان يعد الصهاينة للعرب : ما الذي كانـــوا يقولونه ، ويفعلونه بحيث انتهى — او بتعبير ادق وصل بهم — الامر الى ما هم عليه اليوم : عدوانا وتوسعا على حساب الارض العربية وتشريدا لسكانها . وفي ضوء ذلك نحاول ان نتلمس الطريق وصـــولا الى القول بأن هذا الشعار ليس ابن الايام التي سبقت عدوان حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ ، بل هو تعبير قديم ، متجدد ، وسيظل يتجدد طالمـــا بقيت اسرائيل في موقف المنتصر والمتفوق عسكريا وهو تفوق وانتصار يجعل كلمتها قابلة للتصديق، خاصة مع امتلاكها لجهاز قوي وقادر على قلب الحقائق ، في حين يفتقد العـــرب ، وجـــود نظير له(٣).

ونأتي اخيرا الى الملابسات الدعائية ان صح هذا التعبير لعدوان حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧: نرصد جانبا واحدا من الصورة ، هو تصريحات المسئولين العرب لنرى هل نادى احد منهم بالقاء اليهود في البحر ، وهنا نقف قليلا امام التصريح الذي نسب الى السيد احمد الشقيري حين كـــان رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ونخلص من ذلك الى مناقشة ما الذي عناه بعض العرب حين قال مثلا : «تدمير اسرائيل» او « القضاء عليها » ، وغير ذلك من الالفاظ التي توحي لما يقرب من المعنى الذي روجته الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية ، ثم ما الاسباب التي جعلتهم ينساقون وراء مثل هذه الكلمات ، ولنر في الوقت نفسه ان كثيرا من التصريحات العربية المسئولة والاقرب حقا الى التعبير عما اراده ويريده العرب — قد حذفها العقل الدعائي الصهيوني واهال عليها ركاما كثيفا من الغبار ، لان الاشارة اليها او مجرد الاعتراف بوجودها ليس في جانبه ولا في جانب الاهداف التي يسعى لتحقيقها وفي الوقت نفسه ايضا سنكتشف ان الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية ملأت الدنيا صراخا وعويلا : « انقذونا .. انقذونا .. نحن في خطر ، العرب يريدون القاءنا في البحر » بينما كان القادة والزعماء والمسئولون الصهيونيون والاسرائيليون يعرفون ان العرب ليسوا مصممين على خوض حرب ولا شن قتال ، وانهم اذا فعلوا ذلك فهم أضعف — حسب التوقعات الاسرائيلية وقتئذ — من تحقيق انتصار عسكري على اسرائيل في ظل الاوضاع العسكرية القائمة وقتئذ فكيف يستساغ اذن القول بأن العرب كانوا مقدمين على القاء اليهود في البحر ؟

وهكذا ، يمكن ان تتكشف لنا الحقيقة عن هذا التعبير : « العرب يريدون القاء اليهود في البحر». اذن لنتابع القصة التي لم تتم فصولها بعد.

تشويه الطابع القومي العربي :

من المتفق عليه ان الدعاية — في حد ذاتها — ليست هدفا ، وانما هي وسيلة لتحقيق هدف ، وقد تحدد زمانا ومكانا في غالب الحالات. والحركة الصهيونية وعت منذ نشأتها اهمية العمل الدعائي في تحقيق اهدافها ، ولا أدل على هذا من ان نقلب يوميات هرتزل « ففيها شواهد كثيرة على صدق ما نقول . ولا مجال للخوض في الحديث عن الدعاية الصهيونية والاسرائيلية علينا ان نتذكر فقط انها تمتاز بعدة ميزات من اهمها :

١ — دعاية منظمة ومخططة ذات اهداف استراتيجية واضحة ولذلك فهي تسبق الاحداث وتواكبها ولا تأتي في اعقابها ، وتتبع ازاء كل حدث ما يلائمه من المضامين والاساليب ويتلاءم والجمهور الذي تخاطبه والمرحلة التاريخية التي يقع فيها، فهي تعي اهمية عنصر التوقيت كما تفهم اهمية المرحلية وما تفرضه من مرحلة تاريخية(٤).

٢ — انها دعاية تكرارية بمعنى انها تعتمد على تكرار مجموعة من القضايا او الادعاءات وتلح عليها بقصد تثبيتها وترسيخها ، حتى تصبح وكأنها « حقائق » لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . فحين يصبح المرء ويمسي على فكرة تتسرب اليه بطرق شتى : تطرق اذنيه من خلال المذياع ، وتتجسم امامه صورا مرئية من خلال التلفزيون ، ويراها كلمة مقروءة من خلال الصحيفة او المجلة وتتردد امامه على يد اناس متعددين وتطارده في البيت او في العمل واحيانا لا تتركه حتى وهو في السرير الا حين يسلم عينيه للنوم ، عندئذ لا يجد المرء مفرا امام هذا الحصار من الانصياع او على الاقل التأثر بهذه الفكرة بدرجة او اخرى ، وهو تأثر غالبا ما ينقلب الى قبول بها ثم اعتناقها والتشيع لها والاستعداد للدفاع عنها وهذه هي نقطة القوة الاساسية في الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية . ويتضح هذا بصفة خاصة في حملاتها التي تسبق قيامها بأي عدوان جديد ومن المعروف ان من اهم القضايا التي تدور حولها هذه الدعاية : الحديث عن المعجزة الاقتصادية الاسرائيلية ، انقاذ « اليهود » المضطهدين في العالم لا يكون الا بوجود اسرائيل قوية ، اسرائيل حصن الديمقراطية في الشرق الاوسط ، اسرائيل ضعيفة محاطة بذئاب يريدون الفتك بها ... وغير ذلك . ويبرز في هذا الاطار الادعاء القائل بأن العرب يريدون القاء اليهود في البحر . والعقل الدعائي الصهيوني — الاسرائيلي يدرك ان هذه « أكاذيب » في الاصل ، ولكنه قد تعلم من سادته النازيين ان الكذبة كلما كانت كبيرة وكلما اعيد تكرارها وترديدها ، كلما كان لها اثرها في تشكيل الرأي المطلوب تشكيله وباختصار كلما كانت الكذبة كبيرة سهل بلعها .

الهدف الرئيسي او احد الاهداف الاساسية للدعاية الصهيونية — الاسرائيلية هو « تشويه الطابع القومي العربي » ، تلطيخ صورة العربي من حيث هو انسان ووصفه بعدد كبير من المثالب والنقائص هنا يعن لنا ان نتساءل لماذا اذن ركز جهاز الدعاية الصهيونية الاسرائيلية في التمهيد لعدوان حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ على القول بأن « العرب يريدون القاء اليهود في البحر » ؟

لقد عاشت الدعاية الصهيونية ووريثتها الاسرائيلية على المتاجرة بالكوارث التي حلت

باليهود عبر التاريخ ، خاصة في العصر الحديث لدرجة ان الموالين للصهيونية يعتبرون ان النازية وفرت لهم بعد الحرب العالمية الثانية حجة أدبية لا يستطيع العالم غير اليهودي رفضها او ردها . فكل « مصيبة » حلت باليهود هي سلاح دعائي في يد الصهيونية واسرائيل وهو السلاح الذي شرعته للقول بأن قيام « اسرائيل » هو الحل الوحيد والصحيح للمشكلة اليهودية وتمكنت الصهيونية واسرائيل من تثبيت هذا الادعاء عالميا وانطلقت منه لتقول ان هذا الحل مهدد باستمرار وقابل للضياع . لماذا ؟ بسبب العداء العربي ، بسبب التعصب الديني والعنصري ، وهو التعصب الذي يدفع بأصحابه الى التصميم على القاء « اليهود » المعذبين والمضطهدين والمستضعفين و .. الخ الى البحر . وتضيف الدعاية الصهيونية تكملة لدائرة الاستعداء ضد العرب فتقول : ان هؤلاء العرب لديهم أرض شاسعة وواسعة تتسع لملايين أخرى من السكان بينما اسرائيل مجرد نقطة على الخريطة العربية ولكنها نقطة متقدمة والعرب المتخلفون لا يريدون ان يروا دولة متقدمة والهمج لا يريدون دولة متحضرة والكسالى لا يريدون دولة نشيطة ، والجهلة لا يريدون دولة تكون منارة للعلم والحضارة ... لذلك يريدون التخلص منها بالقاء سكانها ، « اليهود » في البحر .

اذن فتعبير أن العرب يريدون القاء اليهود في البحر هو نقطة مركزية وقضية محورية في مضمون الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية . انه يكاد يلخص جوهر الموقف الصهيوني بالكامل . القاء اليهود في البحر : تلخيص مركز لكل التشويه الذي تريد اسرائيل ان تلخصه بصورة الانسان العربي والطابع القومي العربي بصفة عامة وبحقيقة موقف العرب تجاه « اليهود » من حيث هم يهود .

لهذا كله كان اهتمام الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية والامبريالية عشية العدوان (بترديد هذه العبارة) لانها عبارة « مرجعية » تثير معان كامنة كثيرة ، اشارتها لا تتطلب اكثر من ذكر هذا القول . فقد قيل ان راديو بون — حسب رواية أحد الاصدقاء الذين كانوا في المانيا الغربية في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ — استخدم هذه العبارة ٣٥ مرة في اليوم الاول من ١٩٦٧ في معرض متابعته وتغطيته لاحداث هذا اليوم . فهل هذا حقا هو موقف الانسان العربي تجاه « اليهود » ؟

في الاجابة على هذا السؤال نحاول العودة قليلا الى الوراء ، الى التاريخ القريب فلسنا في حاجة الى الحديث عن المعاملة التي لقيها « اليهود » في ظل الدولة الاسلامية ، ولا موقف العرب ، مسلمين ومسيحيين ، تجاه « اليهود » كأصحاب رسالة سماوية . نقطة بدايتنا هي المرحلة التي تنبه فيها العرب على خطورة « المشروع الصهيوني » عن اقامة دولة يهودية في فلسطين او وطن قومي لليهود كما سمي في البداية .

« لهم ما لنا وعليهم ما علينا »

كان رد الفعل العربي — في فلسطين وغيرها من الاقطار العربية — تجاه « وعد بلفور » ، وضد المخطط الصهيوني رد فعل وطنيا وقوميا ، ولم يكن بأي حال رد فعل عنصريا او دينيا . وعكس العرب بذلك تراثا طويلا في التسامح بين الاديان ، كما عبروا عن احد المبادىء التي ارسلتها الحركة القومية العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر ، مبدأ « الدين لله والوطن للجميع »(٥). لذلك لم يقاوم العرب هذا الوعد لانه وعد ممنوح « لليهود » كأتباع دين سماوي معين ، وانما قاوموه لانه اعتداء على حقوقهم في التحرر والاستقلال وتقرير المصير . ورد الفعل هذا لم يكن ليختلف كثيرا لو ان الوعد منح لمسلمين او مسيحيين من مواطني اية دولة اخرى، يأتون ليقتلعوا سكان البلاد منها ، كيف لا وقد ثار العرب ضد « الخليفة » المسلم ، وضد الاتراك المسلمين ؟

وقد تنبه العرب — رغم حنقهم ضد «الخليفة» بريطانيا التي نقضت عهودها معهم ورغم انزعاجهم من المشروع الصهيوني — الى التفرقة بين « اليهود » كأصحاب دين ، وبين الصهاينة كدعاة عاملين على « اقامة الوطن المسمى باليهودي » ، ومن ثم فرقوا بوضوح بين « اليهود » من ابناء البلاد ، وبين الصهاينة المهاجرين . وعبر زعماء العرب في فلسطين عن موقفهم هذا في مناسبات عديدة ، كما عبرت عنه اجهزتهم الرسمية والشعبية المختلفة سواء في داخل فلسطين او خارجها .

واذا كان العرب قد نادوا وتنادوا بعد الحرب العالمية الاولى الى منع الهجرة « اليهودية » (= الصهيونية) الى فلسطين ، فان هناك حقيقة تاريخية لا بد من ذكرها في هذا المجال ، وهي

ان دخول « اليهود » كأفراد الى فلسطين لم يكن يثير اي تساؤل من جانب العرب قبل سفور الصهيونية عن وجهها العدواني ، الا فيما يتصل بالاجراءات العادية التي تتخذ قبل اي أجنبي يبغي الاستقرار في البلاد . وشيئا فشيئا ، بدأت تظهر وتنمو روح المقاومة العربية ضد الهجرة « الصهيونية » حين بدأت هذه الهجرة تتزايد وتتضخم ، وعندما حاول الصهاينة فرض سلطانهم على البلاد عن طريق الرشوة وتقديم المنح السخية الى من في يدهم مفتاح الباب الذي يدخلون منه للاستيلاء على فلسطين .

السبب الاساسي اذن للموقف العربي المعارض للصهيونية يتلخص في ان اهل البلاد لم يكن متوقعا منهم الاستجابة لايديولوجية وحركة تسعى الى حرمانهم من وطنهم ، فهبوا يرفضون اي محاولة تستهدف القضاء على الطابع العربي لبلادهم ، واعلنوا ذلك بوسائل مختلفة : من خلال قرارات المؤتمر السوري الاول ، ومن خلال قرارات الجمعيات المسيحية — الاسلامية التي تكونت في فلسطين نفسها ، او من خلال المذكرات العديدة التي رفعت لمؤتمر الصلح ، وللحاكم العسكري في فلسطين ، وغير ذلك .

وفي كل ذلك لم يتحدث العرب عن « القاء اليهود في البحر » ، بل وصفوا « اليهود » من ابناء وطنهم بأنهم : « اخواننا لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا » . وهو التعبير الذي شاع استعماله على ألسنة الفلسطينيين في تلك الفترة — أعقاب الحرب العالمية الاولى . وهذه نقطة يجدر التفصيل فيها بعض الشيء .

عندما علم العرب بـ « وعد بلفور » ، ثارت مخاوفهم من الاهداف الكامنة وراءه . وتحركت بريطانيا لتحافظ على ولاء « حليفها » الشريف حسين ، مؤكدة له ان الاستيطان اليهودي في فلسطين « لن يتعارض مع استقلال العرب في تلك البلاد » . وكان من مصلحة الشريف أن يصدق تطمين حليفته له ، معتبرا ان « اليهودية » كدين لا تمت الى الصهيونية السياسية بصلة[٦]. وبناء عليه ، كتب مقالة في جريدته الرسمية « القبلة » في ٢٣ اذار (مارس) ١٩١٨ ، ذكر فيه عرب فلسطين بأن « كتبهم المقدسة وتقاليدهم توصيهم بواجبات الضيافة والتسامح » وحضهم على الترحيب باليهود ، والتعاون معهم في سبيل المصلحة المشتركة[٧]. وهذا رأي لا يستطيع احد أن يلمس فيه اي شبهة لتعصب ديني او عرقي .

والموقف نفسه التزمه الامير فيصل (الملك فيما بعد) حين اذاع في الخامس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ بلاغه الى اهالي سورية المحترمين ، الذي اعلن فيه انشاء ادارة عرفية على «سورية». وقد جاء في هذا البلاغ ان الحكومة التي تكونت : « تنظر الى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم واديانهم نظرا واحدا ، لا تفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحي والموسوي»، وكلمة الموسوي في لغة ذلك العهد معناها « اليهودي »[٨].

وكل الوثائق التي صدرت عن عرب فلسطين في تلك الفترة تفصح عن موقف لا يعرف التعصب ولا يقبل به ، بل ينبذه ويرفضه . ومن هذه الوثائق يمكن ان نذكر ما يلي :

● **احتجاج الفلسطينيين المنفيين الى هيئة السلم العام ووزارة الخارجية البريطانية على الصهيونية والحالة في فلسطين بتاريخ ١٢ — ١٢ — ١٩١٨ جاء فيه ما يلي :[٩]:**

« ان اليهود في فلسطين لا يتجاوز عددهم ثمن عدد العرب الاهلين ، وليس لهم في الاراضي اكثر من ثلاثة في المائة . أفيجيز العدل هضم حقوق الاكثرية المطلقة ؟. أما اخواننا اليهود ، سكان الوطن الاهليون، فهم اخواننا في السراء والضراء، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، نعيش واياهم في ارغد عيش ، نتمتع كلنا بالحرية الشخصية ... نرفع شكوانا الى الحلفاء العادلين ، ونحتج على الصهيونية التي تثير التعصب الديني في القرن العشرين والاثرة والانانية والطمع الخبيث الذي جر على الانسانية بلاء هذه الحرب ، اي الحرب العالمية الاولى . هذه الكلمات تقول شيئا هاما في القضية التي نحن بصددها ، تقول ان من أسباب رفض العرب للصهيونية كونها « تثير التعصب الديني في القرن العشرين » وأنها بذلك ستكون خميرة لتوليد « تعصب مضاد » نحن لا نريده ولا نبتغيه ، وليس من المصلحة اثارته ، والصهيونية حين تفعل ذلك ستكون خميرة الفوضى والاضطراب في هذه المنطقة من العالم . وقد تحقق ذلك فعلا .

● **قرار الجمعية الاسلامية — المسيحية في القدس الى الحاكم العسكري ، بتاريخ ٢٤ اذار (مارس) ١٩١٩ [١٠]:** حدد هذا القرار ستة

مطالب ، احدها : « اعادة من هاجروا الى فلسطين بقصد الاقامة الى اماكنهم الى ان يعطى القرار الاخير » فالقرار لا يتفوه بالتهديد بالالقاء في البحر ، او الابادة ، ولكنه يدعو الى الاعادة من حيث اتوا ، الى ان يتخذ القرار النهائي بخصوص موضوع الهجرة . ولكن الفكر الصهيوني يدين حتى هذا الموقف الذي يطالب بعودة المهاجرين الصهاينة الى بلادهم من حيث أتوا ، ويصر على مطالبة العرب بأن يفسحوا الطريق لهم للاستقرار والاستيطان ، لان هذا حقهم « الالهي » في أرضهم ووطنهم ، اما العرب فأمامهم الصحراء واسعة !

● **وثائق المؤتمر السوري الاول ومقرراته ونتائجه ومنها :**

أ — في جلسة افتتاح المؤتمر ، في الثاني من تموز (يوليو) ١٩١٩ طالب الملك فيصل المؤتمر « بسن قانون اساسي يكون دستور اعمال الامة في المستقبل ويحفظ حقوق الاقليات في البلاد » وخاطب اعضاء المؤتمر بقوله : « لانكم تعلمون ، ايها الاخوان ، ان الترك هضموا حقوق الاقلية فيجب علينا نحن مراعاة هذه النقطة » . ووافق المؤتمر في اليوم نفسه على قرار يقضي بتنظيم « قانون اساسي تراعى فيه حقوق الاقليات »(١١). و « اليهود » من اهل فلسطين كانوا احدى هذه الاقليات .

ب — وقد اتخذ المؤتمر في اليوم نفسه قرارا جاء فيه(١٢): « اننا نرفض مطالب الصهيونيين ، بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية ، اي فلسطين ، وطنا قوميا للاسرائيليين ، ونرفض هجرتهم الى اي قسم من بلادنا : لانه ليس لهم فيها ادنى حق ، ولانهم خطر شديد جدا على شعبنا ، من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسي. أما سكان البلاد الاصليون من اخواننا الموسويين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

● **شهادات ومذكرات العرب امام لجنة كينج — كراين :** يمكن القول بصفة عامة انه ما من وفد عربي قابل هذه اللجنة الا وأكد أمامها التمسك بمبدأ ان « اليهود » من مواطني فلسطين « اخوان لنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا » . وجرى تأكيد هذا المبدأ بأشكال ومظاهر متعددة . كانت اللجنة ، او الوفد — على حد تعبير صحيفة « الكوكب » على اساس ان اللجنة موفدة من قبل مؤتمر الصلح — في القدس وفي كل مكان نزل فيه يسأل عن نفوس كل طائفة من الطوائف في البلاد . وكان يسأل المسلمين عن الطريقة التي يعاملون بها الاقلية . فأجمعت الاجوبة تقريبا على ان الاقلية تعامل بعد الاستقلال بالمساواة التامة، فلا يعقل أن يصدر من الاكثرية اجحاف بحقوق الاقلية ، في حين ان الامة تريد ان تبرهن للعالم أجمع عن أهليتها لان تحكم نفسها بنفسها ... ومن اليوم التالي لوصول اللجنة الى القدس علقت الجمعيات العربية الواحا كبيرة بالقرب من البلدية ، كتبت عليها عبارات منها عبارة تقول : « المسلم والمسيحي واليهودي الوطني اخوان وشركاء في الاستقلال »(١٣).

وهذا الموقف نفسه وجدته لجنة كينج — كراين عند العرب غير الفلسطينيين . ففي عمان مثلا ، وجهت اللجنة الى اعضاء « نادي البلقاء » السؤال التالي : « ما هي حقوق الاقلية عندكم ؟ » . وكان الجواب : « لا فرق بين مسلم ومسيحي ويهودي، وعندنا للاقلية ما للاكثرية من الحقوق في البلاد ... »

وحين سألت اللجنة : لماذا ترفضون المهاجرة الصهيونية ؟ ، كان الجواب : لانها تضر بفلسطين جارتنا وشقيقتنا العربية ، يسوءنا ما يسوءها ، ولان الصهيونيين يحاولون الاستيلاء على البلاد، أما اليهود القاطنون في البلاد قبلا فهم اخواننا(١٤).

هذا هو موقف العرب تجاه « اليهود » واضح جلي ، وبعيد عن اي مظنة للتعصب دينيا كان أو عنصريا ، فماذا كان موقف الصهاينة تجاه العرب كما حددته لجنة كينج — كراين نفسها ؟. لقد جاء في تقريرها : « الحقيقة التي وقفت اللجنة عليها في أحاديثها مع ممثلي اليهود هي ان الصهيونيين يتوقعون ان يجلوا السكان غير اليهود من فلسطين بشراء الاراضي منهم »(١٥). وعبارة « شراء الاراضي منهم — أي من العرب » كانت مجرد شعار فقط ، خاصة في فترة كانت قوة الصهيونية ضعيفة ، لم يشتد عودها العدواني بعد ...

من الوقائع الجديرة بالتسجيل هنا ، ما يرويه المؤرخ السوفييتي شليستر(١٦). في عام ١٩٢٠ نشبت ثورة فلاحية في الجليل الاعلى ، وكان وقتئذ ضمن منطقة الاحتلال الفرنسي ، بدأت بامتناع الفلاحين عن دفع ايجار الارض للملاك . وتقدم جيش الاحتلال لاخماد الثورة ، وجرت اشتباكات مسلحة بين الفلاحين الثائرين والقوات الفرنسية.

كانت توجد في منطقة « الثورة » مستعمرة يهودية كبيرة هي « المطلة » ، ومسكنان كبيران بجوارها للعمال . وكان عدد السكان اليهود في المنطقة يقدر ببضع مئات من الاشخاص ، هرب العدد الاكبر منهم في بداية « الثورة » ، مع ان قادتها شددوا في تصريحاتهم بانهم لا يفكرون بهذا النوع من الحرب ضد « اليهود » ، وبأن علاقتهم مع اليهود من السكان الاصليين لا زالت علاقة طيبة كما هو الحال من قبل ، وبانهم يكافحون ضد الفرنسيين فقط ، وينتفضون ضد الذين يريدون قسرا اقامة نير السلطة الاجنبية على الفلاحين .

ويكمل شليستر روايته قائلا : ان هذه التأكيدات العربية لم تمنع النقيب العسكري الانجليزي « ترومبالدور » من قيادة العمال اليهود المعميين بالشوفينية في سبيل « حماية شرف الراية اليهودية » . وفي غمرة كفاح الفلاحين غير المالكين في سبيل ارضهم وحريتهم وقف « رواد » و« ابطال » الاستعمار الصهيوني الى جانب المحتلين الفرنسيين، وساندوا مضطهدي الفلاحين.

هؤلاء الرواد انفسهم سيحملون هذه المهمة على عواتقهم ، ويأخذون مسئولية اضطهاد الفلاحين العرب وطردهم من ديارهم.هذه القصة تعبير مكثف عن موقف العرب من جانب وموقف الصهاينة في الجانب الاخر : العرب يعلقون ان « اليهود » لن يمسهم سوء ، غير « الابطال » و « الرواد » زعماء « الاشتراكية الصهيونية بتوجيه نيران اضطهادهم ضد العرب .

وتمر سنوات ، وتكشر الصهيونية أكثر عن نواياها ، وتتبدى هذه النوايا على حقيقتها ، وتبدأ الخطوات لاعداد فلسطين لتكون « الوطن القومي لليهود » ، أي للصهاينة . فهل يتغير موقف العرب تجاه « اليهود » ؟

لنواصل بحثنا ، في محاولة للرد على هذا التساؤل معتمدين على الوثائق والوثائق وحدها .

في مذكرة قدمتها اللجنة التنفيذية الى وزير المستعمرات البريطاني بتاريخ ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٢٥ ، نقرأ ما يلي(١٧):

« ان العرب وهم في فلسطين يطلبون حقهم في الحكم التشريعي ، لم يريدوا قط ان يفهموا حقوق اليهود الذين يساكنونهم ، ولكنهم يريدون أن يتمتعوا بحقهم باعتبار أنهم أكثرية ساحقة في العدد والمصلحة ، وباعتبار أنهم وعدوا بوعود صريحة ، وباعتبار ان عهد جامعة الامم يخولهم ذلك مع حفظ حق اليهود الوطنيين في الاشتراك في الادارة والتشريع بحسب نسبتهم ، اما اليهود المهاجرون — أي الصهاينة — فيمكنهم ان يتركوا فلسطين راجعين الى بلادهم ، كما يقول تقرير للجنة(١٨) نفسها مرفوع الى لجنة الانتدابات في عصبة الامم في أيار (مايو) ١٩٢٧ ، وذلك حتى « لا تصيبهم مصائب هم المسؤولون عنها » ببقائهم في ارض ليست لهم ، وفي وطن ليس من حقهم . وهكذا فلا تهديد ولا وعيد من جانب العرب ، وانما مجرد تحذير فقط من النتائج التي يمكن ان تترتب على استمرار « الصهاينة » في البقاء في فلسطين ، واستمرار افواجهم الجديدة في التدفق عليها .

ويزيدنا رئيس اللجنة التنفيذية ، موسى كاظم باشا الحسيني ، توضيحا لهذا الموقف العربي تجاه « اليهود » ، فيقول في حديث صحفي في العام نفسه(١٩)، حين سئل عن مدى الميل عنده للتفاهم مع « اليهود » ، يقول : « لهذه المسألة وجهان : الاول : اننا نقبل الوطنيين على الرحب والسعة ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ولكننا لا نقبل مبدأ الوطن القومي ، أصلا كفكرة سياسية تنطوي على تغلب اليهود وطغيانهم على الوطن . وانما يمكن اذا قامت في البلاد حكومة دستورية مسؤولة ان يسن قانون للهجرة ، ولا مانع عندئذ ان يهاجر اليهود الى فلسطين في حدود القانون وعلى قدر موارد البلاد الاقتصادية .

«واليهود يزعمون أنهم يريدون التفاهم والتسوية ولكن دون مراعاة النسبة في الانفس والمصالح ، أعني أنهم يريدون أن تكون التسوية على أساس التناصف والمساواة ، وهم يعتبرون كل اليهود الذين يطمحون الى الهجرة وما زالوا خارج فلسطين او من مكث منهم في البلاد اياما فقط فلسطينيا وطنيا يجب ان يسوى بالوطني في كل شيء » .

كشف موسى باشا في هذا الحديث عن موقف أكثر مرونة ولينا تجاه الهجرة « اليهودية » ، فهو لا يطالب مثلا باعادة المهاجرين ، بل نلاحظ انه لا يمانع حتى في الهجرة المحدودة والمشروطة بالقانون، وعلى قدر موارد البلاد الاقتصادية ، اما الموقف من اليهود الوطنيين فواضح ومحدد ولا اخلال به : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

●

ونخطو خطوة أخرى ، ونعبر سنتين لنصل الى العام ١٩٢٩ ، وهو تقريبا العام الذي علا فيه الضجيج الصهيوني صارخا بأن العرب يريدون القاء اليهود في البحر . لن نتطرق الى تفاصيل انتفاضة ١٩٢٩ ، فوقائعها مذكورة في أي مرجع يتناول تطور القضية الفلسطينية . ولكن هذه الانتفاضة رغم قوتها عن كل ما سبقها من تحركات عربية في مقاومة المخطط الصهيوني ، وذلك بسبب وضوح خطورة هذا المخطط ، تخللتها أعمال عديدة أكدت ان العرب لا يكنون عداء عنصريا او دينيا ضد « اليهود » . وبالرغم من ذلك فان الصهيونية أغرقت وقائع هذه الانتفاضة في بحر من التزييف والتزوير ، حتى ان الحاخام الاكبر في فلسطين بعث ببرقية الى باريس قال فيها : « اليهود في خطر ، أسرعوا بالاعانات »[٢٠]. ومما له مغزى خاص هنا ان بعض « اليهود » من مواطني فلسطين أعربوا عن تعاطفهم مع العرب ، فشاركوا في مظاهرات الاحتجاج ضد الصهيونية ، ففي طبريه ، على سبيل المثال ، أعلنت جماعة منهم في بيان وجهته الى « المسلمين » انها تقف ضد الصهيونية وتساند مطالب المسلمين في حائط المبكى[٢١]. وكان ذلك في حقيقته نتيجة لموقف العرب ، الذين حمى فلاحوهم وعمالهم في تلك الايام ، وأحيانا تحت خطر الموت — كما يقول المؤرخ السوفييتي شليستر[٢٢]— الشغيلة اليهود في حالات عديدة . فمثلا ، حين وصل القرية العربية « ارتوف » رسل من القدس يعلنون : « هدم جامع عمر من قبل اليهود وقتل ٣٠٠ مسلم » ، ووصلت رسالة من ابن رئيس اللجنة التنفيذية العربية سامي كاظم بك[٢٣] يدعو فيها الى الهجوم على « اليهود » ، حينئذ حذر فلاحو « ارتوف » جيرانهم في مستعمرة العمل اليهودية ، ووعدوهم بتقديم المساعدة لهم ، واقترحوا عليهم الاختباء في قريتهم . وبالقرب من بيت لحم ، حيث يعمل في مقالع الحجارة بعض اليهود وعشرات من العرب سويا ، حمى « المسلمون » العمال « اليهود » ورفضوا حتى تسليمهم ، عندما طلب ذلك باسم الدين .

وما هذه الحالات وغيرها كثير الا صور رائعة لفقدان التعصب الديني لدى العرب ، لان جوهر المسألة الحقيقي ليس صراع أديان . لهذا كانت الحركة الوطنية الفلسطينية في عمومها ، خاصة في أوقات مدها ، تركز نيرانها ضد الاحتلال البريطاني، وقد كانت ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ قمة ذلك[٢٤].

لم تكد الحالة تهدأ في فلسطين في أعقاب انتفاضة ١٩٢٩ ، حتى كان العرب يجددون تحديد موقفهم — رغم كل الغبار المثار — تجاه « اليهود » بعيدا عن أي تعصب او عنصرية . ففي أول تشرين الاول (اكتوبر) من العام ١٩٢٩ ، نشرت صحيفة « الماتان »[٢٥] الفرنسية مقالا لمندوبها الخاص في فلسطين ضمنه أحاديث مع بعض الزعماء الفلسطينيين ، منها حديث لموسى كاظم باشا ، قال فيه : ان المسلمين واليهود والمسيحيين كانوا في سلام ووئام عظيمين ، قبل تصريح بلفور . ونحن لا يمكننا ان نقبل بقدوم الصهيونيين الى بلادنا ليكونوا فيها أسيادنا ، وهي بلادنا منذ قرون عديدة . ومن الصعب أن نعيش مع اليهود الصهيونيين . ولما كنت في لندن قال لي المستر تشرشل بأنه يخشى في حالة ايجاد برلمان في فلسطين ان يحاول طرد اليهود منها ، لان الاكثرية فيه تكون من العرب ، فقلت له : اننا لا نفعل ذلك بتاتا . ولكن اليهود لا يريدون ان يوجد برلمان في فلسطين الا متى زاد عدد المهاجرين اليهود ، لكي تصبح الاكثرية في جانبهم ، وهذا ما نحتج عليه ، وتبلغ احتجاجنا جمعية الامم والعالم كله .

وأضاف موسى باشا : ان العرب لا يكرهون اليهود ، بل يريدون ان يعيشوا معهم في سلام ، كما كانوا قبل تصريح بلفور ولكن العرب سيواصلون الكفاح ضد تصريح بلفور ، ولا يسوغ ان يلومنا أحد لاننا لا نقبل ان يتسلط علينا أناس يجيئون بلادنا من بلدان أخرى .

ولم يكن موقف موسى كاظم باشا فريدا في بابه، كان ذلك موقف العرب الفلسطينيين عامة ، مهما كانت الخلافات الاخرى بينهم . فحسن صدقي الدجاني يلتزم الموقف نفسه ، وهو أحد زعماء « المعارضة » ضد المجلسيين في فترة لاحقة ، ويقول في حديث صحفي[٢٦] : « من الخيانة الكبرى أن يعتقد أي انسان أن العرب في فلسطين هم ضد اليهود ، أو أن هنالك نزاعا بين يهودي وعربي . بل الحقيقة بعكس ذلك . فنحن العرب كنا ولا نزال ولن نزال* نجل اليهود ونحترمهم ونعطف عليهم . وقد كنا واياهم على أتم وفاق ووئام . لاننا نعتقد أن لهم ما لنا في البلاد وعليهم ما علينا . واما الخلاف والنزاع فهو قائم بين العرب والصهيونيين الذين جاءوا الى فلسطين بحجة انهم يريدون ان يعيشوا فيها بسلام . وما لبثوا ان بدأوا يطالبون فيها بملك صهيوني ، ويعاكسون مطالبنا الوطنية

في تأليف حكومة وطنية في البلاد ، كما صرح بذلك أخيرا أحد زعماء اليهود المستر « فان وايزل » أمام لجنة التحقيق. وانني أثق أيضا ان الصهيونيين لم يسيئوا الينا وحدنا ، بل أساءوا الى اخوانهم اليهود أكثر منا أيضا ، اذ أنهم بمطامعهم وسياستهم الخرقاء التي يتبعونها انما يولدون الشقاق ويغرسون بذور التفرقة بين العرب واليهود الذين عاشوا معنا قرونا عديدة في بلاد واحدة وبسلام وأمان . ولعلك تستغرب اذا قلت لك أن يهود فلسطين الوطنيين يتألمون من اعمال الصهيونيين أكثر منا » .

وعلى ضوء هذا كله ، وعلى أساسه لم يكن العرب ليقفوا ضد «الهجرة» لو أنها كانت « هجرة يهود » يدخلون البلاد بصفتهم هذه ، وليسوا بصفة كونهم صهيونيين — كما أعلن جمال الحسيني في مقال كتبه في صحيفة « الديلي ميل » اللندنية في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٩(٢٧).

وبعد لجنة شو وتحقيقاتها واصدار توصياتها ، صدر الكتاب الابيض البريطاني لعام ١٩٣٠ . وردت عليه اللجنة التنفيذية العربية ، وتحدثت عن الموقف العربي من اليهود بقولها(٢٨): « ان العرب لا يمقتون اليهود لكونهم يهودا، ولا يرغضون التعاون معهم لهذا السبب ، بل انهم يتقبلون كل سياسة ترمي الى مصلحة هذه البلاد العربية ونفعها ، غير ان اللجنة تؤكد ان اليهود الصهيونيين لن يعدلوا عن سياسة ترمي الى ايجاد أكثرية يهودية في فلسطين . الامر الذي لا يستطيع العرب التسليم به أبدا . ان العرب لم يعتدوا على أحد. وان غاية ما يتوقون اليه هو المحافظة على كيانهم القومي » .

ولا نستطيع ان نقف أمام كل عبارة او استشهاد نقدمه لنحلله ونتعمق في فهم مدلولاته ، فذلك يحتاج الى مجال أفسح ، ونكتفي بأن نتخذ من هذه الاقوال دليلا وشاهدا على موقف العرب ، منذ بدأت الغزوة الصهيونية — الامبريالية المنظمة ، تجاه « اليهود » ...

وفيما بين ١٩٣٠ — ١٩٣٥ تزايد الخطر الصهيوني في فلسطين . ورأى الوطنيون الفلسطينيون ان الوطن القومي اليهودي يزحف على البلاد باستمانة ، وان بريطانيه مستميتة في الدفاع عن الاهداف الصهيونية . وقد ساعدت عملية الوضوح هذه في تهيئة المسرح الوطني الفلسطيني لنشوب الثورة العربية الكبرى ١٩٣٦ — ١٩٣٩ . في اعقاب الفترة الاولى من الثورة كرر البريطانيون لعبتهم التقليدية بارسال لجنة تحقيق . وجاءت لجنة بيل وأجرت تحقيقاتها . هل تغير الموقف العربي تجاه « اليهود » .

نستطيع ان نقلب صفحات الشهادات والبيانات التي أدلى بها العرب أمام اللجنة ، فلن نجد تهديدا واحدا بالقاء اليهود في البحر ، او بدفنهم أحياء ، وغير ذلك من التعبيرات التي تنسبها الصهيونية عادة الى العرب .

ونكتفي بأن نشير الى مناقشة اللجنة مع اثنين من العرب يعتبران من أكثر الذين تحدثوا امام اللجنة « تطرفا » ولو من الناحية الكلامية في تلك الفترة ، وهما الحاج امين الحسيني ، وعوني عبد الهادي .

جرى الحوار بين اللورد بيل — رئيس اللجنة — والحاج أمين ، بخصوص القضية التي نحن بصددها ، على النحو التالي(٢٩):

اللورد بيل : تطلبون سماحتكم انشاء حكومة وطنية في البلاد ، فماذا تفعلون بالـ ٤٠٠ الف يهودي الموجودين هنا ؟

الحاج أمين : ليست هذه أول مرة يكون فيها اليهود في حماية دولة عربية ، اذ أن الدول العربية كانت فيما مضى أرحم دول العالم بهم ، ويروي التاريخ دائما أن اليهود ما استراحوا في جميع العصور الا في ظل الحكم العربي ، وكان الشرق ملجأ لليهود الفارين من الضغط الاوروبي .

اللورد بيل : قلتم ان عدد اليهود أخذ يزداد بكثرة ، ذلك لان العرب كانوا عند الاحتلال ٩٠ في المئة فأصبحوا الان نحو ٧٠ في المئة من عدد السكان .

الحاج أمين : نعم .

اللورد بيل : ومع ذلك لو عقدت معاهدة مع الانكليز أتكونون أنتم العرب مستعدين لابقاء اليهود في البلاد ؟

الحاج أمين : هذا شأن الحكومة التي ستؤلف في ذلك الوقت والتي سيكون مبدؤها العدل والنظر لمصلحة البلاد ومنافعها قبل كل شيء .

اللورد بيل : هل تعتقدون ان اليهود يقبلون بهذا التصريح دون ان يكون لديهم شيء ثابت ، لان

مثل هذا التصريح الشفوي لا يقنعهم .

الحاج أمين : اليهود في سائر البلاد العربية اليوم يتمتعون بحقوقهم وحريتهم .

اللورد بيل : أظن أنه في امكاني ان اقول ماذا يقول اليهود بهذا الشأن (ضحك من الجميع) .

أما الحوار مع عوني عبد الهادي ، فقد جرى في الجزء الذي يهمنا هنا ، على النحو التالي(٣٠):

اللورد بيل : لا يريد اليهود ان يبقوا في موقف المسود .

عوني بك : نحن أيضا لا نريد .

اللورد بيل : انني أردد فقط ما يقوله اليهود .

عوني بك : لا يحبون لهم هذا الموقف هنا وفي كل بلد عربي .

اللورد بيل : ولكن هل يكونون مسودين بحكم أنهم أقلية .

عوني بك : في الحقوق لا . عندما كنا ٩٠ بالمئة لم يكن فرق بيننا وبينهم .

.....

اللورد بيل : تقولون بأنكم لا تقبلون أية مفاوضة أو تسوية . وأنا أقول ان هذا يؤدي الى سفك الدماء ، وهذا غير مستحب .

عوني بك : اذا سئلنا ان نعطي جزءا من فلسطين باختيارنا ورضانا ، فلا تصدقوا أبدا . ولكن اذا طلب منا تعهدات تحفظ مصالح جميع السكان ، فنحن لا نريد ما يريده اليهود من بقاء الانتداب . بل نقول بأن تستقل فلسطين وتؤلف حكومة وطنية تعقد معاهدة مع بريطانيا تحفظ فيها حقوق جميع السكان ويمكن ايجاد نص واضح لحفظ حق جميع السكان .

اللورد بيل : اذا تم هذا تكونون مستعدين أن تحلوا اليهود على الرحب والسعة .

عوني بك : أقول ان مصالح أهالي فلسطين ستؤمنها المعاهدة، وعند عقد المعاهدة أعطي رأيي.

اللورد بيل : أريد وجهة نظرك .

عوني بك : المسؤولون عن المعاهدة يقولون ذلك ، ونحن نعترض على وجود الاربعمائة ألف يهودي ، ونعتقد أن دخولهم للبلاد كان ظلما وعدوانا .

اللورد بيل : هل تطلب اخراجهم ؟

عوني بك : أنا لم أقل باخراجهم ، أكرر حقيقة واقعة بأن دخولهم للبلاد غير من وضعيتها .

اللورد بيل : لا تريد اخراجهم ، وعددهم كثير، فماذا تفعل ؟

عوني بك : يوجد قسم كبير منهم غير فلسطينيين.

اللورد بيل : لا أقصد الفلسطينيين منهم ، بل أطلب جوابا صريحا .

عوني بك : هذا ليس بسؤال يمكن تقريره هنا.

هذا الحوار « الشائك » ليس في حاجة الى تعليق . وواضح ان أحدا لم يقل بالقاء اليهود في البحر ، ولا حتى باخراج كل المهاجرين من فلسطين، مع ان الهجرة في تلك السنوات كانت قد تزايدت بشكل كبير وخطير .

أما شهادة جورج أطونيوس امام اللجنة ، وفي جزئها الخاص بموقف العرب من « اليهود » فهي بالغة الدلالة بهذا الخصوص ، حيث جاء فيها(٣١): « لنعد الى موقف العرب وموقف اليهود . فالحكومة دائما تتهم الاولين — وربما يعتقد اليهود بأن شك العرب وريبتهم لا أساس لهما . هذا غير صحيح . ان العرب لا يكرهون اليهود لانهم يهود. اذ لاسامية في هذه البلاد . ان اللاسامية اختراع اوروبي ... والعرب لا سيما المسلمين لا يعرفون اللاسامية بتاتا ، وقد لاقى اليهود أجمل ايام التسامح والانتعاش الذهني والمادي في زمن الحكم الاسلامي ... اننا نأسف كثيرا للمعاملة الخشنة التي يلقاها اليهود في بعض بلدان أوروبا المسيحية، وواجب كل انسان متمدن أن يخفف من وطأة هذه المعاملة . لكن لا يمكن ان يجيء هذا عن طريق القاء الحمل على شعب بريء وعلى حساب هذه الامة » .

وتبدو روح التسامح هذه فيما قرره مؤتمر بلودان الذي عقد في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٧ ، وحضره ٤٠٠ عضو يمثلون أكثر الاقطار العربية ، خاصة اقطار المشرق العربي ، أعلن هذا المؤتمر : « يتعهد العرب في فلسطين بأن يعامل اليهود كما تعامل الاقليات في جميع البلاد التي تطبق فيها مبادىء عصبة الامم » .

ولكن متى كان الصهاينة يقبلون بأن يبقوا اقلية في فلسطين ؟.. ان هذه هي المشكلة او المعضلة . لقد كان هدفهم الحقيقي لا يقف حتى عند وصولهم الى الاكثرية ، كان مطمحهم ومطمعهم اكبر من

هذا ، وأوسع من فلسطين مهما رحبت . والدليل على ذلك ان بعض العرب كانوا ميالين الى قبول الوضع الذي آلت اليه الامور حتى ذلك التاريخ ، أي فيما قبل الحرب العالمية الثانية ، وتعبر عن وجهة نظر هذا الفريق من العرب المذكرة التي قدمها الدكتور عزت طنوس في عام ١٩٣٨ لوزير المستعمرات البريطاني حول السياسة البريطانية في فلسطين ومطالب العرب وحقوقهم . تقول المذكرة(٢٢): « يرى العرب أن الوطن القومي ، المنطوي في وعد بلفور ، قد نفذ . ولم ينص في وعد بلفور ، ولا في أي بيان رسمي سابق لتقرير اللجنة الملكية على انشاء مملكة لليهود في فلسطين. والحل الوحيد الذي يراه العرب هو اعتبار السكان الموجودين الان في فلسطين كأمانة في عهدة الاماكن المقدسة ويصبح لجميع الفلسطينيين ، بصرف النظر عن الجنس والدين ، حقوق مدنية وسياسية متساوية ، وتقام حكومة وطنية تتمثل فيها جميع طبقات الشعب بنسبة عددهم ، مع ضمان حفظ حقوق الاقليات ، كذلك تضمن مصالح بريطانيا المشروعة ، وتعقد محالفة بين فلسطين وانكلترا شبيهة بمحالفة العراق معها » .

ويمكن القول بصفة عامة ان الكتاب الابيض البريطاني لعام ١٩٣٩ قام على أسس قريبة من هذه الاسس . ولذلك عارضته الصهيونية، اثناء الحرب العالمية الثانية ، وعملت على اسقاطه ، حتى سقط .

ولا نستطيع أن نترك سنى الحرب العالمية الثانية ، دون ان نشير الى ما حاق بـ « اليهود » على يد حكومة النازي ، وهو أمر لم يكن للعرب دخل فيه من قريب أو بعيد ، وان كانت الصهيونية لا تترك العرب دون ان تحاول الصاق جزء من التهمة بهم !! حتى أنها تتحدث عن مناصرة العرب لهتلر ، وأنهم تعاونوا معه ، وتسوق هنا عدة مواقف ، أبرزها موقف الحاج أمين الحسيني . والتعاون مع النازي لا يمكن للصهاينة — عند التحليل الموضوعي للامور — أن يضغطوا به على أحد ، لان فريقا من أبرز زعمائهم لم يكن بعيدا عن المشاركة في مثل هذا الدور ، لاسباب مختلفة، تصب في النهاية في خدمة المصلحة الصهيونية — الامبريالية ، ولو على حساب آلاف من «اليهود» . أما موقف الحاج أمين الحسيني ، ومن نحا نحوه من العرب في فترة ما ، فلا يعدو ان يكون تعبيرا عن سياسة قصيرة النظر ، تقوم على اساس ان مبدأ « عدو عدوي صديقي » مبدأ مطلق ، صالح للتطبيق في جميع الحالات . وهو في جوهره لا يعبر الا عن يأس من سياسة التعاون والتقارب مع الانكليز وحلفائهم من دول المعسكر الاستعماري .

وباختصار ، فان موقف الحاج أمين في هذه النقطة بالذات ، لا يعكس موقف العرب في فلسطين او في غيرها من الاقطار العربية ، فقد تمسك العرب بموقفهم المبدئي تجاه « اليهود » ، والقائم على التفرقة بين اليهودية والصهيونية ، وعلى ان حل قضية اليهود المضطهدين في العالم يختلف عن قضية الصهيونية الحائرة على حد تعبير الملك عبد العزيز آل سعود في رسالته الى الرئيس الامريكي روزفلت في ١٠ آذار (مارس) ١٩٤٥(٢٣). وأوضح الملك عبد العزيز : « ان ايجاد أماكن لليهود المشتتين يمكن أن يتعاون عليها جميع العالم. وفلسطين قد تحملت فوق طاقتها . وأما نقل هؤلاء المشتتين ووضعهم في بلاد آهلة بسكانها والقضاء على أهلها الاصليين فأمر لا مثيل له في التاريخ البشرى ، كما تحدث عن « اليهودية الصهيونية » وليس عن اليهودية بصفة مطلقة ، وعبر عن خشيته من قيام الصهيونية بسلسلة من المذابح بينهم وبين العرب . وباختصار ، فان العرب ظلوا يؤكدون ان لا عداء ضد اليهود او اليهودية ، اما الصهيونية فشيء آخر ، فهي أسى البلاد ومصدره.

وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ... وجد الصهيونيون في زحفهم الطويل نحو تحقيق مشروعهم الكبير . لقد تغيرت موازين القوى في العالم ، ومن داخل المعسكر الاستعماري نفسه برزت قوة جديدة ، لها أطماعها في الوطن العربي. وحدث تزاوج سريع بين المصالح الامبريالية الامريكية وبين الصهيونية . وتجسد ذلك سريعا — وضمن أشكال أخرى — في لجنة التحقيق الانجلو — أمريكية المشتركة ، التي جاءت : تبحث ، وتستقصي ، ثم توصي !! أدلى كثير من العرب بآرائهم أمام اللجنة ، وهي آراء تواصل التمسك بنفس الافكار السابقة ، مفرقة بوضوح بين اليهودية والصهيونية ، حتى ان قوى عربية عرفت بالرجعية في أفكارها الاجتماعية والدينية ، تميز موقفها بقدر كبير من الاستنارة والعصرية ، كما سنرى حالا .

سأل أحد أعضاء اللجنة عزام باشا الامين العام للجامعة العربية وقتئذ : ما هو الفرق بين اليهودية والصهيونية ؟ أجاب عزام : « ان

الصهيونية كطائفة تهدف الى اقامة دولة يهودية ، اما اليهودية فهي دين يتمتع افراده بنفس الحقوق والمزايا التي يتمتع بها المسلمون والمسيحيون . ودستور الجامعة ينص على ان من يسكن ديارنا وتحدث بلغتنا وشعر بشعورنا فهو منا سواء كان هنغاريا او بولنديا او ارمنيا . وهناك كثيرون من اليهود يعيشون بسلام في مصر والعراق وفلسطين نفسها »(٣٤).

أما ألبرت حوراني ، في مناقشة اللجنة له ، فوعد بأن اليهود سيجدون معاملة طيبة ، بل انهم يستطيعون مع العرب انشاء مجتمع أرفع مستوى مما انشىء من المجتمعات في اي بلاد اخرى ، ولكن هذا مشروط فقط بنبذهم للصهيونية السياسية(٣٥).

وطالب مفتي لبنان ، في المذكرة التي قدمها الى اللجنة ، الدول الديموقراطية الحريصة على سيادة السلام في الشرق الادنى والعالم الاسلامي ان تكف عن تأييدها للصهيونية . ولم يتحدث عن « اليهود » مطالبا بالتخلي عنهم أو نبذهم أو القائهم في البحر ، وانما طالب هذه الدول نفسها بأن : « تشاركنا شعورنا بأن الصهيونية شيء واليهودية شيء آخر اذ أننا ونحن نقاوم الصهيونية بنفس الشدة التي تقاوم بها العالم الديموقراطي النازية والفاشية ، نعلن عن تقديرنا للمجهودات التي قدمتها اليهودية مع النصرانية والاسلام في سبيل نشر المثل العليا الدينية والروحية في الشرق والغرب » . ومضى الشيخ خالد مبلورا فكرته أكثر ومواصلا السير على درب التراث العريق للفكر الاسلامي المستنير البعيد عن التعصب ، فقال : « ونحن أسفنا لما حل بيهود اوروبا من محن لا يمكن للبنانيين ولا للعرب ولا للمسلمين الا استنكارها ، ولكننا نرى ان فلسطين لا يمكنها أن تحل هذه المشكلة ، وان حلها لا يكون الا بتضافر جميع الدول على وقف اضطهاد اليهود ، حيثما كانوا ، وكعادتها في قبول جماعات منهم بالقدر الذي أدخل الى فلسطين حتى الان ، هذا القدر الذي لم يكن مشروعا ولم يرض عنه العرب »(٣٦).

وحتى الشيخ حسن البنا ، منشىء جماعة « الاخوان المسلمين » ومرشدها حتى وفاته او استشهاده كما يرى أتباعه ، لم يشذ في شهادته أمام اللجنة عن الخط العربي في التفرقة بين اليهود والصهاينة ، فقال : « هناك ناحية دينية نريد ايضاحها وهي ان خصومتنا لليهود ليست خصومة دينية ، لان القرآن الكريم والاسلام شريعة انسانية قبل ان يكون جنسية . وقد جعل القرآن بيننا وبينهم (اليهود) عدة روابط . ولهذا فاننا اذا عارضنا الصهيونية والهجرة اليهودية بكل قوة فانما نعارضها لانها خطر سياسي ولان من حقنا ان تظل فلسطين عربية »(٣٧).

وهكذا تتبين الحقائق سافرة ، واضحة ، وقوية: لا عداء لدى العرب ضد « اليهود » من حيث هم « يهود » .. وانما العداء كل العداء موجه ضد الصهيونية والصهاينة الذين يريدون عنوة وقسرا اغتصاب الحقوق ونهبها ، متسترين الى ذلك بدعاوى دينية .

والفكر الصهيوني لا يستسيغ ولا يقبل التفرقة بين اليهودية والصهيونية ، ويرى فيها محاولة لتغطية المواقف اللاسامية . وهذه واحدة من اكبر المغالطات الصهيونية ، يكفي لدحضها معرفة ان كثيرا من اليهود والمنظمات اليهودية في العالم يتمسكون بهذه التفرقة ويصرون عليها . وحين يكون الشاهد من اهل المدعي ، تتهاوى كل الحجج وتسقط كل البراهين . فاحدى الحيل التي يتكىء عليها الفكر الصهيوني هي « وصم » كل ظاهرة او فكرة او عمل يعوق تحقيق اهدافه بأنه « لاسامي » . ولذلك كان سهلا على الصهيونية ان تصف المقاومة العربية في فلسطين بانها معادية لليهود ، ولا سامية ، ما دامت تتعارض مع أهدافها وتعوق تنفيذها . يشير الى ذلك احد كاتبي سيرة حاييم وايزمان فيقول : « ان العرب الذين انتفضوا ضد تسليم وطنهم للصهيونية ، كان ينظر اليهم ليس فقط كخصوم سياسيين بل كمجرمين ، بات يطلق عليهم في وقت لاحق اسم : لصوص وقتلة ، وذلك عندما شرعوا بالانتفاض ضد اليهود بشكل ناشط ، وأصبح يخيل لعديد من الصهيونيين ان قوة شريرة ما — يحتمل ان تكون لاسامية — قد أوجدت العرب لالحاق المتاعب باليهود »(٣٨)!!

ان «الهجمة الدعائية» الصهيونية — الاسرائيلية عشية عدوان حزيران (يونيو) لم تكن الا استمرارا لتقليد صهيوني قديم ، حيث تم صك تعبير « العرب يريدون القاء اليهود في البحر » والذي لم نعثر على عربي واحد ، زعيما او مفكرا ، قد استخدمه طيلة الفترة التي استعرضناها ، منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، الى ما قبل قيام « اسرائيل » ، بل عبر هؤلاء وتبنوا بصفة عامة

وجهة نظر مناقضة لذلك على طول الخط . وما حدث قبل عدوان ١٩٦٧ ، كررته الصهيونية من قبل عدة مرات ، وكانت في كل مرة تتداول نفس التعبير المصكوك والجاهز تقريبا . فقد صار سلاحا مجربا .

اذن ، فلنلق نظرة على مجهودات الصهيونية في صياغتها ونشرها لهذا التعبير الذي يمكن ان يكون الصهيونيون قد صاغوه ، ورددوه بعض العرب بشكل ببغاوي ، وبحسن نية !

العودة بالبحر تتحول الى القذف في لجته !

من المثير للاهتمام والتساؤل ان عبارة «العرب يريدون القاء اليهود في البحر » عبارة متكررة ، وتتردد عبر فترة تاريخية طويلة . فهي ليست وليدة «الهجمة الدعائية» الصهيونية ــ الاسرائيلية التي سبقت عدوان حزيران (يونيو) ومهدت له . فهي أقدم من ذلك بكثير ، ويتداولها الصهيونيون مفكرين وزعماء سياسيين ورجال دعاية منذ كان شعار العرب وبعد أهم في موقفهم من « اليهود » من ابناء البلاد هو « لهم ما لنا وعليهم ما علينا ».

لنحاول ــ قدر الجهد والطاقة ــ أن نستقصي متى واين بدأ هذا التعبير في الظهور بواسطة الصهيونيين . ولنلاحظ مقدما انه مما يدعو الى الاسترابة فعلا وحقا ويدعو الى الشك القريب من اليقين في كون الصهاينة هم الذين صاغوا هذا التعبير ونشروه ، مما يدعو الى ذلك ان هذه العبارة « جاهزة » دائما لدى الصهاينة يستخدمونه ويشرعونه كلما هب العرب يقاومون الاجتياح الصهيوني لديارهم ووطنهم . وسنرى كيف يلح الصهاينة بشكل ملفت للنظر على هذه القضية ، يقدمونها وكأنها احدى المسلمات التي لا تقبل أي نقاش .

أول مرة نقع فيها على استخدام الصهاينة لهذا التعبير كان في عام ١٩٢١ . ومن المحتمل ان تكون هناك سوابق أقدم من ذلك تاريخيا لم تقع تحت يدي . في حدود المعلومات التي أمكن تحصيلها ، كانت المرة الاولى التي ظهر فيها هذا التعبير هي خطاب ارسلته « شانا ــ أخت جولدا مائير ــ الى زوجها « سام » وهي في الطريق الى الاسكندرية عبورا الى فلسطين . تقول شانا لزوجها :(٣٩) « ذهب بعضنا لمعرفة ميعاد مغادرة السفن للميناء حتى نتمكن من السفر . وعادوا بهذا التقرير : يبدو انه ليس بوسعنا التقدم اكثر من ذلك . انهم لا يبيعون تذاكر سفر . وقد حصلنا على جواب مضحك من الشركات ، وهو جواب يستحق ان يضحك عليه المرء ، اذ قالوا : بوسع المسيحيين والمسلمين فقط الذهاب الى فلسطين ، ولكن ليس في استطاعتهم بيع تذاكر لليهود . انهم يفعلون هذا لمصلحتنا ، لان العرب يقذفون باليهود الى البحر . وهكذا واجهتنا هذه النكتة المحزنة ، فليس بمقدور اي يهودي دخول اسرائيل » .

والملاحظ ، أن العبارة تساق هنا وكأنها تعبير عن حقيقة واقعة . فهي لا تقول مثلا ان العرب يهددون ، او يرغبون ، في القاء اليهود في البحر ، وانما تقول انهم يفعلون ذلك . فهل كان هذا يحدث حقا في فلسطين عندئذ ؟. لم يقل أحد بهذا ، ولم يعرف احد أن العرب في تلك الايام ــ على الاقل ــ القوا بيهودي واحد الى البحر ، وانما كانوا يتحدثوا ــ كما رأينا ــ عن الاخوة والمساواة في الحقوق والواجبات ، وكانت معارضتهم واحتجاجاتهم تتركز على استنكار تدفق المهاجرين الصهاينة الى فلسطين .

ويبدو ان العقل الدعائي الصهيوني وجد ان الادعاء بأن العرب «يقذفون باليهود في البحر» ادعاء غير سهل التصديق ، لانه غير واقعي . اذن فلتكن صياغة الادعاء بشكل اخر « العرب يهددون بالقاء اليهود في البحر » . وهذه عبارة ادعى للتصديق، واكثر تحقيقا للفوائد المطلوبة ، فهي تستثير العطف على قوم مهددين بالالقاء في البحر ، واكثر قابلية لان تعيش فترة اطول ، تتردد خلالها ، وتبرز حين يكون الصهاينة في حاجة الى ذلك ، ثم انها مع الترديد والتكرار ستصير فكرة مقبولة ومسلما بها .

وهذا ما جرى تطبيقه بالفعل . فما ان جاءت هبة البراق عام ١٩٢٩ ، حتى كانت هذه العبارة تسري وتنتشر في العالم كله تقريبا . فقد كرست وسائل الدعاية الصهيونية الواسعة الانتشار نفسها في ذلك العام لتزييف حقائق الموقف في فلسطين تزييفا مروعا . وكانت الصهيونية قد أعدت نفسها لشن هذه الحرب الدعائية ، حتى انه تم خلال سنة ١٩٢٨/٢٩ ، اصدار ٦٥ صحيفة صهيونية جديدة في ١٩ بلدا(٤٠)، وتدفق سيل من الكتب والكتابات الصهيونية عن القدس وعن

« اليهودية » والحركة الصهيونية وعن مذابح فلسطين(٤١).

ودارت عجلة التزييف والتزوير الصهيوني بسرعة فائقة ، كما سلف القول . وحين جاءت « لجنة شو » للتحقيق في حوادث ذلك العام في فلسطين، وتحدث أمامها الحاج امين الحسيني، خرج الصهاينة يعلنون ان الحاج يريد القاء اليهود في البحر . ورددت وكالات الانباء العالمية ذلك ، ونقلته عنها صحف العالم كله . فماذا قال الحاج امين أمام اللجنة ؟. كان الحوار بين الحاج أمين واللجنة طويلا ومتشعبا ، وقد اثار الصهاينة انتقال اللجنة اليه ، بدلا من انتقاله اليها ،وتناول الحوار قضايا كثيرة ، يعنينا منه الجزء التالي :(٤٢)

سؤال : ما هو موقع الطائفة اليهودية في هذه الدولة العربية ؟

جواب : نحن مستعدون ان نضع في دستور الدولة الضمانات الكافية لحماية حقوق الاقليات .

سؤال : والهجرة اليهودية ، ما موقفكم منها ؟

جواب : نحن نعارض في الهجرة اليهودية . نعتبرها غير مشروعة .. ولا حق لدولة الانتداب ان توافق على هجرة اليهود الى فلسطين ... نحن أصحاب البلاد الشرعيين ... كل هجرة أجنبية يجب ان تكون بموافقة أصحاب البلاد كما هو الحال في جميع بلاد الدنيا ...

سؤال : وهل تعتبرون يهود فلسطين سكانا غير شرعيين ؟

جواب : عند الاحتلال البريطاني في ١٩١٨ كان عدد اليهود في فلسطين ستين ألفا ... هؤلاء هم مواطنون فلسطينيون لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

سؤال : والاخرون ؟.. ويتجاوزون الان مائتي ألف .

جواب : هؤلاء ليسوا مواطنين شرعيين . لقد دخلوا البلاد بغير حق ، من غير ارادة الشعب الفلسطيني .

سؤال : وماذا تفعلون بهم ، ما هو مصيرهم ؟

جواب : يعودون الى بلادهم ، الى اوطانهم الاولى . فلسطين ليست وطنهم . انها وطن الشعب الفلسطيني : المسلمين والمسيحيين واليهود الفلسطينيين .

وسأل محامي الوكالة اليهودية : وهل تريد يا سماحة المفتي القاء اليهود بالبحر ؟

فأجاب الحاج أمين الحسيني : نحن لا نريد القاء اليهود بالبحر . بلادنا لنا واليهود المهاجرون يعودون الى بلادهم .

ويعلق أحمد الشقيري — الذي اعتمدنا عليه في نقل هذا الحوار — على ذلك بقوله : « وظل اليهود يرددون أمام كل لجنة تحقيق ان العرب يريدون القاء اليهود في البحر ، وأن الحاج أمين قالها أمام لجنة شو » .

ومما له مغزى خاص هنا أن تعبير « القاء اليهود في البحر » قد جاء اولا على لسان محامي الوكالة اليهودية ، بينما كان الحاج أمين يتحدث فقط عن اعادة المهاجرين الى اوطانهم الاولى ، ولم يستخدم هذا التعبير الجاهز . وحين استدرج لترديده تنبه الى ذلك فنفاه . وسنجد فيما بعد أن هذه اللعبة قد تكررت بشكل ما مع الشقيري في مؤتمره الصحفي الشهير في عمان في اول حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، الذي خرج بعده الصهاينة يقولون : انه هدد بالقاء اليهود في البحر ، فهل قال الشقيري ذلك ؟ سؤال سنجيب عليه فيما بعد .

لا زلنا مع احداث عام ١٩٢٩ ، نبحث كيف حاولت الصهيونية تصويرها أمام العالم . نأخذ العاصمة البريطانية لندن — وكانت عامئذ احدى عواصم الحركة الصهيونية ان لم تكن العاصمة الاولى — كمثال لما روجته الدعاية الصهيونية في ذلك الوقت . استنفرت الصهيونية كل قواها في عملية دعائية مركزة . فالصحف لا تنقل الا الاخبار التي تبثها الصهيونية ، وافواج « اليهود » تتدفق على مكاتب التلغراف في العاصمة البريطانية ترسل برقيات الى جميع انحاء العالم حاملة الانباء عما يجري في فلسطين(٤٣). ولا نحتاج الى قدح زناد الذهن كثيرا لنتعرف على نوعية هذه الانباء ، ومضمونها . أما حاخام القدس فيبرق الى حاخام لندن — وكل حاخامات العواصم العالمية — بأن اليهود في خطر !!(٤٤).

وتسابقت صحف لندن في نشر كل ما من شأنه النيل من سمعة العرب وتشويه صورتهم أمام الرأي العام الانجليزي وغير الانجليزي . « فالصنداي تايمز » تصف العرب بالخشونة والهمجية، مما دفع احد اعضاء البرلمان الانجليزي

الى الرد على ما كتبته(٤٥)، بعد ان وجد ان ما اوردته من أكاذيب وافتراءات اكبر من ان تحتمل(٤٦).

كانت الحملة الدعائية الصهيونية ضد العرب من العنف في البلاد الاوروبية الى حد لم يكن أمام العرب الا ان يسارعوا باعلان مواقفهم لدحض الاكاذيب الصهيونية . فالحاج امين الحسيني — الرجل الذي انصبت عليه الاتهامات الصهيونية من كل ناحية — بعث برسالة الى جريدة (التايمز) الشهيرة في اول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٩ وصف فيها موقف العرب السلمي قبل الفتنة ، وخلالها ، وبعدها(٤٧). اشار رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في هذه الرسالة الى تسامح المسلمين مع « اليهود » في الماضي .. وفند تصريحات زعماء الصهيونية المنافية للحقيقة بشأن الاضطرابات ، وأكد ان العرب لا يقاومون « اليهود » لانهم يهود ، بل انهم يضطرون الى مقاومة السياسة الصهيونية الغاشمة التي تسلبهم حقوقهم السياسية ، وتريد ان تسلبهم حقوقهم الدينية ، في حائط البراق ... وختم الحاج امين الرسالة بلفت نظر العالم الى ما يبثه الصهيونيون في كل مكان لتشويه سمعة العرب .

وفي فلسطين نفسها ، كان للحملة الدعائية الصهيونية عام ١٩٢٩ وجه اخر . هذا الوجه أيضا ، كان هدفه « اختلاق » واقعة او وقائع ، ثم تأكيدها وتثبيتها ، ونشرها في العالم كله من أجل المزيد من تشويه الصورة العربية .

في فلسطين ، كانت الصحف « اليهودية » تمعن في نشر افتراءات واوراق مزورة تنسبها الى المجلس الاسلامي الاعلى ، بينما كانت لجنة شو تواصل عملها(٤٨)، لدرجة ان الادارة البريطانية وجدت نفسها مضطرة الى التدخل لوقف مثل هذه الاعمال، ولفت محاميها نظر لجنة التحقيق رسميا ، وقدم اليها نماذج مما تنشره الصحف الصهيونية من دعايات حول هذا الموضوع ، ومنها الخطاب الذي نسب الى المفتي ، وقد سبقت الاشارة الى هذا .

هل يمكن ان نستخلص من ذلك كله ان الصهاينة — والعقل الدعائي الصهيوني — هو الذي صك عبارة « القاء اليهود في البحر » ونسبها الى العرب . نحن لا نتحدث عن ذلك ولا نريد التثبت مما اذا كان العرب قد استخدموا هذا التعبير ام لا . الغرض الذي نريد اثباته هنا هو أن العرب لم يصوغوا هذا التعبير ، وانما الجانب المعادي هو الذي صاغه وعمل على نشره واذاعته ،بحيث نجد الحاحا صهيونيا غريبا على تكرار نسبة هذا التعبير الى العرب وانهم يريدون تطبيقه ، ولا تترك آلة الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية أي موقف من جانب العرب تجاه الصهيونية والصهاينة ، الا وتحاول لوي عنقه وتصويره على انه محاولة عربية لالقاء اليهود في البحر ! فمعركة ١٩٤٨ مثلا، كانت من وجهة نظر الصهاينة — غزوا عربيا استهدف رمي اليهود في البحر ، ويتمسك بهذا التفسير ثلاثة من المفكرين الصهيونيين المعاصرين والمحسوبين على اليسار ، وذلك في العدد الخاص من « مجلة الازمنة الحديثة » عن النزاع العربي — الاسرائيلي ، وهؤلاء الكتاب هم دوف بارنير في مقال بعنوان « اليهود ، الصهيونية والتقدم » وافرايم تادى في مقالته المعنونة « معنى اسرائيل » وروبير مزراحي في مقالته « التعايش او الحرب »(٤٩).

هل هي مجرد الصدفة التي تجعل هذا التعبير شائع الاستعمال على اقلام المفكرين الصهاينة ، ورجال الدعاية والزعماء الاسرائيليين ، ومؤيدي الصهيونية ومناصريها ، مع التمسك بنسبته الى العرب ؟ أم ان الامر في حقيقته مرسوم ومحدد وان هناك غاية او غايات معنية من الاصرار على استخدام هذا التعبير بالذات : « العرب يريدون القاء اليهود في البحر » ؟.

الاجابة على هذا السؤال هي التي توضح وتكشف الحملة الدعائية الصهيونية — الاسرائيلية قبل عدوان حزيران في اعتمادها على استصراخ الرأي العام العالمي : أنقذونا ، العرب يريدون القاء اليهود في البحر ، خاصة اذا ما توفرت لديهم وتحت ايديهم بعض تصريحات عربية يمكن لادوات الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية ان تحورها ، وتحرفها لتستخرج منها المعنى الذي تريد ترويجه .

لنبدأ أولا باستعراض بعض الملامح والشواهد في الحملة الدعائية الصهيونية — الاسرائيلية المعززة بجهاز الدعاية الامبريالي العالمي ، قبل عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

الاعداد للحملة الدعائية قبيل العدوان :

كان المضمون الرئيسي لحملة الدعاية الصهيونية

ـ الاسرائيلية عشية العدوان هو ان « اسرائيل في خطر »، فالعرب يريدون القاء اليهود في البحر!. وفي صبيحة الخامس من حزيران (يونيو) حين أشاعت اسرائيل ان العرب هاجموها ، كان العالم مهيأ لسماع اخبار « المذبحة » التي كانت في انتظار الاسرائيليين المسالمين الضعفاء . كيف لا ، وموشي ديان ، الصقر الجارح يتحدث صبيحة نفس اليوم من اذاعة اسرائيل فيبدو وكأنه حمامة مسالمة ويدعي : « نحن لا نملك منظمة للغزو والفتح ، وهدفنا هو احباط محاولة الجيوش العربية لاجتياح بلادنا ، وكسر الطوق الحصاري والعدواني الذي اقيم حولنا وسحقه »(٥٠).

توصلت الدعاية الصهيونية ـ الاسرائيلية الى تهيئة الرأي العام العالمي بهذا الشكل ، بواسطة عمل نشيط ومخطط ، استخدمت فيه ترسانتها المحتشدة من صحافة واذاعة وتلفزيون وغيرها ، مما يخضع لسيطرة الصهيونيين او ملكيتهم او تواجد الصهيونيين كعاملين فيها .

ولكن الحملة الدعائية ، فيما يبدو كانت مثل الحملة العسكرية مصممة من قبل ، ومعدةباحكام، ومستعدة جيدا « لاصطياد » بعض التصريحات التي كان متوقعا سلفا ان بعض الزعماء العرب سينقادون الى التفوه بها في حمى الموقف . واذا كانت تكتيكات هذه الحملة الدعائية وأساليبها ، وكيفية ادارتها وتوجيهها لم يكشف عنها بالكامل بعد ، الا ان بعض الدلائل تشير الى أنها لم تكن حملة بنت لحظتها ، فضلا عما نسلم به من ان الدعاية الصهيونية ـ الاسرائيلية دعاية مخططة .

منذ أواخر عام ١٩٦٦ فكر الصهاينة والاسرائيليون في الاعداد لحملتهم الدعائية . ففي ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٦ اي قبل عدوان حزيران بحوالي ستة اشهر ، وجه عضو الكنيست « شلومو كوهين تسيدون » الى وزير الخارجية الاسئلة التالية :(٥١) « صدرت من اذاعات القاهرة (برنامج ... « صوت فلسطين ») ومن اذاعات دمشق نداءات لابادة اليهود وابادة الشعب الذي يقيم في صهيون ... ارجو سيادة الوزير ان يجيبني عما يلي :

« ١ ـ أحقا أن هذه النداءات تتعارض مع مبادىء الامم المتحدة التي تنتمي اليها مصر وسوريا ؟

« ٢ ـ هل أجرت الوزارة ، التي يرأسها سيادة الوزير ، حملة اعلامية في عواصم العالم حول هذه الحملة التي تقوم بها حكومات القاهرة ودمشق لابادة اليهود ؟

« ٣ ـ ما هي الاعمال والخطوات التي اتخذتها وزارة الخارجية لتلزم الامم المتحدة بالتدخلووضع حد لمثل هذه الحملة ؟

« ٤ ـ هل هناك في العالم دولة غير عربية تقوم باذاعة نداءات لابادة شعوب على اساس الدين او القومية غير هذه الحملة التي تصدر عن القاهرة ودمشق ؟ »

ورد أبا ايبان وزير الخارجية على هذه الاسئلة في نفس الجلسة ، فقال : « فيما يتعلق بالسؤال الاول : اننا نتابع دائما اذاعات الدول العربية المختلفة بما في ذلك القاهرة ودمشق بمحطاتها المختلفة . ان اذاعات القاهرة ودمشق ،خصوصا الاذاعة التي تصدر عن القاهرة والتي تسمى « صوت فلسطين » ، اذاعات معادية جدا لاسرائيل ، وهي تكثر من ترداد شعار الحرب لابادة اسرائيل ولمحاربة الصهيونية . ان الحكومة الاسرائيلية تنظر نظرة خطيرة الى هذه الاذاعات التحريضية ، التي تتناقض تناقضا تاما مع مبادىء الامم المتحدة .

« وفيما يتعلق بالسؤال الثاني والثالث : قامت وزارة الخارجية ، وما زالت تقوم في الاطار الدبلوماسي وفي المؤسسات العالمية وفي عمليات الاعلام باستنكار التصريحات والنداءات من هذا النوع . ولقد أكدنا خلال كلمات ممثلي اسرائيل في الجمعية العامة للامم المتحدة وفي مجلس الامن مرات كثيرة انتهاكات ميثاق الامم المتحدة واتفاقيات الهدنة ، التي تكمن في هذه التهديدات . وان مثل هذه البيانات العدوانية من قبل عناصر عربية تثير الاستنكار في العالم أكثر مما تثير الموافقة . ان تاريخ هذه المنطقة خلال الثماني عشرة سنة الاخيرة قد زاد الشك لدى الرأي العام العالمي حول جدية هذه البيانات ، وان كان لا ينبغي أن نستهين بكونها تنطوي على خرق خطير للقانون الدولي .

« وبالنسبة الى السؤال الرابع : بحسب معلوماتنا لا توجد في العالم أية دولة تذيع اليوم نداءات لابادة شعوب على أساس القومية او الدين » .

ولم تتوقف المناقشة في الكنيست في ذلك اليوم ، ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٦ ، عند هذا الحد . فقد عاد شلومو كوهين نفسه يعقب على رد أبا ايبان ويسأل مرة اخرى :

« هل الوزارة التي يرأسها سيادة الوزير مستعدة لان تبحث في امكان اصدار كتاب يخصص للنشر في أنحاء العالم ، ويقدم صورة تفصيلية لمضمون الاذاعات العربية التي تدعو الى تدمير دولة اسرائيل وابادة اليهود الذين يسكنون فيها مهما كانت صورة هذه النداءات ، اي سواء أكانت في صورة تعليقات أو أفلام تلفزيون أو قصص أو مسرحيات اذاعية ؟ »

وكان رد ايبان على هذا السؤال : « لقد اتجه السائل المحترم الى رأي وزارتنا . اننا نعد كتابا لا يشتمل على التهديدات التي أصدرتها الحكومات العربية ومؤسسات الاعلام العربية فحسب ، بل يشمل أيضا الاعمال التي تعبر عن هذا العداء نظريا وعمليا . سيروي هذا الكتاب كل قضية العداء العربية بتهديداتها واعمالها منذ قيام الدولة وفي الفترة السابقة لقيامها ، ولكنه لن يقتصر على التصريحات المعادية فحسب ، بل يجب أن يشتمل على العداء الفعلي » .

هذه الاسئلة والاجابات التي قدمت عليها ، تحمل في الواقع دلالات أكبر من ظاهر الكلمات . فمهمة كالتي دعا اليها وطالب بها « تسيدون » هي مهمة عادية في عمل اي سفارة لاي دولة ، وبالذات سفارات اسرائيل ووزارة خارجيتها . ولم يكن الموضوع ليثار بهذا الشكل لولا ان المقصود منه هو اعداد حملة منظمة وواسعة النطاق . ومن الواضح ، ان الافكار الاساسية التي طرحت سواء بواسطة تسيدون او ايبان هي الافكار الاساسية التي قامت عليها الحملة الدعائية الصهيونية — الاسرائيلية التي سبقت عدوان الخامس من حزيران (يونيو) .

لقد كان كل شيء معدا سلفا ، وجاهزا للتنفيذ . وليس من قبيل الصدفة ان يقف عضو الكنيست نفسه في ٢٢ ايار (مايو) ١٩٦٧ ، ليعلن انه سمع من اذاعة دمشق تصريحا خاصا بالقضاء على اليهود[٥٢] .

ودارت العجلة الجهنمية للدعاية الصهيونية — الاسرائيلية ، مرددة ومركزة على نشر الادعاءات التي بدأت تركز عليها وتتداولها على اوسع نطاق منذ عدوان السويس ، وفي مقدمتها ان : العرب مصممون على افنائها . وهذا الادعاء ، من كثرة الترديد والتكرار ، اصبح حقيقة لا تقبل المناقشة[٥٣] . واصبح الرأي العام الغربي ينظر الى اسرائيل دائما على انها ليست دولة معتدية . وانما هي دولة ضعيفة ، مضطرة للدفاع عن نفسها ضد من يسعون لابتلاعها[٥٤] . او القاء سكانها من «اليهود» في البحر .

وهذه الادعاءات نفسها هي ما انصرف كل زعماء اسرائيل الى ترديدها عشية عدوان ١٩٦٧ ، ونشرها في العالم كله ، تحدث بذلك اشكول رئيس الوزراء في الكنيست . وجارته جولدا مائير ، وكانت حينئذ سكرتيرة لحزب الماباي الاسرائيلي . فقد ارسلت رسائل خاصة الى زعماء الاحزاب الاشتراكية (!) تدعوهم الى بذل جهدهم في الضغط على حكوماتهم لتكون « جبهة عالمية قادرة تستطيع ان تقف في وجه العدوان الناصري الذي أصبح يهدد كيان اسرائيل »[٥٥] .

وفي خارج اسرائيل تمت تعبئة أغلب الصحف العالمية والعاملين فيها ، وبمعونة اجهزة الدعاية الامبريالية العالمية ، لترويج مضمون الحملة الدعائية الصهيونية — الاسرائيلية ، وكذلك محطات الاذاعة والتليفزيون ، ومضت جميعها لا تتحدث الا عن اسرائيل المهددة بالافناء والابادة ، وانها الان في ساعة الاحتضار .

ونأخذ أمثلة عن نتائج هذه الحملة :

في فرنسا ، يقول الفيلسوف المعروف جان بول سارتر ان الشعب الفرنسي بأجمعه كان يؤمن بأن العرب كانوا يريدون الحرب من أجل تصفية اسرائيل بسرعة ، وافناء سكانها اليهود[٥٦] .

ويصف صحفي عربي باريس عشية العدوان وتأثير الحملة الدعائية الصهيونية — الاسرائيلية فيها فيقول :[٥٧] « لا يمكن للانسان ان يتصور — من بعيد — مدى الحمى الصهيونية التي لفحت وجه باريس — مثلا — قبيل العدوان ... وأنا أتحدث عن باريس كنموذج للغرب ... لانني كنت فيها خلال تلك الساعات المصيرية .

« لو أن باريس ذاتها هي التي يحاصرها العدو ، لما استطاعت الصحف الفرنسية ان تصرخ بأعلى مما تفعل الان » وذلك رغم الموقف الذي كانت

تتخذه الحكومة الفرنسية وتتنذ من تطورات الازمة. فما بالنا اذن ببقية العواصم الاوربية الاخرى التي كانت حكوماتها اكثر استجابة وانصياعا لضغط الصهيونية ؟

وفي المانيا الغربية ، جردت الصحافة نفسها في حملة تذكير للرأي العام الالماني بالمذابح النازية، ومناداته الى ان يكفر عن ذنبه بمساعدة اسرائيل. ووصل الامر بصحيفة « دي فيلت » ان تدعي الخجل من انتساب المانيا الديموقراطية الى الشعب الالماني ، لمجرد انها انتقدت اسرائيل وأيدت العرب . وعبرت صحافة بون عن اتجاهات عنصرية تجاه العرب . واستخدمت ضدهم تعابير تذكر بالتهجم على اليهود خلال العهد النازي(٥٨).

ودقت صحافة أمريكا نفس النغمات الصهيونية. ذكرت بالمذابح الهتلرية ضد اليهود ، وبالمعاملة السيئة التي تعرضوا لها في السابق ، ونشرت بعضها اعلانات تحث الرئيس والشعب الامريكي على العمل لتجنب « ميونيخ » اخرى ، وتجنب حدوث مجزرة اخرى اذا أمكن(٥٩). كأن المجزرة كانت واقعة لا محالة ، فاسعوا — يا عالم ! — الى تحاشيها .

وتتضح اتجاهات الحملة الدعائية الصهيونية — الاسرائيلية — الامبريالية ، في أمريكا عشية العدوان من ترديد الصحف والمجلات الامريكية الرئيسية والاوسع انتشارا وتأثيرا في صياغة الرأي العام الامريكي ، لمضمون هذه الحملة . ففيما بين ١١ ايار (مايو) وحتى نهاية حزيران (يونيو) ١٩٦٧، ذكرت سبع صحف ومجلات امريكية ١١٢ مرة ان العرب عازمون على تدمير اسرائيل ، وكررت ١٥٠ مرة تقديم تبريرات لاعمال اسرائيل ، ورددت ٢٠٤ مرات ان العرب يسيئون معاملة اسرائيل،ولم تذكر مرة واحدة ان العرب يرغبون في السلام والامن(٦٠).

وعندما شنت اسرائيل عدوانها لم تكف عجلة دعايتها عن الدوران ، وانما دارت ودارت بشكل أسرع وأكبر ، مرددة نفس الادعاءات السابقة ، زاعمة ان العرب بدأوا هجومهم المتوقع .

هكذا ، وجهت الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية الى العرب « الاتهام » بأنهم يريدون القاءها في البحر . وصدق الرأي العام الغربي هذا الاتهام، دون أن يعطي نفسه فرصة — وكانت الحملة من الضخامة بحيث لم تتح له مثل هذه الفرصة ، بجانب عوامل اخرى — للتساؤل اذا ما كان العرب يقولون ذلك ، وهل يقصدون فعلا ما يقولون ، وهل سينفذونه ، ثم هل هم قادرون على هذا التنفيذ ؟ .

وهنا ، نجد أنفسنا وجها لوجه امام السؤال الرئيسي : هل ردد العرب حقا قبل عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أنهم يريدون القاء اليهود في البحر ؟ سؤال ليس من السهل نفيه او اثباته ، لا نملك الا ان نحاول البحث عن اجابة ، وقد نخطيء او نصيب ، ونتحمل وزر ما نفعل .

مضمون التصريحات العربية :

الاجابة الصحيحة والموضوعية على هذا السؤال تتطلب القيام برصد كل ما قاله العرب في صحفهم واذاعاتهم ، ومحطات التلفزيون ، وفي نشراتهم الاعلامية والدعائية ، وفي خطبهم واحاديثهم وبياناتهم ، معتمدين في ذلك المنهج المعروف بأسم « تحليل المضمون » Content analysis وهذه مهمة غير يسيرة . ويمكن أن نكتفي من القلادة ما يحيط بالعنق ، فنلقي نظرة على بيانات الساسة والحكام العرب ، تاركين لاخرين تتاح لهم فرصة افضل للحصول على سجلات اذاعية وصحفية وتلفزيونية متكاملة تساعدهم على استكمال الجوانب الاخرى في هذه العملية . وان كان يغلب على الظن ان ما ينطبق على تصريحات الزعماء والساسة العرب سينطبق على ما صدر عن الاجهزة الاعلامية والدعائية العربية(٦١).

اما بخصوص استخلاص العبارات التي يمكن أن تنم عن موقف العرب عشية عدوان حزيران (يونيو) ، ونظرتهم الى طبيعة المعركة ، والى العدو الذي سيخوضونها ضده ، وما هو هدفهم منها . فيمكن الرجوع الى كتاب « الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ »(٦٢). فمن مراجعتنا للتصريحات والبيانات والاحاديث والخطب التي صدرت في الفترة ما بين تدفق التصريحات الاسرائيلية عن الهجوم على اسرائيل واسقاط الحكم القائم فيها وتتنذ ، وحتى الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، من الكتاب المذكور ، استطعنا ان نحصي بتحديد ودقة التعبيرات التي ادلى بها العرب عن المعركة التي كانوا يتوقعونها حينئذ مع اسرائيل . ومن بين

هذه العبارات تظهر كلمات مثل « القضاء » و« استئصال » و« تصديع » و« سحق » و« نسف » و« تصفية » و« تقويض » و« تدمير » و« انهاء » و« ازالة » . وجميعها موجهة ضد اسرائيل . وليس ضد اسرائيل لمجرد انها « اسرائيل » او « دولة اليهود » وانما ضدها من حيث هي : « احدى الركائز الاستعمارية » و« كيان صهيوني مصطنع » و« وجود عدواني » و« مظهر من مظاهر الامبريالية » و« دولة مغتصبة عنصرية أقامها الاستعمار العالمي » و« عميلة للاستعمار » .. معنى هذا ان التهديدات العربية وجهت الى « اسرائيل » لانها كيان صهيوني امبريالي عدواني غاصب ، وسالب لحقوق العرب من سكان فلسطين ، وليس للتوسع ، ويهدد سلام المنطقة العربية وامنها ويؤخر تطورها وتقدمها . وبالتالي ، فان هدف هذه المعركة — التي كان العرب يتحدثون عنها — هو « تحرير فلسطين » و« استرداد » او « اعادة » او « استعادة » او « استرجاع » — ونحن هنا نحصي الالفاظ العربية المستخدمة — الوطن السليب ، المشرد أهله .

بجانب هذا فان بعض القادة العرب — وأبرزهم هنا بالذات الرئيس عبد الناصر — حين أشار الى « تدمير اسرائيل » ، و« المعركة الشاملة » ضدها علق ذلك على شرط هو « اذا بدأت بأي عمل عدواني ضد سوريا وضد مصر » — بل ان عبد الناصر قال — وكانت هذه هي خطيئته العسكرية الكبرى — قال: «احنا قاعدين مستنيين، تاركين المبادأة لهم ، اللي عايز يحاربنا يتفضل يجي يحاربنا، واحنا مستعدين ان احنا نرد عليه». اذن فلا هو هدد بقذف في بحر او باقامة مذبحة، بل لم يكن يريد القتال اصلا ، كان يريد كعادته تحقيق نصر سياسي ، وكان العدو يعرف هذا تمام المعرفة . ولم يكن موقف عبد الناصر شاذا عن موقف الزعماء العرب الاخرين الذين حرص بعضهم على اعلان ما يلي :

- « الصراع ليس بين العرب واليهود » .
- « الحقد ليس حقدا بين اليهود كيهود والعرب كعرب .. انها قضية استعمارية محضة » .
- « موقفنا ضد اسرائيل لا اثر فيه لاي تعصب ديني او عنصري او كراهية لليهود » .

ومثل هذه التصريحات لم يكن من صالح الصهيونية ولا من صالح حلفائها وانصارها وسادتها ان « يكشفوا » انه يوجد من العرب من يقولها، او يؤمن بها او حتى ينطق بها ! لذلك فلا بد من اقامة ستار ضخم واصم على اذان العالم حتى لا يسمع هذه التصريحات . والا فاين هي الصحيفة او الاذاعة او محطة التلفزيون الغربية التي اهتمت بنقل حديث الرئيس الجزائري هواري بومدين في مدينة سيدي بلعباس في ٣ حزيران (يونيو) ان المقابلة الصحفية التي نشرتها « الاومانيتيه » صحيفة الحزب الشيوعي الفرنسي مع وزير الخارجية السوري في ذلك الوقت ، وغير ذلك من الاحاديث والكلمات العربية التي تعلن انه لا يوجد عداء عربي ضد « اليهود » كيهود ، وانما عداء العرب ، كل عدائهم ، ينصب ضد الصهيونية وكيانها العدواني المغتصب لحقوق الشعب العربي الفلسطيني .

وقد يبدو للبعض ان يتساءل : ولكن ما الذي كان يقصده العرب بحديثهم عن « تدمير اسرائيل » والقضاء عليها وتصفيتها ؟ . لا شك ، ان الهدف العربي في الملابسات التي سبقت لعدوان حزيران (يونيو) مباشرة لم يكن هدفا واضحا : لا محدد المعالم ، ولا معروف الحدود . من يتأمل صورة الوطن العربي في تلك الايام ، يستطيع ان يتصور وجود يد خفية ، شيطانية ، كانت تسوق العرب الى قدر او شرك منصوب لهم . بدا الموقف يومئذ وكان العرب كانوا منساقين الى معركة ، او مستدرجين الى ساحة لا يعرفون ابعادها ولا تضاريسها بالضبط . ومن جهة اخرى ، لم يكن متصورا ولا معقولا ان كل عربي يتحدث بكلمة او بتعبير قد يرد عفوا على لسانه ، كالقول بـ «تدمير اسرائيل» او ازالتها ، كان عليه ان يستخرج من جيبه « مذكرة تفسيرية » توضيحية ، يقول فيها ان قصده كذا وكذا ، مثل الدعوة الى اقامة دولة ديموقراطية لاهل الاديان الثلاثة ، او ازالة الطابع العنصري الامبريالي لاسرائيل...ثم يبقى ان مثل هذا الهدف كان اقصى ما يستطيع العرب في حرب حزيران (يونيو) تحقيقه والوصول اليه، ولم يكن في مقدورهم اكثر منه وذلك باعتراف المسئولين الاسرائيليين انفسهم . وهنا يمكن القول بأن كل « العنتريات » العربية ضد اسرائيل انما نتجت في الاصل عن نقطة ضعف اساسية في الموقف العربي وهي ان العرب منذ قامت اسرائيل ،

وربما حتى اليوم ، لم يكونوا يملكون تصورا استراتيجيا محددا لكيفية مواجهتها ، وتحقيق هدفهم في « تحرير فلسطين » . لقد صارت هذه قضية يستغلها الحكام العرب في خلافاتهم ، وفي التشنيع على بعضهم والمزايدة الكلامية ، وفي الهاب اكف الجماهير بالتصفيق كلما علا صوت الحاكم يرعد ويزبد عن « تدمير اسرائيل » وهو يعرف انه لا يفعل شيئا يحقق هذا ، كما أن العدو كان يعرف ايضا ان هذه كلمات لا تستحق عناء الاهتمام بها الا لاتخاذها وسيلة لتحقيق اهدافه الخاصة . فالفكر الصهيوني والدعاية الصهيونية — الاسرائيلية بارعان كل البراعة بحيث يحولان القول بأن المعركة موجهة ضد اسرائيل ، ليصير المعركة موجهة ضد « سكان اسرائيل » ، ضد « اليهود » .

لننظر معا كيف تتم هذه الحيلة البارعة وهي حيلة من قبيل « لوي عنق الحقيقة » ، وذلك على يد مفكر صهيوني ، يحول العرب الساميين الى اعداء للسامية : « ان شعور العرب بالغبن : لانهم حرموا من جزء من اراضيهم لامر طبيعي ، لكنه يوقعهم في شرك العنف . فيطالبون بتدمير اسرائيل ، ويخططون لابادة جماعية ، ويبررون نزعتهم العرقية . وطبعا اذا كانت دولة اسرائيل غير جديرة بالبقاء الى درجة انه ينبغي اصدار الحكم باعدامها ، فان مواطني اسرائيل هم أيضا غير جديرين بالحياة ، ومن هنا الاتجاه نحو اللاسامية . وليس ذلك صدفة من الصدف . بل هو أساس الحقد السياسي الذي يكنه العرب لاسرائيل ، ولكن يتحول يتحول العرب في نهاية الامر الى ضحايا لنزعتهم اللاسامية ... »(٦٣).

قد تبدو هذه الحيلة الفكرية لاول وهلة بارعة وذكية ، ولكنها تعتمد على منطق شكلي زائف ، وعلى حقائق مغلوطة ، لا تلبث ان تتهاوى مع اول نظرة مدققة وفاحصة . ولكن متى كان الفكر الصهيوني يهتم بالحقائق . انه مستعد لاختلاق الوقائع من اجل اثبات وجهة نظره . وهذا ما برع الصهاينة والاسرائيليون وكل حلفائهم وانصارهم في القيام به في حملتهم الدعائية التي سبقت عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ : العرب يتحدثون عن تدمير اسرائيل ، والقضاء عليها ونسف وجودها ، ولكنهم يقصدون القضاء على سكانها « اليهود » والقائهم في البحر . وبالنسبة لقطاع عريض من الرأي العام في العالم ، يكفي ان تذكر كلمة « يهودي » و« يهود » حتى تخلق رد الفعل الذي كان يريده من خططوا لهذه الحملة الدعائية التي اديرت بتركيز وضراوة قبل الخامس من حزيران .

●

يبقى معنا تصريح واحد اغفلنا الاشارة اليه عمدا ، فيما سبق ، وقد أخذ على أنه يعني «نصب مذبحة لليهود» . وهو التصريح المنسوب الى السيد احمد الشقيري ، الرئيس السابق لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويحتاج هذا التصريح لوقفة هادئة لا تحاول النفي او الاثبات ولا تتطوع بالادانة او الابراء الا على ضوء الوقائع ، والوقائع وحدها، بقدر ما تتيسر وتتوفر حتى الان .

في الاول من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، عقد السيد احمد الشقيري مؤتمرا صحفيا في العاصمة الاردنية ، عمان . وقد خرجت احدى الصحف اللبنانية في اليوم التالي وهي تعلن ان الشقيري قال في هذا المؤتمر(٦٤): « اما نحن واما اسرائيل، ولا يوجد حل وسط ، ولن نقبل بأي حل لا يؤدي الى التحرير .

« سنعمل على مساعدة وتسهيل سفرهم (اي اليهود) بالبحر الى الدول التي جاءوا منها أصلا .

« ان كل من يبقى على قيد الحياة (من الاسرائيليين الذين ولدوا في فلسطين) يبقى في فلسطين وتقديري انه لن يبقى منهم احد حيا » .

هذا ما ذكرته « الجريدة » . وكلامها لا يمكن التعويل عليه كثيرا الا اذا كانت هناك صحف عربية اخرى ، بيروتية وغير بيروتية ، قد نقلت وقائع هذا المؤتمر ، واجمعت على أن الشقيري أدلى بمثل هذا الكلام . ثم هل طيرت — على حد التعبير الصحفي المعروف — وكالات الانباء مثل هذا التصريح منسوبا للشقيري ؟

لو افترضنا جدلا ان كل هذه الوسائل اجمعت على نسبة هذا القول الى الشقيري ، فان من الممكن للمحلل الموضوعي ان يتشكك في صدق روايتها اعتمادا على أن احد الحاضرين أول احدى العبارات الشقيرية على هواه ، وهمس بها في اذن زميل بجواره ، ثم سرت بين الجميع ، ونقلوها على أنها منسوبة للشقيري . ومن المعروف ، ان أغلب المراسلين الصحفيين وبصفة خاصة مراسلي

الصحافة الاجنبية ، يحضرون مثل هذه المؤتمرات الصحفية الهامة مزودين بالات تسجيل للصوت فهل اذاع احدهم او قال انه يحتفظ بشريط صوتي مسجل لهذا المؤتمر ، وعليه هذا الكلام المنسوب الى الشقيري . هذه كلها تساؤلات لا نملك جوابا محددا عليها ، ولكن هذا لا يمنع من طرحها والقائها .

أما الاستاذ الشقيري فينفي انه قال هذا الكلام. ويقدم من جانبه ما يعتبره « نصا رسميا » للمؤتمر الصحفي الذي عقده . وقد بعث بهذا النص الى « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » لتضمه الى كتابها الوثائقي الخاص بعام ١٩٦٧ ، كما أعاد نشر هذا النص في كتاب اخير له(٦٥).

يصف الشقيري — في كتابه — المؤتمر الصحفي بانه كان خاصا بالمراسلين الاجانب بالاضافة الى الصحفيين العرب ، وأنه شرح الموقف العربي بالنسبة الى القضية الفلسطينية والمؤامرات الدولية التي أدت في النهاية الى تشريد الشعب الفلسطيني ثم يورد النص التالي :

« س : هل تعتقدون أن التوتر الحاضر سيؤدي الى حرب بين الدول العربيد واسرائيل ؟

ج — يبدو لي ان الحرب واقعة لا محالة ، وأنه اصبح لا مفر منها .

س : وهل ستشترك منظمة التحرير الفلسطينية في هذه الحرب ؟

ج — لقد وضع جيش التحرير الفلسطيني تحت امرة الدول العربية ليحارب الى جانبها ، بل انه سيكون في الصفوف الامامية في هذه المعركة .

س : وما هو هدفكم اذا ربحتم الحرب ؟

ج — ان هدفنا هو تحرير وطننا من الاحتلال الاسرائيلي ، شأننا في ذلك شأن جميع الحركات التحريرية في العالم ، نناضل من أجل حريتنا الوطنية وسيادتنا القومية .

س : وما هو مصير الاسرائيليين وهل تلقونهم في البحر ؟

ج — لا نريد القاء اليهود بالبحر ، هذه تهمة قديمة ، اول ما زيفتها الصهيونية على القيادة الفلسطينية عام ١٩٢٩ اثناء الثورة التي نشبت لمناسبة احداث حائط البراق . أما مصير الاسرائيليين ، فهو موضوع تقرره الامم المتحدة باعتباره مشكلة دولية .

س : هل تفضل لنا هذا الرأي ؟

ج — لقد سبق لي في عام ١٩٥٧ ، ان تقدمت باقتراح الى الامم المتحدة ودعوت فيه الى انشاء وكالة تعرف بـ « وكالة العودة » تعمل على تسهيل اعادة الاسرائيليين الى مواطنهم الاولى . وانني أضيف الان ان الدول العربية بوصفها أعضاء في الامم المتحدة مستعدة ان تساهم بنصيبها في ميزانية هذه الوكالة لتسهيل عودة الاسرائيليين الى أوطانهم السابقة .

س : وهل معنى ذلك انكم تريدون طرد اليهود من فلسطين ؟

ج — ليس هذا صحيحا ، نحن ضد اسرائيل الدولة ولسنا ضد اليهود بهذه الصفة . نحن نقاوم الحركة الصهيونية وجميع الصهيونيين سواء كانوا في فلسطين او خارجها . ان اليهود الفلسطينيين يستطيعون البقاء في فلسطين ، وكذلك اليهود الذين جاؤوا من البلاد العربية وليس لنا عليهم الا شرط واحد وهو أن لا يكون لهم ولاء للصهيونية ولاسرائيل الدولة .

س : واليهود الباقون ؟

ج — يعودون كما جاؤوا ، لقد جاؤوا بالبحر ، وبالبحر يعودون ، ونحن مستعدون ان نساهم مع الامم المتحدةفي تسهيل عودتهم الى أوطانهمالاولى».

ويضيف الشقيري في رسالته التي بعث بها الى « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » قائلا : « هذه هي الاسئلة والاجوبة من ذلك التصريح الذي زورته الدعاية الصهيونية ، في كل انحاء العالم ، وزعمت فيه أنني قلت بأننا نلقي اليهود بالبحر ، فأدخلته في أفلامها وكتبها ، والصحافة التي تسيطر عليها ، حتى جاز على بعض العرب بين غافل او مغفل . وقد كذبت الكذب الصهيوني في مؤتمرات صحفية عقدتها في الخرطوم ، وبيروت ، وفي بغداد وفي الكويت وفي الجزائر ، ولكن سيطرة الصهيونية راحت تصر ان التكذيب كاذب !! »

ويكمل الرواية في كتابه على النحو التالي : « في طرفة عين انطلقت وكالات الانباء العالمية تنقل الخبر الرهيب : الشقيري يعلن من عمان ان العرب يحاربون لالقاء اليهود بالبحر . واستمرت هذه الحملة بكل شراستها وضراوتها ودخلت حرب

الايام الستة ، ودخلت معها هذه الحملة على هامش الانتصارات في الجولان وسيناء وفي قطاع غزة » .

وبالطبع ، فنحن لسنا امام « غزورة » ما بين نسبة هذا القول الى الشقيري ، ومـا بين نفي الشقيري له . وعلى أية حال ، فان رجلا كالشقيري بما له من دراية وخبرة بقـوة أجهزة الدعايـة الصهيونية ، كان يعرف ان الصهيونية تتربص به — كما تتربص بكل مسؤول عربي — تنتظر أن تتلقف منه عبارة تستغلها في معركتها الدعائية . وهذه المعرفة كانت تفرض عليه ، وهو في مركز رسمي وحساس في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، التحرز والتحوط كثيرا قبل أن ينطق بعبارة « انه لن يبقى منهم احد » .

من زاوية أخرى ، مـن المحتمل ، أن رجلا كالشقيري جهوري الصوت ، يجيد الخطابة ، وهي بطبيعتها تدفع صاحبها الى الانسياق وراء الكلمات الرنانة ، بالاضافة الى جو الحماس الذي كان سائدا وقتئذ ، قد انزلق الى الافضاء بهذا القول ؟

ثم لماذا كل هذا الضجيج والصخب حول هذه الواقعة ؟

لنفـرض جـدلا — كمـا يقـول المناطقة — ان الاستاذ الشقيري قال العبارة المذكورة، الا يمكن ان يؤخذ هذا على انه الاستثناء الذي يثبت القاعدة. والقاعدة هنا — كما تبين مما سبق — ان العرب لا يكنون عداء أو حقدا ضد اليهود من حيث هم يهود ، وانما عداؤهم موجـه ضد الصهيونيـة والصهاينة واسرائيل بتكوينها العنصري ، وكذراع امبريالي مفروض داخل الوطن العربي . ولو كانت المشكلة مشكلة تصريحات لامكن ان نورد مئات ان لم يكن آلاف التصريحات التي ادلى بها مفكرون وسـاسة صهيونيون واسرائيليـون — منذ بداية الحركة الصهيونية وحتى اليوم — تحط من العرب وتحقر تاريخهم وقيمهم ، وتدعـو الى القائهم في الصحراء ...

اللغة العربية الخطابية وعوامل اخرى :

هل نستطيع ان نخلص مـن هذا العـرض والاستعراض الى الاستنتاج بأن العرب لم يقولوا « بالقاء اليهود في البحر » لم ينطقوا هـذا ولم يهدفوا اليه ، فلم يكن قصدهـم اقامة مذبحـة « بوجروم » ضد « اليهود » ؟

في ضوء ما سبق ، فان هذا الاستنتاج قابل للترجيح ، وقابل للميل اليه . ولكننا لا نستطيع قوله بشكل مطلق يتصف بالتعميم والقطع . وسبب ذلك ان بعض التصريحات العربية يمكن ان تمتد اليها آلة الدعـاية الصهيونية — الاسرائيليـة بالزيادة ، والتشويه ، والمبالغة ، وتحولها الى اجماع عربي على القاء اليهود في البحر . فرجل الدعاية — خاصة الدعاية غير المبدئية — هو في المقام الاول رجل يجيد التلاعب بالحقائق ، يحورها كيف يشاء ويفسرها على نحو يخدم أهدافه ، بل انه يختلق الحقائق أحيانا اذا اضطر لتأييد الفكرة التي يريدها . وتاريخ الدعايـة الصهيونية — الاسرائيلية ضد العرب سلسلة متصلة من هذه العملية .

ولكننا لا بد أن نقرر ان هذه الدعاية حين فعلت ذلك ، وما زالت تفعله ، وجدت عوامل مساعدة لها في القيام بعملية « التشويه » اللغوي ، وفي تحقيق النجاح فيها . من هذه العوامل ثلاثة عوامل رئيسية ، وكل منها يمكن ان تتشعب عنه عوامل فرعية أخرى . هذه العوامل الثلاثة هي :

١ — طبيعة اللغة العربية : من المعروف ان كل لغة من اللغات لها ذاتيتها الخاصة من حيث تركيباتها ، وتكوين جملها ، وميلها الى التأكيد والمبالغة ومدى التدقيق في استخدام الكلمات وغير ذلك . ومن الشائع ان اللغـة العربية تعطي « الفكرة معنى مبهما على العموم ، وتشدد على الاهمية النفسية للرمـوز الكلامية علـى حساب معانيها ... وتكثر من التأكيد والمبالغة » . وهي لغة ميالة الى المجاز والتعبيرات الخيالية والادبية أكثر من ميلها الى الدقة ، بحيث يكون لكل كلمة في الجملة معناها ومغزاها . والانسان العربي ميال أيضا الى المبالغة والتأكيد في كلامه ، وترديد الالفاظ الضخمة الفخمة ذات الجرس العالي(٦٦). وهذا واضح في الادب العربي الكلاسيكي : شعره ونثره ، وفي الخطابة العربية . وكل منا يستطيع ان يتذكر عشرات الابيات من الشعر التي « تهد » الكون بالكلمات : « اذا غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس او سبكت دما » او « اذا بلغ الفطام لنا رضيع... تخر له الجبابر ساجدينا» وغير ذلك كثير كثير .

كما ان مقدمات « الجملة » العربية ــ وهي عادة جملة مركبة طويلة ــ لا تدل احيانا على نهايتها ، بحيث يمكن فصل اي جزء منها ، وأخذه على حدة والتدليل به على وجهة نظر معينة ، قد يكون الكاتب الاصلي يريد التدليل على عكسها . ونستطيع ان نذكر مثلا على ذلك بيت شعر معروف: « ألا أيها النوام ويحكمو هبوا ... أسائلكم هل يقتل الرجل الحب » . ان جرس الكلمات ، ورنتها ومضمون « صدر » البيت لا يوحي ابدا بأن الشاعر سينتهي بنا في « العجز » الى عاشق محبط ، يائس لدرجة أنه يتساءل عما يفعله الحب بالناس ، بعد أن كان متوقعا أنه سيدعو سامعيه وقارئيه الى خوض معركة او التهديد بها .

هذه بعض خصائص لغة الضاد . وهي خصائص لا تمثل في حد ذاتها عيبا في هذه اللغة . ولكن رجل الدعاية يستطيع ان يلعب على هذا الحبل حين يترجم من لغة الى أخرى : فحيث ان كل لغة لها تركيبها الخاص ، واصطلاحاتها ورموزها الخاصة، يكون من الصعب اعطاء نفس المعنى وبدقة تامة عند الترجمة من لغة لاخرى . وقد تتوفر قدرة كبيرة لقلة من المترجمين ممن يمتلكون ناصية اللغتين التي يترجمون منها والتي يترجمون اليها ، على تخطي مثل هذه العقبات . ولكن ما حاجة رجل الدعاية الى ذلك ؟ ان هذه نعمة هبطت عليه من السماء ، وعليه أن يستغلها فيما يريد من تشويه وتحريف في المعنى بالشكل الذي يحقق له الهدف المطلوب . ولذلك يجد رجل الدعاية في « سيولة » اللغة العربية ، وفي ميل ابنائها الناطقين والكاتبين بها الى الاطناب والمبالغة في التأكيد والوصف ، يجد في ذلك منبعا ثرا عند النقل الى اللغات الاخرى لتشويه المعنى على النحو الذي يهواه ، فقد يستطيع بنفس الالفاظ أن يختلق معنى جديدا غير المعنى الاصلي . ويأخذ المعنى المجازي ويقدمه على انه معنى لا خيال فيه ، وغير ذلك .

٢ ــ ان كل شعب من الشعوب تتولد عنده عادة حساسية خاصة تجاه بعض الالفاظ ، كما ان لكل شعب ظروفا حضارية وثقافية خاصة ، تشكل مفاهيمه العقلانية ، وأساليبه في مناقشة القضايا واستيعابها بشكل خاص . ومن المعروف ان الشعوب الاوربية ــ نتيجة لتجاربها الخاصة ــ لديها حساسية شديدة تجاه لفظ او كلمة «يهودي». مجرد نطق الكلمة يولد شكلا ما من اشكال ردود الفعل النفسية التي تعبر في حقيقتها عن التوتر والخوف والاحساس بالذنب والرغبة في التكفير . وخبراء الدعاية الصهيونية ــ الاسرائيلية يدركون كل هذا ، ولذلك يسارع كل واحد منهم الى نقل اي تصريح عربي يتحدث عن « اليهود » دون ان يذكر الصهاينة أو الاسرائيليين [وان كان الداعية الصهيوني ــ الاسرائيلي يجعل هذه الالفاظ الثلاثة ذات معنى واحد ولا يقبل أي تفرقة بينها] وهو واثق ان مجرد ذكر هذا التصريح سيعطيه رد الفعل الذي يبغي خلقه وتكوينه فيمن يخاطبه . فما بالنا حين يقال للشخص المخاطب : انظر « العرب يريدون القاء اليهود في البحر » !! وهم يرددون ذلك في صحفهم واذاعاتهم وبعظمة او عظام السنة قادتهم .

٣ ــ والذهن الغربي ــ بالمدلول العام والواسع لكلمة الغرب ــ يحمل صورة مشوهة عن العرب(٦٧)، لها خلفيات متعددة عاطفية وفكرية تعكس تجربة تاريخية عرفت الصراع والحرب والقتال ، ونتج عن ذلك عداء ظاهر او خفي، علني او كامن مستتر تأتي الدعاية الصهيونية ــ الاسرائيلية لتوقظه وتستفزه قائلة ان « العرب يريدون القضاء على اسرائيل » لانها القلعة التي تحمي الثقافة الغربية وسط هذا العالم المتخلف ، وهي واحة الديمقراطية في عالم تحكمه وتتحكم فيه الدكتاتورية والحكومات العسكرية .. وما الى ذلك مما تعرف الصهيونية انه سيكسبها تأييد ومناصرة القوى التي تخاطبها.

●

لا شك ان العرب قد ألقوا ــ كعادتهم ــ قبل عدوان حزيران (يونيو) بسيل متدفق من الكلمات والبيانات والتصريحات والتهديدات . حملت جميعها قدرا هائلا من الحماس . وعبرت الكلمات والالفاظ عن أكثر مما كان مقصودا ومطلوبا ومستطاعا . من يسترجع صورة الجو العربي الذي ساد في تلك الايام ، يحس ــ كما سبق القول ــ بأنه كانت توجد « هيصة » ــ ولا أجد كلمة أدق في التعبير عما أريد من هذه الكلمة ــ اختلطت فيها أشياء كثيرة وعديدة ، وأخذت الاحداث برقاب بعضها ، وتدافعت الحوادث ، وظهر العرب وكأنهم مساقون الى طريق لا يعرفون نهايته ، لانهم لم يختاروها ولم يحددوها . كانت طبول العدو تدق وكنا نرقص على وقعها : تصريحات وبيانات ساخنة . كان سهلا في مثل هذا الجو ان يتفوه البعض بكلمات تقول أكثر

مما كنا نريد ونقدر . على العكس من ذلك كان موقف العدو محددا ومرسوما : كانت كلماته عكس ما كان ينويه ويبتغيه ويقدر عليه : **كان مستعدا** للعدوان وجاهزا للقيام به ، ولا يتحدث ، خاصة في الخارج ، الا عن اسرائيل المسالمة التي تنتظر قدرها بالموت يزحف عليها كالقدر .

ولكن المسألة في جوهرها ، ليست مسألة بيانات أو تصريحات . هل كانت اسرائيل ستكف عن العدوان لو ان العرب لم ينطقوا بتصريحاتهم النارية ؟ أو هل كان العدوان حربا دفاعية كما ادعت اسرائيل ؟ لو كان الامر كذلك فلماذا مثلا لا تتراجع اسرائيل [وهذا جزء من اوهام بعض العرب] بسلام عن الارض التي احتلتها بعد أن كف العرب عن توجيه «صواريخهم» الكلامية نحوها واعلنوا انهم لم يكونوا يقصدون اقامة مذبحة ضد « اليهود » أو رميهم في البحر ؟

عند هذا الحد تتكشف لنا القضية كلها في أن الامر بالاساس — حتى لو اعتمد على تصريحات صحيحة لمسؤولين عرب — كان حملة دعائية مخططة ومرسومة ومحددة الهدف . فاسرائيل في وقت كانت تستصرخ فيه العالم : انقذونا ، نحن في خطر ، العرب المتوحشون يريدون القاء السكان اليهود في البحر ، كانت تعرف تأكيدا ان العرب غير مستعدين للهجوم عليها وبدء القتال معها ، وكانت تعرف ايضا انهم حتى لو بدأوا القتال ، فانهم أضعف من تحقيق نصر كبير يتمكنون بواسطته من القاء اليهود في البحر ، باقتراض جدلي بأن مثل هذه النية موجودة لديهم ، مع انها — كما رأينا — غير واردة على ذهن احد الا أذهان الصهيونيين والاسرائيليين وحلفائهم الامبرياليين العالميين كستار لتغطية العدوان الذي كانوا يستعدون له .

ومنذ العدوان حتى الان تكشفت وقائع ، وتأكدت حقائق تدلل على ذلك . وقد أشار الى هذا وزير الخارجية المصري الدكتور محمد حسن الزيات ، أمام مجلس الامن في جلسته بتاريخ ٦ حزيران (يونيو) ١٩٧٣[٦٨]: « ان الاسطورة التي اختلقتها اسرائيل ومن يؤيدونها لتبرير هجومها ضدنا في سنة ١٩٦٧ ، مدعية بانها كانت معرضة لخطر الابادة من جانب مصر سرعان ما بددها أولئك الذين اختلقوها . ولقد أدلى الجنرال رابين ، الذي كان في ذلك الوقت رئيس أركان اسرائيل ، بتصريح نقلته عنه جريدة (هآرتس) في ٢٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٧ ، وجريدة (لوموند) في ٢٩ فبراير ١٩٦٩ ، ذكر فيه انه كان معروفا لدى اسرائيل ان مصر ليس لديها أي نية في الهجوم على اسرائيل في مايو — يونيو ١٩٦٧ . ولم يكن الجنرالات الاسرائيليون هم وحدهم الذين اعترفوا بعدم وجود مثل هذا الخطر، وأن مصر التي لم تبدأ الهجوم على اسرائيل في سنة ١٩٥٦ لم تكن ايضا تعد هجوما على اسرائيل في ١٩٦٧ . فقد اعلن ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل في ١٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ : « ان تغيير مواقع القوات المصرية في سيناء عشية الحرب انما كان ذا طبيعة دفاعية ». أما وقد بدد الاسرائيليون انفسهم خرافة « خطر الابادة المحيق » ، فقد كان عليهم ان يبحثوا عن ذريعة اخرى لتبرير عدوانهم ... »

لماذا اذن هذا التركيز الدعائي الصهيوني — الاسرائيلي على القول بأن العرب يريدون القاء اليهود في البحر ؟ بالاضافة الى ما سبق ، ضمنا، من أسباب ، تؤخذ أسباب عدة يمكن ان نوردها بايجاز :

١ — المزيد من تشويه الصورة العربية لدى الرأي العام في العالم العربي ، بتصوير العرب بأنهم برابرة ، متوحشون ، معادون للسامية ، مع ما يثيره مجرد ذكر هذا الاتهام من تعاطف مع اسرائيل ، وتأييد لها .

٢ — تبرير الاعتداءات الاسرائيلية ، الصغيرة والكبيرة ، على الدول العربية بتصويرها على أنها « حرب دفاعية » قبل ان يتمكن العرب من نصب مذبحة ضد « اليهود » لافنائهم والقضاء عليهم .

٣ — التلاعب على « عقدة الذنب » في النفسية الاوروبية تجاه « اليهود » ، وذلك بربط كل ما هو صهيوني وإسرائيلي باليهود وبما تعرضوا له من عمليات اضطهاد ، لا يجب ان تتكرر .

٤ — جذب المعونات الاجنبية ، خاصة من « يهود » الدياسبورا ، حتى لا يتعرض اخوانهم في الدين لذبحة يقيمها اعداؤهم في الدين من « المسلمين » .

٥ — وفي داخل اسرائيل ، فان ترويج هذا الشعار يدفع سكانها الى التضامن والتآزر والانصهار والاندماج في مواجهة « عدوان عربي »

منتظر في كل لحظة يهددهم جميعا لانهم « يهود » . وفي نفس الوقت فان هذه العبارة تستخدم كحافز لافراد الجيش الاسرائيلي لان يقاتلوا بشراسة ، فكل معركة هي معركتهم الاخيرة ، والويل لهم اذا انتصر العرب مرة واحدة ، فالعرب امامهم والبحر وراءهم !!

ان النتائج التي تقضي اليها أي سياسة هي المقياس الوحيد للحكم عليها ، ولا يجوز الحكم على اي سياسة بناء على النوايا ، او الكلمات التي ترد في تصريحات او خطب او احاديث صحفية . فتصريحات الرغبة في الاعتداء لا قيمة لها ما دام هذا العدوان لم يقع . واذا كان الحكم على السياسة يتم بناء على التصريحات والكلمات والاقوال فان الصهيونية هي أول من يوضع في قفص الاتهام بالعنصرية والوحشية والبربرية ومجافاة الروح الانسانية وغير ذلك من الاتهامات التي ترمي بها العرب . فالفكر الصهيوني منذ نشأته وحتى الان ، وبعد الان ، لا ينكر ولا يخفي هدفه في طرد العرب والقائهم في الصحراء ، والقضاء على حضارتهم وغير ذلك .

ولكن هناك فرقا هائلا وضخما بين التصريحات العربية والتصريحات الصهيونية ـ الاسرائيلية . فقد بقيت التصريحات العربية مجرد كلام . أما الصهاينة فقد حولوا تصريحاتهم وكلماتهم الى واقع عملي نراه اليوم مجسدا امام عيوننا فوق أرض الواقع : ما بين طرد العرب من اراضيهم واحتلال وطنهم ، وطرد السكان منه ، وتشريدهم ، ورفض الاعتراف بحقوقهم وأولها حق العودة الى وطنهم ، بينما تعطي اسرائيل هذا الحق لاي صهيوني يهاجر اليها ، حالما تطأ قدماه أرض الميعاد .

الفرق واضح بين ما قاله العرب ولم ينفذوه ، وما قاله الصهاينة وينفذونه بدأب وباستمرار ، واضح من أعمال اسرائيل منذ عدوان ١٩٤٨ ، ومنذ عدوان ١٩٦٧ ، وما تقوم به ضد السكان والاراضي العربية .

ذكر تقرير خرج من اسرائيل اخيرا ، ان خطتها لهدم القرى العربية في الاراضي المحتلة نتيجة لعدوان ١٩٦٧ ، بعد سحب الارض من ملاكها العرب ، تسير تماما بنفس الوتيرة التي سارت بها منذ ١٩٤٨ . وعلى سبيل المثال ـ يقول التقرير ـ ان اسرائيل احتلت في عام ١٩٤٨ حوالي ٤٧٥ قرية عربية هدمت منها حتى اعداد التقرير واذاعته ٣٨٥ قرية وبقي ٩٠ قرية فقط !(٦٩)

فليست العبرة أبدا بتصيد الكلمات ما بين فقرة هنا او تعبير هناك : يرد عرضا ودون تدقيق في حديث لسياسي تأخذه موجة حماس ، او في مقال صحفي غير مدروس يكتبه بعض من لا قدرة لهم الا على رص الكلمات دون ادراك بمعناها الدقيق ، او في تعليق اذاعي سريع .. العبرة هي بالخط الفكري والسياسي المحدد والواضح والثابت من ناحية ، وبتنفيذ هذا الخط تنفيذا عمليا من ناحية أخرى . في ضوء هذا هل نريد تبرئة العرب من تهمة الرغبة في القاء اليهود في البحر ؟

دون أن تنقصنا الجرأة على تقديم الاجابة المباشرة على هذا السؤال ، نقول ان احدا لا يستطيع ان يدعي ـ مهما حاول ومهما تصيد : مغفلا حقائق التاريخ ومتجاوزا حقائق الواقع ـ أن الخط الثابت في الموقف العربي هو « القاء اليهود في البحر » . فضلا عن ان هذا لم يحدث ولن يحدث . فالعرب لم يدعوا حقا تاريخيا في ارض يسكنها شعب غيرهم ، ولا هم طردوا سكانها منها ، وتركوهم لاجئين خارجها : ينكرون عليهم اي حق في العودة الى وطنهم . وفوق ذلك : ان تراث العرب وقيمهم وتاريخهم مع « اليهود » من سكان الوطن العربي ، بعيد كل البعد عن التعصب . والعرب بصفة عامة يعطون مكانا فريدا لاحترام الكائن البشري وتقديسه وتكريمه ، حتى ولو كان عدوا لهم ، وهم اصلا لا ينظرون الى « اليهود » كأعداء بل « اخوان لنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا » وهو المبدأ العظيم الذي أعلنته واكدته حركة المقاومة العربية في فلسطين منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، ولم تتخل عنه رغم الاجتياح والاضطهاد الصهيوني الفظيع الذي لاقاه العرب على يد الصهاينة في فلسطين . ولذلك فان عداء العرب هو ضد الصهيونية ، والصهاينة ، وضد اسرائيل كدولة صهيونية عادية غازية توسعية ، تمثل قاعدة للاستعمار والامبريالية في المنطقة العربية .

الحواشي :

١ ــ قد يوحي هذا التعبير بأن النصر الدعائي الاسرائيلي كان اهم من الانتصار العسكري ، حسبما يرى بعض الكتاب والمفكرين العرب . وهو رأي ساد خصوصا في أعقاب الهزيمة العربية مباشرة ، حين حاول كثيرون القاء التبعة كلها على الدعاية والاعلام والعجز والتقصير في هذا المجال . انظر مؤلف استاذنا الدكتور حامد عبدالله ربيع « **فلسفة الدعاية الاسرائيلية** » . سلسلة دراسات فلسطينية ــ ٧٢ . مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت تموز (يوليو) ١٩٧٠ . ص ٢٠ ، حيث يقول : « ... مظاهر اخرى تعكس النصر الساحق للعمل الدعائي الاسرائيلي وكيف ان هزيمة ١٩٦٧ كانت اعلامية اكثر منها عسكرية » . بينما يقول في موضع اخر من نفس الكتاب ص ٥٥ ــ ٥٦ : «الحقيقة التي يجب ان تتذكرها دائما هي ان الدعاية مهما بلغت من قوة فهي في ذاتها سلاح فرعي ، هي لا تستطيع ان تلغي الحقائق الموضوعية ، الدعاية مهما بلغت من قوة لا يمكن ان تلغي سياسة ناجحة او ان تحيل سياسة اثبتت اخفاقها الى سياسة ناجحة . هي عامل اساسي وحاسم في تضخيم النجاح او في تحويل الفشل الكلي الى فشل جزئي ولكنها لا تستطيع ان تجتاز هذه الحدود . لقد ظلت دعاية هتلر حاسمة طيلة فترة انتصاراته المذهلة ولكنها انقلبت الى اخفاق منذ ان بدأت موجة المد النازي تتقلص وتبرز اخطاء ونقائص الحكم الهتلري » . وهذا رأي اقرب الى الصحةكثيرا من الرأي السالف ومع ذلك فليس الدكتور ربيع فريدا في هذا الباب اذ يجاريه في التضخيم من دور نجاح الدعاية الاسرائيلية الدكتور ميشال سليمان (« وسائل الاعلام الجماهيرية والحرب » في د. انيس صايغ : مشرف : **فلسطينيات ــ المجموعة الثانية** . سلسلة كتب فلسطينية ــ ١٨ . مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت سنة ١٩٦٩ . ص ٩٣) فيقول: «... احدى النتائج التي سيتوصل اليها المؤرخون في المستقبل من دراساتهم لاحداث صيف عام ١٩٦٧ هي ان اعظم عمل انجزته اسرائيل لم يكن انتصارها العسكري بل نجاحها في ايصال وجهة نظرها الى الرأي العام العالمي وقبوله بها ، وان هزيمة العرب الكبرى لم تكن على أرض المعركة بل في التنافس على استدراج عقول الناس » !!

٢ ــ من الحوادث الغريبة التي تدل على ان الدعاية الاسرائيلية ما زالت متشبثة ــ حتى الان وبعد انتصارها واحتلالها للمزيد من الارض العربية ــ برفع شعار ان العرب يريدون القاء اليهود في البحر ما رواه الصحفي والسياسي المصري المعروف محمد حسنين هيكل اخيرا في مقاله الاسبوعي الشهير بصراحة (**الاهرام** ، السنة ٩٩ ، العدد : ٣١٥٩٨ ، الجمعة ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٣) تحت عنوان «عزيزي المستشار » يقصد المستشار فيلي برانت مستشار المانيا الاتحادية (الغربية) . يقول هيكل : « ليس عندي ما اقوله عن مسز مائير ، فهي مغرمة بتحريف كلامي او باستنتاج ما لم اقله من خلال ما اكتب ... وهي امامك هذه المرة تكرر نفس الشيء ... تقول انني ادعو الى تدمير اسرائيل، والى القاء اليهود في البحر، وتستنتج ذلك من عبارة في مقالي الاخير كان ما قلته فيها بالنص : « ان اسرائيل ــ بوضعها وتركيبها ومزاجها الحالي ــ لا مستقبل لها في هذه المنطقة وانها كيان محكوم عليه تاريخيا ». ويضيف هيكل : « ولست ارى في هذه العبارة دعوة الى تدمير اسرائيل ، والى القاء اليهود في البحر . لقد خصصت حين قلت : « اسرائيل بوضعها وتركيبها ومزاجها الحالي » ... لم يكن الكلام اغلاتا ولا كان جزافا . ثم انني حددته حين قلت « انها كيان محكوم عليه تاريخيا » وقبل هذه الفقرة روى هيكل ان مسز مائير دفعت بكلام الى المستشار برانت قائلة له : تفضل واقرأ ماذا يقولون ... أليس هذا واحدا من الذين تقرأون لهم في اوروبا ــ ! ــ وتستمعون اليهم ... ها هو بخط يده وبعظمة لسانه يطالب بتدمير اسرائيل والقاء اليهود في البحر .. حتى تصدقونا عندما نقول لكم ان عداء هؤلاء الناس لا يقف عند حد .

هذه الواقعة تفسر لنا كيف يستخرج الذهن الاسرائيلي على هواه من كلام العرب ما يريد استخراجه ويفسره بالشكل الذي يحلو له ويروقه . لا نريد هنا ان نستبق الامور فندعي بان هذا تقريبا وعلى نحو ما هو اسلوب

اسرائيل ، قادتها ، ورجال دعايتها في قولهم بأن العرب يريدون القاء اليهود في البحر . ومما يستحق الذكر هنا ان محمد حسنين هيكل كان واحدا من اكثر الذين نعوا على العرب تهديداتهم « العنترية » بالقضاء على اسرائيل او تدميرها او القاء اليهود في البحر .

٣ ــ في موقف الصهيونية والفكر الصهيوني تجاه العرب انظر على سبيل المثال :

أ ــ الدكتور اسعد رزوق : **اسرائيل الكبرى ــ دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني** . سلسلة كتب فلسطين ــ ١٣ مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت تموز (يوليو) سنة ١٩٦٨ .

ــ **الصهيونية وحقوق الانسان العربي** ، جزءان . دراسات فلسطين ٤٧ ، ٤٨ . مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ .

ب ــ ج. م. ن. جفريز : **فلسطين اليكم الحقيقة** . ترجمة احمد خليل الحاج . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١ ، ١٩٧٢ (أربعة اجزاء) .

ج ــ ملخص كتاب **التجربة والخطأ (مذكرات حاييم وايزمان)** ترجمة وديع البستاني،مطبعة الحكيم ، الناصرة ، ١٩٦٤ .

د ــ **يوميات هرتزل** ــ اعداد د. أنيس صايغ. سلسلة كتب فلسطينية ــ ١٠ . مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، كانسون الثاني (يناير) ١٩٦٨ .

وغير ذلك من المؤلفات التي تتوافر حاليا في المكتبة العربية .

٤ ــ الدكتور علي الدين هلال : « التطويق الصهيوني للرأي العام الامريكي » . **السياسة الدولية** : السنة التاسعة ، العدد ٣٣ ، تموز (يوليو) ١٩٧٣ . ص ٤٢ ، وانظر ص ٣٩ .

٥ ــ حين ذهبت « لجنة كينج ــ كراين » الى فلسطين ، كان أهل كل قضاء يستقبلونها رافعين شعارات وطنية ، كان من بينها شعار « الدين لله والوطن لاهله » ، كما في قضاء جنين في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩١٩ . (انظر **الكوكب** ، العدد ١٤٨ ، في ٨ تموز (يوليو) ١٩١٩ ، ص ٤) .

٦ ــ الدكتور أسعد رزوق ، **اسرائيل الكبرى** ، ص ٣٦٧ .

٧ ــ **المصدر نفسه** .

٨ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٣٩٠ ــ ٣٩١ .

٩ ــ عبد الوهاب الكيالي (جامع ومصنف) : « **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (١٩١٨ ــ ١٩٣٩)** » . مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ . ص ٢ .

١٠ ــ **الكوكب** ، العدد ١٣٧ ، في ١٩١٩/٤/١٨. ص ١٢ .

١١ ــ **الكوكب** ، العدد ١٤٩ ، في ١٩١٩/٧/١٥، ص ٣ .

١٢ ــ نقلا عن أسعد رزوق : **اسرائيل الكبرى** ، ص ٤٢٤ .

١٣ ــ **الكوكب** ، العدد ١٤٨ ، في ١٩١٩/٧/٨ ، ص ٢ .

١٤ ــ **الكوكب** ، العدد ١٥٠ ، في ٢٢/٧/ ١٩١٩ . ص ٥ .

١٥ ــ د. أسعد رزوق : **اسرائيل الكبرى** ، ص ٤٢٥ .

١٦ ــ ا. شليستر : « الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين » (دراسة منشورة في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٢٩ . ترجمة رياض يونس . **دراسات عربية** ، السنة السادسة ، العدد ١٠ ، اب (أغسطس) ١٩٧٠ . ص ٣١ ــ ٣٢ .

١٧ ــ اميل توما : **جذور القضية الفلسطينية** . دراسات فلسطينية ــ ٩٢ . مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣ . ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

١٨ ــ الكيالي : **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية** ، ص ٩٨ .

١٩ ــ محمد عبد الله عنان : « القضية الفلسطينية كما هي اليوم : حديث لسعادة رئيس اللجنة التنفيذية كاظم باشا » **السياسة الاسبوعية** ، العدد ٦٣ ، السبت ٢١ ايار (مايو) ١٩٢٧ . ص ١٨ .

٢٠ ــ **الاهرام** ، السنة ٥٦ ، العدد ١٦٢٣٦ ، ٥ شباط (فبراير) ١٩٣٠ . ومن امثلة التزوير الصهيوني في تلك السنة نسبة احاديث وأقوال الى بعض القادة العرب لم يقولوها ، ومن امثلة ذلك : نسبة حديث من ملك مصر الى الحاخام الاكبر في مصر ، وحديث من شيخ الجامع الازهر الى الحاخام ، وتزوير حديث عن

لسان المفتي الحاج أمين نشر في « **البالستين بولتين** » وغير ذلك . انظر **المقطم** ، العدد ١٢٣٨١ في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٩ ، وفي ٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٩ ، و ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٩ ، و ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠ .

٢١ — شليستر : « الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين » ، **مرجع سابق** ، ص ٣٨ .

٢٢ — **المصدر نفسه** .

٢٣ — الشائع ان مثل هذه الرسالة نسب الى الحاج امين الحسيني . وقد اثير هذا أمام « لجنة شو » التي جاءت للتحقيق في اسباب الانتفاضة . واثار الموضوع مريمان « محامي الجانب الصهيوني » ، ولكنه لم يستطع ان يجزم بصحته (انظر نص الرسالة المزعومة في **المقطم** العدد ١٢٣٨١ ، مرجع سابق) . ولكن محامي الحكومة اي محامي الادارة الانتدابية في فلسطين اعلن اعتراف الحكومة بتزوير الرسالة . ووافقه على هذا رئيس اللجنة حتى انه هدد الصحفيين بحرمانهم من حضور الجلسات اذا لم يراعوا الدقة فيما ينشرونه ، لان الصحف الصهيونية حرصت على اثارة الموضوع والتهويل فيه واعتباره حقيقة واقعة. انظر **المقطم** ، العدد ١٢٣٨٣ في ١٩٢٩/١١/١٠.

٢٤ — يعتبر الشيخ عز الدين القسام هو مفجر الشرارة الاولى لهذه الثورة العظيمة . وهو من رجال الدين . ولكنه كان لصيقا بالطبقات الكادحة من الشعب ، ولم يكن مواليا للقيادات الاقطاعية التقليدية ، ولا كان من المتاجرين بالدين . كان مناضلا استوعب المفهوم النضالي للدين الاسلامي من حيث هو عقيدة تحض على الجهاد دفاعا عن الحق ، سواء كان حقا فرديا أو حقا جماعيا ، سواء تعلق بدم الفرد او ماله او عرضه ، او بأرض الوطن او ما اطلق عليه الفقهاء « دار الاسلام » التي اعتبروا ان الاعتداء عليها يجعل الجهاد فريضة على كل مسلم قادر .

٢٥ — نقلا عن **الاهرام** ، السنة الخامسة والخمسون ، العدد ١٦١٠١ ، في ١٩٢٩/١٠/٢.

٢٦ — **الاهرام** ، السنة ٥٥ ، العدد ١٦١٧٣ ، ١٩٢٩/١٢/١٤ .

* هذا خطأ لغويا ، والصحيح ان يقال و « سنظل » .

٢٧ — **المقطم** ، السنة ٤١ ، العدد ١٢٣٩٤ ، في ١٩٢٩/١١/٢٣ .

٢٨ — الكيالي : **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية** ، ص ٢٠٦ .

٢٩ — محمد توفيق جانا : « **الشهادات السياسية أمام اللجنة الملكية في فلسطين** » . مطبعة بابيل ، دمشق ، ١٩٣٧ ، ص ٤٤ — ٤٥ .

٣٠ — **المصدر نفسه** ، ص ١٥٣ و١٥٩ — ١٦٠.

٣١ — **المصدر نفسه** ، ص ٣٤٣ — ٣٤٤ .

٣٢ — الكيالي : **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية** ، ص ٦١٢ — ٦١٣ .

٣٣ — الامانة العامة لجامعة الدول العربية [ادارة فلسطين — الشعبة السياسية] : **الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين — المجموعة الاولى ١٩١٥ — ١٩٤٦** . مطبعة جريدة الصباح ، القاهرة ، دون تاريخ ، ص ٣٤٨ .

٣٤ — جميل الشقيري : **مجموعة الشهادات والمذاكرات المتقدمة الى لجنة التحقيق الانكلو اميركية المشتركة حول قضية فلسطين مع توافي اللجنة** . مطبعة النجاح التجارية ، يافا ، حزيران (يونيو) ١٩٤٦ . ص ٥٣ — ٥٤ .

٣٥ — **المصدر نفسه** ، ص ١٥٠ — ١٥١ .

٣٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٨ .

٣٧ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٨ .

٣٨ — نقلا عن : يوري ايفانوف : **احذروا الصهيونية** . مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، دون تاريخ . ص ١٠٢ .

٣٩ — ماري سميكين : **جولدا مائير** : ترجمة هيئة الاستعلامات ، وزارة الاعلام ، القاهرة ، بدون تاريخ . كتب مترجمة رقم ٧٠٥ ص ٤٠ .

٤٠ — خالد قشطيني : **الحكم غيابيا ، القضية الفلسطينية في نظر العالم الغربي** . سلسلة أبحاث فلسطينية — رقم ١١ . مركز الابحاث، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٩. ص ٢٦ .

٤١ — **المقطم** ، السنة ٤٢ ، العدد ١٢٤٨٧ ، في ١٩٣٠/٣/١٦ . وانظر العدد رقم ١٢٥٠١ في ١٩٣٠/٤/٣ .

٤٢ — أحمد الشقيري : **على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء** ، دار العودة ، بيروت ١٥/٦/ ١٩٧٢ .

٤٣ — **الشورى** ، السنة الخامسة ، العدد ٢٤٠، ١٩٢٩/٨/٢٨ .

٤٤ ــ **المصدر نفسه** . وقد مر بنا ان حاخام القدس ارسل نفس البرقية الى حاخام باريس .

٤٥ ــ **الاهرام** . السنة ٥٥ ، العدد ١٦١٠١ ، ١٩٢٩/١٠/٢ .

٤٦ ــ للوقوف على الاسلوب الذي اتبعته الصحف ووكالات الانباء البريطانية خاصة « رويتر » في تغطية اخبار فلسطين في ذلك الوقت ، وكيف كانت تنسب الى العرب القيام بالاعتداء على « اليهود » ومقدساتهم ، انظر **الشورى** ، العدد ٢٤٠ ، مرجع سابق ، والاعداد التالية ، في متابعتها لاحداث فلسطين . وانظر رسالة محمد ابو الفيلات من نيويورك الى **الشورى** ــ العدد ٢٤٥ في ١٩٢٩/١٠/١٦ ــ **وقد ذكر فيها** ان «معظم الصحافة الاميركية في هذه الاونة تحمل على العرب في فلسطين بمناسبة الثورة ناسبة الينا التوحش والوحشنة . أما ذنبنا منذ ذلك لاننا نريد ان نعيش في بلادنا احرارا». **ولمزيد من** التفصيلات عن موقف الصحافة الامريكية ، انظر **الشورى** العدد ٢٤٨ ، ١٩٢٩/١١/٦ . **ومن** المعروف ان جل ان لم يكن كل مراسلي الصحف العالمية في فلسطين في تلك الايام كانوا من الصهيونيين او على الاقل من الموالين للصهيونية .

٤٧ ــ **الشورى** ، السنة الخامسة ، العدد ٢٤٤ ، ١٩٢٩/١٠/٩ .

٤٨ ــ **السياسة** ، السنة الثامنة ، العدد ٢١٩١ ، ١٩٢٩/١١/١٠ . وانظر عدد ١٩٢٩/١١/١٥ ايضا .

٤٩ ــ **من الفكر الصهيوني المعاصر** ــ سلسلة كتب فلسطينية ــ ١١ . مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، شباط (فبراير) ١٩٦٨ . ص ٩٢ و١٦٢ و١٨١ .

٥٠ ــ الدكتور اسعد رزوق : **اسرائيل الكبرى** ، ص ٦٢٤ .

٥١ ــ **« محاضر الكنيست ــ نصوص مختارة من محاضر الكنيست السادس ، الدورة الثانية »**. مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالاهرام ومؤسسة الدراسات الفلسطينية ، القاهرة وبيروت ، ١٩٧١ ، ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧ .

٥٢ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٦٥٢ .

٥٣ ــ عقيل هاشم : **تخطيط الاعلام العربي** ، دراسات فلسطينية ٤٥ . مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطيني ، بيروت ، ١٩٦٨ . ص ٧١ .

٥٤ ــ الدكتور حامد ربيع : **فلسفة الدعاية الاسرائيلية** ، ص ٧٧ .

٥٥ ــ شلومو نيكدمون : **ما قبل ساعة الصفر : قصة الاحداث التي سبقت حرب الايام الستة**. وزارة الارشاد القومي ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة . كتب مترجمة رقم ٦٨٩ ، بدون تاريخ ، ص ٨٨ ــ ٨٩ .

٥٦ ــ مقابلة مع لطفي الخولي . **الاهرام** ، ٣ /١٩٦٧/٧ ، نقلا عن خالد قشطيني : **الحكم غيابيا** ، ص ١٠٤ .

٥٧ ــ احمد بهاء الدين : **اسرائيليات وما بعد العدوان** . طبعة كتاب الهلال ، العدد ٢٠٠ . دار الهلال ، القاهرة ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ . ص ٢٨١ .

٥٨ ــ نبيل أيوب بدران : « حرب الشرق الادنى في صحافة المانيا الغربية » (عرض كتاب) : **شؤون فلسطين** ، العدد الخامس ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ . ص ٢٥١ .

٥٩ ــ الدكتور ميشال سليمان : « وسائل الاعلام الجماهيرية والحرب » ، **مرجع سابق** ، ص ٩٧ .

٦٠ ــ **المصدر نفسه** ، انظر الجدول رقم (٥)، ص ١١٦ ــ ١١٧ .

٦١ ــ تركز الدعاية الصهيونية والاسرائيلية على تعليقات الاذاعات العربية ، وتنسب اليها ــ ربما اكثر من غيرها من اجهزة الدعاية العربية ــ « التهديد بالقاء اليهود في البحر » . وينسب البعض مثلا الى اذاعة دمشق أنها قالت في ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٧ : « لقد صممنا على ان نغسل هذه الارض بدمائنا، وعلى أن نطردكم أيها المعتدون وان نلقي بكم في البحر الى الابد » . يذكر ذلك الكاتب الصهيوني المعروف والتر لاكور في كتابه **« الطريق الى حرب ١٩٦٧ : جذور الصراع العربي الاسرائيلي »** ــ كتب مترجمة رقم ٦٦٣ . الهيئة العامة للاستعلامات، وزارة الارشاد القومي ، القاهرة ، شباط (فبراير) ١٩٦٩ . ص ٥٣ . ومع ان العبارة تتحدث عن « المعتدين » ، والمقصود بها الصهاينة ، فانها يمكن أن تؤخذ أصلا كتعبير مجازي اكثر منها تعبيرا حرفيا . وهذا ينطبق على اكثر العبارات العربية التي فسرت على

هاجموا منطقة كذا ، دون ان تشير الى الهدف المحدد الذي تمت مهاجمته .

٢ ــ تتجاهل اسرائيل الاشارة الى ضرب اي جسر او اي شبكة لتوزيع المياه أو الكهرباء ، مكتفية فقط بالحديث عن الهجمات التي تستهدف المستعمرات . ومعلوم انه في حالة حرب من النوع الذي نشهده ، يكون لضرب الجسور وأعمدة الكهرباء تأثير أفضل من تأثير العمليات التي تستهدف المستعمرات .

٣ ــ تؤكد اسرائيل في كل اخبارها المذاعة ان عمليات الفدائيين لم تحدث اي اصابة بشرية ، ولم تستطع الحاق اي ضرر بالابنية والمنشآت .

وتكرر اسرائيل هذا الادعاء بشكل متواصل ، بحيث يصبح استمرار النفي بحد ذاته ، هو الذي يؤكد جدوى العمليات الفدائية ، خاصة وان اسرائيل وهي تنفي اي خسارة في الارواح او المنشآت ، تركز على ابراز كثافة نيران الفدائيين .

٤ ــ النقطة الواضحة دائما في بيانات اسرائيل هي خسائر الفدائيين فقط .

٥ ــ كان الفدائيون يقومون بكل عملياتهم يوميا وبصورة متواصلة . ولكن الاعلان الاسرائيلي عن العمليات كان يكتفي بذكر بعض الوقائع كل يومين او ثلاثة .

. وبعد هذه الملاحظات حول طبيعة الاعلان الاسرائيلي عن العمليات الفدائية نستطيع الانتقال الى التفاصيل . وفي هذه التفاصيل نجد ان اسرائيل اعترفت بنفسها ان الفدائيين هاجموا منذ اندلاع الحرب ٢٣ مستعمرة اسرائيلية في منطقة الجليل فقط . وبعض هذه المستعمرات تم الهجوم عليه أكثر من مرة مثل كريات شمونا (الخالصة) والمطلة . وقد بدأ ترابط العمل الفدائي كما يلي :

ــ يوم ١٠/٧ وجه السيد ياسر عرفات دعوة الى جميع اعضاء المنظمات الفدائية لضرب المصالح الاسرائيلية في كل مكان داخل اسرائيل .

ــ يوم ١٠/٨ ، وتلبية لنداء القائد العام للثورة الفلسطينية اعترفت اسرائيل بانه قد « جرت خلال الليل أعمال (تخريبية) على طول الحدود اللبنانية . فقد أطلق (المخربون) عددا من صواريخ الكاتيوشا وقذائف الهاون والبازوكا ، باتجاه كريانه شمونه . الا أن أحدا لم يصب بأذى ، ولم تقع اضرار » .

وردا على هذه العمليات قام الطيران الاسرائيلي بمهاجمة المواقع الفدائية في منطقة العرقوب .

ــ يوم ١٠/٩ اعترفت اسرائيل بأن مجموعة من الفدائيين تسللت باتجاه المطلة ، ولكنها اذاعت الخبر قائلة انه عندما « أطلق عليهم بعض قذائف الهاون بدأت المجموعة الانسحاب نحو الحدود اللبنانية » .

ومن الضروري هنا ان نلاحظ انه في الايام الثلاثة الاولى للقتال ، كان الهجوم على أشده في الجولان ، وكان العمل الفدائي بالتالي منسجما في عملياته مع مجرى القتال العام . وقد تغير هذا المجرى يوم ١٠/٩ حيث كان الهجوم الاسرائيلي المضاد قد بلغ ذروته ، وعلى ضوء هذا الهجوم ، رفع الفدائيون من كثافة عملياتهم . وفي صباح اليوم التالي ١٠/١٠ ظهرت نتائج هذه العمليات . فقد اعترفت اسرائيل بنشاط مكثف للفدائيين امتد حسب اعترافهم من منطقة فتح لاند (العرقوب) وحتى رأس الناقورة ، واطلقت في هذا الهجوم من ٤٠ ــ ٥٠ قذيفة كاتيوشا . وشملت هذه الهجمات :

نهاريا : صاروخ كاتيوش .

جسر الزيب : ٦ صواريخ كاتيوشا .

كريات شمونا : ٣٠ صاروخ كاتيوشا .

حرشات تال : ٨ صواريخ كاتيوشا .
كيبوتس يفتاح : قذيفة بازوكا .
مرجليوت : قذيفة بازوكا .

وبالرغم من كل هذه العمليات قالت اذاعة اسرائيل انه لم تحدث اية اضرار ، ولم تقع أي خسائر بالارواح باستثناء شخص واحد اصيب بجراح خفيفة . ولكن هذا التقليل الاعلامي المتعمد لتأثير العمليات الفدائية ، لم يكن منسقا مع كبير المعلقين الاسرائيليين العسكريين الذي اعترف في نفس اليوم انه « في هذه الليلة فتحت جبهة اخرى ، وهي على الرغم من صغرها الا انها جبهة على كل حال . واقصد بها نشاط (المخربين) من وراء الحدود ضد مستوطناتنا » .

— وبعد ذلك بيومين (١٠/١٢) قالت اذاعة اسرائيل « عاد (المخربون) الليلة وأطلقوا قذائف بازوكا وصواريخ كاتيوشا على : المطلة ، ومعالوت ، وشلوميت حيث اصيب أحد المنازل . وفي المواقع الاخرى لم تقع أضرار » .

— يوم ١٠/١٥ قالت اذاعة اسرائيل « شهدت الحدود اللبنانية نشاطا محدودا قام به (المخربون) . فقد أطلقت قذائف على منطقة رأس الناقورة وبيست . وقد كمنت قواتنا للمخربين وقتلت ٦ منهم ولم تقع اصابات بين قواتنا » .

— يوم ١٠/١٦ قالت اذاعة اسرائيل « واصل (المخربون) هجماتهم الليلة ايضا . وقد اطلقت قذائف بازوكا على زرعيت واصيب احد المواطنين اصابات طفيفة . واما في منطقة المنارة ، فقد قتل ٣ (مخربين) في اشتباك » .

وبينما كان الفدائيون الفلسطينيون يقومون بهذه العمليات ، اعلنت الولايات المتحدة رسميا انها ستعوض اسرائيل عن كل خسائرها العسكرية ، وطلب نيكسون موافقة الكونجرس الاميركي على مساعدات لاسرائيل مقدارها ملياران و ٢٠٠ مليون دولار . وفي ضوء هذا الموقف الاميركي شدد الفدائيون مرة اخرى من ضرباتهم ورفعوا من كثافة عملياتهم . ففي يوم ١٠/١٧ قالت اذاعة اسرائيل « كان هناك نشاط واسع قام به (المخربون) في شمال البلاد ، فقد قصفت مستعمرات يعارا ، والمالكية ، والمطلة ، ودان ، بالبازوكا وصواريخ كاتيوشا . وقد اصيب مواطن من المطلة ، كما اصيب منزل وسيارة » .

— وفي يوم ١٠/١٨ اعلنت اسرائيل ان صاروخا من طراز كاتيوشا قد اطلق على بلدة شلومي ، وجرح احد المواطنين . وأضافت « قامت مجموعات من (المخربين) بالعمل في الشمال ، حيث قصفت المنارة ، ولم يصب احد بأذى . كما اطلقت عدة قذائف على رمات مجشميم ، ولم تقع اصابات » .

— يوم ١٠/١٩ اعترفت اسرائيل « ان المخربين قاموا الليلة بنشاط واسع في المنطقة الشمالية . فقد ضربت اماكن مختلفة مما ادى الى اصابة اثنين من الاسرائيليين احدهما اصيب بجراح خطيرة ، كما اشعلت النار ببعض الحقول . وفي بعض الحالات جرى الرد على النار بالمثل . وفي منطقة بيرانيت قتل كمين اقامته قواتنا اثنين من (المخربين)» .

وجريا على عادة اسرائيل في اخفاء خسائرها نتيجة العمليات الفدائية فقد اعلنت يوم ١٠/٢٠ انه قد « توجه ٢٠ من رجال الشرطة صباح اليوم للقيام باعمال المساعدة على اصلاح الالواح الزجاجية التي تهشمت في كريات شمونه بفعل صواريخ الكاتيوشا في الليالي الاخيرة » .

وبعد هذا التقليل المضحك من آثار العمليات الفدائية ، اضطر الناطق الاسرائيلي لان

يعترف في اليوم التالي ١٠/٢١ ، بأن الفدائيين هاجموا ست مناطق دفعة واحدة . وهذه المناطق هي : افيفيم ، المطلة ، وكريات شمونه ، بيت هليل ، كفار سولد ، هجوشريم ، والمنطقة بين كريات شمونه والمنارة . وقال الناطق الاسرائيلي كالعادة ، انه لم تقع اصابات في جميع هذه العمليات .

واذا توقفنا عند هذا الحد من نشاط الفدائيين ، نجد ان هذا النشاط قد شمل حسب الاعتراف الاسرائيلي ٢٣ مستعمرة ، وكان عدد الهجمات ٢٩ هجوما . الا ان الناطق الاسرائيلي نفسه اعترف في اليوم التالي ١٠/٢٢ ، أن الفدائيين قد قاموا منذ اندلاع الحرب بالهجوم على ٤٢ مستعمرة ، وبلغ عدد هجماتهم ٢٠٠ هجوم ، اي بمعدل ١٢ هجوما في اليوم الواحد . وهذا وحده كاف لان يبرز نقطتين هامتين :

١ — ان الناطق الاسرائيلي يقدم بنفسه الدليل المادي على كذب الاعلام الاسرائيلي ، وعلى توجهه للتقليل من عدد العمليات الفدائية . فمجموع الاعترافات اليومية يصل الى ٢٩ عملية فقط ، بينما يصل الاعتراف النهائي الى ٢٠٠ عملية .

٢ — ان النشاط الفدائي كان كثيفا وفعالا وقريبا من البيانات العسكرية الفدائية . وهو نشاط لا بد وان تكون له دلالات سياسية في المرحلة المقبلة .

المناطق والمستعمرات التي شملهـا نشـاط الفدائيين حسب اعترافات اسرائيـل

١ — كريات شمونا
٢ — المطلة
٣ — جسر الزيب
٤ — نهاريا
٥ — مرجليوت
٦ — حرشات تال
٧ — كيبوتس يفتاح
٨ — معالوت
٩ — شلوميت
١٠ — رأس الناقورة
١١ — بيست
١٢ — زرعيت
١٣ — المنارة
١٤ — يعارا
١٥ — المالكية
١٦ — دان
١٧ — شلومي
١٨ — رمات مجشيم
١٩ — بيرانيت
٢٠ — افيفيم
٢١ — بيت هليل
٢٢ — كفارسولد
٢٣ — هجوشريم

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٩٧٣/٩/١٤ — ١٩٧٣/١٠/٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة استشهد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	٩/١٤	١٩٤٣٠	الطريق العام بين صفد — ميرون القاءقنبلة	تفجير	قنبلة يدوية	٢	٣	تدمير سيارة عسكرية واشتعال النيران فيها	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٧٨	٩/١٧
٢	٩/١٦	١٤٣٠	نهاريا	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير واشعال النيران في مصنع « بلينغ » للموبيليا	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٧٩	٩/١٧
٣	٩/١٧	٢١٤٠٠	ناتانيا	هجوم	أسلحة رشاشة	غيرمحدد		هجوم بالمدافع الرشاشة على تجمع للعسكريين امام سينما شارون	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٨٠	٩/١٧
٤	٨/٣٠	٣٤٠٠	تل ابيب/حي كريات شالوم	تفجير	عبوة حارقة	—	—	تدمير شاحنة واشعال النيران فيها	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٨١	٩/١٧
٥	٨/٣٠	—	تل ابيب/شخونات فرزا	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد		اشعال النيران في بركس للشرطة العسكرية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٨٢	٩/١٨
٦	٩/٢١	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير سيارة تابعة للجهاز الصهيونية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٨٣	٩/٢١
٧	٩/١٠	—	بتاح تكفا/تل ابيب	تفجير	قنابل موقوتة	—	٩	اصابة محطة القطارات باضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٨٤	٩/٢١
٨	٩/٢٢	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير جزء من بناية يسكن فيها يعقوب بدريك الذي يعمل سجانا في سجن الرملة واصابة البنايات المجاورة لها باضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٨٥	٩/٢٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٩	٨/٢٨	١٣٤٠٠	بتاح تكفا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير محلات شورلي وامتداد النيران الى المحلات المجاورة وتقدر الخسائر بمليون ونصف ليرة اسرائيلية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٨٦	٩/٢٢
١٠	٩/٢٤	١٨٤٠٠	تل ابيب/تل باروخ	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد		تدمير منتجع تل باروخ واصابته باضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٨٩	٩/٢٦
١١	٩/٢٥	٢٤٤٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير احد ابراج الضغط العالي الكهربائي	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٩٠	٩/٢٦
١٢	٩/٢٨	١٤٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير مصنع للبلاستيك واشتعال النيران وامتدادها الى الابنية المجاورة ومنها مصنع للمواد الغذائية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٩١	٩/٢٩
١٣	٩/٢٧	٢٤٤٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير جزء من مطعم كبير يقع في شارع ديزنكوف ٩٣ واشتعال النيران في معظم محتوياته	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٩٢	٩/٢٩
١٤	٩/ ٨	١٩٤٣٠	تل ابيب/شارع متسباع كيدش	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير جزء من نادي للشبيبة واشتعال النيران فيه	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٩٣	٩/٣٠

١٥ — ٩/١٥	—	تل‌ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	— —	تدمير مكتب عضو الكنيست « يعقوب نحو شتان »	— — —	تصريح عسكري رقم٧٩٤	٩/٣٠
١٦ — ٩/١٦	—	عكا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير الطابق الارضي من مبنى دائرة الضباط الاحداث واشتعال النيران في المبنى	— — —	تصريح عسكري رقم٧٩٥	٩/٣٠
١٧ — ٩/٢٩	—	غابات الكرمل	تفجير	عبوات حارقة	— —	اشتعال النيران في عشرات الدونمات من الاشجار، تدمير معظم التحصينات الخاصة بتدريب المشاة في الغابة، احتراق عدد من خيام العدو	— — —	تصريح عسكري رقم٧٩٦	٩/٣٠
١٨ — ٩/٢٩	٢٤٠٠٠	مستعمرة سوريناتان /جنوب‌طولكرم	قصف	صواريخ	غيرمحدد	اندلاع النيران في المستعمرة	— — —	تصريح عسكري رقم٧٩٧	١٠/ ١
١٩ — ٩/٢٩	—	خان‌يونس/جنوب قطاع غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة باص بأضرار تابع لشركة «ايجد»	— — —	تصريح عسكري رقم٧٩٨	١٠/ ١
٢٠ — ٩/ ٥	—	غزة	تفجير	عبوات حارقة	— —	اشتعال النيران في مستودعات « حاييم بن بط » للاخشاب	— — —	تصريح عسكري رقم٧٩٩	١٠/ ١
٢١ — ٩/١٥	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	— —	احداث فجوتين في احدى سفن الشحن الاسرائيلية في ميناء غزة واتلاف معظم محتوياتها	— — —	تصريح عسكري رقم٨٠٠	١٠/ ٢
٢٢ — ١٠/ ١	—	بين جنين ونابلس	كمين	قنابل يدوية واسلحةرشاشة	غيرمحدد	تدمير احدى سيارات العدو واعطاب اخرى	— — —	تصريح عسكري رقم٨٠١	١٠/ ٤

العمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية في الاسبوعين الاولين من الحرب

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	١٠/ ٦	١٤،٠٠	عين عطا/جنوب لبنان	غارة	—	—	—	قام طيران العدو بالاغارة على مواقع للثورة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١	١٠/ ٦
٢	١٠/ ٦	١٦،٤٥	القطاع الشرقي/ الجولان	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		التصدي لقوات العدو على طول امتداد المواجهة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢	١٠/ ٦
٣	١٠/ ٦	١٧،٢٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تعطيل اذاعة العدو باللغة العبرية حيث توقفت لمدة خمس عشرة دقيقة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٣	١٠/ ٦
٤	١٠/ ٦	—	الخالصة	قصف	صواريخ	غيرمحدد		غير محدد	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٤	١٠/ ٦
٥	١٠/ ٦	١٩،٠٠	اللطرون	كمين	قنابل يدوية ورشاشات	غيرمحدد		تدمير خمس سيارات من قافلة عسكرية مكونة من اثني عشر سيارة واشعال النيران فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥	١٠/ ٦
٦	١٠/ ٦	١٨،٠٠	الخضيرة — حيفا	هجوم	بازوكا	غيرمحدد		تدمير باص عسكرية تحمل عددا من الطيارين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦	١٠/ ٦
٧	١٠/ ٧	١،٠٠	شبعا/العرقوب	قصف	—	—	—	قام العدو بقصف مواقع للثورة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧	١٠/ ٧

٨ — ٧ /١٠	—	دان واشكول/ الجولان	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	٨	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨	٧ /١٠
٩ — ٧ /١٠	—	الخالصة/العباسية	قصف	مدفعيةوصواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت حيث استمر القصف ثلاث ساعات	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨	٧ /١٠
١٠ — ٧ /١٠	١٤٠٠	المنارة وهونين	قصف	مدفعيةوصواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت حيث استمر القصف ساعة وعشرين دقيقة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٩	٧ /١٠
١١ — ٧ /١٠	٣٤٠٠	ترشيحا ومعلولا	قصف	صواريخ	غيرمحدد	قصف المصانع والمنشآت العسكرية فيهما	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٠	٧ /١٠
١٢ — ٧ /١٠	٣٤٣٠	ترشيحا/معلولا	كمين	أسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير عدد من آليات العدو في اشتباك دام تسعين دقيقة	٢	١	—	بلاغ عسكري رقم ١٠	٧ /١٠
١٣ — ٧ /١٠	٩٤٠٠	رويسات العلم/ القطاع الشرقي	قصف	مدفعيةوصواريخ	غيرمحدد	احتلال مواقع في القطاع وتدمير عدد من منشآت العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١١	٧ /١٠
١٤ — ٧ /١٠	—	غوربيسان الشمالي	قصف	غير محدد	غيرمحدد	اصابة المستعمرات بأضرار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٢	٧ /١٠
١٥ — ٧ /١٠	١٢٤١٥	جبل الشيخ	قصف	غير محدد	—	اصابة طائرتين للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٣	٧ /١٠
١٦ — ٦ /١٠	٢٣٤٠٠	عتليت	هجوم	أسلحةمختلفة	غيرمحدد	مهاجمة احدى القواعد البحرية	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٤	٧ /١٠
١٧ — ٦—٧/١٠	—	مطار تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير خزانات الوقود واشتعال النيران فيها كما تعطلت حركة الطيران الحربي في المطار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٥	٧ /١٠
١٨ — ٦ /١٠	—	مفرق الظاهرية بئر السبع	كمين	أسلحةمختلفة	غيرمحدد	تدمير عدد من سيارات قافلة تموين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٦	٧ /١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١٩	١٠/ ٧ —	٤٤٣٠	جبل الشيخ	هجوم	اسلحةمختلفة	غيرمحدد		اضرار بالغة ، وتم تحرير موقع رفع عليه العلم الفلسطيني	٥	١١	—	بلاغ عسكري رقم ١٨	١٠/ ٧
٢٠	١٠/ ٨ —	٠٤٤٠	منطقة سمسع/ الجولان	هجوم	صواريخ ومدافع الهاون	غيرمحدد		اصابة المعسكر بأضرار بالغة	١	٣	—	بلاغ عسكري رقم ١٩	١٠/ ٧
٢١	١٠/ ٨ —	٢٤٠٠	جبل الجرمق/ الجليل الغربي	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد		قصف شبكة الرادار الموجودة على قمة الجبل المذكور	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢٠	١٠/ ٨
٢٢	١٠/ ٨ —	٢٣٠٣٠	ادمك/الجليل الغربي	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		تدمير وتعطيل سير قافلة عسكرية	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢١	١٠/ ٨
٢٣	١٠/ ٨ —	١٤٣٠	ادمك/الجليل الغربي	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد		قصف مستعمرة ادمك	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢١	١٠/ ٨
٢٤	١٠/ ٧ —	٢٣٠٠	مستعمرةهونين	اشتباك وقصف	أسلحة رشاشة مختلفة ومدافع الهاون	غيرمحدد		تعطيل قافلة عسكرية	—	٢	—	بلاغ عسكري رقم ٢٢	١٠/ ٨
٢٥	١٠/ ٧ —	—	جبل أمحواويط/ النقب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تفجير مستودعات الذخيرة والاحتياط هناك	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٨٠٣	١٠/ ٨
٢٦	١٠/ ٧ —	—	بين بئرالسبع وعسلوج	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		تدمير ثلاث سيارات نقل عسكرية واشعال النيران فيها	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٨٠٤	١٠/ ٨
٢٧	١٠/ ٧ —	—	بين بيت شيمش وباب الواد/غرب القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	نسف عدد من الجسور والعبارات	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٨٠٥	١٠/ ٨

٢٨ — ١٠/ ٧	—	خان يونس/غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تفجير وتدمير عدة عربات من قطار محمل بالذخيرة واشتعال النيران فيها	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٨٠٦ ١٠/ ٨
٢٩ — ١٠/ ٧	٢٢،٠٠	كفارسابا وقلقيليا	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	مهاجمة مركز للشرطة العسكرية والاستيلاء على ثلاث رشاشات عوزي	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٨٠٧ ١٠/ ٨
٣٠ — ١٠/ ٧	٢٠،٠٠	بين اريحا والعوجا	كمين	شبكة الغام	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية واعطاب السيارة النصف مجنزرة	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٨٠٨ ١٠/ ٨
٣١ — ١٠/ ٨	١٧،٣٠	رويسة الرمثا/ الجولان	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آليتين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢٣ ١٠/ ٨
٣٢ — ١٠/ ٩	٢،١٥	مجدل يوث/ ومسكاف عام	قصف	مدفعية الهاون	غيرمحدد	اصابة عدة منشآت في المستعمرتين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢٤ ١٠/ ٨
٣٣ — ١٠/ ٩	٣،١٠	المنارة/الجليل الاعلى	قصف	مدفعية صاروخية	غيرمحدد	اصابة عدة منشآت وتجمعات للعدو بأضرار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢٥ ١٠/ ٨
٣٤ — ١٠/ ٨	٢٠،٠٠	مرتفعات جبل حوراني/الجولان	—	—	— —	تم السيطرة على هذا الموقع	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢٦ ١٠/ ٩
٣٥ — ١٠/ ٩	٢،٠٠	معسكر مشكول/ جبل الشيخ	قصف	مدافع الهاون	غيرمحدد	اصابة المعسكر بأضرار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢٧ ١٠/ ٩
٣٦ — ١٠/ ٩	٢،٣٠	بين مسكاف عام والمالكية	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تعطيل سير قوات العدو	—	١	١	بلاغ عسكري رقم ٢٨ ١٠/ ٩
٣٧ — ١٠/ ٩	١،٠٠	المنارة/الجليل الاعلى	اشتباك وقصف	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	قصف حشود العدو واصابة وتدمير عدد من الاليات	—	٣	—	بلاغ عسكري رقم ٢٩ ١٠/ ٩

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٣٨	١٠/ ٨	٢٢٤٠٠	صليحا/الجليل الاعلى	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		اقتحام عدد من المواقع العسكرية	٢	١	—	بلاغ عسكري رقم ٣٠	١٠/ ٩
٣٩	١٠/ ٩	—	منطقة البونة	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		اصابة عدة آليات للعدو	٢	—	—	بلاغ عسكري رقم ٣٣	١٠/ ٩
٤٠	١٠/ ٩	٨٤٣٠	ابرانيت/الجليل الاعلى	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		اصابة عدة آليات للعدو	١	١	—	بلاغ عسكري رقم ٣٥	١٠/ ٩
٤١	١٠/ ٨	—	كفارحسديم/حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير مستودعات النفط الاحتياط واشعال النيران فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٣٦	١٠/ ٩
٤٢	١٠/ ٨	—	يانفطاة	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير خط أنابيب البترول وتدمير مجمع المضخة الرئيسية واشتعال النيران فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٣٧	١٠/ ٩
٤٣	١٠/ ٨	—	بين الناصرة والمغولة /بين حيفا وعكا/بين باب الواد والرملة/ منطقة وادي العرار	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير الجسور في المناطق المذكورة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٣٨	١٠/ ٩
٤٤	١٠/ ٨	—	بين خان يونس ورفح	—	—	—	—	نزع قضبان سكة الحديد ولعدة مئات من الامتار مما عطل مرور القطارات	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٣٩	١٠/ ٩
٤٥	١٠/ ٨	—	بين القدس واريحا	تفجير	شبكة الغام	غيرمحدد		اصابة عدد من الاليات وتعطيل حركة المرور على الطريق	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٤٠	١٠/ ٩

٤٦	٩	١٠/	—	بين جلعادي والمطلة	قصف	صواريخ وأسلحة أخرى مختلفة	غير محدد	تدمير مهاجع جنود العدو ومستودعاته	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٤١	١٠/ ٩
٤٧	٩	١٠/	—	بركة النقار/العرقوب	—	—	—	تحرير هذه المنطقة بعد ان كان العدو قد احتلها عام ١٩٧٠	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٤٢	١٠/ ٩
٤٨	٩	١٠/	—	الجردي/الجليل الغربي	اشتباك	أسلحة مختلفة	غير محدد	تدمير عدد من الاليات	٤	٦	—	بلاغ عسكري رقم ٤٣	١٠/ ٩
٤٩	٩	١٠/	—	جبل الشيخ	اشتباك	أسلحة مختلفة	غير محدد	تدمير مرصد للعدو في المنطقة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٤٤	١٠/ ٩
٥٠	١٠/١٠	—	٣٤٠٠	نهاريا	قصف	صواريخ	غير محدد	اشعال النيران في عدد من المنشآت	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٤٥	١٠/١٠
٥١	١٠/١٠	—	١٤٣٠	بين المالكية والمنارة	كمين	قذائف صاروخية	غير محدد	اصابة عدد من الاليات من قافلة عسكرية	٣	١	—	بلاغ عسكري رقم ٤٦	١٠/١٠
٥٢	١٠/١٠	—	١٤٣٠	المنارة	قصف	مدافع الهاون	غير محدد	اصابة عدد من المنشآت وحشود العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٤٧	١٠/١٠
٥٣	١٠/١٠	—	١٤٣٠	المنارة	اشتباك	أسلحة رشاشة	غير محدد	ـــ	—	١	—	بلاغ عسكري رقم ٤٧	١٠/١٠
٥٤	١٠/١٠	—	٤٤٣٠	يفتاح	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير مركز اداريات العدو (تموين وتجهيزات) تدميرا كليا	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٤٨	١٠/١٠
٥٥	١٠/١٠	—	٢١٤٣٠	كريات شمونة وبانياس	اشتباك	أسلحة مختلفة	غير محدد	تدمير عدد من الاليات وموقع اداري	٥	٢	—	بلاغ عسكري رقم ٤٩	١٠/١٠
٥٦	١٠/١٠	—	٠٤٣٠	المطلة	اشتباك	أسلحة مختلفة	غير محدد	تدمير ثلاثة مواقع للعدو	٨	٥	—	بلاغ عسكري رقم ٥٠	١٠/١٠
٥٧	١٠/١٠	—	٢٤٣٠	شمونة وبانياس	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدد	اشعال النيران في بعض مواقع العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥١	١٠/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٥٨	١٠/١٠	٢٤٠٠	تلال ابو الروس	—	—	— —	احتلال رويس الرمثه وتحريرها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥١	١٠/١٠
٥٩	١٠/ ٩	—	برديس حنا/الخضيرة تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير مصنع لاطارات السيارات واشعال النيران فيه	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥٢	١٠/١٠
٦٠	١٠/١٠	١٤٠٠	وادي الصرار/ القدس	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تفجير مستودعات الذخيرة في معسكر للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥٣	١٠/١٠
٦١	١٠/١٠	١٤٠٠	الجولان	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	ضرب تجمعات وحشود العدو واصابة عدد من آلياته	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥٤	١٠/١١
٦٢	١٠/١٠	٠٤٣٠	مسكاف عام	هجوم وتصف	أسلحة مختلفة وصواريخ	غيرمحدد	ضرب قافلة مكونة من ثماني آليات عسكرية واعطاب عدد منها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥٦	١٠/١١
٦٣	١٠/١١	١٤٠٠	مازرعيت/الجليل الغربي	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	نسف مستودعات للاسلحة وعدة منشآت اخرى كما تم تدمير احدى السيارات العسكرية المحملة بالذخيرة	—	٣	—	بلاغ عسكري رقم ٥٧	١٠/١١

٦٤	١٠/ ٩	٢٤٤٠٠	اسدود ورشون لزيون	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير عدد من ابراج كهرباء الضغط العالي مما ادى الى انقطاع التيار الكهربائي	—	بلاغ عسكري رقم ٥٨ ١٠/١١
٦٥	١٠/ ٩	—	الخضيرة	تفجير	عبوات حارقة	—	—	تدمير جزء من مصنع للورق واحراق محتوياته	—	بلاغ عسكري رقم ٥٩ ١٠/١١
٦٦	١٠/١٠	٢٠٤٠٠	تل ابوالتيثار/ الجولان	هجوم	أسلحة صاروخية	غيرمحدد		تدمير عدد من الاليات	—	بلاغ عسكري رقم ٦٠ ١٠/١١
٦٧	١٠/١٠	٢٣٤٤٠	الخالصة/الجليل الاعلى	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد		اشعال النيران في مستودعات الوقود واصابة منشآت اخرى	—	بلاغ عسكري رقم ٦١ ١٠/١١
٦٨	١٠/١٠	٢٣٤٠٠	بانياس/القطاع الشمالي	قصف	مدفعية ثقيلة	غيرمحدد		اصابة معسكر تل المغاوير	—	بلاغ عسكري رقم ٦٢ ١٠/١١
٦٩	١٠/١٠	٢٤٤٠٠	بانياس — الدان	قصف	مدفعية	غيرمحدد		اصابة عدد من آليات العدو كانت ضمن قافلة تسير على هذا المحور	—	بلاغ عسكري رقم ٦٢ ١٠/١١
٧٠	١٠/١٠	—	اسدود — وبيت حانون/غزة	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير خط سكة الحديد وتعطيل الحركة عليه	—	بلاغ عسكري رقم ٦٣ ١٠/١١
٧١	١٠/١٠	—	منطقة عومر/بئر السبع	هجوم	ار.بي.جي. والرشاشات	غيرمحدد		تدمير قافلة مكونة من ست شاحنات محملة بالذخائر وقتل جميع حراساتها	—	بلاغ عسكري رقم ٦٤ ١٠/١١
٧٢	١٠/١٠	—	كفرمالك/رام الله	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير الرادار تدميرا كليا	—	بلاغ عسكري رقم ٦٥ ١٠/١١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٧٣	١٠/١١	١٨٤٠٠	مسادا/سمخ	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدة منشآت في المستعمرة باضرار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦٦	١٠/١٢
٧٤	١٠/١١	٢٤٤٠٠	مطار بيت هيل/ الحولة	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	يعتقد باصابة بضعة طائرات هليكوبتر كانت في ارض المطار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦٧	١٠/١٢
٧٥	١٠/١١	٢١٤٠٠	الخالصة/بانياس	كمائن	قذائف صاروخية	غيرمحدد	تدمير آليتين نصف مجنزرة وثلاث شاحنات كبيرة كانت تسير في قافلة عسكرية للعدو	—	١	—	بلاغ عسكري رقم ٦٨	١٠/١٢
٧٦	١٠/١٢	١٤٤٢٠	القطاع الشرقي/ جنوب لبنان	غارة للعدو	أسلحة مضادة	غيرمحدد	اصابة طائرة فانتوم	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦٩	١٠/١٢
٧٧	١٠/١١	٢١٤٤٠	المطلة/الجليل الاعلى	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير ثلاث منشآت للجنود واسكات رشاش ومربض مدفع هاون وتدمير آلية	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٠	١٠/١٢
٧٨	١٠/١٢	٠٤١٠	المطلة/محور ابل القمح	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آليتين للعدو من أربع آليات كانت ضمن دورية للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٠	١٠/١٢
٧٩	١٠/١١	—	هاكوشريم والخالصة	كمين	قذائف صاروخية	غيرمحدد	تدمير آلية للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧١	١٠/١٢
٨٠	١٠/١١	٢٢٤٠٠	هاكوشريم والخالصة	هجوم	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	تدمير عدة منشآت في المستعمرتين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧١	١٠/١٢

٨١ — ١٠/١١	—	دان — دفنه — سيا ، ياشوف	هجوم	هاون ٦٠ملم وصواريخ وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير بعض المنشآت الحيوية في المستعمرات كما شوهدت ثلاث طائرات هيلوكبتر تخلي الاصابات	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧١ ١٠/١٢
٨٢ — ١٠/١١	—	بانياس/صيرة الحسين	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير عربة نصف مجنزرة وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٢ ١٠/١٢
٨٣ — ١٠/١١	٢٠٤٣٠	نخيلة/دان	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير عربة نصف مجنزرة وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٢ ١٠/١٢
٨٤ — ١٠/١١	—	طريق العباسية/ بانياس	هجوم	أسلحة مختلفة ٨ — وقذائف صاروخية		تدمير احدى آليات العدو				
٨٥ — ١٠/١١	١٢٤٠٠	مرجعيون/ينتاح	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير رشاش ١٢٫٧ وقتل طاقمه	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٣ ١٠/١٢
٨٦ — ١٠/١١	—	سلمة	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	—	٤	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٣ ١٠/١٢
٨٧ — ١٠/١٢	—	قرب كفربرعم	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير جيب عسكري واعطاب مجنزرتين	١	٢	١	بلاغ عسكري رقم ٧٥ ١٠/١٣
٨٨ — ١٠/١٢	—	الفجر/بانياس	كمين	أسلحة مختلفة	١٠	تدمير آلية للعدو				بلاغ عسكري رقم ٧٦ ١٠/١٣
٨٩ — ١٠/١٢	—	معسكرفشكول	هجوم	هاونات ثقيلة ورشاشات متوسطة	غيرمحدد	اسكات مربض مدفعية للعدو				بلاغ عسكري رقم ٧٦ ١٠/١٣
٩٠ — ١٠/١٢	—	مستعمرة أفيفيم/ الجليل الاعلى	قصف	مدافع الهاون	غيرمحدد	تدمير احد مواقع العدو المحيطة بالمستعمرة				بلاغ عسكري رقم ٧٦ ١٠/١٣
٩١ — ١٠/١٢	—	مستعمرة زرعيت/ الجليل الغربي	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير مجنزرة واشعال النيران فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٦ ١٠/١٣
٩٢ — ١٠/١٢	—	الفجر والنخيلة/ الجولان	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير دبابة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٧ ١٠/١٣
٩٣ — ١٠/١٢	—	روض الفجر	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير ثلاث سيارات عسكرية	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٧ ١٠/١٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٩٤	١٠/١٢	—	بانياس/القنيطرة	تفجير	شبكة الغام	غيرمحدد	تدمير احدى سيارات العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٧	١٠/١٣
٩٥	١٠/١٢	—	الخالصة/المطلة	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آليتين ونصف مجنزرة	١	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٧	١٠/١٣
٩٦	١٠/١٢	—	جنوب رفح/غزة	كمين	قنابل يدوية والرشاشات	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية من نوع « باور واجن »	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٨	١٠/١٣
٩٧	١٠/ ٩	—	المجدل/شمال غزة	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	احراق محطة للبنزين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٩	١٠/١٣
٩٨	١٠/١٠	—	بيت حانون ودير سنيد/غزة	تفجير	ألغام	غيرمحدد	تدمير سيارة نصف مجنزرة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٠	١٠/١٣
٩٩	١٠/١١	—	شرقي خان يونس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	نسف عبارتين للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨١	١٠/١٣
١٠٠	١٠/١٣	—	نابلس	تفجير	القاء قنبلة	غيرمحدد	اصابة سيارة عسكرية بأضرار وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٢	١٠/١٣
١٠١	١٠/١٣	٢٤٣٠	معسكر العلم	قصف	قذائف صاروخية	غيرمحدد	اصابة المعسكر بأضرار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٣	١٠/١٤
١٠٢	١٠/١٣	—	بركة النقار	تفجير	حقل ألغام	— —	تم تدمير الالغام والاسلاك	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٣	١٠/١٤
١٠٣	١٠/١٤	١٤٣٠	نهاريا	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	تدمير عدد من منشآت العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٤	١٠/١٤
١٠٤	١٠/١٣	٥٤٣٠	المنارة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير عدد من منشآت العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٥	١٠/١٤
١٠٥	١٠/١٤	٩٤٣٠	كفرشوباوراشيا الفخار	اشتباك	مدافع	— —	تراشق بالمدفعية مع قوات العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٦	١٠/١٤
١٠٦	١٠/١٤	٣٤٠٠	الفجر العباسية	تفجير	شبكة الغام	غيرمحدد	تدمير آلية للعدو واصابة من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٧	١٠/١٤

١٠٧ — ١٠/١٤	—	المطلة	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية ورشاش أ — ٦	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٨ ١٠/١٤
١٠٨ — ١٠/١٣	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير أجزاء من مصنعي القنابل اليدوية ومصنع « لاهن » لصناعة الاسلحة الخفيفة واشعال النيران فيهما	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٩٠ ١٠/١٤
١٠٩ — ١٠/١٣	—	بيت شيمش/القدس	قصف	قذائف صاروخية	غيرمحدد	تفجير قسم تركيب طائرات « عرفاد » و« كومودور جت » في مصنع انتاج الطائرات كما اصابت بعض القذائف قسم صناعة وتركيب صاروخ غبريال البحري	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٩١ ١٠/١٤
١١٠ — ١٠/١٤	—	بين نابلس ورام الله	كمين	قنابل وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير آليتين واصابة من فيهما	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٩٢ ١٠/١٤
١١١ — ١٠/١٣	—	المطلة	هجوم	قذائف صاروخية	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت والافراد	٣	—	—	بلاغ عسكري رقم ٩٣ ١٠/١٤
١١٢ — ١٠/١٣	—	مزارع شبعا	قصف	قذائف صاروخية	غيرمحدد	اسكات مربض مدفع	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٩٣ ١٠/١٤
١١٣ — ١٠/١٤	—	مسكاف عام	كمين وقصف	أسلحة مختلفة وقذائف صاروخية	غيرمحدد	تدمير بعض المنشآت والافراد	—	١	—	بلاغ عسكري رقم ٩٣ ١٠/١٤
١١٤ — ١٠/١٤	—	مستعمرة ادمت	قصف	قذائف صاروخية والقنابل	غيرمحدد	تدمير بعض المنشآت وشوهدت سيارات الاسعاف قادمة الى المنطقة	—	١	—	بلاغ عسكري رقم ٩٦ ١٠/١٥
١١٥ — ١٠/١٤	١٩٠٣٠	المنارة	اشتباك	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير مربض رشاش واسكات آخر	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٩٧ ١٠/١٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١١٦	١٠/١٤	—	المنارة/الناقورة/ مسكاف‌عام/ ادمت/سعسع	هجمات	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير رادار في الناقورة ومنشآت أخرى	٧	عدد	—	بلاغ عسكري رقم ٩٨	١٠/١٥
١١٧	١٠/١٤	—	كفار جلعادي	قصف	مدفعية ثقيلة	غيرمحدد	تدمير بعض المنشآت	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٩٩	١٠/١٥
١١٨	١٤/١٣	—	قطاع غزة	تفجير	شبكة ألغام	غيرمحدد	تدمير سيارة نصف مجنزرة قرب مستعمرة تيرن وسيارة « باور واجن» قرب مستعمرة نيرعام وتدمير سيارة عسكرية قرب مستعمرة « مردخاي »	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٠٠	١٠/١٥
١١٩	١٠/١٤	—	العباسية	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	٤	١	—	بلاغ عسكري رقم١٠١	١٠/١٥
١٢٠	١٠/١٤	—	المطلة	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير طاقم وأفراد كمين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٠١	١٠/١٥
١٢١	١٠/١٤	—	شمال‌فلسطين	هجوم وقصف	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	قصف نهاريا، ومهاجمة مواقع العدو في النبي يوشع في مسكاف عام ، مهاجمة دورية آلية بين زرعيت — افيفيم ، مهاجمة كمين في مستعمرة شتولا ، نصب كمين لدورية بين كفار جلعادي وبيت هليل	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٠٢	١٠/١٥

١٢٢ — ١٠/١٥	١٤٠٠	شبعا/جبل الرامة	هجوم	قنابل ورشاشات ١٢	—	تدمير مركز رادار هود الجدي	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٣ ١٠/١٥
١٢٣ — ٩ /١٠	—	مستعمرة حانوتة	قصف	صواريخ ثقيلة غيرمحدد		اشعال النيران في معسكر الكماندو الاسرائيلي	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٤ ١٠/١٥
١٢٤ — ١٠/١٤	—	الهضبة الشمالية/ الجولان	اشتباك	اسلحة مختلفة غيرمحدد		غير محدد	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٥ ١٠/١٥
١٢٥ — ١٠/١٥	—	مزرعيت	قصف	مدفعية صاروخية غيرمحدد		تدمير بعض المنشآت	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٦ ١٠/١٦
١٢٦ — ١٠/١٥	—	مزرعيت	هجوم	قنابل يدوية غيرمحدد واسلحة مختلفة		تدمير برج مراقبة وآلية نصف مجنزرة ورشاش ٥٠٠	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٦ ١٠/١٦
١٢٧ — ١٠/١٥	—	بانياس/مسعدة	هجوم	أسلحة مختلفة غيرمحدد		تدمير آليتين من قافلة	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٦ ١٠/١٦
١٢٨ — ١٠/١٥	—	كفارجلعادي	قصف	صواريخ غيرمحدد		تدمير بعض المنشآت	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٦ ١٠/١٦
١٢٩ — ١٠/١٥	—	المطلة/بانياس	اشتباك	مدافع غيرمحدد		غير محدد	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٦ ١٠/١٦
١٣٠ — ١٠/١٥	—	مستعمرة حانوتة	قصف	مدفعية وصواريخ غيرمحدد		اصابة بعض المنشآت	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٦ ١٠/١٦
١٣١ — ١٠/١٤	—	البصة/الجليل الغربي	اشتباك	أسلحة مختلفة غيرمحدد		اصابة عدد من افراد حراسات المطار العسكري	٤ — —	بلاغ عسكري رقم١٠٦ ١٠/١٦
١٣٢ — ١٠/١٥	—	بين يفتاح والمنارة	هجوم	أسلحة مختلفة ٨ —		تدمير كمين للعدو	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٧ ١٠/١٦
١٣٣ — ١٠/١٥	—	وادي العسل/جبل الشيخ	هجوم	أسلحة مختلفة غيرمحدد		تدمير مربض لمدفعية العدو	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٧ ١٠/١٦
١٣٤ — ١٠/١٥	—	العباسية/بانياس	هجوم	أسلحة مختلفة ١٠ —		غير محدد	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٧ ١٠/١٦
١٣٥ — ١٠/١٦	—	العباسية وتلة الرمتة /جبل الشيخ	تفجير	زرع شبكة الغام غيرمحدد		غير محدد	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٨ ١٠/١٧
١٣٦ — ١٠/١٦	—	المطلة	قصف	صواريخ ومدفعية ثقيلة غيرمحدد		اصابة بعض المنشآت	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٨ ١٠/١٧
١٣٧ — ١٠/١٦	٢٣٠٠	دان، دفنه، شارياشوف	قصف	صواريخ ثقيلة غيرمحدد		اصابة عدد من المنشآت واشعال النيران فيها	— — —	بلاغ عسكري رقم١٠٩ ١٠/١٧

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	خسائر العدو البشرية جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
١٣٨	١٠/١٧	—	تل أحمر، تل قاضي	قصف	صواريخ	غيرمحدد		قصف تجمعات للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٠٩	١٠/١٧
١٣٩	١٠/١٧	١٤٠٠	وادي العسل/ جبل الشيخ	قصف	هاونات ثقيلة	غيرمحدد		قصف مرابض مدفعية العدو واسكاتها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٠٩	١٠/١٧
١٤٠	١٠/١٦	٢٣٤٠٠	العباسية	كمين وقصف	هاونات وأسلحة رشاشة	غيرمحدد		تدمير عربة كمبيون عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٠٩	١٠/١٧
١٤١	١٠/١٥	٦٤٠٠	سمخ/طبريا	قصف	صواريخ	غيرمحدد		اصابة تجمعات للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٠	١٠/١٧
١٤٢	١٠/١٥	—	جسر رامين/نابلس	تفجير	عبوات ناسفة/ الغام	غيرمحدد		تدمير دبابة كانت تسير في مقدمة رتل عسكري	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١١	١٠/١٧
١٤٣	١٠/١٥	—	نابلس	تفجير	قنبلة يدوية	غيرمحدد		تدمير سيارة شرطة وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١١	١٠/١٧
١٤٤	١٠/١٥	—	نابلس	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل	٦	—	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١١	١٠/١٧
١٤٥	١٠/١٧	٢٤٥٠	كافاريوفال وجلعادي	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		تدمير عربة نصف مجنزرة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٢	١٠/١٧
١٤٦	١٠/١٦	٢١٤٠٠	الخالصة وكفار جلعادي	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		تدمير آلية	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٢	١٠/١٧
١٤٧	١٠/١٦	٢١٤٠٠	بقره ومطار البصة	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد		غير محدد	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٢	١٠/١٧
١٤٨	١٠/١٦	٢٤٣٠	المالكية	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		تدمير آلية نصف مجنزرة وقتل وجرح جميع أفرادها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٢	١٠/١٧

١٤٩ — ١٠/١٦	—	يفتاح، النبي يوشع، ادمت	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	نسف محطة توزيع المياه للمستعمرات المذكورة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٣ ١٠/١٧
١٥٠ — ١٠/١٦	—	يفتاح، النبي يوشع، ادمت	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اشتباك مع قوة للعدو دام ٤٥ دقيقة	—	١	—	بلاغ عسكري رقم١١٣ ١٠/١٧
١٥١ — ١٠/ ٨	—	معسكر الشاطىء/ غزة	هجوم	رشاشات وقنابل يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٤ ١٠/١٨
١٥٢ — ١٠/١١	—	مزلقان الصايغ جنوب غزة	هجوم	رشاشات وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة دورية عسكرية واصابة جميع ركابها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٤ ١٠/١٨
١٥٣ — ١٠/١٢	—	دوار النصيرات	هجوم	رشاشات وقنابل يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة باور واجن واصابة جميع ركابها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٤ ١٠/١٨
١٥٤ — ١٠/ ٩	—	بين خان يونس ورفح	هجوم	رشاشات وقنابل يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة نصف مجنزرة للعدو واصابة جميع من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٤ ١٠/١٨
٤٥٥ — ١٠/١٤	—	خان يونس	كمين	قنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية واصابة من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٤ ١٠/١٨
١٥٦ — ١٠/١٥	—	همشلوشا/خان يونس	تفجير	ألغام	غيرمحدد	تدمير سيارة « باور واجن » واصابة من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٤ ١٠/١٨
١٥٧ — ١٠/١٣	—	تل ابيب	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	حرق معمل للمارتديلا وحانوت لتصنيع الجلود والبلاستيك وامتداد النيران الى المنازل القريبة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٥ ١٠/١٨

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جرح	مفقود	المصدر	تاريخه
١٥٨	١٠/١٣	—	مستعمرة ملبس/ تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	حرق مصنع للورق	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٥	١٠/١٨
١٥٩	١٠/١٤	—	تل ابيب	تفجير	قنبلة موقوتة	غيرمحدد	تدمير سيارة كانت تقف في الشارع رقم١٠	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٥	١٠/١٨
١٦٠	١٠/١٥	—	بيوتا/تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	— —	تدمير منزل ضابط عسكري	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٥	١٠/١٨
١٦١	١٠/١٢	—	غورالاردن	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد	تدمير معمل للسفن واشعال النيران فيه	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٦	١٠/١٨
١٦٢	١٠/١٧	—	الجليل الاعلى قصف وهجوم		أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اقتحام مستعمرة المطلة ، ومهاجمة مستعمرتي كفار يوفال ، ومهاجمة معسكر فشكول ، وقصف مستعمرة الخالصة ومطار بيت هليل بالصواريخ	٤	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٧	١٠/١٨
١٦٣	٩/ ٨	٢١٤٠٠	بئرالسبع والماسورة	كمين	لغم مسيطر عليه كهربائيا	غيرمحدد	تدمير شاحنتي تموين وذخيرة وقتل من فيهما	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٨	١٠/١٨
١٦٤	١٠/١١—١٠	—	الشيخ زويد والعريش	تفجير	الغام	غيرمحدد	تدمير نصف مجنزرة وناقلة جنود وقتل من فيهما	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٨	١٠/١٨
١٦٥	١٠/١١—١٠	—	شرقي خزاعة/ قرية ابوستة	تفجير	الغام	غيرمحدد	تدمير سيارة باور واجن وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٨	١٠/١٨

١٦٦	١٠/١٨	١٤١٠	شالومي/الجليل الغربي	قصف	قذائف صاروخية وهاون ٦٠ملم	غيرمحدد	تدمير جميع منشآت المستعمرة	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٩ ١٠/١٨
١٦٧	١٠/١٨	٢٤٠٠	العباسية	قصف وهجوم	هاون ١٢٠ملم وقذائف مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	—	٢	بلاغ عسكري رقم١١٩ ١٠/١٨
١٦٨	١٠/١٨	—	الجليل الاعلى والاوسط	هجوم وقصف	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	هجوم على دورية قرب مستوطنة المنارة واقتحام المستوطنة، وكذلك في مستوطنة مسكاف عام . مهاجمة احد كمائن العدو في بركة ريشه في الجليل الاوسط وقصف مدينة نهاريا بالصواريخ الثقيلة	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٠ ١٠/١٨
١٦٩	١٠/١٨	—	مجدل شمس	قصف وهجوم	قذائف صاروخية وأسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير مستودع للوقود وبلدوزر	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢١ ١٠/١٨
١٧٠	١٠/١٨	—	الجليل الاوسط	تفجير	عبوات ناسفة	—	تدمير مجمع الكهرباء في القطاع الاوسط	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٢ ١٠/١٨
١٧١	١٠/ ٩	٢٠٤٠٠	وادي التفاح بين بئر السبع والقدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	تدمير جسر وتعطيل المرور عليه	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٣ ١٠/١٩
١٧٢	١٠/١٨	—	المطلة والغجر	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية نصف مجنزرة وقتل وجرح من فيها	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٤ ١٠/١٩
١٧٣	١٠/١٨	—	تل القاضي/الجليل الغربي	اشتباك	أسلحة رشاشة	١٠	اصابة موقع مدفعية للعدو بأضرار	٤	—	بلاغ عسكري رقم١٢٤ ١٠/١٩
١٧٤	١٠/١٨	—	بانياس/القنيطرة	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير خمس آليات كبيرة وسيارتي جيب وقتل من فيها	٣	—	بلاغ عسكري رقم١٢٤ ١٠/١٩

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١٧٥	١٠/١٧	—	عاجولان/سمخ	قصف	صواريخ	غيرمحدد	اصابة المستعمرة باضرار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٥	١٠/١٩
١٧٦	١٠/١٨	—	مزرعيت/الجليل الاعلى	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير كمين للعدو واشعال النيران فيه	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٥	١٠/١٩
١٧٧	١٠/١٩	٢٤،٣٠	نهاريا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مصنع للاسبست	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٦	١٠/٢٠
١٧٨	١٠/١٩	—	تل الزعتر/شرقي حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير الجانب الجنوبي من مصنع الذخائر الخفيفة واشعال النيران فيه	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٦	١٠/٢٠
١٧٩	١٠/١٩	—	صفد	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	تدمير عدد من المنشآت	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٧	١٠/٢٠
١٨٠	١٠/١٩	—	كفارجلعادي	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اقتلاع الاسلاك الشائكة حول المستعمرة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٨	١٠/٢٠
١٨١	١٠/١٩	—	معسكر نشكول	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية مجنزرة كما تم تدمير اليتين في هجوم على دورية للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٨	١٠/٢٠
١٨٢	١٠/١٩	—	جبل الرز	هجوم	قذائفصاروخية	غيرمحدد	تدمير بلدوزر	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٨	١٠/٢٠
١٨٣	١٠/١٩	—	جبل الرؤوس	قنص	—	١ —					بلاغ عسكري رقم١٢٨	١٠/٢٠
١٨٤	١٠/١٩	١٢،٠٠	كريات شمونة	قصف	مدفعية	غيرمحدد	اشعال النيران في المستوطنة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٨	١٠/٢٠
١٨٥	١٠/١٥	٢١،٢٠	تل شنار/غزة	كمين	رشاشاتوقنابل يدوية	غيرمحدد	اعطابسيارة باور واجن واصابة من بداخلها وفرار آلية اخرى	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٩	١٠/٢٠
١٨٦	١٠/١٨	١٤،٠٠	نحال عوز/غزة	تفجير	الغام	غيرمحدد	تدمير نصف مجنزرة واصابة من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٩	١٠/٢٠

١٨٧	١٠/١٨	—	مستعمرةغيرعيم/ ديرالبلح	تفجير	ألغام	غيرمحدد	تدمير سيارتين عسكريتين واصابة من بداخلهما	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٩	١٠/٢٠
١٨٨	١٠/١٢	١٩٤٠٠	الجثمانية ـ راس العامود/القدس	كمين	تنابل يدوية ورشاشات	غيرمحدد	اعطاب آليات للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٠	١٠/٢٠
١٨٩	١٠/١١	—	نابلس	تفجير	القاء قنبلة	غيرمحدد	اعطاب سيارة عسكرية واصابة من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٠	١٠/٢٠
١٩٠	١٠/١٢	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تسدمير جزء كبير من مستودع قطع غيار الطائرات الحربية	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣١	١٠/٢٠
١٩١	١٠/١٤	—	عكا	هجوم	عبوات ناسفة وقنابل ورشاشات	غيرمحدد	الحاق أضرار بالغة بمطار عكا	١	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٢	١٠/٢٠
١٩٢	١٠/١٣	—	بئرالسبع	هجوم	رشاشات وقنابل يدوية	غيرمحدد	اصابة قافلة من سبع سيارات عسكرية وثلاث ناقلات جنود بأضرار بالغة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٢	١٠/٢٠
١٩٣	١٠/١٦	٢٣٤٠٠	كفارغزة/غزة	تفجير	ألغام	غيرمحدد	تدمير سيارة باور واجن واصابة من فيها وكذلك تدمير سيارة جيب عسكرية واصابة من بداخلها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٣	١٠/٢٠
١٩٤	١٠/١٨	—	هشلوشا/ديرالبلح	تفجير	ألغام	غيرمحدد	تدمير سيارة نصف مجنزرة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٥	١٠/٢١
١٩٥	١٠/١٩	٢٣٤٣٠	ابوطويلة ومعسكر الدوليين	تفجير	ألغام	غيرمحدد	تدمير سيارة واصابة من فيها كما هاجم ثوارنا سيارة اخرى وتم اعطابها وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٥	١٠/٢١
١٩٦	١٠/١٩	١٤٠٠	رنيتس والغرابية/ كمين	كمين	قنابل ورشاشات	٧	اعطاب سيارة باور واجن	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٥	١٠/٢١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية خسائر العدو	خسائر المقاومة قتيل	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١٩٧	١٠/١٩	٤٠٠	طريق الطيبة اريحا	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير عبارة وقطع الطريق	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٥	١٠/٢١
١٩٨	١٠/١٩	٢١٠٠	الغجر — العباسية	كمين	أسلحة مختلفة	٨ —	تدمير آلية	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٤	١٠/٢١
١٩٩	١٠/١٩	—	مسكاف عام والمطلة	هجوم	أسلحة مختلفة	١٥ —	مهاجمة مهجع لجنود العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٤	١٠/٢١
٢٠٠	١٠/١٩	—	داخل الارض المحتلة	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	٣	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٤	١٠/٢١
٢٠١	١٠/٢٠	—	المطلة	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير كمين وقتل وجرح افراده	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٦	١٠/٢١
٢٠٢	١٠/٢٠	—	الغجر/الجليل الاعلى	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٦	١٠/٢١
٢٠٣	١٠/٢٠	—	الخالصة	قصف	صواريخ	غيرمحدد	تدمير عدد من المنشآت واشعال النيران فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٦	١٠/٢١
٢٠٤	١٠/٢٠	—	المالكية	هجوم	قذائف صاروخية وبازوكا	غيرمحدد	تدمير رشاش ٥٠٠ واسكات رشاش آخر	٣	٢	—	بلاغ عسكري رقم١٣٧	١٠/٢١
٢٠٥	١٠/٢٠	—	تل العبار	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية ورشاش ٥٠٠ وتم ايضا تدمير كمين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٧	١٠/٢١
٢٠٦	١٠/٢٠	٢٠٤٣٠	جردية	اشتباك	رشاشات وقذائف صاروخية	غيرمحدد	تدمير كمين واصابة كمين آخر	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٧	١٠/٢١
٢٠٧	١٠/٢١	١٤٤٣٠	شبعا وجبل الشيخ	غارة	—	— —	اسقاط طائرة فانتوم	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٣٨	١٠/٢١

ملاحظة : تصدر التصاريح العسكرية عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

غازي خورشيد

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria L L 50, other Arab countries L L 60 or equivalent, Africa and Europe L L 80, elsewhere L L 100; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World L L 50. *Address:* P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٣ ١/٢ ل.ل. في لبنان
٤ ل.س. في سوريا
٤٥٠ فلساً في الكويت والعراق
٤ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية